

حقائق المعرفة

في علم الكون

أحمد محمد

مكتبة دار الفكر

الطبعة الأولى

الطبعة الثانية

الطبعة الثالثة

الطبعة الرابعة

الطبعة الخامسة

الطبعة السادسة

الطبعة السابعة

الطبعة الثامنة

الطبعة التاسعة

الطبعة العاشرة



مركز بحوث الدراسات الإسلامية

حَقَائِقُ الْمَعْرِفَةِ
فِي عِلْمِ الْكَلَامِ

مُحَقَّقُ الطَّبِيعَةِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

٢٠٠٣/٥١٤٢٤ م

تم الصف والإخراج مركز النهاري للطباعة - صغاء - الدائري الغربي حوار الجامعة الجديدة

(ت: ٧١١٦٠٧٣٤)

إخراج: خالد محمد محمد الزيلعي



مركز تنمية وتطوير الموهبة

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية لعام ٢٠٠٣ م

(٢٢٧)



مركز تنمية وتطوير الموهبة

ص.ب. ١٥١٣٤ للفون (٢٠٥٧٧٧-٠١٩٦٧١)

فاكس (٢٠٥٧٧١-٠١٩٦٧١) صغاء - الجمهورية اليمنية

Website: www.izbacf.org ; email : info@izbacf.org

جمع‌آوری شد

شماره اول: ۶۲۴۱۸

حَقَائِقُ الْمَعْرِفَةِ

فِي عِلْمِ الْكَلَامِ

کتابخانه
شماره ثبت: ۰۱۷۴۲۳
تاریخ ثبت:

تألیف

الایمَامُ الْمُؤَكَّلُ عَلَى اللَّهِ

أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُطَهَّرِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْإِمَامِ النَّاصِرِ أَحْمَدَ بْنِ الْإِمَامِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
(مطبعة الحكومة العراقية - بغداد)
رضي الله عنه وأرضاه

مُرَاجَعَةٌ وَتَصْحِيحٌ

حَسَنُ بْنُ يَحْيَى الْيُوسُفِيُّ
وَفَقَّهُ اللَّهِ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ



موسسه کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران



المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وبعد :

فإن أول العبادة وأساسها هو معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته ، قال الإمام القاسم بن إبراهيم (عليه السلام) : (اعلم يا أخي - علمك الله الخير والهدى ، وجنبك المكاره والردى - أن الله خلق جميع عباده المكلفين لعبادته كما قال عز وجل : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الأنعام: ١٠٦] ، والعبادة تنقسم على ثلاثة وجوه :

أولها : معرفة الله.

والثاني : معرفة ما يرضيه وما يسخطه.

والوجه الثالث : اتباع ما يرضيه ، واجتناب ما يسخطه...

إلى أن قال : فهذه ثلاث عبادات من ثلاث حجج احتج بها المعبود على العباد وهي : العقل ، والكتاب ، والرسول.

فجاءت حجة العقل بمعرفة المعبود، وجاءت حجة الكتاب بمعرفة التعبد، وجاءت حجة الرسول بمعرفة العبادة، والعقل أصل الحجتين الأخيرتين؛ لأنهما عرفا به ولم يعرف بهما فافهم ذلك^(١).

ويدل على هذا التقسيم الفريد قول الرسول الأكرم ﷺ للأعرابي عندما جاءه يلتمس منه غرائب العلم، فقال له رسول الله ﷺ: «وماذا صنعت في رأس العلم حتى تسألني عن غريبه؟» قال: وما رأس العلم يا رسول الله؟ قال: «معرفة الله حق معرفته»، فقال يا رسول الله: وما معرفة الله حق معرفته؟ فقال رسول الله ﷺ: «أن تعرفه بلا مثل ولا شبه، وأن تعرفه إلهاً واحداً، فرداً صمداً، أولاً آخراً، ظاهراً باطناً، لا كقولك ولا مثيل»^(٢).

ويقول الإمام علي (عليه السلام) (أول الدلائل معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عدده، ومن قال: فيم؟ فقد ضمنه، ومن قال: علام؟ فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات

(١) رسائل العدل والتوحيد ١٢٤

(٢) أمالي الإمام أبي طالب (عليه السلام) ٢٠٩ برقم (١٤٩).

والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده»^(١).

ومن هنا ندرك أهمية المعرفة، وضرورة سلامتها من التمثيل والتشبيه والتجسيم الذي وقع في فخه كثير من المسلمين، ولا بد أن تكون هذه المعرفة منطلقة من التفكير السليم في عجائب المصنوعات وغرائب المخلوقات، بعيدة كل البعد عن التفكير في ذات الحق جل وعلا؛ لأن التفكير في الذات يؤدي إلى الإلحاد المذموم، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (من تفكر في المخلوق وحّد، ومن تفكر في الخالق ألحد)^(٢).

ولا بد أن يكون الاعتقاد المنبثق من تلك المعرفة مستقراً استقراراً أكيداً في النفس، يشعر المسلم من خلاله بالتوجه الكامل نحو الله تعالى بكل قواه وحركاته في الضمير والجوارح والحياة، ويعرف أنه عبد يعبد رباً يعبد، ولا تتأني هذه المشاعر إلا إذا كانت خالية عن التقليد الأعمى، قال رسول الله ﷺ: «من أخذ دينه عن التفكير في آلاء الله، والتدبر لكتاب الله، والتفهم لسنة، زالت الرواسي ولم يزُل، ومن أخذ دينه من أفواه الرجال، وقلدهم فيه، ذهب به الرجال من يمين إلى شمال، وكان من دين الله على أعظم زوال»^(٣).

(١) نهج البلاغة ٣٩-٤٠.

(٢) سبيل الرشاد ١٦.

(٣) أخرجه الإمام أبو طالب في الأمالي ١١٥.

قواعد أساسية لفهم مسائل العقيدة

وهناك قواعد أساسية استقرأتها من خلال بحثي في أصول الدين، وأرى من وجهة نظري الفاصر أن تطبيقها والاسترشاد بها في أصول الدين يؤدي إلى التطبيق الفعلي للحديث النبوي السابق وهذه القواعد هي :

١- استعمال العقل باعتباره مناط التكليف، وأداة النظر:

قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لَبِثُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَنْبَثُوهَا وَأَدْبُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمْ أَثَرٌ فَلَمْ يُخَذِّعُوا اللَّهَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أَوتُوا الْآلَاءَ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

ويعتبر بمثابة النور للإنسان يميز به بين الحق والباطل، وبين الممكن والمستحيل.

والقرآن يوصي كثيراً باستخدام العقل في مسائل الاعتقاد، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الاب: ٢٢]، فالأخذ بالعقل في مسائل أصول الدين أخذ بالقرآن الكريم، ولذلك انتهج المذهب الزيدي النهج القرآني في استخدام الدليل العقلي وجمع في الاستدلال على صحة معتقداته بين صحيح النقل، وصريح العقل، ولذلك لم تأسر ظواهر الألفاظ المتشابهات، كما أسرت بعض المذاهب التي عطلت العقل، وحصرت دوره، وقصرت فهمه وإدراكه على فهم من قلده تقليداً أعمى، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَبْعَثُ مَا تَأْتِيَنَا عَلَيْهِ آبَاؤُنَا أُولَئِكَ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَحْكُمُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

قال الإمام القاسم بن إبراهيم (عليه السلام) : (معرفة الله عز وجل - وهي عقلية - منقسمة على وجهين وهما : إثبات ونفي ، فالإثبات هو اليقين بالله والإقرار به ، والنفي هو نفي التشبيه عنه تعالى ، وهو التوحيد ، وهو ينقسم على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : الفرق بين ذات الخالق وذات المخلوق حتى ينفي عنه جميع ما يتعلق بالمخلوقين في كل معنى من المعاني ، صغيرها وكبيرها ، وجليلها ودقيقها ، حتى لا يخطر في قلبك في التشبيه خاطر شك ولا توهم ولا ارتياب ، حتى تُوحّد الله سبحانه باعتقادك وقولك وفعلك ، فإن خطرت على قلبك في التشبيه خاطرة شك فلم تنف عن قلبك بالتوحيد خاطرها ، وتمط باليقين البت والعلم المثبت حاضرها ، فقد خرجت من التوحيد إلى الشرك ومن اليقين إلى الشك ؛ لأنه ليس بين التوحيد والشرك ، واليقين والشك ، منزلة ثالثة ، فمن خرج من التوحيد فإلى الشرك مخرجه ، ومن فارق اليقين ففي الشك موقعه .

الوجه الثاني : هو الفرق بين الفعلين حتى لا تصف القديم بصفة من صفات المحدثين .

والوجه الثالث : هو الفرق بين الفعلين حتى لا تشبه فعل القديم بفعل المخلوقين ^(١) .

(١) رسائل العدل والتوحيد ١/١٢٦ .

٢- الاعتماد على الحجج القرآنية وإرجاع متشابه الكتاب إلى محكمه.

من المعروف أن القرآن يحمل في طياته القواعد الأساسية، والأصول العامة لكل ما يحتاجه الإنسان من عقائد وقوانين وأحكام وأنظمة وآداب، وهو الأصل الأول الذي يجب الاعتماد عليه، وإما قدمنا الحجج العقلية للتدليل على وحيه وأوّل صواهر النصوص التي توحى بالتشبيه والتجسيم، وهي بهد لا تلغي دوره أو تنقص من شأنه، وإما تقودنا للعمل به وفقاً لما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهِ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ١٧].

فالمحكم هو أصل الكتاب أو المتشابه به أو فرعه، ويجب رد المتشابه إلى المحكم ولن نستطيع رده إلا باستعمال العقل في ضوء اللغة، والسياق، والمراد الإلهي، وما صعب يجب إرجاعه إلى الراسخين في العلم ليوضحوا صعوبته ويكشفوا عامضه

ولو لم يستخدم أهل العدل والتوحيد هذه القاعدة الصحيحة لاستفحل داء المجسمة والقدرية والمرحنة والمحررة، وصعب دواؤهم؛ لأنهم يوردون الآيات المتشابهة التي تحمل أكثر من معنى ليبرروا صحة عقائدهم المنحرفة التي وصفوا الله من خلالها بصفات غير لائقة، وقد وضع الله مقاصدهم وكشف أستارهم، وأبان زواغ قلوبهم من خلال ما يستدلون به من الآيات المتشابهات مع تركهم

ويقول جده الإمام القاسم بن إبراهيم (عليه السلام): (وقد أنكرت الحشوية^(١) رد التشابه إلى المحكم، ورعموا أن الكتاب لا يحكم بعضه على بعض، وأن كل آية منه ذبته واحب حكمها بوجوب تشريحها وتأويلها، ولذلك وقعوا في التشبيه وجادلوا عليه؛ لما سمعوا من متشابه الكتاب فلم يحكموا عليه بالآيات التي جاءت بنفي التشبيه، فاعلم ذلك^(٢)).

٢- مراعاة سياق الآيات

ولا بد عند الاستشهاد بآيات الكتاب من مراعاة سياقها، سواء أكانت الآيات دالة على مسائل التوحيد ثم مسائل العدل، أو ما يتعلق بالعقيدة بشكل عام، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (صافات: ١٢٩)، استدلت بها بعض الفرق على أن الله خلقها وخلق ما نعمله من الأعمال حيرها وشرها، ولو رجعوا إلى السياق لوجدوا ريب قولهم وفساده، فاسياق هو هكذا: ﴿فَرَاغَ إِلَى إِلَهِهِمْ فَقالَ الْأَتَّامِكُونَ ۖ مَا لَكُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۚ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۚ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ ۚ قالَ اتَّعِظُونَ ۚ مَا تَعْلَمُونَ ۚ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩١-٩٦)، فالآية مقترنة بما قبلها والمراد بها أن الله خلقكم وخلق هذه المادة التي تعملون منها الأصنام فكيف تعبدون ما تنحتونه مما خلق؟^١

(١) الحشوية هم المشبهة والمجسمة وأهل الظاهر ليس لا يسلكون سبيل التأويل للمتشابه من آيات القرآن الكريم وسُموا حشوية، لأن كلامهم حشو لا مطلق فيه ولا عقل

(٢) رسائل العدل والتوحيد ١/ ١٢٦

٤- تحديد معنى المصطلحات

وبما يعين على فهم الكلمة المطلوبة حصر معانيها اللغوية ومواردها في القرآن الكريم، وكذلك شواهدا من أشعار العرب؛ لأن القرآن نزل بلغتهم، فلا مانع من الاستشهاد بكلماتهم في إيضاح معاني الكلمات، ومن الأمثلة على ذلك ما أجاب به الإمام الهادي إلى الحق (عليه السلام) على أحد المجبرة الذي رعم أن الاغفال من الله واستدل بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَحْبَبْتَ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [التكوير: ١٢٨]، فقال الإمام الهادي (عليه السلام) - موضحاً فساد قوله، وزيف اعتقاده: (وأما ما سأل عنه من قول الله سبحانه: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَحْبَبْتَ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾، فقال: أخبرونا عن هذا الذي أغفل الله قلبه عن ذكره، هل أراد الله أن يطيقه؟ فتوهم - ويله وعوله إن لم يتب من الله ويحبه -!! أن الله تبارك وتعالى أدخله في العفلة، وحال بينه بذلك وبين الطاعة، فليس كما توهم، ألا يسمع إلى قول الله عز وجل: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾؟ فأخبر سبحانه أنه متبع في ذلك لهواه، ضال عن رشده، تارك لهداه، ولو كان من الله لم يكن العبد متبعاً لنفسه هواه، بل كان داخلاً لله فيما شاء وارتضى، وسنفسر معنى الآية إن شاء الله والقوة بالله وله: إن الله تبارك نهى نبيه عن طاعة من أغفل قلبه عن أثر هواه على هداه، وأما معنى ما ذكر الله سبحانه من الإغفال فقد يخرج على معنيين. والحمد لله. شافيين كافيين:

أحدهما: الخذلان من الله، والترك لمن اتبع هواه، وآثره على طاعة مولاه، فلما أن عصى وضل وغوى وترك ما دل عليه الهدى؛

استوحب من الله الخذلان لما كان فيه من الضلال والكفران، فغفل
وصل وجهل إذ لم يكن معه من الله توفيق ولا إرشاد، فتسرّب
سربال الغي والفساد.

وأما المعنى الآخر: فينبغي في لسان العرب موجود، معروف عند كلها
محدود، وهو أن يكون معنى قوله: «أَضَلَّنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا» أي:
تركنا من ذكرنا، والذكر هو التذكير من الله والتسديد والتعريف
والهداية إلى الخير والتوفيق، فيقول سبحانه: تركنا قلبه من تذكيرنا
وعونا وهدايتنا بما أصر عليه من لإشراكنا والاجترأ علينا، تقول
العرب: يا فلان أغفلت فلاناً، ويقول القائل: لا تعملني أي تتركني،
ويقول العرب: قم مسي، [أي قم علي، فحلف بعص حروف
الصفات بعصر، وتقيم بعضها مقام بعض، قال الشاعر:

شربنا بماء البحر ثم ترفعت

لدى لجح حضر لهن نبيح

فقال: لدى لجح، وإنما يريد على لجح، فذكر السحاب وشربها من
البحار، واستقلالها بما فيها من الأمطار، وقال آخر:

أغفلت تعلب من معروفك الكاسي

فخلت قلبك مهم مفضاً قاسي

فقال: أغفلت تعلب من معروفك، أي تركتها من عطائك ونوائك
ومستك وأوصالك، ثم قال: فخلت قلبك منهم معصياً قاسي، فقال:
منهم، وإنما يريد عليهم غصباً، فأقدم حرف الصفة وهو (من) مقام
أختها وهي (على)، وأقام (مهم) مقام (عليهم)، فهذا معنى الآية

- إن شاء الله - ومخرجها ، لا ما توهم الجهال على ذي المعالي والجلال من الجبر لعباده والإضلال ، والظلم والتجبر بالإفعال^(١).

٥- فهم الأحاديث النبوية في ضوء القرن

وإذا أردنا عبودية عقائدية صادقة ، فلا بد أن تكون وفق الصفات الثلاثة بالله تعالى ، ومن المستحيل أن يتناقض الوحي في هذه الصفات سواء في الكتاب أو السنة ، وأما الكتب فقد تقدم كيفية التعامل معه ، وأما السنة فلا بد أن يكون الحديث المستدل به منها في أمر العقيدة قطعياً متواتراً ، وما لا يتعارض مع القرآن الكريم بوجهه أو بآخر ، ويلزمنا عدم المجازفة في الرد والقبول.

وقد أكد الرسول ﷺ على قاعدة العَرَضِ على القرآن الكريم فقال : «سيكذب علي كما كذب على الأنبياء من قلبي فما أتاكم عني فأعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فهو مني وأنا قلته ، وما خالفه فليس مني ولم أقله»^(٢) ، وبالرغم من المحاولات التشكيكية في هذا الحديث من قبل الحشوية فإنه يزداد صحة يوماً بعد آخر ، وأبسط مثال على ذلك أن عائشة زوج الرسول ﷺ طلقته على أحاديث كثيرة ، ومنها حديث : «إن الميت ليعذب بكاء أهله»^(٣) ، فقالت : إنه يتعارض مع قول الله تعالى : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٤) .

(١) رسائل العدل والتوحيد ٢/٢٤٦-٢٤٧

(٢) أورده الإمام القاسم بن محمد في الاعتصام ٢١/١ ، وأخرجه أبو الفتح الديلمي في أول الرهان - ح - وهو في كنز العمال ١٧٦٠ ، مجمع الزوائد ١٧/١ ، وفي الجامع الصغير ٧٤/١ ، وهو من الأحاديث الصحيحة والمعتبرة عند أهل البيت (عليهم السلام)

(٣) رواه البخاري ، فتح ٣/١٥١-١٥٢ ، ومسلم في صحيحه ٢/٦٣٨-٦٤٢

قال النووي : (وهذه الروايات من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبد الله - رضي الله عنهما - وأكرته عائشة، ونسبتهما إلى النسيان والاشتباه عليهما، وأكرت أن يكون النبي ﷺ قال ذلك، واحتجت بقوله تعالى : ﴿وَلَا تَزِدُْوا آيَةَ وَلَا تَزِدُْوا آيَةَ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، قالت : وإنما قال النبي ﷺ في يهودية أنها تعذب وهم يكون عليها، يعني تعذب بكرها في حال بكاء أهلها لا بسبب الكاء) (١).

ويقول الشيخ الغزالي : (إنها ترد ما يخالف القرآن بحراً وثقة، ومع ذلك فإن هذا الحديث المرفوض من عائشة ما يزال مثبتاً في الصحاح بل إن (ابن سعد) في طقائه الكبيرى كررها في بضعة أسانيد!!.. وعدي أن ذلك المسلك الذي سلكتم أم المؤمنين أساساً لمحاكمة الصحاح إلى نصوص الكتاب الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) (٢).

وهكذا تتوالى الاعترافات من هنا وهناك، وتؤكد صحة قواعد أهل البيت في كيفية التعامل مع الأحاديث النبوية.

ثم لماذا ترفض الحشوية هذه القاعدة النبوية، وتقبل قواعد أصحابها؟! وبقطع النظر عن صحة حديث العرض من عدمه فإن القاعدة صحيحة ومطلوبة، ولذلك لما تركوها وقعوا في إشكالات كثيرة وتلونات عديدة لم تستوعبها مصطلحاتهم وقواعدهم.

(١) شرح صحيح مسلم ٢٢٨/٥

(٢) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ١٦، ١٧، ١٨.

يقول الإمام القاسم بن محمد معقلاً على قبولهم لحكم الشيخ من مشائخهم في الحديث بالصحة أم بالضعف، ورفضهم لحكم كتاب الله فيه: (وناهيك أن يكون كتاب الله - أعزه الله تعالى - كأصول الخطابي والذهبي، أو كحكم شيخ حكم بصحة الحديث، أو عدمها مع أن المعلوم عدم عصمة ذلك الشيخ في حكمه، ومع عدم صحة ما حكم في نفس الأمر، وهم يوجبون رد ما يخالف أصولهم وما خالف ما حكم به شيخ من مشائخهم، وهل هذا إلا الضلال!!؟) (١).

وكم .. وكم من الأحاديث الإسرائيلية (٢) التي تسربت بطريقة أو بأخرى إلى الأحاديث السوية، فلذا يلزم التنبيه لها والتحذير منها حتى لا يقع الناس في فخ التعسيم والتشبيه، ووصف الله بما لا يليق بحلاله، وحير وسيلة لكشفها (هو عرصها) على القرآن وفقاً للأسس المذكورة، مع استعمال طرق التضعيف الأخرى المعتبرة.

٦- اتساع نهج آل محمد عليهم السلام

وخصوصاً ما أجمعوا عليه، باعشارهم أحد الثقلين، الذين تركهم رسول الله ﷺ لأمته، وأوصاهم بالتمسك بهم، فقال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الخوض» وهذا الحديث من الأحاديث المجمع على صحتها، رواه المؤلف والمخالف بالاتفاق في الصحاح والمعاجم والمسانيد والأماليات.

(١) الاعتصام ٢٤/١

(٢) للعريد راجع كتابها (علوم الحديث عند الربيعة والمحدثين)

وقد يقول القائل : أليس اتباع نهجهم من التقليد المنهي عنه ؟
أقول : لا والذي بسط الأرض ورفع السماء ، بل هو من التقليد المأمور
به ؛ لأن التقليد المنهي عنه في العقيدة هو اتباع قول الغير من غير حجة
ولا بينة ، أما أهل البيت (عليهم السلام) فهم حجة ، ألم يقرنهم الرسول ﷺ
بالتقرآن ؟ وهم لا يذكرون مسألة ، لا ويذكرون حجتها كتاباً وسنة ،
وإجماعهم حجة الإجماع ، ولهم مؤلفات عديدة ، ومقالات فريدة في
جميع أبواب العقيدة ، ألحموا فيها كبح كل مشبه متحيل ، أو مجري
متحيل ، وشرحوا فيها الصفات الثلاثية بذي الحلال والإكرام .

هذا الكتاب

ومن مؤلفاتهم العظيمة في أسواب العقيدة هذا الكتاب الذي بين يديك، ألفه الإمام الصوام اقوام، لتوكل على الرحمن، أحمد بن سليمان (رحمه الله)، وهو أحد أئمة الزيدية الدعاة، وكتابه هذا من المناهج المعتمدة في مدارس الزيدية وفي حوزاتها العلمية المختلفة، وقد سلك فيه مسلكاً رائعاً، حامعاً في الاستدلال على مسائله بين العقل والنقل، داخضاً شهاث المحسمة والمشبهة والمجسرة والقدرية، موضعاً الحق في كل مسألة من حلال الكتاب العظيم والسنة النبوية المطهرة - على صاحبها وآله أفضل الصلاة وأتم تسليم - وقد قام السيد العلامة حس اليوسفي بمقابلته وتصحيحه على أمهات النسخ المعتمدة، ودفعه إلى التقديم له والترجمة لمؤلفه، فنزلت عند طلبه رغبة في الثواب، وحرصاً على نشر هذا الكتاب؛ ليستفيد منه العلماء وطلاب العلم والباحثون عن الحق.

وقد طلبت منه أن يوصف النسخ التي اعتمدها في التصحيح والمقابلة، فكتب ما يلي:

تعريف بالمخطوطات التي اعتمدنا عليها عند المراجعة

١- نسخة (أ): وهي التي ابتدأ النقل عليها، وهي قطع متوسط، والخط فيها متوسط وإلى الضعف أقرب، حتى أن بعض الكلمات لا تتحقق إلا بالرجوع إلى نسخة أخرى، وفيها أخطاء ونقص، باعتبار غيرها من النسخ، وأخطاء إملائية، قال في آخر ورقة منها: (كان الفراغ من نساحته ليلة الإثنين بعد العشاء ثامن شهر القعدة سنة ١٣٧٧هـ، بقلم مالكه الحفير علي بن حسين الحذينة وفقه الله تعالى).

٢- نسخة (ب): وهي أصح النسخ، وحطها جيد، ومراعى فيها القواعد الإملائية، وسطورها منظمّة، وهي قطع صغير، وهي سليمة من الأخطاء والنقص، قال في آخرها ما لفظه: (وافق الفراغ من نساحه هذا الكتاب أجليل يوم الأحد: ٢٨/شهر رجب سنة ١٠٧٠هـ محروس شهارة، بقلم حسن بن محمد المهلا وفقه الله تعالى).

٣- نسخة (ت): هذه النسخة قطع صغير، والخط فيها متوسط، وفيها بعض النقص، وأخطاء، وفيها إصلاحات لبعض النقص والأخطاء، قال في آخرها: (تم نقل هذا الكتاب المبارك في شهر محرم سنة ٩٦٦هـ، بقلم الفقير إلى ربه محمد بن عبد الله بن إبراهيم - عفر الله له ولوالديه.. آمين، وذلك بهجرة شهارة المحمية بالله تعالى والصالحين من عباده).

٤- نسخة (ج): هذه النسخة من القطع الكبير، وهي في (٢٢٠) صفحة، خطها مستقيم، وفيها أخطاء، إلا أنها سليمة من النقص، مجهولة التاريخ والنسخ.

٥- نسخة (د): هذه النسخة من القطع المتوسط، والخط فيها مقري، غير مراعى فيه القواعد الإملائية، فيها بعض أخطاء، قال في آخرها ما لفظه: (تمت ساحة هذا السفر المبارك في شهر ربيع سنة ١٣٥٧هـ، وذلك حال محررتنا بمسجد التوت بمدينة صعدة، بقلم أفقر الورى محمد حسن الحولاني وفقه الله).

٦- نسخة (ع): هذه الساحة قطع متوسط، عدد صفحاتها (٣٥٠) صفحة. خطها مقارب، وفيها أخطاء كثيرة، قال في آخر صفحة منها: (وكان تمام ساحة هذا الكتاب يوم الخميس وقت العصر، آخر يوم من شهر القعدة، سنة ١٣١٥هـ، بقلم أفقر عباد الله وأحوجهم إليه، الراجي عفوره ومغفرته السيد حامد بن صلاح الداعي البحيوي، وذلك بهجرة صحيان، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم).

٧- نسخة (ل): النسخة في القطع لصغير، وقد أثرت الأرضة في قدر عشر ورق من آخرها، إلا أن في أول ورقة منها ما لفظه: (شرعنا في قراءة هذا الكتاب عند سيد القاضي العلامة عبد الله بن محمد العيزري حفظه الله وأبقاه).

٨- نسخة (م): هذه النسخة الخط فيها جيد ومنظم، ولكن فيها نقص وأخطاء، قال في آخرها ما نصه: (كان تمام نساجة هذا الكتاب في آخر شهر شعبان، أحد شهور سنة ١٣٠٠هـ، وذلك بمدينة صعدة

مسجد الذويد، بقلم الفقير إلى عفو ربه عبد الله بن محمد المساوي
الزبيدي والعدلي مذهباً واعتقاداً - وفقه الله لصالح الأعمال - بحق
محمد وآل محمد (عليهم السلام).

٩- نسخة (ص). هذه السحرة من القطع الكبير، عدد
صفحاتها (٢٣٠) صفحة، والخط فيها ضعيف جداً، وفيها أخطاء
ونقص، وقد جرى عليها بعض إصلاح لبعض الأخطاء، وفي
آخرها ما لفظه: (كان الفراغ من نقل هذا الكتاب المبارك الجليل
وقت الصبح في يوم الأحد، الثالث من شهر شوال، سنة
١٢٤٠ هـ، بقلم مالكة علي بن قاسم القليل، وذلك بهجرة
ضحيان)

١٠- نسخة (س). هذه السحرة من القطع الصغير عدد
صفحاتها (٤٠٠)، والخط فيها متوسط، وفيها بعض نقص،
وسليمة من كثرة الأخطاء، وقد جرى بعض إصلاح لبعض
النقص، قال في آخرها: (كان الفراغ من زبر هذا الكتاب في آخر
شهر الحجة من سنة ١٢٤٥ هـ، وذلك في المشهد بحوار الإمام
أحمد بن سليمان (عليه السلام)، وذلك حال قراءتها ومحررتها، بقلم
مالكة، أسير الدنوب، الراحى رحمة علام العيوب، علي بن
أحمد دهمش وفقه الله تعالى).

١١- نسخة (ش): هذه السحرة قطع ثلث، الخط فيها مقري،
وسليمة من النقص، وفيها بعض أخطاء، قال في آخرها ما لفظه:
(تم الكتاب بعون العزيز الوهاب، وله الحمد لا حصر، ثناء عليه

كما هو أثبت على نفسه . وذلك التمام بقدرة من له المن والإنعام ،
قُبيل الظهر ، يوم السبت ، ١٣ شهر شوال ، سنة ١٣٤٢ هـ ،
بالمسجد الأعلى بهجرة فئلة - حرسها الله بالصالحين - بقلم الحقير
إلى مولاه العلي ، عبد الله بن علي بن أحمد الشاذلي - ثبته الله وعفا
عه ، ووفقه وحشره في زمرة لني وآله مع الناحين يوم الدين -)

١٢ - نسخة (ي) . هذه النسخة قطع متوسط ، الخط فيها جيد ،
وسليمة من النقص والأخطاء . إلا أن في أولها نقص لثمان ورق
أو نحوها ، وليس فيها تأريخ سحتها ، ولا اسم كاتبها ، إلا أن في
آخر ورقة منها : (تم لنا قراءة هذا الكتاب النفيس ، على سيدنا
العلامة محمد بن أحسن البشير - حفظه الله وأبقاه - وحرر شهر
محرم ، سنة ١٣٦٠ هـ ، المؤيد أبي ربيع ، طالب العلم الشريف ،
محمد بن عبد الله بن سالم شيبان - وفقه الله -)

انتهى ما كتبه في تعريف النسخ لني اعتمدها في التصحيح والمقابلة ،
وهذه ترجمة للإمام أحمد بن سليمان (عليه السلام) كتبها وحاولت أن
أختصرها قدر الإمكان ، وصلى الله على سيدنا محمد الأمين وعلى آله
الطاهرين .

وكتب

عبد الله بن حمود العزي

اليمس - صعدة

١٤٢٤/٢/٢ هـ الموافق ٢٠٠٣/٤/٤ م

المؤلف

سببه

هو الإمام المتوكل على الله ، أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - عليهم السلام أجمعين

قوم بهم وبمحمد نوحوا النجاة مع الفلاح
وصلوا السيوف بحطوهم سبأذا المنع كالمباح
جبريل خادهم جندهم أولاد (حي على الفلاح)

مولده ونشأته

ولد (عليه السلام) سنة ٥٠٠ هـ، ونشأ في ظل أسرة علوية هاشمية كريمة، تحب العلم، وتشغف مكارم الأخلاق، يقول المؤرخ الشهيد حميد المحلي، المتوفى سنة ٦٥٢ هـ: (وآبأوه (عليه السلام) من الصفوة الأكارم، والخيرة من الأعراب والأعاجم، مناقهم شهيرة، وفضائلهم كثيرة،

ورياض فصلهم ممطرة الأرهـر، وفوائد علمهم حلوة الشمار، وما
عسى أن يقول فيهم المادح وإن أكثر، وقد أثنى عليهم المليك الأكبر،
ورسوله المصطفى الأطهر، غير أن لذكرهم في اللسان حلاوة، وعلى
الكلام بمدحهم طلاوة، والله القائل:

قوم إذا املوح الرجال على

أفواه من داق طعمهم عذبوا

أنوار الهداية إذا اعتكست دياحير ظلم لإشكال، وشموس الهدى
الكاشفة لخنادس الصلال، وما أحدرهم بقول من قال:

متى يستجر قوم بقل بمنزواتهم

هم ميتنا لهم رضى وهم عدل

هم جندوا أحكام كل مصلحة

من الحكم لا يلقى لأحكامهم فصل

وأمه (عليها السلام) الشريفة الفاضلة مبيكة بنت عبد الله بن القاسم بن
أحمد بن أبي الركات، واسمه سماعيل بن أحمد بن القاسم بن
محمد بن القاسم بن إبراهيم بن سماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن
الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وكان أبوه سليمان بن محمد من عماد الله الصالحين، بل كان يصلح
للإمامة، ويرجى منه القيام بصرة دين الخيف، فرأى في حال حمل
امراته بولده الإمام (عليه السلام) أن قثلاً يقول:

بشراك يا ابن الطهر من هاشم

بما جلد دونه محمد

بأحمد المصور من مثله

بورك فمن اسمه أحمد

وأما جده المطهر بن علي بن الناصر عليهم السلام، فإنه كان عالماً
مصنفاً، له التصانيف في الشريعة على مذهب حده الهادي إلى
الحق (عليه السلام)، وخرّج على مذهب الهادي أشياء كثيرة، من جملتها: أن
الترتيب بين اليمين والرحلين في الوصوء لا يجب.

وكان شاعراً فصيحاً مما يروى له (عليه السلام):

لحاني في الهوى لاح مصوح

فغالب سقودي رأس جموح

فقلت له وفي الخليلين هني

خديوة حدها إدمع السوح

أنطمع أن تربع إلى تسلو

وأن يسي النوى قلب حريح

بروحي من يرى روحي فأعجب

بروح كيف منه داب روح

سأركب كل هول أو أراني

أميح ولا أراني أستمح

ولا ألوي على وطن فتضحى

مفلته على خدي تلوح

فسح في الأرض واطلب المعالي

فكم من سيد فيها يسبح

فلولا أن فيمن ساح خيراً

يفوز به لما ساح المسيح

وتوفي (عليه السلام) بذي جيلة سنة خمسة عشر وأربعمائة^(١).

مشائحه وإحاراته

أما مشائحه فمنهم الإمام الحسن بن محمد من ولد المرتضى، والعلامة الفاضل العباس بن علي بن محمد، والحافظ إسحاق بن أحمد بن عبد الباقي، والقاضي عبدالله بن علي العسلي الواصل بكتب آل محمد سنة ٥٠١ هـ، وقد قرأ (عليه السلام) عندما سأله جماعة من العلماء أن يصحح لهم نقل الأخبار التي جمعها في (أصول الأحكام). (فأنا أذكر ما حصلني من ذلك، فأما كتاب (الأحكام) فأخذه من الشيخ الأجل إسحاق بن أحمد بن عبد الباقي مناوله وهو بخطه، وأما كتاب (المنتخب) فهو عدي لما كان بخرابة الإمام الباصر أحمد بن يحيى، وفيه خطوط المتقدمين من بني الهادي إلى الحق (عليه السلام)، وأخذت الشرحين (شرح التجريد) - خ - للإمام المؤيد بالله (عليه السلام)، و(تعليق القاضي زيد) من طريق الشريف الفاضل أبي محمد الحسن بن محمد من ولد المرتضى وكتبه وحطه بيده، ومن طريق القاضي العباس بن علي بن محمد بن العباس، قال: حدثه به والده علي بن محمد، قال: حدثه به عبدالله بن علي العسلي، ولقيت عبدالله بن علي العسلي، فسأته عن ذلك، فقال: سمعته علي بن محمد،

(١) الخدائق الرردية: ٢١٩-٢٢٠

وأحازلي أيضاً، أما روايته عنه إجازة من غير سماع ولا مناولة ولكن إجازة، وكان وصل بكتب الشروح من الديلم، وذكر أنها له سماع ممن يثق به، وأحسب أن رواية الشريف الحسن بن محمد من طريق إبراهيم بن إسماعيل البصري، وأطلت على كتب من كتب العامة وهي كانت للناصر بن الهادي (عليه السلام)، مكتوب في كل كتاب بحزاة الناصر أحمد بن يحيى، منها كتاب أبي جعفر الطحاوي^(١)، وهو من أجل الكتب^(٢).

الشداء دعوتہ

~~وقام بانتقال الإمامة أجمدا~~

جَمَلُ الْإِيمَانِ فَلَهُ بَارِعٌ

يقول المؤرخ المعاصر أحمد محمد الشامي في كتابه (تاريخ اليمن
الفكري): (كان ابتداء دعوته - وهو في الواحد والثلاثين - في بلاد
الجوف، ونرح منها إلى حل (برط) فبايعه بعض أهلها، ثم سار إلى
(أملح) ثم إلى (المجران) في أول المحرم سنة ٥٣٢هـ فبايعه أهلها، وطل
يدعو الناس إلى الرشاد وينهى عما كان قد ظهر من المباحش، ثم
انتقل إلى (صعدة) وبعث رسله وعماله إلى بلاد وادعة وسنحان
وخولان الشام، ثم إلى (صعاء) وأعمالها، واشتهر أمره، وذاع
صيته، وكان من أقوى الأصوات التي أيدته مؤلف (شمس العلوم)

(١) يعنى كتاب (شرح معاني الآثار) للمطحاوي

(٢) طبقات الزيدية الكبرى - ١٣٢-١٣٤

الشيخ العلامة الشاعر نشوان بن سعيد الحميري ، وقد كان يخصصه
على النهوض من (صعدة) إلى البلاد الجنوبية التي يسمونها (اليمن) ،
وهي الأصقاع الجنوبية من صنعاء مثلما يسمون ما شاملها (الشام) وما
قاله نشوان في ذلك :

دع (برسماً) والمهاتي واقصد (اليمن)
فأفقر الناس من يابن الكرام سنى
فأنت تصلح للرايات تعقدها
وللمواكب تحيي الدين والسنا
وللمنابر تثش فوقها خطباً
تعيي اليبس الحبيب العالم الفطنا
ما كان جدك حراً فقلحاً
بل مرسل قدامى بالوحي مؤتمناً
ما زال في عمره مستفتحاً بلداً
أو قاسماً منمناً ، أو مالكاً مدناً

وكم هي عجيبة بعض الصدف التاريخية التي يرتها القدر ، وكأنه
يوقعها لحناً سماوياً نغماته تسبي العقول ، وتهز المشاعر ، فقد قدر أن
تموت الملكة أروى بنت أحمد بن لصلحية في مدينتها (دي جبلة)
سنة ٥٣٢هـ وهي تاهز الثامنة ولثمانين ، وانتهى بموتها ملك
آل الصليحي ، كما أن الداعي سبأ ابن أبي السعود صاحب (عدن)
مات في نفس العام ، وتمزقت أصقاع اليمن شمالاً وجنوباً وشرقاً

وغرباً شدر مذر، وفذر لهذا الشاب التقى الشاعر حفيد الأئمة
والشعراء، أحمد بن سليمان أن يصغي إلى صوت الواح في ضميره
ووجدانه، وأن يستجيب لدعوة الحق التي تلهع بها ألسنة علماء
الريدية وفقهائها، وفي مقدمتهم العلامة القاضي نشوان بن سعيد
الخميري، فأعلن الدعوة لنفسه، وقد عاش بعد إعلانها، ومبايعة أهل
الحل والعقد له إماماً، أربعة وثلاثين عاماً كلها جهاد وصراع وكفاح،
وعرق ودموع، وشعر وتآليف، ومناظرات ومحاورات، وصداقات
وخصومات، وأخيراً أسر وسجن، ثم عُرلة وعمى! لم يختزن مالاً،
ولا نى قصراً، ولم يحلف غير كنه وأشعاره

صوت اليمن والإسلام

لقد كان صوت أحمد بن سليمان يمثل بحق (صوت اليمن) العربي
المسلم بين ضحيج شظايا (آل نجاح) وحشرات الممالك والعبيد،
تحاصره وتطاردهم صرخات (بن مهدي) الجزار الغشوم في (ريد)،
وتمنعات وزمزمات آل (زريع) في (عدن) و(روامل) مشايخ (جب)
ترعب (ذمار) ومخالفها، وأشعار وأراحيف (آل حاتم) تقلق (صنعاء)
وأعمالها، حتى حدود بلاد الأهنوم، حيث (أولاد القاسم العياني
وأحفاده) يتحطرون في عباد، ما بين (شهرة) و(الشرفين) و(مسور)،
ويتقارعون مع (آل أبي الحفاظ) سلاطين (حجور) و(أحفاد الهادي) في
(صعدة) يتأبرون، و(الأشراف) في (المخلاف) يتشاجرون مع الجميع

وصوت هذا الشاب العالم الشاعر الزاهد الشجاع يدوي بين كل تلك (التشويشات) في صفاء ويقين وعزم وتصميم. لقد كان بحق (صوت اليمن) العربية المسلمة^(١).

ويقول شيخنا السيد العلامة الحجة محمد الدين بن محمد - أيده الله تعالى - مترجماً للإمام أحمد بن سيمان (عليه السلام) : (اجتمع لديه من سلالة الوصي ثلاثمائة رجل من أهل البسالة والعلم، ومن سائر العلماء ألف وأربعمائة رجل، منهم: القاضي العلامة إسحاق بن أحمد بن عبد الباغي، المتوفى سنة خمس وخمسين وخمسمائة رضى الله عنه - واستعاض علي جميع اليمن، وحطت له بينه وبينه، وانفادت لأحكام ولايته الجبل والديلم، ودخل إلى جهات صعدة في قدر عشرين ألفاً من فارس وراجل).

ومن ملاحمه العظام التي هت به أركان الملحد الطغام، وقعة في اليمن انجلت عن خمسمائة قتيل وخمسمائة أسير، وكانت حيلة في هذه الوقعة ألفاً وثمانمائة فرس، وقد كن أشرف أصحابه على الهلاك، فمد الإمام يده إلى السماء، وقال: (اللهم إله لم يبق إلا نصرك)، فأرسل الله عليهم ريحاً عاصفاً، فاستقبلت وجوه القوم، فحمل الإمام وحمل أصحابه، وانهزم أعداؤه، وقد أشار إلى هذه الوقعة الوصي (عليه السلام) وإلى الموضع الذي وقعت فيه^(٢).

(١) تاريخ اليمن الفكري: ٤٥٦-٤٥٧

(٢) التحف شرح الرلف: ١٠٧

معاركه مع المتصدين

١. وقعة الشرزة

وهذه الواقعة التي أشار إليها شحبا . حفظه الله تعالى . هي وقعة (الشرزة) التي وقعت سنة ٥٥٢ هـ وقد فصلها المؤرخ الشهيد حميد المحلي . رحمه الله تعالى . قال : (ومن أيامه عليه السلام العرب المحجلة يوم الشرزة ، وذلك أنه عليه السلام جمع أبا وثمالة فارس من قبائل يعرب ، ومدحج ، وحب ، وعسر ، ورييد ، في شهر شعبان سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، وبهض حاتم بن أحمد من صنعاء بمن معه من همدان ، وحب ، وسحان . في تسعمائة فارس كلها معدة ، وعشرة آلاف ، راحل فيها ثلاثة آلاف فارس . قسم بكر رحل الإمام عليه السلام إلا قليل ، فرتب عليه السلام عسكره . الميمة والميسرة ، وكان في القلب ومن معه من الأشراف والشيعة . فتبارر الناس ، وقاتل عليه السلام قتالا شديدا وصار يقصده جماعة من الشجعان لأنه بغيتهم ، فقال عليه السلام عند ذلك . (اللهم إنه لم يبق إلا نصرتي) ، وقال في نفسه : إن ظفر القوم اليوم با ظهر مذهب الباطنية ورتفع في جميع البلاد وهدم الإسلام والمسلمون . فعند ذلك أرسل الله تعالى ريحا عاصفا من الشرق ، فصابت وحوه أعدائه فاستشر لإمام عليه السلام وقال : إنها ريحهم فاحملوا ثم حمل من بهجه ، فاهرم القوم ، فأعطى الله النصر ومنح القوم أكتافهم . فلم يرل لطرده فيهم واقتل الذريع حتى انحلت المعركة عن خمسمائة قتيل وخمسمائة أسير وقريب من ذلك ، ولم تزل الهزيمة في همدان إلى صغاء . ثم انهزموا من صنعاء

وتغلقوا الحصون، وعاد الإمام (عليه السلام) بعسكره إلى محطتهم فأقاموا بها ليلتين، ثم تقدم الإمام (عليه السلام) إلى نحو صنعاء، وقد كان آمن أهلها فحط بالقرب منها، ولم يدخل بالمسكر خوفاً من معرفتهم بأهل المدسة، ثم أمر بخراب درب غمدان الذي عمره حاتم بن أحمد، وكانت فيه عناية أكيدة جداً فعفيت آثاره، وبعد هذه الواقعة خضعت له (عليه السلام) الملوك الأكابر، ودلت له غيوث القساور، وأقام (عليه السلام) في ناحية بيت بوس، حتى بدلت فيه الأموال الجلييلة من حاتم بن أحمد إلى مائة ألف من محمد بن ساء صاحب عدن سوى الأطنان وغيرها، فسلم الله من مكرهم...^١

وقد سجل الشاعر القاضي محمد بن عبدالله الحميري - رحمه الله - أحداث هذه المعركة في أبيات أرى من الضرورة إيرادها لما لها من أهمية في وصف المعركة، إضافة إلى هذا كونها من شاعر شارك فيها برمح وسيفه :

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| بهني بك الأعياد إذ أنت عبدها | وإذ أنت منها بدرها وسعودها |
| سقت إلى غايات كل فصيلة | بعلياء نديها لنا وتعيدها |
| أقمت مار الدين يا ابن محمد | وصرت كمثل الشمس بار عمودها |
| فأشرقت الأفاق منك بعرة | كثير لرب العالمين سجودها |
| ألست الذي أحييت دين محمد | وأسيافه مذ كل منها جديدها |
| ألست الذي ذكرتنا وقعاته | وبيض الليالي قد محتها وسودها |
| بجران والغيل الشهير وصعدة | وصنعاء والجوفين باقي شهودها |

(١) الخدائق الوردية : ٢/ ٢٤٠-٢٤١

ويوم نهضنا من دمار بجلنا
كثائب من جنب بن سعد ومنح
يهزون أطراف الوشيح كأنما
فلما وصلنا نجد شيعان أقلت
وظنوا ظوناً في الحلاء كنهم
ولما أطل الموت واشتحر القبا
ركزت لهم صدر القاة كأنما
وقلت لمر النفس صراً فهذه
فإن لم يكن نصر ولا شهادة
وواساك من أهل الديانة عصابة
فليت قوراً بالمدينة بليز
صعقتنا عليهم صعقة مدحجية
فيا للأكام السود لولا صعودها
فحمس منين حُرّ مها وريدها
وطاروا إلى روس الحال شلائلاً
وسرنا لغمدان المنيق فأصحت
وأضحى ابن عمراو المتوج حاتم
وأنت بنفس لا يرال نفسه
فيا ابن أمير المؤمنين ومن له
إذا طلبت همدان منك إقالة
فعد لهم بالصفح منك وبالرصي

وزيد بن عمرو يوم ذاك عبيدها
تعاذي بهم خيل خفاف لبودها
عليها سيوف فارقتها غمودها
علينا الأعادي كهلهما ووليدها
أليس عن الأخياس تحمي أسودها
ودارت رحاها واشتتب وقودها
حال ثير ثم أرسا ركودها
حياض الردى حقاً وأنى ورودها
تكون خلاصاً لي فتلك أريدها
كثير إذا شئت قليل عديدها
علما فعلت من بعد حين جنودها
فكادت لها تلك الجبال تميدها
لقد كادت الأبطال جمعاً تييدها
وحمس منين ثقلتها قيودها
من الخوف فيها حافقات كودها
دوائبه في السرب ثاوي مشيدها
يصول ألا عفواً فليست أعودها
إلى كل مجذر أو طعان يقودها
سوابق مجذر ليس يحصى عديدها
وسحان يوماً واستقام أويدها
فلن يبلغ العايات إلا عبيدها

وحاشاك أن تنسى الوابق منهم
أتعلم أن الحق قام بنصره
وتعلم قحطان وهمدان إن عصت
فقد جمعها يا ابن النسي إلى الهدى
فما اجتمعت حيل الطعان بشهد
ولا اعتركت حيل وخيل طعائن
ولا اجتمعت يوماً نزار ويعرب
وليك للمصور من آل هاشم
وكل أناس أعرصوا عنك وامثروا
فدمت مدى الدنيا لأمة أحمل

وما فعلته في القيود جدودها
إلى الآن قحطان ابن هود وهودها
مقالك إن الله وهناً يزيدها
فليس بقود القوم إلا رشيدها
تكون به إلا وأنت وحيدها
بحر القنا إلا وأن تحيدها
مجمع إلا وأنت تسودها
وما بعد لها من غاية تستزيدها
فما هم من الإسلام إلا يهودها
شهد لها أركانها وتشيدها^(١)

٢. معركة غيل حلاحل

ومن معاركه المشهورة معركة (غيل جلاجل) وكانت بينه وبين جماعة من (وادعة الحائق) ادين تطهروا مذهب الباطنية، واستحدثوا المنكرات، يقول المؤرخ زبارة: (في رجب سنة ٥٤٩هـ تسع وأربعين وخمسمائة، كانت وقعة (غيل حلاحل) بالخائق من بلاد (وادعة) الشام، وكان قد تظاهر منهم ومن (يام) بمذهب الباطنية، وأحيوا بعدة ليلة الإفاضة التي يجتمع فيها الرجال والنساء معهم، ويفضي بعضهم إلى بعض بعد إطفاء مصابيحهم، وربما وقع الرجل منهم على ابنته أو أخته أو أمه، ولم يلع الإمام ذلك غضب، وسار إلى بلاد الشام

(١) الحدائق الوردية: ٢/٢٤١-٢٤٣

من جهات صعدة، فوصل إلى بلاد (بني شريف) و(سنحان الشام) ودعاهم إلى جهاد أهل (وادعة) و(يام) ثم أقبلت إليه قبائل (نهد) و(جنب) و(خثعم)، وقصد بهم وادعة و (يام)، ووقع القتال الشديد، والمعارك العظيمة التي مجلت بانهزام (الباطنية) وفرار من نجها منهم إلى نجران، وقال الإمام في ذلك قصيدته التي منها:

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| الله أكبر أي نصر عاجل | من ذي الجلال فتتح «غيل جلاجل» |
| كم مئة منه علي وعمه | وسعادة تترى، وفضل فاضل |
| كفرت به (يام) و(وادعة) معاً | وتجبروا، وتمسكوا بالباطل |
| وأثروا من العحشاء كل كبيرة | معللاً وقولاً، فوق قول القاتل |
| دأبوا بدين الباطنية وهو سي | بهم المجوس وفوق جهل الجاهل |

ومها:

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| إني لحرب (الباطنية) قائم | وأنا لهم صمدٌ ولست بغافل |
| كم قد طمرت بهم فلم أظلم، وكم | جاشت بحرب الكافرين مراحل |
| إني دمار الفاسقين ودمارهم | للطالين كمثل سم قاتل |
| وعلى يدي هلاكهم، ودمارهم | آتي عليهم بالقضاء النازل |
| يرجون أن حصونهم تنجهم | وحصونهم لهم ككفة حائل |
| ولسوف أنصهم بعون إلها | حقاً، وأحقهم وراء الساحل |
| يا قوم فاعتبروا بذلك وأبشروا | فلقد طفرتم بالإمام العادل |
| ما بعدهما عسايتموه شبيهة | لمميز في أمره أو عاقل |

٢. معركة زيد

ومن معاركه الحاسمة معركة وقعت يوم قصد زيد سنة ٥٥٢ هـ يقول المؤرخ الشهيد حميد المحلي - رحمه الله تعالى - المتوفى سنة ٦٥٢ هـ بمثل عنها: ومن أيامه المحجلة الحسان يوم قصد زيد في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، فلما وصلها (عليه السلام) أقام فيها ثمانية أيام، وكان أميرها يومئذ فاتك بن محمد بن جياش، وكان فاسقاً خبيثاً يغلب عليه الخنا والفساد في نفسه، حتى روي أنه كان له بريمان في بطنه كالمرأة، فعني الإمام (عليه السلام) في هلاكه بعد بذل مال جليل في سلامته فأقسم بالله لو أعطى ملك يريد كله ما أفداه، وذلك أنه قلبه حداً، قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوه» فراوده أصحابه على أحد أيام، وقالوا إنه لبيت المال، فقال: قد برهت نفسي عن الطمع عند أهل زيد، وقد كنت قلت لهم: إني لا أسألكم عليه شيئاً وتلوت قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَنْتُمْ فَمَوْلَاكُمْ إِنَّ أَعْيُنَ النَّاسِ عَلَى اللَّهِ وَالْأَعْيُنُ عَلَى اللَّهِ غَابِرَةٌ﴾، ثم بهض بهم، وكان القواد يعطون العساكر كفايتهم، فقال الإمام: أما أنا فلا أقبض منكم شيئاً كفاية ولا غيرها، وكان معه ومع أصحابه زاد، فلما فرغ الزاد كان يأمر من يشترى له الطعام ويأمر من يطعمه، وكانت حاشيته مقدار ستين رجلاً وولى على زيد والياً من جهته، وعاد مسلماً منصوراً قد أرضى الله سبحانه عز وعلا، ولم يزل (عليه السلام) في جهاد بعد جهاد وحلاد عقيق حلاد، حتى أتمخ الحق قباباً، ومد له أطياباً.

شيد للإسلام في الأرض العرب بيتاً، وأعنى له أركاناً، وكانت كثير من وقعاته على الباطنية الملحدة أقماهم الله تعالى حتى دمرهم تدميراً، وأنزل بهم ويلاً وثبوراً. بعد أن كانت قد تسعرت نارهم، وسطع شرارهم، فطمس الله بحميد سيعه (عليه السلام) ربوعهم، وفرق حموعهم، وكانوا بين قتيل وطريد تصديقاً لقول النبي (ﷺ): «إنا عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإيمان ولياً من أهل بيتي، موكلأ بعلن الحق وينوره، ويرد كيد الكائدين»

فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله^(١).

من أوائل الداعين إلى وحدة السن شمالاً وجنوباً

وقد سعى الإمام أحمد بن سليمان (عليه السلام) بكل ما أوتي من قوة إلى توحيد اليمن شمالاً وجنوباً، ودعى إلى القضاء على الدويلات والشيخات التي فصلت أحراء الوطن اليمني، يقول المؤرخ المعاصر أحمد الشامي: (وكان يريد أن يوحد اليمن ويقضي على الدويلات الطفيلية والشيخات الجائرة، والسططات الطائفية، ولكن صرامته فيما يعتقده حقاً وصواباً وواحداً دينياً، قد حرمت عليه البلاعب السياسي، والمبررات الماكرة، التي ربي تمكن به من الوصول إلى تحقيق ما يريد ويهواه، لو كان ما يريد ويهواه الحياء والسلطان وحطام الدنيا من مال وحول، ففقد أبسى أن يولي سلاطين الجور على بلدانهم،

(١) الحقائق الوردية. ٢/٢٤٣-٢٤٤

ليضمن طاعتهم وحضوعهم له، وبذل الأتاوات والخراج، وكان يتشدد في إجبارهم عن التخلي، أو تنفيذ الحدود الشرعية فيهم إذا قارفوا إثماً، أو انتهكوا حرمة ديبة كما صنع مع (هاتك) الزبيدي، وبعض السلاطين الأشراف

ولما أراد في سنة ٥٤٧ أن يزحف على (عدن) بقبائل (جنب) و(مدحج) وغيرهما بهدف توحيد اليمس شمالاً وجنوباً تآزر السلطانان في (صعاء) و(عدن) من (آل حاتم) و(بني زريع)، صد الإمام، وبذلا أموالاً واسعة لتلك القبائل، وحذلاً عن ماصرة الإمام، وفشلت خطته كما فشل بعده الملك عبدالنبي بن مهدي، عندما حاول القضاء على (بني زريع) في عدن عام ٥٨٨ هـ، وقد ألتحدوا بالسلطان علي بن حاتم وشبّت بين الجميع حروب دمية مدمرة طاحنة سبق أن أشربا إليها وقلنا إنها مهدت السيل للسلطان ابن أيوب (توران شاه) وسهلت له الاستيلاء على معظم اليمس في وقت قصير^(١)

داعية عدالة اجتماعية

ويقول المؤرخ الشامي متحدثاً عن عدالة الإمام أحمد بن سليمان (عليه السلام) الاجتماعية:

(ولقد كان الإمام أحمد بن سليمان من دعاة بث العدالة الاجتماعية وشرها، ومحاربة الإثراء المباحش لقائم على الاحتكار واستغلال

(١) تاريخ اليمس الفكري، ١/ ٤٦٦-٤٦٧

الجاه والمصب، وإقامة مجتمع إسلامي فاضل تسوده المساواة وحرية التفكير والتعبير في إطار مكارم الأخلاق، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيه العلماء وأهل الحل والعقد، وكان يكلف العلماء والمفكرين بوعظ الناس وإرشادهم، ومناظرة وحوار من يمحرون عمّا يراه صواباً، وكان من أكابر من يعتمد عليه في ذلك القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام ومناظراته مع علماء المطرفية توحيه من الإمام مشهورة، وكذلك مع علماء الأشعرية، ولكنه كان شديد الوطأة على (الباطنية) والفجار والفساق، لا يحابي في ذلك ولا يجامل، وكان أحياناً ينكمش في محرنه على ضفاف (الخارد) ويشغل بالزراعة، ولما ظهر الفساد في صعدة ولم يتمكن الأشراف أبو الهادي من إقامة الشريعة وتنفيذ أحكامها، وطلبوا منه الهوض إلى صعدة أحابهم، وبعد أن أدى رسالته عاد إلى الحوف، ولم تحصلت بينه وبين السلطان حاتم المراسله وحبها إلى المصالحة ولتقيا في بيت (الحالد) كانت شروط الإمام عليه هي منع الحطبة لسطوية في صنعاء، وإظهار مذهب الهادي، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعاد السلطان حاتم إلى (صنعاء) والإمام إلى (الحوف) سعيداً راضياً بأن (حاتم) قد نفذ الكثير مما تعاقدوا عليه، والتفت إلى محاربة القرامطة والباطنية في (وادعة) وغيرها^(١).

(١) تاريخ اليمن العسكري، ٤٦٦

شعره عليه السلام

وأما الشعر والأدب فله فيه الباع الطويل ، والبيان الجزيل ،
وقد اقتطفت من شعره قصيدتين أحدهما قالها قبل بلوغه ،
وفيها طلب من الله تعالى أن يرزقه اليقين والتقوى وإكمال الفروض ،
وهي :

إذا أعطيت نفس الفتنى قوتها الذي
حاجها به رب العباد اطمأنت
وماتت ولم تغله إن كان عاقلاً
وعادت إلى التقوى وصامت وصلّت
وإن هي لم تعط الذي حثرت
من الرزق أمنت في الهموم وطلّت
وكان قصارى أمرها أن ترتها
إلى جهلها قسراً ، وخابت وصلّت
وما تعبت نفس وهات وانصبت
وذلت لرب الناس إلا وعزّت
ليسا رب فلرزقي اليقين فإنه
وتقواك رأس الدين ، واجعله عدتي
وأخر عماتي رب ، حتى تميتني
وقد كملت مني الفروض وتمت

وأما الأخرى فقالها وهو مقيم في بلاد (جناب) وقد حقق الله
له آماله ، واستجاب دعائه ، وهي زهدية رائعة ، اشتملت

على معانٍ عظيمة ودلالات قديمة:

دعيني أطفئ عرثي ما بدا ليا
وأبكي ذنوبي اليوم إن كنت باكياً
لعلَّ البكا يشفي من الوجد بعضه
إنّا لم يكن لكلّ من ذلك شافياً
وأشفي غليلاً في فؤادي بالبكا؛
وإن قال جهال من الناس ما ليا؟!
وليس عجيباً إن بكيت ولو دماً
وانهيب دمعى من بكاي المأقياً
وقدماً بكى قلبى رجاءاً تذكروا
رسوماً عمت عن أهلها، ومغالياً
وقد مات (همكاً) كوعظ إمامه
وصادف قلباً للمواعظ واعياً
فلم لا إنّا أبكى على ما جنت يدي
من الذنب لما أن تحققت دالياً!
فهل من مداو للذنوب من الملاء؟
فلم ألق للذنب العظيم مداوياً؟!
وهل لقروح في فؤادي مرهم
تداوي غليلاً كامناً في فؤادياً
وليس لدنسى من دواء سوى البكا
وتوبة ذي صدق، وعفو إلهيا

هينني نسيت الموت والبحث فينة
وما كان من علم الغيوب وراثيا
ألم أعتبر نفسيء ونقصان قوتي
ولم ألك للموت المشاهد ناسيا؟
وكنيت امرءاً ذا قوة في شيتي
فأصيح بحضر الشبية ذاوريا!
وبدلت نقصاناً بدا في جوارحي
وحاء نذير الشيب للفس ناعيا
فيا عجيباً من غافل غير عاقل
يحسد من دنياه ما صار باليا!
وبعمر ما قد حارب الدهر قلبه
يحسد تسويماً له وأمانيا
ومن هرم يرداد صعباً وقلّة
وآماله يرمي بهنّ المراميا



رأيت (معين) الملك قد صار خاليا
فأورثني سقماً، وأوهى عظاميا
و(بينون) و(اليضاء) بادت وهكنا
(براقشها) والفصر قد كان عاليها
و(غملان) و(السوءاء) و(البون) عطّلت
منارلها، والكل قد صار خاليا

وفي (هرم) ما يهرم الطفل ذكره ..
 وفي (كما) ما كان للناس ناديا
 و(صروح) أو(روثان) للناس عبرة
 أباد الردى أسفاله والأعالي
 وفي كسل أرض مثلهن مآثر
 تزهد في الدنيا، وتنفي الدواعي
 فيا رب قبل كان فيهن مترف
 وذئ غنوة قد كان في الناس ساميا
 مضى ومضت أمواله ورجاله
 وقد كان موجوداً فأصبح حالياً،
 فكيف بطيب العيش للمرء بعدهم
 ويصبح هو الدهر للمرء صافياً؟



فيا أيها المعرور أقصر عن الهوى
 وأقبل إلى التقوى، ولا تك لاهياً
 وكن جاهداً في طاعة الله ربنا
 تفز بالذي تهوى، ولا تك عاصياً
 كفى بالبلاء والموت للناس زاجراً
 وبالشيب عن فعل المطالم ناهياً
 فطوبى لمن يعطى الشهادة تحفة
 ومن كان مهدياً، ومن كان هادياً

ولولا الترجي للشهادة والهدى
 وأضحى إلى الرحمن والدين داعياً
 وأعزاز دين الله بعد خموله
 لأشنع غرثاناً، وأكسو عرياً،
 وأنصر مظلوماً، وأقمع ظالماً
 وأنقذ مذهباً، وأفني معادياً،
 لما كنت بين الناس أنظر فعلهم
 وما كنت للجهال يوماً مدانياً
 وأغدو لمن عادى الإله معادياً،
 وأضحى لمن والى الإله موالياً،
 لما سرت إلا في طريق (أبى أدهم)
 وكنت (لعمر بن العبيد) مواسياً
 وكابن (جسيم) و(الحيد) أخي التقى
 فما كان منهم واحداً متوانياً
 ويئت أرضاً لا أرى الناس عندها
 وكنت لأصناف الوحوش مواخياً
 وقلت لأولادي وأهلي وأخوتي
 وأهل ودادي اليوم أن لا تلاقوا^(١)

(١) تاريخ اليمن الفكري: ٤٧٠-٤٧١

مؤلفاته

وأما مؤلفاته فهي كثيرة، ومنها:

١ - (كتاب أصول الأحكام في الحلال والحرام)، وعليه يعتمد أهل المذهب الشريف في أحاديث التحليل والتحريم بلا نزاع منهم، من زمانه (عليه السلام) إلى وقتنا، لتقدمه وشهرته، واستيفائه بحججنا وحجج المخالفين والرد عليهم، وحملة أحاديثه ثلاثة آلاف وثلاثمائة واثنا عشر حديثاً، هكذا وصفه السيد العلامة الكبير صارم الدين الوزير في كتابه (الفلك الدوار). تحت الطبع . بتحقيقنا

٢ (حقائق المعرفة) - أصول دين - مخطوط، مه سع سع في المكتبة العرسية من (٤٧-٥٠) ورقم (١٢٤، ١٥٦)، وأخرى في (٣١٢) صفحة بمكتبة جامع الإمام الهادي بصعدة، وهو الذي بين يديك الكريمتين.

٣ - (الرسالة المتوكلية في هتك أستار الإسماعيلية). منه مخطوط سنة ١٠٥٤ هـ ضمن مجموعة ٨١ من ورقة ١٢٨ إلى ١٣٢ مكتبة الأوقاف بالجامع الكبير، أخرى ضمن مجموع بمكتبة المولى الحجة محمد الدين المؤيدي

٤ - (الرسالة الصادقة في تبين ارتداد الفرقة المارقة) [أمة اليمن: ١٩٦].

٥ - (الرسالة العامة) [التحفة شرح الزلف: ١١٠١].

٦ - (الزاهر في أصول الفقه). مه نسخة ضمن مجموع بمكتبة الأسروزيانا رقم (g٤٧).

٧- (المدخل في أصول الفقه) (أئمة اليمن: ١٩٦).

٨- (المطاعن) (التحفة: ١١٠٠).

٩- (منهاج اليقين) منه نسخة خطية مصورة مع كتاب (الحكمة الدرية) في مكتبة السيد محمد عد العظيم لهادي، خطت سنة ١٣٥٤هـ.

١٠- (الهاشمة لأنف الطلال من مذاهب المطرفية الجهال) (أئمة اليمن: ١٩٦).

١١- (كتاب العمدة شرح الرسالة الهاشمة) (التحفة: ١١٠٠).

١٢- (ديوان شعر الإمام المتوكل أحمد بن سليمان). منه نذة ضمن مجموع مكتبة الجامع (الكتب المصادرة) برقم (٦١) (مصادر الحشبي: ٥٣٦).

١٣- (قصيدته إلى شوان الحميري) - خ - ضمن مجموعة رقم (٣٧) الجامع (كتب مصادرة) أخرى ضمن مجموعة رقم (١١٧) بمكتبة الأميرورياتنا، أخرى باسم القصيدة العائقة والمطومة الرائقة، بمكتبة السيد سراج الدين عدلان ضمن مجموع - خ - سنة ١٣٢٠هـ.

وأما كتاب (الحكمة الدرية) فلم نذكره في مؤلفاته؛ لأن شيخنا السيد الحجة مجد الدين المويدي حفظه الله قد شكك فيه، حيث قال: (ولا وثوق بما في الحكمة الدرية، فقد ثبت أنه قد دس فيها كثير على الإمام، ولهذا لم نعداها في مؤلفاته)، قلت: ولا يعني هذا التشكيك في جميعها إنما في أجزاء منها

وفاته

وبعد حياة حافلة بالعطاء، مليئة بالتضحية، توفي (رحمه الله) سنة ٥٦٦هـ، عن ست وستين سنة من مولده، وعن أربعة وثلاثين سنة من دعوته، وقبره في مديرية حيدان من نواحي محافظة صنعاء باليمن مشهور مزور، عليه سلام الله ورحمته وبركاته

مصادر ترجمته

- أعلام المؤلفين الزيدية : ١١٤-١١٦.
- تاريخ اليمن الفكري : ٤٥٦/١.
- الحقائق الوردية : ٢٤٠/٢.
- طبقات الزيدية : ١٣١/١ - ١٣٣.
- التحفة العنبرية - ح -
- اللآلئ المضيئة خ : ٢٧٠/٢ - ٢٢٣.
- مآثر الأبرار - خ -
- الأعلام : ١٣٢/١.
- مصادر الحبشي : ٥٣٤-٥٣٦.
- سيرة المتوكل أحمد بن سليمان / تأليف سليمان الثعني ، ذكره زيارة في أئمة اليمن : ٩٤.
- الترجمان - خ -
- غاية الأمانى : ٢٩٥-٣١٨.
- تكملة الإفادة - خ -
- بلوغ المرام : ٢٥.

- الجامع الوجيز - خ ..
- فرجة الهموم والحرن : ١٧٨.
- أئمة اليمن : ٩٥/١ - ١٠٨.
- إتحاف المهتدين : ٥٦.
- المقتطف من تاريخ اليمن : ١١٤-١١٥.
- التحف شرح الزلف : ٩٩-١٠٣.
- معجم المؤلفين : ١/٢٣٩.
- رجال الأزهار : ٤.
- المصباح المكنون : ١/٩١.
- تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي : ٤٥٤/١ - ٤٧٣ ، ٥١١.
- الجواهر المضيئة . خ : ١٠.
- جاية الأكوع على ذخائر الهمداني : ٦٢.
- مطمح الآمال في إيقاظ جهلة العمال : ٢٤٣.
- التراث العربي في مكتبة آية الله مرعشي : ٤٢١/٣.
- الشافي : ١/٢٤٢ ، الأنوار السالفة . خ ..
- شرح الدامقة . خ ..
- حكام اليمن المؤلفون : ٧٥-٧٩.
- الزيدية لمحمود صبحي : ٧٤٨.
- الموسوعة اليمنية : ١/٥٣.



مرکز تحقیقات و توسعه در مطالعات اسلامی



النص



مرکز تحقیقات کلامیه و فقهیه اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين^(١)

الحمد لله الأول بلا غاية، الآخر بلا نهاية^(٢)، الذي لا تحويه
الأمكنة، ولا تضمنه الأزمنة، الذي دلّ على نفسه بما أظهر من
عجيب صنعه^(٣)، المنزه عن مشابهة خليقته، الذي ابتدأنا بالكرم

(١) في (ب) وبالله أستعين.

(٢) قال الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (رحمه الله)
في تحقيق أحمد ما لعظه الحمد هو الثناء بحسب الوصف الجميل على العصائل، وهي
العصاة الحميدة، والعواصل وهي النعم المبدعة كل ذلك مما يكون بالاختيار، كفضيله
العدم، والسحاء، والشجاعة، ومواصي العطاء، والإحسان، ولا يكون على غير الاختيار،
مثل حسن الوجه، وتمام الشكر، وبهاء الخبي، والمدح يكون على كل من الأوصاف
الاختيارية وغير الاختيارية، وكل مدح مدح، ولا عكس، ولا يرد على هذا ما أورده بعض
متأخري المفسرين من أنه يلزم ألا يصح إطلاق (الحمد لله) على صفاته الذاتية، لأنما يلزم
ذلك؛ ونقول: المدح لله تعالى بصفاته، ولا يقول: إنه يُحمد عليها بمقتضى اللغة العربية؛
كما أنا نقول: إنه يُحمد سبحانه على عواصل والعصائل الاختيارية، والمدح على
الاختيارية وغير الاختيارية، ولا يصح أن يُطلق الشكر له تعالى عليها؛ لأن الشكر يختص
بالعواصل، ولا يكون إلا عليها، وهي النعم المبتدأة إلى غير؛ وهي أحسن من الحمد والمدح
من جهة السبب، وإن كان أعمّ منهما من جهة المورد؛ لأنه يكون باللسان، والجنان،
والأركان، والحمد، والمدح لا يكونان إلا باللسان، فبينه وبينهما عموم وخصوص من
وجه، وهما فيما بينهما عموم وخصوص من كل وجه؛ لأن المدح أعم من الحمد في كل
وجه، والمدح والحمد أخوان من حيث كان كل حمدا مدحا، وإن لم يكن كل مدح
حمدا انتهى.

وقال الإمام الشريفي في شرحه على الأساس: أعلم أن الحمد هو الثناء بحسب الوصف
الجميل، على العواصل والعصائل وقيل على العصائل الاختيارية، لا نحو: تمام الشكل
وحسن الوجه ولا يكون إلا قولاً باللسان، ولشكر لا يكون إلا على العواصل والعصائل
وهي النعم، ويكون بالجنان، واللسان والأركان انتهى.

(٣) في (ش): صمته.

والجود، وأخرجنا من العدم إلى الوجود، وتفضل علينا بالعقول،
وأكد حجته علينا بالكتاب والرسول، ﴿لَعَلَّأَ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بِقَدَرِ
الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [آب، ١٦٥]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً، وأن أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب أخو رسول الله ووصيه، وحليته في أمته ووليّه، وأن
الحسن والحسين إمامان عادلان مفترضة طاعتُهُما، وواجبة على الأمة
نصرتهما^(١)، وأن الإمامة في دريتهم محصورة، وعلى غيرهم محطورة،
من سار منهم بسيرتهما واحتذا بمحدوهم.

أما بعد ..

فإنه لما دُرِسَ الإسلام، وعُطِّلَت الأحكام، وعاض العلم لعدم
أهله^(٢)، وأدعاه من لا يعرفه بمهله، رأيتُ أن أُشرِّ^(٣) هذا الكتاب،
وأبين فيه الحق والصواب، وأذكر طرفاً من علم الكلام في الأصول
والمروع، والمعقول والمسموع، ليتعم به من يقف عليه، ويرجع من
شدَّ من الحق إليه؛ طالباً بذلك الثوب من الله، ومتعرضاً لرضاء الله
وقد اعتمدتُ في هذا الكتاب على الاختصار وعدلت عن الإطالة
والإكثار، وأما أسأل الله العصمة من الزلل، والإصابة للحق في
القول والعمل

(١) في (ش، ح): واجبة على الأمة نصرتهم

(٢) قوله: وعاض العلم، أي قل وعص قل في الصحاح غاص الماء يبيض عيصاً، أي: قل
ومض تحت

(٣) في (ص، ل، ش، ع): أن أنشي.

(ذكر تفاصيل المعارف وتسميتها)

المعارف ثلاثة عشر^(١) معرفة:

طريق الطر ووجوبه.

ومعرفة الصنع.

ومعرفة الصانع.

ومعرفة التوحيد

ومعرفة العدل.

ومعرفة النعمة

ومعرفة شكر المنعم.

ومعرفة البلاء.

ومعرفة الجزاء

ومعرفة الكتاب

ومعرفة الرسول.

ومعرفة الإمام.

ومعرفة الاختلاف.

(١) في (ث)، ثلاث عشرة



مرکز تحقیقات و توسعه در مطالعات اسلامی

(١) باب معرفة النظر

اعلم أيها السامع أن المكلف قد أُعطي آله يبلغ بها - إذا استعملها - ما يصلح ديه ودياء. أولها - وهو أشرفها وأكملها - العقل الذكي، ومنها - الخواص الخمس - ومنها - لسان المترحم لما يفهمه المستمع، ومنها - اعتدال الحلقة في بنية مخصوصة، ومنها - الحياة والروح، وغير ذلك من الآلة المركبة في المكلف لصالح ديه ودياء.

فصل

في الكلام في العقل

وإنما بدأنا بذكر العقل ، لأنه أكر الآلات وبه تعرف المعارف كلها، وجميع المعلومات وإنما سمي العمل عقلاً ، لأنه يعقل صاحبه عن المكرات ، وأصل العقل : لعلم ، وهو عَرَضٌ ومحَلُّ القلب. أجمع الموحَّد والمَّلْحَدُ على أن العقل هو لعلم ، وأنه عرضٌ ؛ إلا فرقة من الريدية من أهل زماننا وهم أصحاب مطرّف بن شهاب^(١) ، فإبهم قالوا : (العقل)^(٢) هو القلب ، واستدلوا بقول الله تعالى : ﴿لَيْسَ فِيهِ

(١) إليه نسب الطرية ، والطرية فرقة من فرق الزيدية الممثلة عنها. نشأت في القرون الرابع الهجري ، وتقرّصت في القرون السادس وكثت نحو في كثير من أقوالها منحنى الطيانية وقد ورد التعريف بهم ، وذكر بعض أقوالهم وتعبيرها في شرحي (الأساس) للإمام أحمد بن محمد الشري رحمه الله تعالى

(٢) ساقط في (ص ، ع ، م ، ش)

قَلْبَكَ لَذِكْرِي لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٢٧﴾ ،
 وَنَسُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَنْظُرُوا لَهُمْ قُلُوبٌ يَنْظُرُونَ بِهَا
 أَوْ أَدَانُ يُسَكِّنُ بِهَا رُوحَهُمْ لَا تَفْهَمُ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَفْهَمُ الْقُلُوبُ الْبَاطِنُ فِي
 الْعُثُورِ﴾ [سج ١٦] ، وقد فُسر الهادي إلى الحق (عليه السلام) قول الله تعالى :
 ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ ، قال : لمن كان له قلب يعقل به ، ولو كان العقل
 هو القلب^(١) ، لَمَا حُيِدَ العاقلُ عليه ، ولا دُمَّ بنقصانه ، ولا كان يزول
 عند النوم وشبهه ، إذ ليس كل من له قلب بعاقل ؛ كالطفل والمجنون
 والبهيمة ؛ وكل من له عقل فله قلب.

وقالت الفلاسفة . محل العقل الدماغ ، ودليلهم أنه عند فساد الدماغ

(١) هو الامام الهادي إلى الحق الميرزا الميرزا محمد باقر الحلي ، من القسم من ابراهيم بن
 اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسين السبط بن أمير المؤمنين الإمام علي بن
 أبي طالب (عليه السلام) ولد (عليه السلام) بالرس في قرية المدية المسورة سنة (٢٤٥هـ) نشأ في بيت معروف
 بالعلم والعمل والطهارة والزهدة والورع وتفتت وانعمه والعبادة

طلب العلم في صغره حتى صار ممرراً في جميع العلوم ، حافلاً بمطوفها والمفهوم ، صاحب
 مذهب الشريعة ، وانصب المذهب والشيعة التي ظهرت في الآفاق ، وتحدثت بها الرفاق
 في مواطن الاتفاق ، وهو صاحب لتصانيف عاتقة ، والأشعار المصيبة الرائقة ، مفق اليقين
 من الضلال ، ومولود أركان البطل والجهاد استدعاء أهل الحق لما اشتد بهم الظلم والجور ،
 فخرج من الرس إلى اليمن بآداء مهجته في رضاء رب يعلم ، شاهراً سيوفه على أهل الظلم
 وأهل الباطل والعباد ، وعاصده على أمره بعلمه الأنبياء من أهل مدنه وكانت اليمن في
 أشد الظلمات من تسلط الظلمة من جهة ، ونشأ مذهب الخيرية من جهة ثانية ، ومن جهة
 ثالثة وهي الطائفة الكبرى ، وهي مذهب انقراضه بقيادة علي بن الفضل وأتباعه لعنه
 الله تعالى ، مجاهد في سبيل الله وعلاء كلمة الله ، وبشر العدل والتوحيد في ربوع اليمن
 وأزال الظلم والجور ، وانصاهي والمجور بسبب الأمن والأمان ، وقوى قواعد الإيمان ، ولا
 ران مجاهداً محتسباً ، وهو في علم وعمل ، مع زهد وورع ومن وعده وعمة وطهارة عن كل
 شهوة في أمور دينة وديانة حتى توفي (عليه السلام) في شهر الحجة سنة ٢٩٨هـ وقرره بمسجده بمدينة
 صنعاء مشهور مرور

(٢) في (ع ، ش) - ولو كان القلب هو العقل

يزول العقل ولا حجة لهم في هذا؛ لأن المحبوب لا تثبت لحيته،
والفساد واقع بالجب^(١)، وموضع سات الشعر سالم، لكن هنالك مواد
من ناحية الموضع حب^(٢)، فلما انقطعت تلك المواد لم تثبت الشعر^(٣)،
فكذلك لا يمتنع أن يكون هالك^(٤) مواد من ناحية الدماغ إلى القلب،
وأيضاً فإنه جعل اللحية دليلاً على الذكر^(٥)، فإذا جب الذكر لم يكن
الله ليجعل دليلاً على غير مدلول عليه، فمن هنالك لم تثبت له
اللحية، إلا النادر من الناس الذي يُسمى (الكوسج) الذي دمه
أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال: «لا يوجد في أربعين كوسجاً رجل خي^(٦)».

والعقل على وجهين^(٧): ضروري واختياري؛ فالضروري من فطرة
الله تعالى، والاختياري فعل العبد.

فالضروري مثل: معرفة امتحان الحسن الحسين، واستقباح القبيح،
وهذه^(٨) فطرة من الله فطر المكلفين عليها خاصة.

فأما استجلاب المافع، والنفار عن المضار فذلك عام في جميع
الحيوان، وذلك مُشاهد، ولا يُسمى عقلاً لعير المكلفين، بل هو إلهام
من الله تعالى (لهم)^(٩)، وهو سبب حياتهم؛ وإبلاغ من الله في النعمة

(١) في (ب، ص، ش، ع) وقع بالحب

(٢) في (ب). لم يثبت الشعر

(٣) في (ع، ص): هالك.

(٤) في (ب، ت). فإن الله جعل اللحية دليلاً على الذكر

(٥) في (ش). من وجهين.

(٦) في (ب). وهذا

(٧) ساقط في (ش، ع).

على المكلفين^(١) مثل ما ألهم الله تعالى التحل من فعل ما لا يتأتى لصاحب عقل^(٢).

وأما العقل الاختباري فهو نظر المكلف وتمييزه واستدلاله واستنباطه. قال القاسم بن إبراهيم (رحمته الله)^(٣) في جواب مسائل سأل^(٤) عنها ابنه

(١) في (ش، ل): وإبلاغ في التهمة من الله للمكلفين.

(٢) في (ب، د): لصاحب العقل.

(٣) هو ترجمان الدين، وعجم آل الرسول، مطهرين، أبو الحسن، الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن المظفر أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الملقب طاطا، والرسى أحد أقطاب الدين، وأحد عظماء أئمة الريضة، وأحد علماء أهل البيت (عليهم السلام) مولده سنة ١٧٠ هـ بأندلس المورة روى عن أبيه، وأبي بكر، وإسماعيل أبي ابن أبي أويس، وأبي سهل المقرئ، وأخرى، وعنه أولاده الأئمة العلماء، المعظماء محمد، والحسن، والحسين، وصفيان، ودود، وغيرهم، وروى عنه حواري آل محمد محمد بن منصور المرادي، وأبو جعفر، سيروسي وغيرهم.

قال في طبقات الريضة كان عبوراً في أصناف العلوم، ومن أراد أن يعلم براعة في الفقه، ودقة نظره في طرق الاجتهاد، وحسن ترتيبه في انتزاع الأحكام، وترتيب الأحبار، وحسن معرفته باختلاف العلماء، فليطهر في آخرته في المسائل كان بحر في علم الكلام وروى السيد أبو طالب في الإفادة، وعنه أن جعفر بن محمد ما جمع دخل على الإمام القاسم (عليه السلام) فجاءه في دقيق الكلام ونظيره فلما خرج من عنده قال لأصحابه أين يتأه بأصحابنا عن هذا الرجل والله ما رأيت مثله قال السيد أبو طالب وكان في مصر داعياً لأخيه محمد بن إبراهيم (عليه السلام)، فلما مات -أي محمد بن إبراهيم- بث دعائه في الأفاق فأجابه عوالم في بلدان مختلفه، ولبيت في مصر عشر سنين، ثم انتد عليه العتب من قبل عبد الله بن طاهر، فعد إلى الكوفة، وكانت السنة الكاملة في بيت شامي آل الرسول (عليهم السلام) محمد بن منصور المرادي سنة ٢٢٠ هـ بايعه أحمد بن عيسى بن زيد، وموسى بن عبد الله وفقه الكوفة الحسن بن يحيى، وحواري آل الرسول (عليه السلام) محمد بن منصور مرادي وآل أمره أن سكن ارس قرب الديرة المورة، إلى أن توفي (عليه السلام) سنة ٢٤٢ هـ وفي ثلاث سنين ٢٤٥ هـ روى له كل الأئمة له كثير من المؤلفات، جلها ما ران مخطوط في مكتبات مصرية، ومعظمها في أصول الدين، وقد نشر بعض رسائله الدكتور محمد عمارة ضمن رسائل العدل والتوحيد، واستشرق الإيطالي حويدي نشر كتابه (الرد على ابن المقفع) وبني دع حويدي لشهره هو وفوقه على كتاب ابن المقفع (معارضه القرآن). انتهى.

(٤) في (ب): سأل.

محمد بن القاسم (عليه السلام) فقال: سألت عن العقل في الإنسان أطيع هو، أم مستفاد؟

قال (عليه السلام): (هو) ^(١) الحفظ والذكر، وأصل العقل: فطرة وخلقة.

وقال (عليه السلام): في جوابه للملحد: وما يُعرف بالعقل شيآن:

أحدهما: يُعرف ويُدرَك بيديته مثل: تحسين الحسن، وتقبيح القبيح، ومثل: شكر المنعم وحسن التفضل، وتقبيح كفر المنعم، والجور، وما جأنسه.

والوجه الثاني ^(٢): وهو الاستدلال والاستنباط الذي ينتجه العقل، كمعرفة الصانع، وعلم التعديل، والتجويز، والعلم بحقائق الأشياء.

وقال محمد بن القاسم (عليه السلام) ^(٣) في شروط الإيمان المُجبي: لأن العقل مسكبه القلب، فيصح أنه غير القلب، وأنه حال فيه.

(١) ساقط في (ب).

(٢) في (ج، ش، ص، ع) الوجه الثاني.

(٣) هو الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن البسط بن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) شيخ آل الرسول والمقدم عليهم، والعابد التقى الورع الزاهد، أبو عبد الله، أحد عن أبيه، وعنه روى أخوه الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم، وعبد الله بن الحسين بن القاسم، وولده عبد الله بن محمد، وظاهر بن يحيى بن الحسين. قال الإمام القاسم (عليه السلام) صحبت بصوفية أربعين سنة، ودرت الشرق والغرب، فلم أر رجلاً أبين ورعاً من أبي محمد وقد كذب نفسه من الله تعالى، حريصاً مجتهداً على الصيام بأمر الله تعالى، وبإيمانه كثير من اليمس والحجار ومصر ثم نكث عليه الأكثر فلم يتم له الأمر، حتى لزمه مرض أراد منه مرض القام ونوي (عليه السلام) سنة إحدى ومائتين من الهجرة النبوية انتهى.

وقال المؤيد بالله (عليه السلام) (١) : فصارت الآثار أصلاً في أن كل عضو في الإنسان واحد نحو الأنف والدُّكر ففيه الدية (٢) ، وما كان فيه اثنان كاليدَين والعينَين والرحلَين ففيه الدية ؛ وفي كل واحد منها نصف الدية ؛ وهكذا المعاني وإن لم تكن أعضاء ، كالصوت والعقل والسمع والبصر ، وهذا مما لا خلاف فيه ، ذكره في شرح التجريد.

وقال الهادي للحق (عليه السلام) في جواب مسائل الرازي ، وقد سأله عن عمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وعن عقل أبي جهل ؟

فقال (عليه السلام) : قد أعطى الله (٣) أبا جهل (من العقل) (٤) فوق ما يحتاج إليه ، فأما أن يُعطى مثل عقل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا ، ولا كرامة

(١) هو الإمام المؤيد بالله أبو الحسن أحمد بن الحسين بن هارون بن محمد الإمام المؤيد بالله الكبير ، كان عمراً لا يرف ، قال سيد الخلفاء إبراهيم بن القاسم (عليه السلام) : برز في علم النحو واللغة وأحاط بعلوم القرآن والشعر وأروع لفصاحة مع المعرفة التامة بعلم الحديث وعلمه والخرج والتعديل ، وهو إمام علم الكلام ومما أثنى عليه ، وعلى الحملة فلم ين علم من علوم الدنيا والدين إلا وصرت فيه بصيب روي عن أبي العباس الحلي وقاصي القصاة عند الحارث بن أحمد وغيرهما ، وعنه السيد مائتكم والإمام الموفق بالله والقاصي يوسف وغيرهم ومن مصنفاته شرح التجريد والنبذة والنصرة - وهو كتاب لطيف - وكتاب إثبات السوء (طبع) وتعلق على شرح السيد مائتكم ، وإعجاز القرآن في الكلام ، والأمالي الصمري (طبع) بحقيق العلامة عبد السلام الوحيه ، وسياسة المريد بن مولده (عليه السلام) بأمل طبرستان ٣٣٣ هـ ويوم له بالخلافة سنة ٣٨٠ هـ وتوفي يوم عرفة سنة ٤١١ من الهجرة النبوية ، وصلى عليه السيد مائتكم ودفن بطبرج وهي قرية متفرعة من عباس آباد بشمال إيران انتهى

(٢) في (ص) : وفي كل واحد منهما الدية

(٣) في (ب) : الله قد أعطى ، وفي (ش ، ع) : الله أعطى

(٤) ساقط في (ب ، ش ، ع)

لأبي جهل. ومثل بمن أعطي شمعة، ومن أعطي شمعتين، وهو ما سأله عن المؤاد، وإلا كانت^(١) الزيادة في اللحمة.

وقال أيضاً (عليه السلام) في المسترشد في صفة الإنسان^(٢): ثم خلق في صدره قلباً، ثم ركب فيه لباً^(٣)، ثم جعله وعاءً للعقل الكامل، وحصناً للروح الجائل، وعلى هذا أجمعت العلماء: أهل العدل والتوحيد من الزيدية والمعتزلة ولم نعلم مخالفاً^(٤) بقلبا من (العلماء)^(٥) المتقدمين.

قال عمرو بن بحر الجاحظ^(٦) في كتاب المعاد والمعاش: وقد أجمعت الحكماء أن العقل المطوع والكرم العريزي لا يبلغان غاية الكمال إلا بمعاونة العقل المكتسب، ومثلوا ذلك بالنار والخطيب، والمصباح والدُّهر، وذلك أن العقل العريزي آلة، والمكتسب مادة، وإنما الأدب عقل غيرك تزيد في عقلك

(١) في (ص). ولا كاب

(٢) في (ش): في وضعه في خلق الإنسان

(٣) في (ش، ع، ل): وركب فيه لباً

(٤) في (ض) ولم يُعلم مخالف

(٥) ساقط في (ب)

(٦) هو عمرو بن بحر الجاحظ بن محبوب الكاسي بولاء، البليهي، أبو عثمان الشهير بالجاحظ، من أئمة الأدب العربي، ورئيس العرف الجاحظية من المعتزلة، من أهل البصرة مولداً ووفاء، تعلم بها وبعداد، فيه في علوم الأدب ولغة وأحاط بمعارف عصره، فلم يترك موضوعاً إلا وكتب فيه فخرت من الخلفاء والورراء، من أئمة المتوكل العباسي، وتكر للمعتزلة، فتواري الجاحظ وعاد إلى البصرة ولارم مبره الذي أصبح مشوى الأدب، ومخط رحاله، وفتح آخر عمره، ومات وكتابت على صدره، فقلته مجلدات من كتبه سقطت عليه، له مؤلفات كثيرة وشهيرة، ومشورة، ومطبوعة بأرقى الطبعات. تم.

فصل

في الكلام في الحواس

اعلم: أن الحواس جعلها الله خمساً؛ لأن المحسوسات خمس،
فالحواس^(١): السمع والبصر وشم وذاق واللمس. والحواس
أجسام، وفعلها أعراض، وهو الحس.

والمحسوسات خمس وهي مسموع ومبصر ومشموم ومطعموم
وملموس، وهي أجسام وأعراض فالأعراض: الأصوات والألوان
والطعم والروائح والحرارة والبرودة والآلام. والأجسام (هي)^(٢) محال
هذه الأعراض، وهي المصوت والمبصر والمطعموم والمشموم
والملموس. وعلى هذا جمع أهل العدل والتوحيد من الريدية
والمعتزلة، إلا المطرفية فإنهم قالوا: الحواس لا تذرك؛ لا الأجسام،
والأعراض عندهم لا تذرك إلا بالعلم، وقالوا: هي لا توهم ولا
تجل ولا تحل، فقصوا كلامهم وثبتوها ثم نفوها.

والعقل الضروري يحكم أن كل معلوم غير الله فهو حال أو محلول.
وعليه أجمعت الأمة، إلا ما قست المعتزلة في الإرادة، وسنذكر إن
شاء الله تعالى القول والاحتجاج عند ذكر الأجسام والأعراض في باب
معرفة الصنع وكانت هذه الحواس الخمس تؤدي إلى القلب، وكان
اللسان ترجماناً له مع سلامة البنية، وحصول الروح والحياة، فأمكن
النظر والتميز، وبلغ بالعقل صاحبه ما يريد من علم الحقائق
وسائر المعلومات.

(١) في (ش): والحواس

(٢) ساقط في (س، ش، ي)

فصل

في الكلام في وجوب النظر والاستدلال^(١)

اعلم أن العقل يحكم بأن العلم حسن وأن الجهل قبيح، ويحكم أنه يجب على العاقل أن ينظر ويميز، قد أعطي الله النظر والتمييز، ويحكم أنه إن لم ينظر ويميز لم يبلغ إلى استجلاب مفعة، ولا دفع مضرة، ولا يبلغ إلى إصلاح دين ولا دينا.

واعلم أن العقل هو أصلح المحجج؛ والكتاب والسنة تأكيد له، والدليل على ذلك، أن الكتاب والسنة ما عُرِفَ إلا بالعقل.

ومما يدل على وجوب النظر أن تعلم بحقائق الأشياء لا يتأتى إلا من وجهين، وهما: التقليد والنظر، والتقليد لا يعمل به^(٢) في الأصول، لأن المحو ليس بأولى من المبطل في أن يُقلد.

ويؤيد ذلك ما روي عن حذيفة بن اليمان أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا إمعة^(٣) تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن أساءوا أساءنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا»، فبب فساد التقليد، ولم يبق إلا النظر المؤدي إلى الصواب.

ويدل أيضاً على وجوب النظر قول رسول الله ﷺ: «ستمترق أمتي

(١) في (ب) فصل في وجوب النظر والاستدلال

(٢) في (ش)، لا يعمل عليه

(٣) الإمعة: هو الذي لا رأي معه ولا تدبير، وهو يكسر الهمة تحت

على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا فرقة واحدة» وما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا قول إلا بعمل، ولا قول ولا عمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا بنية إلا بإصابة السنة»، فوجب على كل عاقل أن ينظر ويختار (لنفسه) "مذهبا يشهد له به العقل والكتاب والرُّسل" والإجماع، وأن يجتهد في إصابة السنة، بالنظر والاستدلال والبيّنات.

وقد ندب الله تعالى إلى قسوف الحق بالبراهين والحجج، وذم المعرّضين والغافلين عن معرفة الآيات والبيّنات؛ فقال عز من قائل: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ يَتْلُوا مِائِطَتَهُمْ فَلْهُمْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة البقرة، ١٢٠)، وقال تعالى في ذم من اتبع الغش والهوى، ومال إلى العجلة وترك النظر: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ تَحْتِ كُلِّ أُمَةٍ فَوْجًا مِمَّنْ لَمْ كُتِبْ لَهُمْ بِآيَاتِنَا فَهُمْ شُرَاحُونَ ۝ خِمْنَ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكُتِبَتْ بِلَايَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلَيَّا أَمْ مَاذَا حَسِبْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة البقرة، ١٨٢-١٨١)، وقال عز من قائل: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْبِكُنَا إِلَّا الشَّجَرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَهْمِلُونَ﴾ (سورة البقرة، ١٢٤)، وقال عز من قائل: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (سورة البقرة، ١٢٨)، وقال تعالى وعز من قائل: ﴿إِنَّ الدِّينَ لَا يَرْتَدُّونَ لِقَائِهَا وَرَمَوْا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ﴾ (آية البقرة، ١٨٧)، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تعلموا القرآن وعلموه الناس، وتعلموا الفرائض وعلموها الناس،

(١) ساقط في (ب، ح، ش)

(٢) في (ث)، والكتاب والرسول

فإني امرؤ مقبوض، وإن العلم سيقبض من بعدي، ويختلف الرجالان فلا يجدان من يفصل بينهما»، وروي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له»، وروي عنه ﷺ أنه قال: «إنما يدرك الخير كله بالعقل، ولا دين لمن لا عقل له»، وروي عنه ﷺ أنه قال: «ما تم دين إنسان قط حتى يتم عقله»، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «جند الملائكة واجتهدوا في طاعة الله على قدر عقولهم، فأعلمهم بطاعة الله^(١) أوفرهم عقلاً»، وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما اكتسب أحد مكتسباً مثل فضل العقل يهدي صاحبه إلى هدى أو يردّه عن ردى^(٢)، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله»، وروي عن الرهري عن سالم عن أبيه علي بن عمر أن النبي ﷺ قال: «لكل شيء معدن ومعدن التقوي قلوب العارفين»، وروي عنه ﷺ أنه قال: «الناس يعملون الخير ويعطون أجورهم على قدر عقولهم»، وروي عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل يكون من أهل الصلاة ومن أهل الصوم والزكاة والحج وما يجارى يوم القيامة إلا بقدر عقله»، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «في حسد ابن آدم نطفة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»^(٣)، فصح ما قلنا.

(١) في (ص، ع): فأعلمهم بطاعة، وفي (ص): فأعلمهم بطاعة

(٢) في (ب، ش): ويرده عن ردى

(٣) في (ب) إن في جسد ابن آدم نطفة إذا صلحت صلح الجسد وإذا فسد فسد الجسد

ولا يبلغ العاقل درجة العقل إلا بنظر واستدلال. وهذا لا خلاف فيه. إلا ما روي عن داود الأصبهاني من قوله: بأن العقل ليس بدليل^(١) ومن طابقه من الحشوية أهل الظاهر بعدم دلالة العقول. فأنكر ذلك عليهم جميع العلماء وقال في ذلك ابن دريد يهجوهم:

قال داود ذو الرقاعة والجهل

بأن العقول ليست بحجة

ولعمري لعقله ذلك العقل

فما أن به يصاب محجة^(٢)

ثم أصحابه يعومون عوماً

من ضلالات جهلهم وسط

وقد تقدم الاحتجاج عليهم من العقل والكتاب والرسول والإجماع

واعلم أن في الكتاب محكماً ومنشأها، وناسخاً ومنسوخاً. ولا يُعلم المحكم من المنشأ ولا الناسخ من المنسوخ^(٣) إلا بنظر واستدلال عقلي؛ وكذلك السنة وأخذها من الرواة

واعلم أن الأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ على ثلاثة وجوه:

فمها: الخبر المشهور المستفيض الذي أجمعت عليه الأمة،

(١) في (ع) من قوله: لا اعتداد على العقول وفي (ش) من قوله: بعدم دلالة العقل

وفي (ص) من قوله: بعدم دلالة العقول

(٢) في (ض): فما أن به يصاب محجة

(٣) في (ب، ص، ش، ع): والناسخ من المنسوخ

وهو مثل: أن رسول الله ﷺ دعا إلى الله، وأن القرآن أنزل عليه^(١)، وأنه جاهد الكفار ومن عُدَّ عن الحق ومثل ما فعله وأمر به من الطهارة، والصلوات الخمس، والزكاة، والصوم، والحج، وأشباه ذلك؛ وهذا يُعلم ضرورة؛ لأن الأمة على كثرتها واتساع مساكنها، واختلاف ألسنتها وأحوالها لا تتفق على كذب، ولقول رسول الله ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة».

ومنها: الخبر المتواتر كقوله ﷺ: «عليّ مني بمنزلة هارون من موسى»^(٢) إلا أنه لا يبي، بعدي، وهذا يعلم ضرورة، وليس كالأول، فلأن أكثر الفرق^(٣) - فرق الإسلام - يروونه، ويعرفونه، ومنهم من رواه وتأوله، وهذا لا يتأتى فيه الكذب، ولا التواطؤ بين الرواة؛ لا خلاف أديابهم، وأحوالهم، وألسنتهم، أو تُعَدُّ أوطانهم

ومنها: خبر الأحاد وهو الذي يرويه الواحد، وهو يُقبل بحسن الاحتهاد، وتعليب الظن^(٤) في صدق راويه في الفروع والشرع. فأما في الأصول فلا يُقبل خبر الأحاد لكثرة الرواة، وأهل التدليس في الإسلام من المنافقين والباطنية، وغيرهم من أعداء الرحمن، ولتحريضهم^(٥) على إفساد أصول الدين على المسلمين كما قد رواه: «سترون ربكم كالقمر ليلة الدر لا تصامون في رؤيته».

(١) في (ب، ت) وأن القرآن نزل عليه

(٢) في (ب)، أنت مني بمنزلة هارون من موسى ربي (ص) «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى»

(٣) في (ب، ي)، ولأن أكثر الفرق

(٤) في (أ)؛ وتعليب الظن، وفي (ش)؛ وتعليب العن

(٥) في (ب، ع، ش)؛ ونحوهم

والدليل على أن خبر الواحد يُقبل في الفروع إجماع الأمة على ذلك، وهو أنهم أجمعوا على أن النبي ﷺ كان يبعث العمال في البلاد فيقبل خبر العامل، مثل معاذ بن جبل حيث بعثه النبي ﷺ إلى اليمن وأنه كان يكتب إلى من هو مترشح عنه^(١) فيقبل كتابه، مثل ما روي عن عبد الله بن حكيم قال: كتب إلي رسول الله ﷺ قبل موته بشهر: «لا تتفعدوا من الميتة بلحم ولا عصب»^(٢). وأجمعت الصحابة على قبول خبر الواحد، كقولهم خبر عبد الرحمن بن عوف في جزية المجوس، وكقول حرابي بكر في عطاء الجذ السدس

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً نفسي الله به بما شاء، فإذا سمعته من غيره حلفته، فإذا حلف صدقته وأخذتني أبو بكر، وصدق أبو بكر.

وكقول خبر حمل بن مالك في جاني المرأة فصيح أن خبر الأحادي يُقبل في الفروع دون الأصول لما قدما وصح أن النظر أصل من أكبر أصول الدين، لأنه به عرفت الأصول.

وأما القياس فإنه لا يصح في الأصول، وقد يصح أن يقاس الشيء من الفروع بمثله، كما يقاس ما لم يُسم بما يُكال ثم أخرجت الأرض في وجوب الزكاة على مثله يُسمى، مثال ذلك: أن السَّمسم والدُّخن وأشباههما لم تُسم في الخبر عن النبي ﷺ فوجب أن يُقاس على ما سُمي من التمر والربيب والحنطة؛ لأنه روي عن النبي ﷺ

(١) في (أ): من هو مترشح عنه.

(٢) في (ب): يا عباد ولا عصب وفي (ش، ع): ألا تسمعون. الخ وفي (د): ألا لا تتفعدوا. الخ

أنه قال: «لا تجري الصدقة»^(١) في غر، ولا زيبو، ولا حنطة، ولا ذرة، حتى يبلغ الشيء منها خمسة أوسق^(٢)، والوسق: ستون صاعاً، وإنما قلنا إنه مثله؛ لأنه وافقه في أكثر أوصافه، وذلك أنه مما أخرجت الأرض، ومما يطعم ويقتت، وأنه مكيّل، وليس كذلك قياس أبي حنيفة (في)^(٣) الحنل والبيد وسائر المائعات^(٤) على الماء، لأنه يخالف (له)^(٥) في كل أوصافه، إلا في الرقة والصفاء؛ وهو مخالف له في لونه وطعمه وريحه واسمه وحكمه، فهذا مما لا يجوز من القياس وقد أنكر عليه القياس العلماء في وقته وبعد وقته

وقد روي أنه دخل هو ومحمد بن أبي ليلى على جعفر بن محمد عليهما السلام وهو في المدينة، فقال لأبي حنيفة في كلام طويل، وقد دمّ قياسه الذي كان يميّسه، فقال له جعفر: يا نعمان، (إن)^(٦) أول من قاس إبليس أمره الله أن يستجد لآدم فقال: «أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين»^(٧)، ثم قال له: أيهما أكد عند الله الصلاة أم الصيام؟ قال: الصلاة، قل. فلم أمر الله الحائض تقصي الصوم ولا تقصي الصلاة؛ وهذا أكد من هـ؟ قال: لا علم لي، قال: أيهما أعظم عند الله القتل أم الزنا؟ قال: القتل، قل: فلم أمر الله في القتل شاهدين وفي الزنا بأربعة؟ قال: لا علم لي. قال: يا نعمان،

(١) قوله: «لا تجري الصدقة» يعني لا ندم وب (ص) لا تجري بإروى المعجمة تمت.

(٢) في (ش، ع)، خمسة أوساق

(٣) ساقط في (ب، ت)

(٤) في (ش، ي) وسائر المائعات

(٥) ساقط في (ش، ي، ع)

(٦) ساقط في (ش)

أيهما أنجس البول أم الجسابة؟ قال: البول. قال: فلم أمر الله بالغسل من الجسابة وأمر بالاستحاء من البول فقط؟ قال: لا علم لي. قال: يا نعمان، لِمَ جعل الله المرارة في الأذنين، والمُلُوحة في العينين، والرطوبة في المنحجرين، والحلاوة في اللسان والشفيتين؟ ولم جعل بطن المراحة لا شعر فيه؟ قال: لا أدري

فسأله ابن أبي ليلى عن تفسير ذلك، فقال: أما قضاء الصَّيَام؛ فلا يه شهرٌ في سبتها، فأمرها الله أن تقضه لذلك. وأما الصلاة فإنها تُصلي في كل يوم وليلة سبع عشرة ركعة الفريضة، والتوافل تسع ركعات، لم يجب (عليها) القصء لأجل ذلك، يُريد من قيل كثرة الصلاة. قال: وأما القتل فإنه فعلٌ واحدٌ بمفعول به، فحكم فيه شاهدين، والزنا فعلٌ فاعلٌ فحكم لكل واحدٍ شاهدين، والبول يخرج من المثانة لا غيرها، فأمر فيه بالاستحاء، والمنى يخرج من بين الصلب والترائب، فأمر فيه بالغسل ليعطيه به بدنه كله.

قال أبو حنيفة: أوليس هذا قياس؟ قال: لا، بل أخبرني أبي عن أبيه عن النبي ﷺ

قال: وأما مرارة الأذنين فلئلا تدخل^(١) الهوام في^(٢) خروق الأذنين إلى الدماغ. وأما ملوحة العينين فلأنهما شحمتان، فأمسكهما بالملوحة لئلا يدوبا^(٣)، وأما الحلاوة في اللسان فلأن يجد^(٤) به طعم الأشياء

(١) ساقط في (ص، ع، س)

(٢) في (ع) فلئلا يدوس

(٣) في (ش)، إلى

(٤) في (ص) لئلا تدوبا

(٥) في (ش، ص): فلا يجد

وأما الرطوبة في المخبرين فلأن يجد^(١) بهما ريح الأشياء، ولولا ذلك كانتا كسائر جسده، وجعل بطن الراحة لا شعر فيه ليحس اللمس، فاعلم.

فصح أن القياس لا يجوز إلا فيما ذكرنا وأمثاله.

واعلم أنه لا يقيس ولا يجتهد إلا من عرف الأصول، والفروع، والمعقول، والمسموع، لأنه إذا أفتى بغير علم زلّ، وضلّ بغير شك وأضلّ، وبسبب ذلك هلك أكثر الناس، وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (خمس خدوهم عنى فلو رحلتهم المطي لانظتموهن قبل^(٢)) أن تجدوا مثلهم: لا يحشى العبد إلا ربّه، ولا يخاف إلا ذنبه، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحي العالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، ومتزلة الصبر من الإيمان كمرلة الرأس من الحسد، ولا إيمان لمن لا صبر له.

واعلم أن ما ورد عن النبي ﷺ مطلقاً فإنه يقتضي الوجوب في الأمر، والتحریم في النهي، إلا ما خصّه الدليل، مثال ذلك في الأمر: قوله ﷺ: «من مسح سألفته أمين من الغل يوم القيامة»، فلما قاله على وجه الترغيب في الزيادة، ولم يأمر به مطلقاً، علم أن مسح الرقبة مع الرأس سنة.

ومثله: قوله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لفرضت عليهم السواك» فصح أنه سنة.

(١) في (ش، ص)، فلأنه يجد

(٢) في (أ، ض)، لانظتموهن من قبل

وفي النهي قوله ﷺ : « لا تستقبلوا القلعة لغائط ولا لبول^(١) » وروى
عن ابن عمر قال : « طُنْتُ عِى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (وهو) » يقضي
حاجته محجوراً عليه بلبس ، فرأيتُه مستقبلاً القلعة ، فصيح أنه مكروه
غير مُحَرَّم

والدليل على صحة ما ذكره قول الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوا وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْهَوْا ﴾ [اسراء : ٦٧] وقوله عز من قائل : ﴿ مَنْ يُطِيعِ
الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [الب : ١٨٠] ، والأمة مجمعة على هذا

والدليل على أن إجماع الأمة حجة قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ
الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُسْلِمِينَ سَوَّاهُ مَا تَوَلَّى وَصَلَّى
إِلَيْهِمْ وَمَنْ أَمَرَ نَصِيرًا ﴾ [الب : ١١٥] ، وقول رسول الله ﷺ : « لا تجتمع أمتي
على ضلالة » ، فصيح ما ذكرناه ووصح^(٢) جميع ما قلناه^(٣) ؛ من وجوب
الطهر ، وطريق الاستدلال .

(١) في (ص) : للغائط ولا البول ، وفي (ش) : يغائط ولا بول

(٢) ساقط في (ص)

(٣) في (أ ، د) : بوصح .

(٤) في (أ ، د) : فصيح جميع ما ذكرناه .

(٢) باب حقيقة معرفة الصنع

اعلم أن الصُّنْعَ إسمٌ للفعل ، وهو مصدرٌ من صَنَعَ يَصْنَعُ صُنْعاً ؛ وأصله فَعَلَ يَفْعَلُ فَعْلاً ، فصَحَّ أَنْ اسمه يدلُّ على أنه فعلٌ ، ولا يكون الفعل إلا من فاعلٍ ، ولا يكون إلا محدثاً لتقدُّم فاعله عليه .

ولا خلاف في أنَّ العالم يُسمَّى صُنعاً والعالمُ اسمٌ للهواء ، وما حوى من الأرض والسماء وما بينهما من جميع خلق الله العليِّ الأعلى والعالمُ اسمه مُوَحَّدٌ ، **فإذا جمعت قلت : العالمين ؛ قال تعالى : «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»** (١) ، وهذا الفرق في الجمع والمُوحَّد في اللفظ ، وأما في المعنى ^(٢) فلا لفرق بين العالم والعالمين ؛ لأن الاسمين يُبينان عن معنى واحد ^(٣) ، وسمي العالم ؛ لأنه علَّم ودلِّل على صانعه

فصل

في الكلام في الهواء

من ذلك أنا نظرنا إلى الهواء وما فيه من السَّعة والرِّقَّة والصفاء ، وكونه مكاناً للكثيف واللطيف من الأشياء ؛ فإذا هو قد قُدِّرَ أحسن

(١) في سعة . فأما في المعنى

(٢) في (ع) . يبين على معنى واحد . وفي (ش) : يبين على المعنى الواحد

تقدير، وجعل حياة للكبير من الحيوان والصغير، وجعل صافياً نقياً من الآفات والأكدار، وجعل لونه أخضر يميل إلى السواد لموافقة الأبصار. وقد قالت الأطباء: من ضعف بصره فليذهب النظر إلى راحة^(١) خضراء مملوءة ماء، فكان كما وصفت الأطباء^(٢)، وجعله يحمل الأصوات والروائح (والعبر)^(٣) ثم يفتح ويرول فيعود نقياً، فتحري فيه الرياح بالسحاب والدخان والعمار ثم يزول منه فيعود نقياً، ولو كان يبقى كل ما يحمله من الدخان والعمار والروائح والأصوات، لكان ذلك مؤدياً إلى الضرر وإباحة الأسرار، والتأدي بكثرة الأصوات والدخان والعمار وما جعل في سعة ورقته من الصلاح لصنوف المنافع وجولان الأنفاس فيه^(٤) والأرواح.

فلما وحدنا فيه أثر التدبير وجدناه قد وضع موضعه في صلاح الحيوان بأحسن تقدير؛ علمنا أنه يحدث مبدوع، ومخترع مصنوع^(٥)، علماً ضرورياً بالمشاهدة؛ إذ لا بد لكل مدبر من مدبر، وكل مقدر لا بد له من مقدر، وإذا ثبت أنه مصوغ ثبت أنه يحدث.

وقد قال أهل الدهر - وهم عبد الأهوية: الهواء هو ربهم لأنه يزعمهم محيط بالأشياء، فيه كل شيء، وهو مع كل شيء.

(١) في (ب). جامعة وي (ش): أجامعة

(٢) في (ب، ش) فكان لونه كلون ما رسمت الأطباء، وي (ص). فكان لونه كما وصفت الأطباء

(٣) ساقط في (ث)

(٤) في (ش، ع). وجولان الأنفاس فيه

(٥) قوله: (علماً) هو جواب (لما)، وقوله: (علم ضرورياً) معمول علماً تحت.

قالوا: وجدنا فيه الحياة، وعقد نقطاعه الموت، فصح قدمه قبل كل شيء بزعمهم.

والحجة عليهم أنه مع كرهه ضعيف، ومع اتساعه لطيف، وصح من صعمه أنه لا يحدث في الشاهد صغيراً ولا كبيراً، ولا يغني نقيراً ولا قطعيراً، وأنه محدودٌ بسواء، منقطعٌ من غيره، متغيرٌ بغيره، وأنه يتغير بالأنوار، ويختلف باختلاف الليل والنهار، وأنه يتغير بالروائح والدُّحان والغبار، وبالرياح والسحاب والأمطار، ويقطع وينقطع، ويضيق ويتسع، ويتحول^(١) منه القليل فيتحول، من ذلك هواء البشر إذا ذهبت انتقل الهواء الذي كان فيها وزال، وما جاز على القليل جاز على الكثير، وما جرى على الصغير جرى على الكبير. وأيضاً: فإنه لا يخلو من الحالتين الحادثتين وهما: الحركة والسكون.

وقد أجمع المتكلمون المتقدمون والمتأخرون على أن الحركة والسكون حالتان حادثتان، إلا أصحاب الاضطراب^(٢) وهم بعض أتباع بلعام فإنهم زعموا أن العالم لم يزل متحركاً بحركات لا نهاية لها، وقالوا: لو ثبت لها أول، أو آخر^(٣) لثبت حدوث العالم^(٤).

والحجة عليهم أن كونه متحركاً بعد أن كان ساكناً يسدُّ

(١) في (س، ش) ويحول

(٢) في (ص، ع، ش). إلا أصحاب الأسطون (١) إلا بعض أصحاب الأسطون.

(٣) في (ص، ش، ل). وآخر

(٤) في (ش): حدث العالم

على حدوث الحركة^(١)، وكونه ساكناً بعد أن كان متحركاً يدلُّ على حدوث السكون^(٢) بالمشاهدة والعلم الضروري.

وقال بلعام: العالم متحرك، والحركة الأخرى هي الحركة الأولى معادة وهذا إقرار منه بحدوث الحركة^(٣) وأن لها مُحدثاً؛ لأن كل ما كان له أولٌ وآخرٌ محدثٌ، وإذا كانت معادة فلا بدَّ لها من مُعيدٍ. وقال: العالم قديمٌ وله مُدبرٌ، خلافة من جميع المعاني.

وقال أرسطاطاليس: العالم هَيُولِي قديمٌ وتعسير الهَيُولِي: هو أصل الأشياء، كما أن القطر أصل الثوب، والهَيُولِي هو المدبرُ

واختلف أهل الدهر في ظنونهم. وقالوا: العالم قديمٌ، ودليلهم على أزليته أنهم لا يُعَايِنُوا شيئاً إلا من شيءٍ؛ وقالوا: الطائر من البيضة، والبيضة من الطائر، واسطفة من الإنسان، والإنسان من الططفة. وقالوا: لم يزل العالم بصورة قديمة، ومهم من قال: لا ندري الإنسان كان قبل الططفة، أو الططفة قبل الإنسان؟ ودليلهم: أنهم لم يروا إنساناً إلا من بطفة، ولا نطفة إلا من إنسان.

وقالوا: العالم وما يتولد منه طبع قديمٌ، والصورة قديمة^(٤)، والخلق كامنٌ فيها، وأنكروا أن يكون كامن غير صورة^(٥) فتحتاج إلى مصور، وقاسوا العالم بالدُّولاب.

(١) في (ب، ح، ش): على حدث الحركة

(٢) في (ب): حدث العالم

(٣) في (ب، ج، ص، ش): بحدث الحركة

(٤) في (ب، د، ل): والصورة قديمة

(٥) في (ص): وأنكروا إن كانت غير صورة

وكل هذا من ظنونهم وخرصهم ، وقد حكى الله قولهم ، وذكر أن قولهم ظن ، فقال عز من قائل : ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُقَالُ إِلَّا الشُّعْرُ وَمَا لَنَاهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الأنبياء : ١٧٤) .

والحجة عليهم أن إقرارهم بالكمون، والصُّورة والدُّولاب، يلزمهم ويبطل قولهم ؛ لأن كُمُوب الصُّورة في الشيء " يدلُّ على الانتقال، والانتقال حركة، والحركة حادثة، فوجب أن تكون الصورة المنتقلة حادثة ؛ لأنها لا تتعزى عن " الحركة والسكون، وكل ما لا يتعزى من الحوادث محدث، وقد قدّمنا الكلام في ذلك. والدُّولاب أيضاً مصنوعٌ بالمشاهدة، فكذلك العالم.

ودليل آخر - أن الصورة قد علمنا محلاً ضرورياً أنها حادثة
لكونها بعد أن لم تكن - بالمشاهدة^(١) لأن الطمة لا صورة فيها؛ ثم
كذلك العلة والمصفة، ليس فيهما صورة إنسان^(٢)، فحدثت بعد
عدمها، فكان ذلك دليلاً مبيناً. وقد احتج الله عليهم، فقال عز من
قائل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُفُوسًا ۝ قَرَارًا
مَكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ صَبَّةً مَحَلًّا ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا الْمُهَيَّجَةَ ضَرْبًا ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا
الْبَطْنَ لَاحِقًا ۝ ثُمَّ أَشْرَأْنَا خَلْقًا لَفِيفًا بَارِكُ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (السور ١٦-١٨)،
فلما كان له ابتداء وانتهاء كان محدثاً، وكذلك سائر المصنوعات،
فصح الحديث وانتفى القدم.

(١) و (ش) لأن كمون الشيء في الصورة

(۲) و (ب) : من

(٣) في (أ، ب، ج): بعد أن لم تكن مشاهدة

(٤) و (ث) ليس فيها صور الإنسان، وفي (ص): ليس فيها صورة الإنسان.

والرد عليهم في قولهم : العالم وما تولد منه حصل من الطبيعة^(١) الهيولية ؛ أن يقال لهم : الطبعُ فعلُ الماعلِ ، وهو غيرُ الطَّابعِ والمطبوعِ ، كما أنَّ الفعلَ فعلُ الفاعلِ ، وهو غيرُ الفاعلِ والمفعولِ ، فصَحَّ أن الطبع في ذاته فعلُ الماعلِ ، وإذا صحَّ أنه فعلُ الفاعلِ صحَّ أنه يحدثُ.

ودليل آخر : أن الطبيعة لا تُدَّ لها من أن تكون حيَّةً قادرةً ، أو تكون غيرَ حيَّةٍ قادرةٍ فإن قيل : هي حيَّةٌ قادرةٌ قلنا : هذا مُحالٌ ؛ لأن النحلة لو شقَّ ساقها أو موضعَ الطلُعِ منها ، وحُشِي في جوفها رُطْبٌ لم يخرج ذلك الرُطْبُ إلا بمخرجٍ حيٍّ قادرٍ غيرها ، فلو كانت النحلة حيَّةً قادرةً لأخرجت ذلك الرُطْبَ من حوفها ، ولكانت تطلعُ في وقت خراجها ، وفي غيره وأيضاً فإن هذا الرُطْبُ الذي في النحلة وجدناه بعد أن لم يجدناه ، ولا يُدَّ من أن يكون أوجد نفسه وهو معدوم ، أو أوجدته غيره فإن قيل : أوجد نفسه ، فلا بُدَّ من أن يوجدها وهو موجود ، أو يوجد نفسه وهو معدوم ، وإيجاد الموجود مُحالٌ ، وكذلك إيجاد المعدوم موحوداً مُحالٌ ، فصَحَّ أنه موجودٌ أوجده غيره ، وصَحَّ أنه يحدث ، وكذلك النحلة محدثة ، وما جاز في النحلة جاز في جميع العالم لما يوجد فيه من الزيادة والنقصان ، والتغيير والانتقال ، وأنه لا يتعرَّى من الحالتين الحادثتين ، فكُلُّما وجدنا^(٢) للواحد منه ابتداءً وانتهاءً كذلك جميعه ؛ وما كان بهذه

(١) في (س ، ش ، ع) : حصل بالطبيعة

(٢) في (ص ، ش ، ع) : فكُلُّما وجد

الصفات فهو محدث، علماً^(١) عقلاً ضرورياً. ومنهم من يثبت حدوث الصنع^(٢)، ويثبت له صانعاً قديماً، ويقول: إن الأشياء المصنوعة حدثت من الأصول الأربعة، أو الطبايع، أو العناصر^(٣)، على اختلاف عباراتهم في ذلك؛ وبه قالت المطرفية، وليس للكلام معهم معنى في أنه محدث، وأن له مُحدثاً قديماً؛ لأنا نحن وهم يجمعون على ذلك.

ولما الكلام معهم في قولهم: إن الأشياء حدثت من هذه الأصول بالتركيب لا بالقصد والعمد من القديم فيما يتولد من هذه الأصول فنقول: إن الأفعال لا تكون إلا لحي قادر، والجمادات ليست بحية ولا قادرة، فصَحَّ أنها لا فعل لها ولا تدبير.

ودليل آخر: فنقول: أحروياً عن الأصول الأربعة ما هي؟

فإن قالوا: الماء، والهواء، والنار، والرياح. قلنا: فهل هذه الأصول هي الفروع المتولدة منها، أو غيرها^(٤)؟

فإن قالوا: لا، أحوالوا^(٥)، لأن ابن الإنسان غيره، فضلاً عن أن يكون ناراً أو ماءً أو ريحاً وهواءً، فصَحَّ أن الفروع غير الأصول وإذا ثبت ذلك وجب أن تكون الأصول التي ذكروا أنها تُحدث الأشياء موجودة أو معدومة.

(١) في (ش): علماً

(٢) في (ب): حدث الصنع

(٣) في (ص، ش) والطبايع والعناصر وفي (ع) أو الطنائع والعناصر.

(٤) في (أ): أو هي غيرها

(٥) في (ب): فإن قالوا: هي أحوالوا وفي (ش) فإن قالوا: هي هي أحوالوا.

فَإِنْ قَالُوا: هِيَ مَوْجُودَةٌ قُلْنَا: أَيْنَ مَوْضِعُهَا؟ فَإِنْ قَالُوا: فِي الْعَالَمِ.
قُلْنَا: كَيْفَ يَكُونُ وُجُودُ الْأَصْلِ فِي الْفُرُوعِ. هَلْ يَكُونُ الْأَصْلُ كَامِناً
فِي الْفُرُوعِ أَوْ ظَاهِراً فِيهَا^(١)؟

فَإِنْ قَالُوا: هُوَ كَامِنٌ فِيهَا كَالنَّارِ. قُلْنَا: النَّارُ فَرَعٌ حَادِثٌ فِي الْعُودِ،
لَأَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ الْمَاءُ وَالنَّارُ فِي الْعُودِ. لَأَنَّ احْتِمَاعَ الْمُتَصَادِفِ^(٢) لَا يَصِحُّ،
وَلَيْسَتْ النَّارُ عِنْدَمَا كَامَتْ فِي الْعُودِ، وَلَا فِي الْحَجَرِ^(٣).

وَعَبَّرْنَا بِقَوْلِ: إِنَّهَا كَامَةٌ فِيهِمَا كَكُمُورِ الزَّيْتِ فِي الزَّيْتُونِ، وَالذُّهْنِ
فِي السَّمْسِمِ. قُلْنَا: هُمَا مِنْ أَجْرَاءِ سَمْسِمِ الزَّيْتُونِ، وَهُوَ لَا يَكُونُ إِلَّا
حَرّاً مِنْ الْأَشْيَاءِ^(٤) وَبَعْضاً مِنْهَا فَإِنْ قَالُوا: هُوَ ظَاهِرٌ فِيهِ، أَحَالُوا،
لَأَنَّ الْمَاءَ غَيْرُ النَّارِ، وَالنَّارَ غَيْرَ الْمَاءِ، وَكَذَلِكَ حَمِيعُ الْأَشْيَاءِ، وَلَوْ
كَانَتْ النَّارُ ظَاهِرَةً فِي الْمَاءِ لَأَطْفَأَهَا الْمَاءُ، وَلَوْ كَانَتْ ظَاهِرَةً فِي الْعُودِ
أَوْ الْقَطْرِ لَأَحْرَقَتْهُ فَبَطُلَ ذَلِكَ، وَلَمْ يَنْقُ إِلَّا أَنَّ الْأَصُولَ قَدْ عَدِمَتْ
وَبَطُلَتْ، وَإِذَا ثَبِتَ أَنَّهَا قَدْ عَدِمَتْ، فَكَيْفَ يَتَهَيَّأُ لِلْمَعْدُومِ فِعْلٌ؟
وَكَذَلِكَ كَانَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْحَوَادِثُ الَّتِي^(٥) تَحْدُثُ الْيَوْمَ قَدِيمَةً،
إِذْ لَيْسَ الْمُتَقَدِّمُ بِأَوَّلَى مِنَ الْمُنَاحِرِ بِالتَّقْدِيمِ، فَبَطُلَ مَا قَالُوا، وَصَحَّ
أَنَّ الْحَمَادَاتِ لَا صَنْعَ لَهَا، وَقَدْ احْتَسَجَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ عَزَّ
مَنْ قَائِلٌ: ﴿وَأَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۚ أَلَا هُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ (الرَّاسَةُ ١٥٨، ١٥٩)،

(١) فِي (ض)، أَوْ ظَاهِراً فِي الْفُرُوعِ

(٢) فِي (ب، ص، ش، ع). الْمُتَصَادِفَاتِ. وَفِي (ح، ل)، الْمَصْدِقِ.

(٣) فِي (ص، ي) وَلَا فِي الْحَجَرِ

(٤) فِي (ش، ي) مِنْ أَشْيَاءِ

(٥) فِي (أ، ص، ش): الَّذِي

ثم قال: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا فَخَّرُكُمْ ۚ أَآلَٰهُمُ تَزُولُ عَلَيْهِمْ أَمْ تُصَاتِرُ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٧٦]، وقال عز من قائل: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. وقال القاسم بن إبراهيم عليهما السلام في الدليل الصغير: أما أوائل الأشياء فخلقنا لا من شيء، وأما ما حدث بعد أوائل الأشياء فمهما ما حدث لا من شيء، ومنها ما أحدث من شيء^(١).

وقال (عليه السلام) في موضع آخر في قول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۚ أَفَلَا تُحْشِرُونَهُ أَمْ دَعْنِ الْخَالِقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فالله هو الخالق ونحن المُنشرون، ليس لنا في ذلك - غير إيمانٍ بالمسيح^(٢) - من صرع، ولا نقدرُ بعدُ لِمَا قَدَرَ بِنسنا من الموت على منع، من تقدِيرِ صُنْعِنَا وتدبيرِهِ، وتبديل خلقنا إن شاء خالقنا - وتغييرهِ، إلا ما لا محالةً حُرثًا، وكان منه لا مَناءَ، قال سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ۚ أَأَنْتُمْ تُزْرِعُونَ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [البقرة: ١٦١-١٦٣]، فالله هو الزارع ونحن الحارثون، لبس لنا في الزرع سوى حرثه من حيلةٍ موجودةٍ، ولا يقدر بعد الحرث على الإبقاء منه لسنبلةٍ مدمومةٍ ولا محمودةٍ، فقدرتنا^(٣) إنما هي على الحرث والأعمال، وعلى خلافهما من الترك والإغفال، وكذلك قليلُهُ من القدرة بعدُ على إبطال الرزع وإبلائه، مثل الذي كان له من القدرة على تشميره وإثمائه، ولا يقدر على أمرٍ إلا من يقدر على خلافه، وعلى فعل^(٤) ما كان

(۱) فی (صر) وسمیها ما حدث من شیء. ولی (شر) فمنها ما أحدث لا من شیء.

(٢) في (ص، ل) وليس لنا في ذلك غير الإجماع

(۲) و (ش): وقدرتہا

(٤) في (ض) - ويقدر على فعل

من نوعه وأصنافه ، فمن لم يكن كذلك ويصبح صفته بذلك ، كان بريئاً من القدرة عليه ، وكان العجز في ذلك منسوباً إليه

وقال محمد بن يحيى^(١) في كتاب الإيضاح : إن سأل سائل فقال : هل يصح للجملادات فعلٌ من الأفعال ، ويجوز ذلك في الاعتقاد والمقال ؟ قيل له - ولا قوة إلا بالله : لا يصح الفعل من الجمادات إلا على مجاز الكلام ، فأما الطبائع فمن ذي الجلال والإكرام ، لِمَا في ذلك من الفضل والإعظام ، لأن حيوانات إنما استقامت أرواحها بطائع الأطعمة والشراب ، وذلك من حكمة ربّ الأرباب ، ومصلح الأسباب بالأسباب ؛ لأن الأغذية لا تعقل أعاجيب التدبير ، ولا يُتم إصلاح الأمور وعجائب الحكمة والتصوير إلا الله العليم الخبير^(٢) ألا ترى إلى ما صنع من غذاء الأشجار بما نزل من الأهوية من الأمطار ، وأجرى من العيون والأنهار في صلاح الحيوان والثمار^(٣) ، وجعل في الأشجار مداخل للمياه تمرّلة الحقوق والأفواء ، فجعل لكل حبة

(١) هو الإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي بن الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، الإمام المرتضى ، المسمّى حبريل أهل الأرض ، ولد سنة ٢٧٨هـ ، أحد عن والده مؤلفاته وغيرها ، وكان عالماً بالفقه وأصول الدين ، وله من المؤلفات في أصول الفقه كتاب الإيضاح ، والوارد ، وغير ذلك ، وله في علم الكلام مؤلفات ، وكان راهباً ورعاً ، قام بالإمامة بعد أبيه ثم تنحى عنها لأخيه الإمام ناصر أحمد ومئة انتصابه ستة أشهر ، وبعد اعتزاله أغلق على نفسه الباب ، واشتغل بالعلم والعبادة ، حتى توفي في شهر المحرم سنة ٣١٠هـ وصوّاه الله عليه

(٢) في (ع ، د ، م) : الأعلى الخبير وفي (ش ، ل) : العلي الخبير

(٣) في (ص ، س ، هـ) : وصلاح الحيوان والثمار

من الثمر مُستقى^(١)، وجعله^(٢) للماء طريقاً، وأحرى ذلك بلطفه في العروق، وجعلها بمنزلة الخُلُوق. وليس من طبع الماء أن يصعد علوًّا، ولا يَستمو إلى أعالي الشجر سُمُوًّا، وإنما طبع على الثقل، والانحدار، وعلى الثبات في الأرض واقرار، فلما رأينا يطلع إلى بواسيق الأغصان، علما أن ذلك من الواحد المتأن الرحمن.

وكذلك فعل سيدنا عيسى (عليه السلام) فليس منه، وإنما نُسبَ إليه، وإنما فعله. الحركات والسكون والصُمير، والتقلب للطين والتصوير، وذلك فلا يوجد^(٣) الحياة بعد الممات، ولا يوحد الأرواح في الجمادات إلى آخر الكلام. ولا خلاف في ذلك عند أهل العدل والتوحيد من الزيدية والمعتزلة، وهو إجماع الأمة.

فصل

في الكلام في الأنوار واختلاف الليل والنهار

ونظرنا إلى تضاد الظلم والأنوار، واختلاف الليل والنهار، وما في ذلك من النعمة السابغة، والحكمة البالغة، فإذا هو أمرٌ عجيبٌ، ونفعٌ قريبٌ، وكذلك ما نشاهده من سماء الدنيا، من ارتفاعها^(٤) وصفائها،

(١) في (أ، ت)، من الثمر مستقى وفي (ش) من ثمرة مستقى وفي (ع، ل، م) من الثمرة مستفاه

(٢) في (ص) أو جعل

(٣) في (ش، ع) وذلك مما لا يوجد وفي (س، ت، ل) وذلك مما لا يوجد

(٤) في (س، ش). وكذلك ما نشاهد من السماء الدنيا وارتفاعها

وسَعَتْهَا وبهائِها، وما فيها من أسْبَرَاتٍ -التي ملأ صياؤها ما بين الأرضين والسَّمَاوَاتِ- من الشَّمْسِ والقمر والنجوم المختلفة، فإذا فيها من عَجِيب الصنعة^(١)، وبديع الحكمة، ما لا يقدر مخلوق على وصف عَشِير عَشْرِهِ، لكن معرفة قبلة تجزئ عن معرفة كثيرة.

ومن ذلك أن الشمس قريب نفعها، بعيد ضررها، فإنها لما قُدِّرَتْ وجُعِلَتْ سراجاً -لمن في السماوات ومن في الأرض وما بينهما- وهُاجِجاً حُعلت بعيدة المكان، لسلامة الأجساد منها والأعيان، ولدفع ضررها عن الأشجار والمياه والحيوان، ولو كانت قريبة منها لأتلف شعاعها الأبصار^(٢)، ولأحرق لبهبها الأجساد والأشجار، ولأزال برْد الماء وأسر الأنهار وقُدِّرَتْ تَطْلُعُ حِيناً وتَغْرُبُ حِيناً لدفع هذه المضار، وإصلاح^(٣) الحيوان والأشجار، وتيسير ويسكن بعد معيها أهل الحرص في العمل والإكثار، وجعل القمر رَاقِياً بعض الصَّيَاء لمن أراد السُّرَى بالليل لبعض الأسباب، وليهتدي به عدد السنين والحساب^(٤)، وجُعِلَتْ النُّجُوم إذا غابت الشمس والقمر تَسَدُّ مَسَداً لمن احتاج إلى الدَّهَاب، وليهتدي بها في البر والبحر أهلُ الاعتِراب، وجُعِلَتْ البروجُ الإثنا عشر مقَدَّرَةً، لا يختلف سيرُها، ولا يجتمع مفترقها، ولا يفترق مجتمعا، وجُعِلَتْ الشَّمْسُ تقطع البروج في سنة^(٥) من الحَمَل

(١) في (ش): من عجائب الصنعة

(٢) في (ش): لأتلف لبهبها الأبصار

(٣) في (ت، ح، ل): وإصلاح

(٤) في (ص): إلى عدد السنين والحساب وفي (ب) في عدد السنين والحساب

(٥) في (ش): في كل سنة

إلى الحمل؛ تقطع في كل يوم درجة، والبرج ثلاثون درجة، فالبروج كلها ثلاثمائة وخمسة وستون درجة^(١) كعدد أيام السنة. والقمر يقطع البروج كلها في شهر، يقطع (في)^(٢) كل يوم منزلة، والبرج منزلتان وثلاث. والزهرة تُقيم في السرج خمسة وعشرين نهاراً، وعطارد كذلك، ورحيل يُقيم في البرج ثلاثين شهراً، والمشتري يقطع البرج في سنة وشهر، والمريخ يقطع البرج في سنة ونصف^(٣). ومسير هذه النُّبَرَات السَّبع التي هي: الشمس، والقمر، والزهرة، والمشتري، ورحيل، والمريخ، وعطارد، إلى جهة المشرق، والملك يدور بها إلى المغرب، وذلك يتشأن لك في أسرعها سيراً وهو القمر فكذلك سائرهما، وقد مثل العلماء سيرها مثل ديب النملة في الرَّحَا، فهي تسير ذات اليمين والرَّحَا تدور بها ذات الشمال^(٤).

فلما رأينا هذه النُّبَرَات قد وُضِعَتْ مواضعها، وأعدت لصلاح الحيوان، ورأينا فيها أثر الصنعة والتدبير^(٥)، ودلائل الإنشاء والتقدير، علمنا أنها محدثة.

وقد قال قوم^(٦): شيطان خالقان قديمان^(٧): نور وظلمة، فخالق الخير وهو النور، وخالق الشر وهو الظلمة، وقالوا: هما ممزوجان وغلبوا

(١) في (ش): ثلاثمائة وستون درجة فقط.

(٢) ساقط في (ش).

(٣) في (ب، ش): في شهر ونصف.

(٤) في (أ): أثر التدبير والصنعة.

(٥) في (أ): وقال قوم وهم الثوب بقوله: (وهي الثوب) يس من كلام المؤلف وإنما هو حشو

من الناسخ تمت

(٦) في (ش): شيطان قديمان خالقان

الظلمة على النور. قالوا: والدليل على ذلك أن الخير لما وُجد ثبت أن له فاعلاً من جنسه، أو أرفع منه مرتبة، وأن الشر لما وُجد ثبت أن له فاعلاً من جنسه، أو أبلغ منه منزلة.

والحجة عليهم أنا وحدنا النور والظلمة متضادّين، ووجدنا النور يُزيل الظلمة إذا حضر، وتغشى الظلمة إذا غاب، ورأينا أحدهما "يزول بحضور الآخر، وبحضر بروال ضده، فثبت أنهما محدثان ضعيفان عاجزان؛ لأن أحدهما يزول بحضور الآخر؛ ولأن أحدهما معبرٌ للثاني، وإذا عجز عن نفسه وكان الآخر مغيراً له" فهو عن خلق غيره أعجز.

وتبين فساد قولهم أنهم قالوا: النور والظلمة ممتزجان، ومنهم من قال: هما منفصلان ومعهما ثالث مُصلّد؛ والانفصال والامتزاج يدلّان على الحدث، لأن الانفصال هو الانتقال؛ وهو حركة، والامتزاج أيضاً المحاورة، وكل منقل أو مجاور محدث؛ لأنهما لا يتعريان من الحوادث

ودليل آخر: أن كل ما كان له أولٌ وآخر فهو محدث، والنور والظلمة لهما أولٌ وآخر، ولا يمتنعون من أن يقولوا: أولُ النهار وآخره، وأولُ الليل وآخره.

ودليل آخر: أن الظلمة التي فُلّوا: هي تغلب النور وهي تفعل الشر فإذا كان النور مغلوباً كان ضعيفاً، والضعيف لا يكون خالقاً.

(١) في (ص): ورأينا أحدهما

(٢) في (ب، هـ): فكان الآخر مغيراً له وفي (ش) فكان الآخر مغايراً له

وأيضاً فإننا رأينا في الطلعة خيراً كثيراً - وصلاًحاً للحيوان والأشجار - شهيراً، من ذلك: أن الليل يُبرّد حرارة الشمس، ويُعدّل الزمان، وفيه يستريح الناس ويهدؤون، ويأمنون ويسكنون، ولو كان النهار سرمداً إلى يوم القيامة نزال اصّلاح، وعدمت الراحة والفلاح. وإذا كان فعلهما لا يتم إلا بمعدّل كانا أيضاً عاجزين عن الخلق؛ لأنهما إذا عجزا عن التعديل، عجزا عن الخلق للدقيق والجليل^(١)، فطل ما قالوا

وقال قوم - وهم عبّاد النجوم، وهم بعض البراهمة: العالم قديم، والمدبّرات منه السبعة: الشمس، والقمر، والزهرة، والمشتري، ورحل، والمريخ، وعطارد والبروج الإثني عشر: الحمل، والثور، والحوزاء، والسرطان، والأسد، والسُسلّة، والميزان، والعقرب، والقوس، والحدي، والدلو، واخوت، هي بزعمهم^(٢) المتحرّكات بالخير والشر، والحياة والموت.

والحجة عليهم أنها تنتقل وتروى، وتغيّب (وتُحوّل)^(٣)، ويغيّبها الأقول^(٤)، وبذلك عابها إبراهيم الخليل عليه السلام، وأنها تجري بها الملك، وتحوبها الخُلُك، وتنقص، وتزيد، وتتحرك^(٥)، وهذه الحالات كلها

(١) في (س، ش): الدقيق والجليل

(٢) في (ش، ع، ل) وهي بزعمهم

(٣) ساقط في (ش، ع)

(٤) في (ث): ويغيّبها الأقول

(٥) في (ب، ص، س، ع): وتتحرك

محدثه، فوجب أن تكون هي في دتها محدثة؛ لأنها لا تتعزى من^(١) هذه الحوادث.

ودليل آخر: أن أكبر هذه النيرات الشمس والقمر، فإنهما يُصابان في أنفسهما بالكسوف، فيدخلان في باب من يرمى بالمصائب والحتوف، وينقص القمر في كل شهر حتى لا يبقى منه إلا الأقل ثم يعود فيكون كاملاً، فلو كانا خالقيين، أو قادريين، أو مدبرين، لأزاحا عن أنفسهما الضرر، ولتحصنا عن نقصان والعير^(٢)، فلما كانت لا تملك نفسها^(٣)، ولا تدفع عنها شراً، ولا تدفع مكروهاً ولا ضرراً^(٤)، كانت عن ملك غيرها أعجز، وعلمنا أنها مصوغة مدووعة^(٥) لتغيرها واسقالها، وصنعها ونقصانها وإزالتها، ولأنها بغيرها محدودة، وحالة ومتحركة ومحدودة^(٦)، وهذه الحقائق دالة على حدوثها، فيبطل ما قالوا.

(١) في (ص) عن

(٢) في (ص، ي)، والتعير

(٣) قوله (فلما كانت لا تملك نفسها) يعني النجوم السبعة، وكلها فيما بعدها من الصفات هائلة عن النجوم السبعة، فلا يوهم أنها عائدة عن الشمس والقمر فقط، فليتأمل تحت

(٤) في (ص) - ولا ضرراً

(٥) في (ص، م): مصوغة محدثة مدووعة

(٦) في (ص): ومحدودة

فصل

في الكلام في الأرض

ونظرنا إلى هذه الأرض ، وما فيها من الطول والعرض ، وكم عسى أن نصرف مما قد جعل الله فيها من العجائب ، والأمر البديع والعرائب . قد وضع كل شيء منها في مكانه ، وأعد كل أمر منها لشأنه .

وحملة الأمر أن كل شيء منها قد جعل لصلحة - عرفها من عرفها ، وجهلها من جهلها - من الحيوان والطين والماء والأشجار والحجارة - وما كان من حسه - والنار . ونظربا فإذا هي بعيدة الأطراف ، ومتراكمة الأرداف^(١) ، ثقيلة طويلة ، عريضة عميقة ، ومن بُعِدَها أنه ما أحر أحد من الأمم أن يبلغ حدّها ، إلا ما حكاه الله من دي القربين^(٢) ، وكان ذلك معجزاً ، وكان له من الله تأييداً بسبب شيء كان معه . ومن عمقها أنه لما خرقها أحدٌ ؛ وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَتَّخِذَ الْجِبَالُ سَوَاءً ﴾ [سورة النمل ، ١٢٧] .

ونظربا فإذا هي على الماء مسروسة ، وفي الهواء معلقة موطئة . ومما دلّنا على أنها على الماء مسروسة أن البحار بها محبطة ، وأنها تتفجر الأنهار من خلالها ، ويوحد الماء أيما حفير من سهولها ، وجبالها ، قريباً وبعيداً ، إلا في المواضع التي لا يمكن حفرها لشدتها ، ولبعدها مائها ، وارتفاعها ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ [مروء ١٧] .

(١) في (ص ، ع ، س ، ش) . متراكمة الأطراف

ومما يدل على أنها في الهواء معلقة موطئة أنها إذا وقعت فيها
زلزلة، أو تردت من حبالها صحرة عظيمة رجفت، وتحركت،
وأحابت.

ومما يدل أيضاً على أنها معلقة منوطة أنا وجدنا لها جهة واحدة^(١)،
وهي الجهة العليا، فعلمنا أن لها جهة سُفْلَى؛ وهي حذُّها الأسفل،
ولا يكون شيء له أعلى إلا وله أسفل، وقُدَّام وحلف، ويمين وشمال.
ونظرنا وإذا هي قد قُدِّرَتْ على أربعة معانٍ وهي: اللين،
والخشونة، والحسرة، والبرودة؛ وإذا هي لم تخلُ من هذه
الأربعة المعاني.

ونظرنا فإذا الزمان^(٢) على أربعة معانٍ صيف، وخريف، وربيع،
وشتاء. فالصيف حارٌّ يابس، والخريف باردٌ يابس، والربيع حارٌّ
رطب، والشتاء باردٌ رطب، ووجدنا الأجساد بُنِيَتْ^(٣) على أربعة
أمزاج: مِرَّةٌ صغراء، ومِرَّةٌ سوداء، ودم، وبلغم. فالصغراء حارةٌ يابسةٌ
تكثر في الصيف، والسوداء باردةٌ يابسةٌ تكثر في الخريف، والدم حارٌّ
رطبٌ يكثر في الربيع، والبلغم باردٌ رطبٌ يكثر في الشتاء، فعلمنا أنها
محدثةٌ مقدرةٌ، بحكمة مدبرة، لظهور الصُّع والتدبير فيها.

ومما يدل على حدوثها^(٤) أنها لا تخلو من الريادة والنقصان،

(٢) في (ش، ي): عن ذي القربى

(١) في (ص، ع، س، ش): وحداً

(٢) في (ش): ولد الزمان

(٣) في (ش): بُنِيَتْ

(٤) في (ص، ع، ل): على حدوثها

والتغيير في الأحوال والأعيان، وأنها لا تنفك من الأوقات والأزمان، وكما كان^(١) للأيام والليالي أول وآخر ثبت حدوثها^(٢)، وإذا ثبت حدوثها^(٣) ثبت حدث^(٤) ما لا ينفك منها.

والزمان هو وقت حركة العالم وسكونه، وقالت^(٥) العلماء قبلنا: الزمان مقدار الحركة، وقد أحسوا فيه القول. ألا ترى أن السنة هي مسير الشمس في البروج^(٦) من الحمل إلى الحمل؟

وقال الجالينوس ومن قال بقوله من أهل الدهر: الأربع الطبائع التي هي اللين، والحشونة، والحرارة، والبرودة؛ هي المدبرة برعمهم، قالوا: والدليل على ذلك أن الإنسان لما كان لا يدرك إلا هذه الأربعة الأشياء كانت مدبرة قديمة.

وقالت الملاسفة: الطبائع الأربع قديمة، وحامس معها هو خلافها، وأثبتوا الحركات، وزعموا أن حركة قبل حركة. إلى ما لا نهاية له.

وقال بلعام بن باعورا: إن العالم قديم، وله مدبر بخلافه. وأثبت الحركات، إلا أنه قال: الحركة الأولى هي الحركة الأخرى معادة.

والحجة عليهم أنهم قد أقرّوا بحدوث الحركات؛ لأن قولهم^(٧): (إن حركة قبل حركة) دليل على حدوث الحركات؛ لأنه إذا كانت الحركة

(١) في (ج): فكما كان

(٢) في (أ، س، م). ثبت حدوثها

(٣) في (أ، س، م): ثبت حدوثها

(٤) في (أ، س، م): ثبت حدوث

(٥) في (ي): وقد قالت.

(٦) في (ش): في البرج

(٧) في (أ، ل، م). يحدث الحركات في قلوبهم

الآخرة قبلها حركة فهي محدثة لتقدم غيرها عليها، وكذلك سائر الحركات وكذلك قول بلعام: «حركة الأولى هي الحركة الأخيرة معادة، فهذا إقرار منه بحدوث الحركات»^(١)، لأن كل شيء له أول وآخر فهو محدث. وقوله: (معادة) إقرار بأن لها مُعيداً. فلما كانت الحركة والسكون حالتين حادثتين، ثبت حدوث الطوائع، لأنها لا تخلو من أن تكون الحركة والسكون، أو تكون المتحرك الساكن. فإن كانت أجساماً متحركة وساكنة، فالحركة والسكون دليل على حدوثها؛ لأنها لا تخلو من الحركة والسكون، وإن كانت الأعراض الحركة والسكون فقد يتأجدت الحركة والسكون، لأننا رأينا الشيء في زمان ساكناً ثم رأيناه في زمان متحركاً، ثم رأيناه متحركاً بعد السكون، فصح حدوث الحركة والسكون، وهذا مشاهد من الإشكال فيه^(٢)

ودليل آخر أن كل واحد من هذه الطوائع لا يخرج مما رُكِب عليه من الحرارة والبرودة، والرطوبة واليوسمة، وإذا كانت لا تخرج مما رُكِب عليه صح أنها لا تملك نفسها فكيف تدبر غيرها؟ وأيضاً فلها حدٌ لا تتجاوزه، ولا تنقص منه، ولا تريد عليه، وبعضها ضدٌ لبعضٍ ومُعدّلٌ لبعضٍ؛ فصح أنها لا تصنع شيئاً، وأن المصاد بينها والمُعدّل^(٣) لبعضها بعضٍ غيرُها، فثبت أنها مُقدّرةٌ مُدبّرةٌ، فبطل ما قالوا.

(١) ي (أ، ي) بحدوث الحركات

(٢) ي (ش) بلا إشكال فيه

(٣) ي (١) وأن المصاد بينهما المعدل وفي (ح) وأن المصاد منها والمعدل

ونظرنا إلى ما أُعِدَّ في الأرض من لنبات والماء، والمعادن والآلات، وما حوّل سُكَّانها من المنافع والأقوات، فإذا هي قد أُتقن خلقها، وأحسن رتقها وفتقها.

فصل

في الكلام في خلق الإنسان

فإننا نظرنا في^(١) خلق الإنسان، وبذ خلقه ابتداءً وانتهاءً في الدنيا، فرأيناه نطفةً ثم علقةً ثم مضغةً ثم عظاماً، ثم كُسيت العظام لحمًا، ثم طملاً، قد أُعِدَّ فيه جميع ما يُصلحُ له دينه ودياره قبل حاجته إليه؛ فأُعطي عينين للنصر، وأذنين للسمع، وأنفًا للشم، ولسانًا للدوق وللکلام^(٢)، وقمًا لإدخال الغذاء، وسيلين لإخراج الأذى، ويدين للبطش واللمس، ورحلين للمشي، وأشياء^(٣) من دقائق الخلقة لا يهتدي واصفها، ولا يُحسنُ كشفها^(٤) من عروق مسوجة، ومعدة وأمعاء للأغذية، وعصير ودم، وجسد وشعر، وغير ذلك مما يكثر فيه الكلام. ورأيناه يزيد شيئاً فشيئاً، ويكبر قليلاً قليلاً، حتى يبلغ أشده، وقد أُعطي العقل الذكي فعمد ذلك يستنفع بجميع جوارحه، فيما يصلح دينه ودياره، وقبل ذلك يستنفع بها فيما يصلح دنياه،

(١) في (ب) : إلى

(٢) في (أ) : للدوق والكلام

(٣) في (ب، د) : إلى أشياء وفي (ص) : إلى الأشياء

(٤) في (ب، ص، د، ح) : لا يهتدي وصفها، ولا يحسن كشفها

فلما رأينا فيه أثر الخلقة، ورأيناه كان بعد أن لم يكن، علمنا أنه
محدث بالمشاهدة، والعقل الصروري، وأنه مخلوق مقدر،
ومصنوع مدبر.

ونظرنا إلى ما في الأرض من الحيوان من الدواب والطيور [مخلوقة]
لنافع الإنسان، فمها ما جعل نعمة، ومها ما جعل بليّة. فرأينا في
جميعها ما يدل على حدوثها^(١)، وأنها مصنوعة مصوّرة،
مخلوقة مقدّرة.

فصل

في الكلام في الحسم والعرض

اعلم أن الحسم سُمّي جسماً لطوله وعرضه وعمقه. والعرب تسمي
ما زاد في الطول والعرض والعمق جسماً^(٢)، يقول القائل منهم:
فرسي حسيّم، وجملتي أجسم من حمل فلان، يريد أنه بالغ فيما له
سُمّي جسماً، وهو الطول والعرض والعمق؛ قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ
اللّهَ امْتَلَأَكُمْ فَتِكُم وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِصَمِ وَالْجَسَمِ﴾ [سورة ص: ٧٤]، وقال الشاعر
وهو عامر بن الطفيل:

وقد علم الحسي من عامر بال لا درؤة الأجسام
وللجسم دلائل منها أن يكون صويلاً عريضاً عميقاً؛ ومنها أن يكون

(١) في (ع، ش): ما يدل على حدوثها.

(٢) في (ب) جسماً

قائماً بنفسه، ومنها أنه يكون محدوداً^(١) بالجهات الست التي هي فوق وتحت، وقدام وخلف، ويمين وشمال. فما كان من المصنوعات بهذه الصفات فهو جسم، وما لم يكن بهذه الصفات فهو عرض، إذ لا يوجد شيء من المصنوعات ولا يُعَمِّم إلا جسماً أو عرضاً. وقد أثبت بعض المعتزلة جوهرراً لا جسماً ولا عرضاً، وقالوا: هو الأجزاء المتماثلة الشاغلة للمكان ومعنى المتماثلة عندهم: أن يسدَّ الحزء مسدَّ الجزء الآخر، وهذا شيء لا يعقل ولا يُعلم.

واعلم أن الغرض المقصود في ذكر الأحسام والأعراض هاهنا أن يفرق بين الجسم والعرض، وبين أفعال الله وأفعال خلقه.

وأما الأحسام فقد تكلمنا فيها بما فيه كفاية، وهذا موضع الكلام في الأعراض فقول:

إنَّ العَرَضَ سُمِّيَ عَرَضاً لِإِعْتِرَاضِهِ فِي الْأَوْهَامِ؛ وَلِأَنَّهُ لَا يُوَحِّدُ مُنْفَرِداً مِنَ الْأَحْسَامِ؛ وَلِأَنَّهُ يَضْعُفُ عَنِ الْقِيَامِ بِنَفْسِهِ، وَيَزُولُ بِضِدِّهِ، وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ سَحَابَهُ وَتَعَالَى مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَرَضاً، لِضَعْفِهِ وَرَوَالِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿تَتَّبِعُونَ عَرَضَ السَّعَاةِ الْفُتُورِ﴾ [س. ١٠٠، ١٠١]، فَلِذَلِكَ^(٢) سُمِّيَ الْعَرَضُ عَرَضاً وَهُوَ عَلَى وَجْهِينَ: ضَرُورِيٌّ وَإِخْتِيَارِيٌّ، فَالضَّرُورِيُّ فِطْرَةٌ مِنْ فِطْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَالْإِخْتِيَارِيُّ مِنْ فِعْلِ الْعَبْدِ. فَكُلُّ مَا كَانَ يُوجَدُ صَرُورَةً لَا يُمْكِنُ^(٣) لِلْإِنْسَانِ رَدُّهُ فَهُوَ الْعَرَضُ

(١) في (ب): ومنها أن يكون محدوداً

(٢) في (ش، م، س). ولذلك

(٣) في (ش، م، ل): ولا يمكن

الضروريُّ، وهو من فعل الله سبحانه، وما كان يمكن العبد فعله
ويمكنه تركه فهو العرص الاختياريُّ.

والضروري على أفنان: وهو الألوان والطُّعوم والروائح،
والحركات والسكون في الحماطات، وقد يكون في الحيوان أيضاً مثل
ذلك كضربان العروق.

ومن الضروري أيضاً إلهام الله تعالى لجميع الحيوانات^(١) مصالحهم
الخاصة، من استحلالات المافع، ولتفاد عن المضار، فهذا اشترك فيه
المكلف وغيره من سائر الحيوان. ثم راد الله تعالى المكلف جودة النظر،
والمعرفة لمصالحه العاجلة والآجلة، والريادة هاهنا التي هي من الله
فطرة، كاستحسان الحس، وإستقراح الفحيح، وأشباه ذلك، فهذه
الأعراض وما شاكلها مما لا يمكن الإنسان الإمتناع منها، فهو فطرة
من الله تعالى.

ومثل ذلك ما فطر الله عليه الخوس من الحس مما لا يكون اختياراً
للإنسان؛ من ذلك^(٢) أن الله تعالى قد فطر الأذن على سماع الأصوات
مما يُريد الإنسان سماعه ومما لا يُريد سماعه^(٣)، ألا ترى أن الإنسان
إذا لم يرد سماع صوت لم يمكنه ذلك إلا أن يسد أذنه أو يبعد عن
المصوت وكذلك البصر فيه لو فتح عييه وقبَّاله شيء^(٤) مما يرى

(١) في (س، ش) لجميع الحيوان

(٢) في (أ، ش). ومن ذلك

(٣) في (ش)، ومما لا يريد سماعه.

(٤) في (ش، ع)؛ لو فتح عييه وقبَّاله شيء (ب) لو فتح عييه قبَّاله شيء

بالأعيان لراه ولو لم يُرَدَّ بصره، ولا يجمع من بصره إلا أن يغمض عينيه عنه؛ ولأجل ذلك أن الإنسان إذا فاجأه شيء مما لا يحل له نظره فظرة مفاجأة فلا إثم عليه في النظرة التي لم يقصدها ولم يتعمدها، وكذلك الشَّم والذَّوق، هذا ما لم يكن للإنسان فيه صنع، فأما ما تعمده الإنسان وقصده من استعمال الحواس والقلب والجوارح، فهو عرصٌ اختياريٌّ من فعل الإنسان.

والذي يدل على أن الحسَّ عرضٌ أن الإنسان إذا نام لم تحس حواسه^(١) شيئاً، وأيضاً فإن الحسَّ لا يقوم بنفسه، فصَحَّ أنه عرضٌ لبطالته ولكونه قائماً في سواء.

والاختياري أيضاً على أقوالهم في العقل القلب الاختياري الذي هو العقل المكتسب مثل النظر، والتمييز، والاستنتاج، والنية، والاعتقاد، وأشياء ذلك، فهذه أعرص من فعل العبد.

ومما يريد ما قلناه^(٢) قول الله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الزمر: ١٦]، وقال عز من قائل -حاكياً قول أهل النار: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ الشَّجَرِ﴾ [الزمر: ١٧]، فلم ينفو عنهم القلوب، ولا العقل الغريزي؛ لأنه لو نفى عنهم العقل الغريزي لم يكن عليهم حجة، فصَحَّ أنه نفى عنهم العقل المكتسب، وذكر أن تركهم للمظر ذنبٌ

(١) في (ب، ج، س): جوارحه

(٢) في (ب، س، م): ومما يؤيد ما قلنا

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُوا بِذُنُوبِكُمْ فَسَتَافْتَحُ ابْوَابَ السَّعِيرِ﴾ [سورة ١١]، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «النَّاسُ يَعْمَلُونَ الْخَيْرَ وَيُعْطُونَ أَجُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ».

وَالْحَسُّ الَّذِي يَقْصِدُهُ الْإِنْسَانُ وَيَتَعَمَّدُهُ عَرَضٌ اخْتِيَارِيٌّ مِنْ فِعْلِ الْإِنْسَانِ. وَكَذَلِكَ الْكَلَامُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ الْإِنْسَانُ، وَحُلِقَ لَهُ اللِّسَانُ^(١) وَالْأَدْوَاتُ وَالْأَنْفَاسُ وَاللَّهْوَاتُ. وَفِعْلُ الْعَمَلِ فِيهِ الْهَمَّةُ، وَتَصْعِيدُ الْأَنْفَاسِ، وَتَحْرِيكُ اللِّسَانِ. فَكَانَ لَصَوْتٌ وَظَهْوَرُهُ مِنْ تَصْعِيدِ النَّفْسِ فِي الْحُلُقِ. وَكَانَ الْكَلَامُ مِنْ تَقْطِيعِ اللِّسَانِ وَاللَّهْوَاتِ لِلنَّفْسِ، فَصَارَ حُرُوفًا وَكَلَامًا مَفْهُومًا

أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ^(٢) إِذَا مَلَأَ الصَّوْتُ وَلَمْ يَحْرُكْ بِهِ لِسَانَهُ وَلِهَوَاتِهِ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ كَلَامًا، وَقَدْ حَكَى اللَّهُ ذَلِكَ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة ١٦]، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ فِيمَا حَكَى عَنْ أَهْلِ السَّارِ: ﴿وَقَالُوا لِيُخْلِدِيهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَطْلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة ١٢١]، فَمِثْلُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ خَلَقَ الْأَدْوَاتُ^(٣) وَالْجَوَارِحَ وَجَمِيعَ الْأَلَاتِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ النُّطْقَ بِالْكَلَامِ عَلَى وَجْهِ: حِكَايَةٍ وَمَبْتَدَأٍ فَالْمَبْتَدَأُ، مَا يَنْطَقُ بِهِ الْإِنْسَانُ، وَيَتَدَعُهُ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الْكَلَامِ. وَالْحِكَايَةُ مَا يَنْطَقُ بِهِ مِنْ كَلَامٍ غَيْرِهِ؛ مِنْ ذَلِكَ الْقِرَاءُ، فَمِثْلُهُ فِيهِ الْحِكَايَةُ إِذَا تَلَا،

(١) فِي (ب، ح، د)؛ فَعَلَى أَنَّهُ لَهُ اللِّسَانُ.

(٢) فِي (ش)؛ أَلَا تَرَى الْإِنْسَانَ

(٣) فِي (ش)؛ خَلَقَ الْأَدَاةَ

والمحكى هو فعل الله. وكذلك ما حكى من كلام المتكلمين؛ فذلك الكلام لمن ابتدعه^(١)، وهو مفعول له لما حكاه، كما أن البناء والنجار (والنحات)^(٢) والصانع والسَّاخ فعلهم التأليف والحركة والسكون. وفعل الله الأجسام، وهي مفعول لهم، وكذلك القراءة لهم فعل والقرآن مفعول لهم وهو فعل الله وهو عَرَضٌ.

واعلم أن العرض لا بُدَّ له من شئ؛ لأنه لا يقوم بنفسه، وشبهه في حال الكلام المتكلم، وشبهه بعد ذلك الهواء؛ لأن الله قد فطر الهواء على حمل الأصوات إلى الآذان السامعات؛ لأن العرض لا يقوم بنفسه ولا يقطع المسافة وكذلك المصوت لا يقطع المسافة أيضاً بنفسه ولا يدخل في أذن السامع^(٣) ولا ينتقل إليه، فلما لم يمكن^(٤) ملاصقة المصوت لأذن السامع ولا انتقاله إليه، ولم يمكن قيام العرض بنفسه من غير شئ ولا قطع المسافة^(٥)؛ لم يبقَ إلا أن الهواء هو الذي حمله وهو شبهه.

ومن هاهنا غلط قوم من الزيدية وهم المطرفية فإنهم قالوا: إن السامع لم يسمع الصوت، ولكنه يسمع المصوت^(٦) ولا يسمع عندهم الكلام، وقالوا: لا يُسمع القرآن وإنما يُسمع القارئ. وقال بعضهم: ليس القرآن بحروف وإنما هو معنى في النفس.

(١) في (ب): لمن بدعه

(٢) ساقط في (ث)

(٣) في (ص): في أذن السامع. وفي (ش): في أذن السامع

(٤) في (ب، ل، ع): فلما لم يمكن

(٥) في (ص): ويقطع المسافة. وفي (ش): ولا قطع مسافة

(٦) في (ج): ولكنه سمع المصوت

وقالوا: لم يفارق قلب الملك. وقنوا: هذا القرآن إنما هو حكاية عنه ودليل عليه

وعلتهم (في ذلك) " أن القرآن عرض، والعرض لا يجوز عليه البقاء، وأنه إحالة الألسن، وأنه لا يقوم بنفسه، ولا يقطع المسافة، وأن الحروف كانت قد حصلت مع الناس قبل بروله، فصح أن الحروف برعمهم هي الحكاية " دون المحكي واستدلوا على أنه لا يسمع الكلام، وإنما يسمع المتكلم " بقول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ (نور ٢٤)، ولقول الله تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَهِيَ تَنصُرُهُمْ يَقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (الب ٩٠).

والحجة عليهم من العقل أنهم مجمعون معنا على أن حُجَجَ الله على خلقه ثلاث؛ وهي العقل والكتاب والرسول، وهم أيضاً مجمعون معنا على أن الله تعالى تعبد المكلفين بمعقول ومسموع.

فنقول: لا يخلو الكتاب المسموع كله من أن يكون الكلام أو المتكلم

فإن قالوا: هو المتكلم لنفسه " أوحوا أن كل متكلم بالمسموع حُجَّة في ذاته، فيصير كل إنسان ممن يتكلم بالمسموع حُجَّة لله بذاته، فهذا ما لا يتكلم به عاقل " (١).

(١) ساقط في (ش، م، ل)

(٢) في (ب)، هي في الحكاية

(٣) في (ج، د)، ويسمع المتكلم

(٤) في (ت)، ويقول الله تعالى

(٥) زيادة في (أ)

(٦) في (ش)، فهذا مما لم يتكلم به عاقل

وإن قالوا: الحجة الملك الذي لم يفارق القرآن قلبه، أو القرآن الذي هو في قلبه لم يفارقه، قلنا: فليس مسموع^(١)؛ لأننا لم نسمع الملك، وإذا لم ينزل القرآن، ولم يفارقه فليس بحجة، فبطل أن يكون المتكلم حجة، إلا الرسول ﷺ، ونحن فلم نسمعه بذاته، لكن سمعنا كلامه، وما جاء به، إذ لم نشهده، فصح أن الحجة هو الكلام المسموع.

ومن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الاعراف: ٢٠٤]، وقوله: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [المرم: ١]، وقوله: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا صَوْتًا أَنْزَلَ مِنْ عِنْدِ مَوْسَى﴾ [الأعد: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا النَّهْدَىٰ آمَنًا بِهِ﴾ [الم: ١٢]، وأمثال ذلك كثير في الكتاب.

وأيضاً فنقول لهم: أخبرونا عن الكلام الذي سمعه موسى من الشجرة، هل سمع الشجرة ولم يسمع الكلام، أو سمع الكلام؟

فإن قالوا: سمع الشجرة ولم يسمع الكلام. أحالوا وحالوا جميع الأئمة والأمة، وهذا ما لا يقول به عاقل، ولأنه لو سمع الشجرة ولم يسمع الكلام لكانت الشجرة هي الحجة دون الكلام، وهذا ما لا يعقل^(٢) وأيضاً ففي الكلام^(٣) الذي سمعه موسى من الشجرة: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاهْبِثِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [ط: ١٤]،

(١) في (س)، قلنا: ليس مسموع

(٢) في (ج)، وهذا بما لا يعقل

(٣) في (م)، أيضاً هي الكلام وفي نسخة أخرى: وأيضاً وفي الكلام وفي نسخة أخرى: أيضاً وفي الكلام.

فهذا خطابٌ من الله لموسى، وحبرٌ وأمرٌ ونهيٌ، فلو كانت الشجرة مسموعةً والكلام غير مسموعٍ لكانت الشجرة هي: المخبِرةُ الأمرة الناهية. ولو كان الكلام معلوماً غير مسموعٍ وكان الجسم هو المسموعُ وكلامه معلومٌ لكان يُعلم الكلام من المتكلم ومن غير المتكلم، ولما كان للكلام معنى إذا لم يكن مسموعاً، وهذا جهلٌ كبيرٌ^(١) لم يقل به أحدٌ من الناس غير هذه الفرقة، وقد قال رسول الله ﷺ: «إني تاركٌ فكم ما إن تمسكتُم به لن تصنوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الخوض».

وقال ﷺ: «رَبُّوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا». وقال ﷺ: «كُلُّ صَلَاةٍ لَا يُقْرَأُ فِيهَا بِأَمِّ الْكِتَابِ وَسُورَةٍ مَعَهَا» وفي بعض الأحبار: وثلاث آياتٍ معها - فهي حُدُجٌ. وقال ﷺ: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَوْهُمْ بَكِتَابِ اللَّهِ» وروى عن علي (عليه السلام) أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالصَّلَاةِ الْكَثِيرَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ حَامِلُ الْقُرْآنِ، وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالصَّوْمِ الْكَثِيرِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ حَامِلُ الْقُرْآنِ، وَيَسْمَعِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرِفَ فِي لَيْلِهِ إِذَا النَّاسُ يَنَامُونَ، وَفِي نَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ مُفْطِرُونَ، وَفِي حُزْنِهِ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ، وَفِي صَمْتِهِ إِذَا النَّاسُ يَحُلُطُونَ، يَا حَامِلَ الْقُرْآنِ تَوَاضَعْ لِلَّهِ يَرْفَعَكَ اللَّهُ وَلَا تَعَزَّزْ فَيُذِلَّكَ اللَّهُ، وَتَزَيَّنْ لِلَّهِ فَيُزِينَكَ اللَّهُ،

(١) في (ج، د). وهذا جهلٌ كثير

ولا تزين للناس فيضعك الله، انه أفضل لك من كل شيء هو دون الله، من قرأ القرآن فقد قرأ الله، ومن استخف بحق القرآن فقد استخف بحق الله، وحرمة القرآن عند الله كحرمة الوالد على ولده، وحملة القرآن يدعون في التوراة المخصوصين برحمة الله الملبسين سور الله^(١)، المعلمين كلام الله، من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله، يدفع الله عن مستمع القرآن بلوى الدنيا^(٢)، ويدفع الله عن تاللي القرآن بلوى الدنيا والآخرة^(٣). وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): آية من كتاب الله تركها الناس وهي: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وقال ريد بن علي عليهما السلام^(٤): أما بعد

(١) في (ب): الملبسين سور الله

(٢) في (ش): بلاء الدنيا

(٣) زيادة في (أ)

(٤) هو الإمام الأعظم، والطود الشامح الأشم، شهيد أبو الحسين ريد بن علي زين العابدين ابن الإمام الشهيد سبط الرسول الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أحد عظماء الإسلام، وأحد أئمة العلم والعمل وجهاد، والتصحية والعداء ولد (عليه السلام) سنة ٧٥هـ على القول الصحيح، في المدينة المنورة، وبها نشأ الشاة العاهرة، بهي أنمة الإيمان، والعلم والفصل، والطهر والعماف، والرهف والورع، وعبادة والنقى. أخذ العلم عن أبيه السجاد زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام)، وأخيه محمد الباقر، ثم تلمذ للقرآن ثلاث عشرة سنة يقرأه ويستمعه، حتى لقب بحليف العرب، وأصبح بديراً مبراً في سماء العلم، والمعرفة، واتفق عمناء عصره على تقدمه في كل الميادين، وعن تقدمه وتفصيله على سائر أقرانه. وأقام في المدينة المنورة الشطر الأول من عمره الشريف، ثم تنقل بين الحجاز والشام والعراق، يلتقي بالعلماء ويحثهم على الجهاد في سبيل رب العدين، وسابدة الظالمين.

ببيع له بالإمامة سنة ١٢١هـ وقام ودع وخرج محمداً في سبيل الله تعالى، ثائراً على الظلم، والفساد في ليلة ٢٢ من شهر محرم سنة ١٢٢هـ وصارع جيوش الأمويين ليالي متالية، مع عدم التكامل بين الجيشين، وتحلف أكثر وأغلب من بابه عن نصرته

أصيب (عليه السلام) بسهم غائر غادر في جبهته، فلمحق بجده سيد الشهداء الحسين بن علي (عليه السلام)،

يَا قَارِئَ الْقُرْآنِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَتْلُو الْقُرْآنَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، حَتَّى تَعْرِفَ الَّذِي حَرَفَهُ (أَوْهُوَ اللَّهُ تَعَالَى) (١) وَقَدْ لَقِيسَ بِنِ إِِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي مَدِيحِ الْقُرْآنِ: كِتَابٌ أَنْزَلَهُ الرَّحْمَنُ، لِأَعْلَى بِرَحْمَتِهِ مِنَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، فَاقْرَ فِي أَرْضِهِ قَرَارَهُ، وَثَبَّتْ فِي عَمَدِهِ أَنْوَارَهُ... إِلَى قَوْلِهِ: سَمَاوِيٌّ أَحَلَّهُ إِلَهُهُ بِرَحْمَتِهِ أَرْضَهُ، وَأَحْكَمَ بِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِرْصَهُ، وَذَكَرَ قَوْمًا حَرَفُوهُ فَقَالَ: بَلْ حَتَّى كَادَتْ تَجْعَلُ فَاءَهُ أَلِفًا وَأَلِفُهُ فَاءً، لِلْجَهْلِ بِإِلَهِهِ (٢). وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: كَيْفَ بِمَا فِي حَوَامِيهِ مِنْ غَرَائِبِ حِكْمِهِ، وَفِي طَوَاسِيهِ مِنْ عَجَائِبِ مَكُونِهِ، وَفِي (ق)، وَ(طه)، وَ(يس)، مِنْ عِلْمِ حَمٍّ لِلْمُعَلِّمِينَ، وَمَا فِي (كهيعص)، وَالْمُرْسَلَاتِ مِنْ سَائِرِ الْعُلُومِ (٣) الْخَافِيَاتِ، فَبَرِ أَنَّهُ كَلَامٌ، وَأَنَّهُ فِي الْأَرْضِ حَالٌ، وَأَنَّهُ حُرُوفٌ، وَأَنَّهُ مَسْمُوعٌ، لِأَنَّهُ قَالَ فِيهِ: فَإِنَّكَ إِنْ تَسْمَعُ مِنْهُ بِأَدْنِ وَاعِيَةٍ ثُمَّ تَقْبِلُ عَلَيْهِ مَلِكٌ بِنَفْسٍ لِحِكْمَةٍ رَاعِيَةٍ (٤)، تَسْمَعُ صَوْتًا مِنْهُ بِالْهُدَى صَيِّتًا (٥)، وَتَعْرِفُ مَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ حَيًّا مِمَّنْ جَعَلَهُ مَيِّتًا

وَالرَّكِبَ الطَّاهِرَ مِنْ أَهْلِ سَنَةِ، رَافِعًا رُبِيَّةً لِإِسْلَامٍ عَالِيَةٍ خَفَاقَةٍ، مَلْطُوحَةً بِدَمِهِ وَدِمَاءِ الشَّهَدَاءِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَمْ يَكْتَفِ الظَّالِمُونَ بِقَتْلِهِ حَتَّى تَعَاوَدَ بِأَنْ يَشُوهُ مِنْ قَبْرِهِ، وَصَوَّرُوهُ، وَأَحْرَقُوهُ، وَدَبَّرُوا رَمَادَهُ فِي الْبَحْرِ وَأَخْبَرُوهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَثِيرَةً، فَهُوَ إِمَامُ جِهَادٍ، وَمُؤَسِّسُ مَذْهَبٍ، وَمُجَدِّدٌ لِدِينِ اللَّهِ وَنَحْيِي لَشَرِيعَةِ اللَّهِ وَمَا يُدْرِسُ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ لَهُ عَدَّةٌ مَوْضِعَاتٍ، أَشْهُرُهَا الْمَجْمُوعُ الْعَقْدِيُّ، وَالْمَجْمُوعُ الْمَدِينِيُّ، وَلَدٌ طَبْعًا، رَتَمَ بِغَرِيبِ الْقُرْآنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. أَنْتَهَى

(١) رِيَادَةُ فِي (أ)، وَقَوْلُهُ (حَتَّى تَعْرِفَ الَّذِي حَرَفَهُ) يَعْنِي تَعْرِفَ الَّذِي خَلَقَهُ، وَجَعَلَهُ حُرُوفًا، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَحْتَهُ

(٢) فِي (ص)، شَرِّ وَأَلِفُهُ - لِلْجَهْلِ بِإِلَهِهِ - د.

(٣) فِي (ب) مِنْ سَرَائِرِ الْعُلُومِ.

(٤) فِي (أ)، شَرِّ د: بِنَفْسٍ لِحِكْمَةٍ رَاعِيَةٍ. وَفِي (ص): بِنَفْسٍ الْحِكْمَةِ رَاعِيَةٍ

(٥) فِي (س)، شَرِّ: تَسْمَعُ مِنْهُ صَوْتًا بِالْهُدَى صَيِّتًا

وقال ولده محمد بن القاسم عليهما السلام في تفسير قول الله تعالى : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [الب، ١٧٤] ، معى كلام الله لموسى (عليه السلام) عند أهل العلم به أنه أشأ كلاماً أحدثه كما شاء ، فسمعه موسى وفهمه ، ولم يجعل الله بينه وبين موسى ملكاً رسولاً ، وأسمعَهُ النداء فقال : ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الاعمر، ٢٠] ، ونداء غير المتنادي ، والمتنادي هو الله جل ثناؤه ، والنداء غير الله تباركت أسماؤه. وما كان غير الله فهو محدثٌ بعد أن لم يكن.

وقال الهادي للحق (عليه السلام) في كتاب الأصول : وإن القرآن أمره الله على بيته (عليهم السلام) ، وأشأ وحققه ، ووصله وفصله ، وألفه وأحدثه. وقال (عليه السلام) في مسائل الرازي - وقد سأله : كيف يأخذ جبريل الوحي من الله ، وكيف يعلمه ، وكيف السبيل فيه ؟ - حتى يفهمه ؟ - فقال الهادي للحق (عليه السلام) : اعلم هذلك الله أن القول فيه عندما كما قد روي فيه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه سأل جبريل عن ذلك فقال : «أخذه من مَلَكٍ فوقي ، ويأخذه الملك من مَلَكٍ فوقه ، فقال (صلى الله عليه وآله) : كيف يأخذه ذلك الملك ويعلمه ؟ فقال جبريل صلى الله عليه وآله : يُلقَى في قلبه إلقاءً ، ويُلهَمُه إلهاماً».

قال الهادي إلى الحق (عليه السلام) : وكذلك هو عندنا أنه يُلهَمُه الملك الأعلى إلهاماً. فيكون ذلك الإلهام من الله وحياً ، كما ألهم تبارك وتعالى النحل لما تحتاج إليه ، وعرفها سبيلها^(١).

(١) في (ش) : إله.

(٢) في (ش ، م ، س) : وعرفها سبيلها

وسأله : كيف كان الكلام من الله لموسى صلوات الله عليه ؟

فقال **(عليه السلام)** : كان معنى ذلك أن الله تعالى خلق له كلاماً في الشجرة سمعه موسى بأذنه ، كما كان يسمع ما يأتي به الملك إليه من وحي ربه ، فكان فهم موسى - صلى الله عليه - وسماعه لذلك الكلام الذي شاء الله إسماعه إياه لما أريد من كرامته واجتبابه ، ففي ما هاهنا كفاية^(١).

ولم يقل أحدٌ مثل مقالة هذه بفرقة ؛ إلا أن قوماً من المحبرة قالوا في القرآن قريباً من قول هذه الفرقة ؛ في أن القرآن ليس بمسموع ولا هو كلامٌ ، ولا هو حروفٌ ، وقالوا : هو قديمٌ ، وهو معنى في النفس . فاحتج عليهم السيد أبو طالب **(عليه السلام)** في التبصرة في كتاب الهادي فقال : وأيضاً فإن كلامه تعالى لا يحلو من أن يكون من جنس الكلام

(١) في (م. ي) : فهي بعض ما هاهنا كفاية

(٢) هو الإمام الساطق بالحق ، أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون بن الحسين بن عطاء الإسلام ، وأتمه الريدية الكرام ، كان إماماً ، عادياً ، مجتهداً ، محدثاً ، حافظاً ، مجاهداً مولده بأمل طبرستان سنة ٣٤٠ من الهجرة النبوية . وشأ عن الطهر والعلم والصلاح ، فتسابق مع أخيه الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين بن هارون على طلب العلم ، وكان شيخهما الحافظ الحجة أحمد بن إبراهيم المشهور بأبي العباس الحسني ، حيث أخذوا عنه علوم الريدية ، وأصبحا علميين مصنفين في شتى العلوم

قام بأمر الإمامة بعد وفاة أخيه الإمام المؤيد بالله سنة ٤١١ هـ ويومع له في بلاد الديلم ، فأقام عمود الدين ، وجاهد في سبيل الله ، وحكم بعدل ، حتى توفي - رضوان الله عليه - سنة ٤٢٤ هـ عن سبع وثلاثين سنة ، وله عدة مؤلفات ، منها : الأمالي ، وهي المعروفة بأمالي أبي طالب ، وقد رتبها القاضي جعفر بن عبد السلام رضي الله عنه ، وسمّاها (تيسير الطالب في أمالي أبي طالب) وقد طبع ، وله كتاب التحرير في الكشف عنصوص الأئمة المحارير (طبع) ، والإفادة في تأريخ الأئمة السادة (طبع) وغير ذلك من المؤلفات النعيسة رضوان الله عليه . انتهى

المعقول فيما بيننا، وهو أن يتركب من جسس الأصوات والحروف، أو مخالفاً لذلك، فإن كان من جسس لأصوات والحروف وإلا لم يكن يدرك الأجسام والأعراض، فلا شبهة في حدوثه، وإن كان مخالفاً لذلك لم يصح أن يكون كلاماً وأن يفهم به شيء، فالمثبت لكلام مخالف للكلام المعقول فيما بيننا، فإنه في حكم من يُثبتُ جسماً مخالفاً للأجسام المعقولة فيما بيننا، ويثبتُ مع الله تعالى جسماً قديماً مخالفاً لساائر الأجسام. ومن يزعم أن الكلام معنى في النفس، وأن الحروف المسموعة دلالة عليه، فهو في التجاهل بمنزلة من يزعم أن الصوت معنى في النفس، وأن المسموع منه دلالة عليه؛ وأن اللون معنى في النفس، والمرئي منه دلالة عليه^(١)، فتبين جهل من يقول بهذه المقالة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ نَأْخُذَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَتَجَارَكًا فَلَهُمْ حَتَّى يُسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّفَاقَهُ مَأْنَهُ﴾^(٢) ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه سمع خفق نعلٍ وهو يُصلي، وهو ساجدٌ، فلما كثر غ من صلاته قال: «من هذا الذي سمعت خفق نعله»، فقال أنا يا رسول الله، قال: «فما صنعت؟» قال: وجدتك ساجداً فسجدتُ لمعك^(٣)، قال: «هكذا فاصنعوا، ولا تعتدوا بها، ومن وجدني قائماً أو راكعاً أو ساجداً فليكن معي على حالتي التي أنا عليها» فبين أنه سمع خفق النعل، وحقق النعل هو غير النعل.

وقول من يقول: إن كلام الله لا يُسمعُ مكذبٌ لكتاب الله، وقد قال السهادي إلى الحق (عليه السلام) في كتاب المسترشد: فلما سمعت

(١) في (س، ش). والمرئي دلالة عليه

(٢) زيادة في (ش، ع، ل)

حاسة الأذن صوتاً علم السامع أنه له مُصَوِّتاً منه كان، ومن بعد
خروجه من حلقه بأن لسامعه. وهذا عكس ما قالوا: من أن المتكلم^(١)
يسمع ويعلم الكلام، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَخْفَىٰ مِنِّيْ هُمْ وَلَا يَخْفَىٰ مِنْ بَآرِئِهِمْ شَيْءٌ﴾
﴿الأنعام ١٢١﴾، فيس أن الجسم معلوم، وأن الصوت
مسموع، وقد قال تعالى ﴿فَلَمَّا أَخَذُ النَّاسُ عِمْشِي الْكُفْرِ﴾ [آل عمران ١٥٢]،
بمعنى سمع منهم الكفر، فصح أن لكلام محسوس، وفي هذا بيان لمن
كان له قلب، ولا يمتنع أن نقول: سمعاً زيداً يتكلم، بمعنى أنا سمعنا
الكلام منه، وأنه مُسْمِعٌ، وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا مُدَادِيًا
يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران ١٨٣].

الفصل

في الكلام في الألوان والطعوم والروائح

اعلم أن هذه أعراض؛ وهي صفات ضرورية للأجسام، والدليل
على أنها أعراض أنها لا تقوم بنفسها^(٢)، وأنها تبطل بأضدادها؛
وكذلك الضياء والظلمة، واللين والحسونة، والحرارة والبرودة. ومعرفة
هذه الجملة فروع^(٣)، ومن تأول في الفروع فأخطأ لم يُحكم عليه باسم
الكفر، ولا يُحكم عليه باسم الفسق، ولا يُحكم عليه بأنه
مُعاقبٌ بذلك.

(١) في (ش): بأن المتكلم

(٢) في (ش، ع، ب): بأنفسها.

(٣) يعني أن هذه الجملة هي من المسائل الفرعية، فكما حكم معرفتها كحكمها تمت.

فأما الأصول فإن من تأولها فأخصاً فإنه معاقبٌ مأثومٌ. فإن كان في خطائه مخالفاً للمسلمين، موافقاً فيه للكافرين، فهو كافرٌ لموافقة الكافرين^(١) في قولهم، مثال ذلك: من زعم أن القرآن قديمٌ، ومن يزعم أن الله يُرى يوم القيامة (بالأعين)^(٢)، ومن يزعم أن الله أجبره على فعله^(٣)، وهؤلاء قد حالفوا المسلمين، ووافقوا الكفار في قولهم أما موافقة الكفار^(٤) فإن الكفار اثنوية ادَّعوا إلهين قديمين، وهؤلاء يقولون. القرآن قديمٌ مع الله، فاشتوا إلهين قديمين والذين يقولون: إن الله يُرى يوم القيامة وافقوا الكفار في بوهتهم أن الله يُرى بالأعيان فقالوا: يا موسى (أرنا الله جَهْرَةً) ومن يزعم أن الله أجبره^(٥) على فعل القبيح والحس، فإنهم وافقوا الكفار في قولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْرَصَكُنَا﴾ [١٤٨: ١١٤] ووافقهم الكافرين لحالفوا المسلمين. ومن كان في خطائه وتأويله^(٦) موافقاً للقاسقين مخالفاً للمؤمنين فهو فاسقٌ، من ذلك: من يتأول خلاف الكتاب والسنة والإجماع وليس معه علمٌ من الكتاب والسنة والإجماع، فيكون فاسقاً لحكمه^(٧) بخلاف ما أنزل الله: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [٤٧: ١٥٨].

(١) في (ب). لموافقة الكافرين.

(٢) ساقط في (ص، ش).

(٣) في (ش). جبره على فعله.

(٤) في (ب). أما موافقتهم الكفار.

(٥) في (ص، ش). أن الله أجبره.

(٦) في (ج، د، ل). ومن كان خطاؤه في تأويله.

(٧) في (ج). بحكمه.

فأما من تأول في مسائل الاجتهاد فأخطأ فلا إثم عليه إذا لم يجد المسألة في كتاب الله، ولا في سنة رسوله ﷺ، ولا في الإجماع، وكان عالماً بالكتاب والسنة والإجماع.

ويؤيد هذا ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «بِمَ تحكم؟» قال: بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد؟» قال: فبسنة رسول الله، قال: «فإن لم تجد؟» قال: فأجتهد رأيي لا آلو اجتهداً، فقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لِمَا وَفَّقَ لَهُ رسول الله». والصفات التي ذكرها^(١) هي من مسائل الاجتهاد، وليس في الكتاب ولا في السنة أن الله تعبد الخلق بمعرفتها. وقد اختلف فيها العلماء من العامة، وفي غيرها من الأعراض

فقال أبو الهذيل^(٢)، ومعمري: ومن قال بقولهما بالأعراض وأثتوا جوهرًا قابلاً للأعراض، قالوا: والدليل على الجوهر أنهم لمَّا رأوا البصرة حصراء وعينها قائمة، ثم رآوها حمراء وعينها قائمة علموا أن ثمَّ معنى وجوهرًا قابلاً للألوان، ومُحال أن يكون اللون والطعم جسمًا واحدًا، ومُحال أن يكونا جسمين في مكان واحد.

(١) ي (ش، ي) التي ذكرناها

(٢) هو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول - بعلادي، أبو الهذيل العلاف، شيخ البصرة، من المعتزلة، سمي بالعلاف لأن داره ببصرة عند سوق العلف ولد سنة ١٣١هـ، أخذ الكلام عن عثمان الطويل، وعثمان عن وصل، وروى الحديث عن محمد بن طلحة، وأخذ عنه الكلام أبو يعقوب الشحام، وليس بذلك في الرواية

قال ابن خلكان: له مجالس ومناظرات، وهو من موالي عبد القيس، حسن الجدل، قوي الحجة، كثير الاستعمال للأدلة الإنشائية قال الحاكم: أسلم على يده سبعة آلاف نفس توفي بسر من رأى سنة ٢٣٥ من الهجرة النبوية، وقيل غير ذلك.

وقال هشام بن الحكم^(١) ومن قال بقوله، وأبو بكر الأصم ومن قال بقوله: ليس في العالم عرص^(٢) لأنه لا يُعقل إلا الجسم الطويل العريض الشاغل للمكان، ومُحال أن يكون ليس بشاغل، ومن ثم^(٣) تفوا الأعراض.

وقال بشر بن المعتمر^(٤) ومن قد بقوله: اللون والطعم والرائحة والصوت والحس وما أشبه ذلك أعراض وأن جوهرًا قابلاً لها، وزعموا أن الحركة ليست بأعراض ولا أحسام؛ لأن الأعراض تنقضي زمنين^(٥)، والحركة لا تنقضي زمنين ماضٍ وحال. قال: وقد كفانا أبو الهذيل مؤنة مناظرتهم ذكر الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى عليهما السلام في كتاب النجاة^(٦): أنهما الهذيل ناظر حفصاً

(١) هشام بن الحكم الرافضي، من النخبة العجمية، أدرك برسم المأمون، الخليفة العباسي سنة ٢١٨ هـ وله أنواع يعرفون بالهشامية.

(٢) في (ث). ليس ثم في العالم عرص.

(٣) في (ج): فمن ثم.

(٤) هو أبو سهل بشر بن المعتمر الهلالي، أبو عمرو، من النخبة السادسة، وكان رئيساً للمعتزلة في بغداد في عصره، وليل إليه من أهل الكوفة ومن تلاميذه ثمانية وبلغ الرشيد أنه شيعي فحبسه، فقال في الحبس شعراً، ثم أفرج عنه انتهى.

(٥) يعني ماضٍ وحال.

(٦) هو الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهو أحد الأئمة الأعلام عالم، عامل، مجتهد، مجاهد، ورع، زاهد، عادل، سخي، شجاع، اجتمع فيه شروط الإمامة العظمى، فتولاها بعد اعتزال أسقيه الإمام محمد المرتضى سنة ٣٠٣ هـ، وكانت حياته في جهاد واجتهاد، وعلم وعمل، حتى توفاه الله بصعدة سنة ٣٢٥ من الهجرة النبوية، وأخاره وصافه كثيرة، وله مؤلفات كثيرة في كل العلوم، وإلى الآن لم يطبع منها إلا كتاب النجاة انتهى.

من أصحاب بشر بن المعتمر - وقد نعى الحركات ، فقال له أبو الهذيل :
أحبرني كم حدّ الزّاني؟ قال حفص : مائة جلدة. قال أبو الهذيل : فكم
حدّ القاذف؟ قال حفص : ثمانون. قال أبو الهذيل : فأحبرني هل الجلد
هو الخلاد^(١)؟ قال حفص : لا. قال أبو الهذيل : فهل هو حنب
المخلود^(٢)؟ قال حفص : لا. قال : فهل هو السّوط؟ قال : لا. قال
أبو الهذيل : فأرني لا شيء ، راد عني لا شيء عشرين فانقطع حفص
ولم يجد جواباً

وقال إبراهيم النّظام^(٣) ، ومن قل بقوله : إن الألوان وما أشبه ذلك
أجسام ، وإنه ليس في العالم إلا جسم ، إلا الحركات فإنها أعراض ،
قالوا : والدليل على ذلك أنه لما رُوي الجسم الطويل العريض العميق ،
فمن حيث ما رُوي الجسم واللون فيه فكان كذلك اللون جسماً طويلاً
عريضاً عميقاً.

هذا ما علمناه من خلاف المتقدمين من أهل الإسلام. فأما أهل
البيت^(عليهم السلام) فلا خلاف بينهم في العرض وثبوته ، وأنه مُدركٌ إلا
الحركات. وأن المُدركَ بالحواس تسعة : الألوان ، والروائح ، والطّعم ،

(١) في (ش ، ع) فأخبرني عن الخلاد هو الخلاد

(٢) في (ب ، ح ، د) فهل هو جث المخلود

(٣) هو إبراهيم بن سيار النّظام ، المصري ، أنور إسحاق ، يقال هو مؤلف قال الإمام
المهدي^(عليه السلام) في شرح الملل والنحل : قيل إنه كان لا يكتب ولا يقرأ ، وقد حفظ التوراة
والإنجيل والزيور مع نصبرها قد احاطت ما رأيت أحداً أعلم بالعقده والكلام من النّظام
وهو من الطبعة السادسة من المترية انتهى وسمي نظاماً ، لأنه كان ينظم الكلام ، وقيل
كان ينظم الخمر ، ونوفي سنة بضع وعشرين ومائتين من الهجرة النبوية. انتهى

والحرارة، والبرودة، والرطوبة، وليوسة، والأصوات، والآلام،
وسنورد أقوالهم في ذلك في موضع الاحتجاج - إن شاء الله تعالى -
على مخالفتهم.

وقالت المطرفية: الأعراض كلها تعلم ولا تدرك بالحواس، وقالوا:
هي لا تحل ولا تحل ولا تتوهم، وثبتوها شيئاً لا يرى.

وقالوا: لا يرى اللون ولكنه يعلم، ولا يسمع الصوت لكنه
يسمع الجسم المصوت، ولا يدرك عندهم الطعم، ولا الرائحة،
ولا الحرارة، ولا البرودة، ولا الآلام، لكس تدرك الأجسام
وتعلم الأعراض.

فأول ما يحتاج به عليهم من العقل أن الله قد خلق للإنسان، وغيره
من الحيوان خروفاً في حسده إما يدخل ويخرج. فمناها ما خلق إما
يدخل ويخرج لصالح العبد وهو الفم والمنخران، فالداخل هو
المطعم، والمشروب، والرائحة، وما يستشق من الهواء. والخارج:
الأنفاس، والقيء، وشبهه. ومنها ما خلق إما يخرج وهو السيلان.
ومنها ما خلق إما يدخل وهما الأذنين، ولا خلاف في ذلك.

فنقول لهم: أخبرونا عن هذا الداخل في الأذنين ما هو أجسم
أم عَرَص؟

فإن قالوا: جسم قلنا: وأي الأجسام هو؟ أقولون: هو المتكلم
على الكمال، أو جزء من جسمه؟

فإن قالوا: هو الإنسان على الكمال، فالخرق ضيق لا يسه.

وأيضاً فلم يتنقل من موضعه الذي يتكلم فيه^(١) إلى أذن السامع.

وإن قالوا: الداخل هو جزء منه. قلنا: هذا باطل من القول أن يكون الإنسان بعصه مستقراً وبعضه متقللاً^(٢)، فبطل^(٣) دخول الجسم من هذا المعنى، وصح أن الله تعالى ما جعل خرق الأذنين إلا طريقاً للأصوات دون المصوتين

فإن قالوا: فإذا قلتم: المرص مسموع فكيف يدخل العرض في أذن السامع، والعرض لا يقوم بنفسه؟ قلنا: إنا قد بينا الكلام فيما تقدم أن الهواء هو الذي يحمل الأصوات، وقد فطره الله على حمل الأصوات، والدخول بها في الأذان السامعات، وهو شبحها بعد انقطاع كلام المتكلم، والمتكلم شبحها في حال كلامه.

ومما يدل على أن الهواء هو الذي يحمل الأصوات: أن المصوت إذا كان مترجاً من المستمع، لم يسمع المستمع الصوت عند نطق المصوت به، بل يلبث على قدر بعده، وذلك مشاهد فيمن يصر بربرة في حجر أخوف أن المستمع له من مكان بعيد يراه عند ما يهوي بالزبرة إلى الحجر، ولا يسمع صوت الزبرة هوي للضرب، بل يسمعه بعد، فلما كان الصوت يلبث شيئاً، علمنا أن الهواء هو الذي يلبث به، وقطع به المسافة^(٤)، ومما يؤيد ذلك أن الرياح ترد إذا قابلته.

(١) في (ب): الذي تكلم منه.

(٢) في (ش، ل): وبعضه متقللاً.

(٣) في (ص): فبطل. وفي (ش): وبطل.

(٤) في (ص): قطع به المسافة.

ومما يُبين لك أنَّ الهواء هو الذي يحمل الأصوات أنَّ المُنادي قد ينادي في عسكرٍ كثيرٍ يكون فيه أَسُوفٌ من النَّاسِ، فيسمع كلُّهم صوته، فلم يكن المصوتُ ينقسم بين أُلُوفٍ من الآذان فصح أن الهواء هو الذي يحمل الصوت^(١)

ودليل آخر: أنه لا يُعلم الكلامُ من غير طريق السمع، ألا ترى أنَّ الأصمَّ، ومن يَسُدُّ أذنيه لو رأى إنساناً يُحرِّكُ لسانه وشفثيه بغير كلام أنه لا يفرق بينه وبين من يتكلم، فبطل قولهم: أنَّ المتكلم يُسمع ويُعلم الكلام. وقد قدما الاحتجاج عليهم من كتاب الله^(٢) في هدا، ومن سُنَّة رسول الله ﷺ، ومن أقوال الأئمة الهادين^(٣)

فأما قولهم: إنَّ العرضَ شيءٌ لا يُوهَمُ^(٤) ولا يُحَلُّ ولا يُحَلُّ، وهو يُعلم ولا يُحسُّ؛ ولأنهم يقولون في العرض: كونه قنأه، فإنهم لو نفوا العرض ولم يثبتوه^(٥) شيئاً معلوماً لكان أصلح لهم وأوفق لهم من أن يصفوه بصفات الله تعالى؛ لأنَّ الله شيءٌ يُعلم ولا يُحَلُّ ولا يُحَلُّ ولا يُحسُّ ولا يُوهَمُ، وقد غلطوا في هدا غلطاً كبيراً؛ ولأنه إذا لم يكن حالاً في الجسم فليس هو في الهواء، ولا في الأرض، ولا في السماء، وإذا لم يكن في الهواء، ولا في الأرض، ولا في السماء

(١) في (ب، ت): الأصوات

(٢) في (ش، م، س): الاحتجاج من كتاب الله عليهم

(٣) في (ه): إنَّ العرض لا يُتوهَم

(٤) في (ش): ولم يثبتوا

(٥) في (ش، ع): لا يحل

فعدمه ووجوده (على) "سواء"، ولا معنى له ولا نفاعه فيه

وإذا لم يكن أيضاً محسوساً، ولا مؤهوماً، لم يكن مشابهاً للأجسام
ولا للأعراض^(١)؛ وكان متزهاً عن لقصان والأعراض^(٢).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في الدرة اليتيمة: (ما تُحِيلُ فالتشبيه له
مُقَارَنٌ، وما تُوهَمُ فالتنزيه له مَبَايِنٌ) وهو يريد بذلك أن الله تعالى لا
يُتَخِيلُ، ولا يُتَوَهَّمُ. فإذا كان العرضُ بهذه الصفة، فالتشبيه له مَبَايِنٌ،
والتنزيه له مُقَارَنٌ، ولم يقل أحدٌ من هذه المقالة^(٣) غير هذه الفرقة
ولأنهم أقرُّوا بالعرض ثم نفوه؛ فقلُّوا: الجسم هو الهواء وما حوى
من الأرض والسماء وما بينهما من جميع الأشياء، فإذا لم يكن في
الهواء، ولا في الأرض، ولا في السماء^(٤) ولا بينهما، ولا هو من
الأشياء التي بينهما، فليس هو بشيء يُعْلَمُ^(٥) فمن هاهنا نفوه.

واعلم أن هؤلاء القوم قد أصَّلَ لهم مشابِهُهُمْ في الكلام أصولاً،
وبسوا عليها، وعرفوها وأنكروا سواها، وصارت ديناً لهم لا يرون
الخروج منه أصلاً، ولا يقبلون فيه حجةً مُحْتَجٌّ عليهم^(٦)، بل يسبون
من قال بغير قولهم إلى الجهل والخطأ، ولا يرون أن تُنْقَضَ أصول

(١) زيادة في (ب، ت، ع، م)

(٢) في (ي) للأجسام والأعراض وفي (ص) للأجسام ولا الأعراض

(٣) في (و)؛ والأعراض

(٤) في (ب، ص، س، ش) بهذه الصفة

(٥) في (ج)؛ فليس هو شيء يُعْلَمُ

(٦) في (ب، ت)؛ حجة من يحتج عليهم

مُشَايخَهُم الَّتِي أَصْلَوْهَا، وَلَوْ كَانَتْ نَاقِضَةً لِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ^(١)، وَلَا يُلْزِمُهُمْ مَا يُحْتَجُّ بِهِ^(٢) (عَلَيْهِمْ)^(٣) (مِنْ كِتَابِ اللَّهِ)^(٤)، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ يَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ حَلَقَهُ اللَّهُ فِي غَيْرِ مَحَلٍّ، وَلَيْسَ يَتَعَلَّقُ بِحَيٍّ وَلَا مَحَلٍّ، وَفَتَحَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ^(٥) مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٦)، فَقَالَ: هَذَا فَرَعٌ، وَقَامَ وَلَمْ تُلْزَمْهُ حُجَّةُ الْقُرْآنِ^(٧)، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ^(٨) اسْتَكْثَرُوا عِلْمَ نَفُوسِهِمْ^(٩)، وَاسْتَقْلَوْا عِلْمَ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِمُ الدِّينِ هُمْ فِي عَصَرِهِمْ، وَجَهِلُوا عِلْمَ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ. وَإِذَا عَلِمُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، أَوْ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، أَوْ مِنْ أَقْوَالِ الْأَئِمَّةِ الْهَادِينَ شَيْئًا يَنْقُضُ عَلَيْهِمْ أَصُولَهُمْ تَأَوَّلُوهُ عَلَى مَا يُوَافِقُهُمْ.

وَقَدْ رَوَى عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ لَصَادِقٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: أَنَّ سُذِيرًا الصَّيْرَفِيَّ دَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا بَالُ هَذَا الْإِخْتِلَافِ الَّذِي نَسْمَعُهُ بَيْنَ أَهْلِ الْحِلَّةِ مِنَ الشَّيْعَةِ، وَكَيْفَ اخْتَلَفُوا فِي أَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ، وَأَنْتَ بَيْنَ طَهْرَانِيهِمْ، وَأَمْثَالِكَ مِنَ الْأَئِمَّةِ؟ فَأَطْرَقَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ: يَا سُذِيرُ، أَمَا قَوْمٌ رَدُّوا مَا سَمِعُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ

(١) فِي (ل). وَلِسَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(٢) فِي (ص، ع): مَا يَحْجُجُ بِهِ

(٣) سَاقَطَ فِي (ص، ع)

(٤) سَاقَطَ فِي (ش).

(٥) فِي (ع): فَانْصَحَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ

(٦) فِي (ص): وَلَمْ يَلْتَزِمْ بِحُجَّةِ الْقُرْآنِ. وَفِي (ن): وَكَأَنَّهُ لَمْ يَلْزَمْهُ حُجَّةُ الْقُرْآنِ.

(٧) فِي (ب، ش، ع): وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ

(٨) فِي (ع): عِلْمَ أَنْفُسِهِمْ

إلى مقاييس عقولهم استصغاراً لكلام أئمتهم، واستكباراً لأنفسهم^(١)،
وإني لأحدث أحدهم بالحديث من العلم، فلا يخرج من عندي حتى
[يكون] قد تأولته وفسره على محبوب نفسه، وقاسه بتمييزه وفكره،
ويزعم أن لذلك باطناً غير ظاهره، وأن الباطن هو الذي كُلفَ
معرفته، حتى كأن الله عز وجل قد وكل جميع الخلق إلى
نظره وتمييزه).

ومن أصولهم التي أصّلوها أنهم قلوا: إن العرض شيء موحود،
وقالوا: ليس بحال في الأجسام، ولا هو يومهم ولا يُحس. وقالوا:
إنهم يسمعون المتكلم سماع حس، ويسمعون الكلام سماع علم.
وقالوا: ليس يُسمع القرآن، وإنما يُسمع القارئ، وهذه الجملة لا
خلاف عندهم فيها وإنما اختلفوا في نزول القرآن، فقال بعضهم:
ليس هذا الذي مع الناس القرآن، وإنما هو سليل عليه
وقال بعضهم: هو القرآن، لكنه لا يُسمع^(٢)، وإنما يُسمع القارئ،
ويُعلم القرآن.

وقالوا جميعاً -إلا الأقل منهم: نقرآن في قلب الملك الأعلى حالة
له، صفة ضرورية لا يفارقه. والعرض الضروري عندهم هو الذي لا
يفارق شححه.

ثم نقضوا هذه الأصول فقالوا: العالم هو الهواء، وما حوى من
الأرض والسماء وما بينهما من جميع الأشياء، فنقوا العرض بعد ما

(١) في (ص، ش) واستكباراً لأنفسهم

(٢) في (م): لكنه لم يُسمع

أثبتوه، إذ جعلوا جميع العالم وما كان فيه جسماً، فنقضوا قولهم: (إن العرض شيء موجود)، وقالوا: القرآن في قلب الملك واللون في الملون، فأثبتوا حلول العرض في الجسم ونقضوا قولهم: (إن العرض لا يحل في الجسم). وقالوا: إن الله تعبد خلقه بمعقول ومسموع، فنقضوا قولهم: (المسموع هو السمع)، ولأنهم لا يقولون: إن الله تعالى تعبد خلقه بسمع.

ومن الرد عليهم في قولهم: ليس العرض بحال في الجسم: من كتاب الله تعالى قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَحْذُوظٍ﴾ [الروم ٢١، ٢٢] وقوله: ﴿وَالطُّورِ ۝ وَصَحَابِ مَسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ﴾ [طور ١-٣] وقال: ﴿هَلْ لَّهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي شُجُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ هَكَّرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَيَّةَ حَيَّةً آجَاهِيَّةً﴾ [الحجرات ٢٦] وقال: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة ١٠]، وقال: ﴿فَلَيْتُمْ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الحجرات ١٨]، وقال: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ﴾ [النمل ١٢]، فدللت هذه الآيات على أن العرض يحل في الجسم؛ لأن كون العرض في الجسم يوجب حلوله فيه؛ لأن (في) حرف يوجب التضمن، وحل الشيء في الشيء.

وقد اسدلت المشبهة على قولهم: (إن الله في مكان) بقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَلُورُ﴾ [سك ١٦] وتأويل هذه الآية عندنا: أم أمتم إله من في السماء. وتأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزمر ٨٤] أنه إله من في السماء، وإله من في الأرض. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر».

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لأن الصفة على نفسها تدل وفي غيرها تحل). وقال القاسم بن إبراهيم عليهما السلام في القرآن: سَمَاوِيٌّ أَحَلَّهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ أَرْضَهُ. وقال لهادي إلى الحق (عليه السلام) في صفة الإنسان: ثم علق^(١) في صدره قلب، وركب فيه لباً، وجعله وعاء للعقل الكامل، وحصناً للروح الجائل.

وأما قولهم: ليس العرض يوهم ولا يحس، وإنما يحس الجسم ويُعلم العرض، فمن الرد عليهم: أن الهائم عندما وعندهم لا عقول لها تعلم بها وتميز، وقد رأياها بشاهدة تسمع الأصوات. وقد حكى الله تعالى أنها تسمع الدعاء قال عز من قائل: ﴿وَمَنْ أَذِينَ هَكَرُوا صَكَّاهُ الَّذِي يَتَّبِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا أَهْوَاءَ وَهْوَاهُ مِنْهُمْ هَتَمَ هَتَمَ لَا يَتَقَلَّبُونَ﴾ [سورة ١٧١]، فص الله على أنها تسمع الدعاء والنداء، والدعاء غير الداعي، والنداء غير المبادي بالإجماع، فصع أنها تسمع الأصوات وقال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْوَعْدَ وَلَا تَسْمَعُ الْعَهْدَ إِذَا وَلَّوْا مُتَبَرِّينَ﴾ [سورة ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنَادُونَ﴾ [سورة ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿فَتَنَا لَحْسَ عِيْنِي مِنْهُمْ الْكَفَرُ﴾ [سورة ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَنْ نَحْسَ مِنْهُمْ مِنْ أَقْدَرِ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [سورة ٩٨]، وقال المؤيد بالله، وروي عن القاسم عليهما السلام أنه قال: الرُّكْزُ: الصوت، ذكره في جواب مسائل سُئِلَ عنها وَسُئِلَ (عليه السلام) عن قول الله: ﴿وَحُشِّنَتِ الْأَمْثَاتُ لِلرُّحْنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [سورة ١٠٨]، قال^(٢): الهمس هو حس الأقدام، الذي ليس معه

(١) في (ص): ثم خلق.

(٢) في (أ): وقال وفي (ص) فقال

صوتٌ ولا كلامٌ وقال المؤيد بالله - قدس الله روحه - في شرح التجريد: الرُّكْرُ الصوتُ الحسيُّ، وقال الله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُونَ﴾ حسيتها [الاب، ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُونَ بِهَا لَقَوْا وَلَا تَأْتِيَا إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الرحمة ٢٥-٢٦]، وقال تعالى: ﴿إِذَا أَلْقَا بِهَا سَمِعُوا لَهَا شَيْئًا وَهِيَ كَهَرٌ﴾ [الك ٧]، وهذا في القرآن كثير إذ كان يلزمهم

وللهادي إلى الحق (عليه) في المسترشد أقوالٌ تبين أن الأعراض تُحسُّ، أعني: ما كان منها محسوساً مثل الأصوات والروائح والذوق واللون وتدل على أن العرص يحلُّ في الجسم، وتدل على أن الصوت يُسمع ويُعلم المصوت، بخلاف قول المطرقيّة، وتدل على أن العقل غير القلب، وأنه حالٌ في القلب. فمن ذلك قوله (عليه) في صفة العيسر: جعلهما الله - حلَّ لِحِلَالِهِ عِيسٍ أن يحويه قولٌ أو يناله شحمتين اختصَّ أوساطهما بالسواد إلى قوله: (فلو كان مكان سواد أطاقهما ناصعاً بياضاً بطاقهما لقصرنا عن بلوغ مناظرهما)، فصرح أن للسواد مكاناً، والمكان محلٌّ، فصح أن اللون يحلُّ في الجسم ثم قال (عليه): (ثم جعل فيهما - من بعد إتقان تديرهما - شعراً مُسنوداً طاهراً عليهما، ليزيد سواده في قوّة نظرهما)، فبيّن أن السواد مرثيٌّ. وقال (عليه) في صفة الأنف: (وجعله هواءً معتدلاً سواءً، ولولا ما دبّر فيه، وركّب^(١) من الإحكام عليه لم يُؤدِّ بلطيف اعتباره، ودقيق اختياره^(٢) المحسوس إلى قراره) فبيّن أن الرائحة مدركة بحاسة الأنف.

(١) في (ت): وركّبه.

(٢) في (ي): ودقيق اختياره

وقال (عليه السلام) في ذكر الطعم، وحاسة الذوق: (وأجرى فيه عذوبة ريقه ليميز بين مختلف ذوقه)، فيبين أن الذوق مدرك بحاسة الفم.

وقال (عليه السلام) في صفة السمع: (والسن لفي^(١) أرجاء السمع أذنناً لاستقرار جَوْلَانِ الوَحْيِ في مجاله، وإزاحة الشك النازل به وإبطاله، ثم عطف سبحانه أطراف غضروفهما على المواطن من خروقيهما لِلْحَقِّ جَوْلَانِ الأصوات، ولئلا ذلك لعجزت عن إدراك المقالات^(٢))، فيبين أن الأصوات مدركة بحاسة الأذن، وصرح بالقول فيه بخلاف قول المطرفية

وقال (عليه السلام): (فلما سمعت حاسة الأذن صوتاً، علم السامع أن له مَصَوْتاً)، فنصر وصرح بالقول بأن الصوت يُسمع وأن المصوت يُعلم، بخلاف قولهم.

وقال (عليه السلام) في صفة القلب: (ثم علق في صدره قلباً وركب فيه لباً ثم جعله وعاءً للعقل الكامل، وحصناً للروح الجائل)، فدل على أن العقل غير القلب، ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسول الله ﷺ، وفي قول الأئمة^(٣) الهاديين (عليهم السلام)، وهو إجماع أهل البيت (عليهم السلام)، وإجماع الموحدين من المعتزلة، وغيرهم من المسلمين.

وأما قول الله تعالى: ﴿بَلَا سَوْفَ نُنَايِهَا بِمَا بَدَى لِلْإِيمَانِ﴾ [المرج: ١٩٣]، وقوله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ هِيَ بِذِكْرِهِمْ﴾ [الب: ٦٠]، فالمراد به بأنهم علموا

(١) ريادة في (أ)

(٢) في (ب). عن درك المقالات

(٣) في (هـ، ي)؛ وفي أقوال الأئمة

المُنَادِي، وسمعوا النداء، كما قل الهادي إلى الحق (عليه السلام) : فلما سمعت حاسة الأذن صوتاً علم السَّمْع أن له مُصَوِّتاً.

وأيضاً فإن في القرآن^(١) دلائل كثيرة، مثل قوله تعالى : ﴿وَإِذْ سَرَقْنَا إِلَيْكَ حَبْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الجن ١٨] ، وقوله : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن ١٨] ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا صَكَّابًا أُنْزِلَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ [الجن ٣٠] ، وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا النَّهْيَ لَمَّامًا بِهِ﴾ [الجن ١٣].

وقال الهادي إلى الحق (عليه السلام) في جوابه لابنه محمد بن يحيى عليهما السلام^(٢) - وقد سأله عن النوبة والإمامة - فأجابه عن ذلك ثم قال : (إن الله سبحانه تعبد عباده بمعقول ومسموع، فالمعقول ما أدرك بالميمير والظفر بالعقول، والمسموع فهو ما يُسمع بالأذان^(٣) من المسموع المؤدى عن نبي أو وصي أو إمام مهتد، وإذا كان فرض الله وتعبد له لخلق بالمسموع، وكانت حاجة السامع إلى تأدية المسموع^(٤) لازمة، إذ كانت^(٥) حاجة الاستماع على المستمع واجبة، فيس أن المسموع غير المُسْمَع ؛ ولأنه ذكر المسموع والمُستَمِع والسَّامِع^(٦)، ويبين أن المسموع هو المؤدى عن نبي أو وصي أو إمام مهتد فصَحَّ ما قلناه. وأما قولهم : إن القرآن لم يفارق قلب الملك، وأن هذا الذي معنا

(١) في (ل) : وأيضاً في القرآن.

(٢) قد سبقنا ترجمتهما

(٣) في (س، ش) : فهو ما سمع بالأذان

(٤) في (ب، ش) : إلى تأدية المسموع

(٥) في (ش) : إذا كانت

(٦) في (ش، ل) : والمستمع والسامع

النَّشْرِ ۝ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿[النش ٢١-٢٢]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَذْنُكَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشِيرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أُنْزِلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْتَلُوهُ قَرَارِطِينَ تُغْشَوْنَ بِهَا نُجُومًا وَتُكَتَّبُونَ بِهَا كُتُبًا وَتُحْمَلُونَ عَلَىٰ صُفْحَةٍ مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَهْمًا وَلَا آثَارَكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَنُونَ ﴿[الأنعام ١١]، ففي بعض ما هاهنا^(١) كفاية (وبيان)^(٢).

وقد روى القاسم بن إبراهيم عبيهما السلام عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه سأل رسول الله ﷺ لم أرسلت ؟ ألم ۝ أخصيب الناس أن يُعْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَلَهُمْ لَا يُهْتَنُونَ ﴿[النكبر ٢٠]؟ فأجبر بذلك. ثم قال له: «فلا يكونن حصومك أولى بالقرآن منك، فإن من الملح في الدنيا أن يحالف حصمك سنة رسول الله، [وأن يحالف القرآن] وجميع الأئمة، والأمة مجمعة على أن هذا القرآن الذي مع الناس، هو القرآن الذي أنزله الرحمن، على بيته ﷺ. إلا فرقة من فرق المخبرة بابهم قالوا: إن القرآن معنى في النفس، وهذا دليل عليه فصَحَّ أن القرآن هو هذا الذي مع الناس، وهو مع الملك الأعلى، كما هو مع من يحفظه من الملائكة، وغيرهم من المكلفين المؤمنين.

فإن قال قائلٌ منهم: إذا كان هذا القرآن هو فعل الله، فأجبروا عن الصلاة فعل من هي؟ فإن قلتم: هي فعل الله، فكيف يُثيب على فعله؟ وأيضاً: فقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمن ٢٠]،

(١) في (ش): هي بعض ما هنا

(٢) سقط في (ش)

ففسها إلى المؤمنين وإن قلتم. هي فعلكم وفعل الله، فقد صرتم
شركاء لله في فعله وإن قلتم: هي فعلكم أوجبتم أن القرآن فعلكم.
فنقول: الصلاة هي نيتنا وقيامنا وتكبيرنا وقراءتنا وركوعنا وسجودنا
وتسبيحنا وتشهدنا وتسليمنا، ويسر القرآن في ذاته بصلاة^(١)،
إدليس كل من قرأ القرآن عمداً، فصيح أن صلاتنا هي فعلنا
ولا يتم فعلنا الذي هو الصلاة، لا بقيامنا بفعل الله وقراءتنا له. كما
أن الزكاة فعلنا، ولا تتم إلا بحصول المركبي، وهو من فعل الله،
وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [التوبة: ٤]، فصيح أن الزكاة
فعلنا، وهي البية وإخراج ما أوجب الله في الأموال، وهو يسمى زكاة
على المحار، وكذلك الصدقة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ
وَالْمَسْكِينِ﴾ [سورة ١١٠]، فسمى المخرج صدقة ثم قال: ﴿لَا خَيْرَ فِي
كَثِيرٍ مِنْ دَعْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ [سورة ١١٣]، فيبين أن الصدقة هي
الإخراج، فصيح أن الركة هي فعل المركبي على الحقيقة، وأن المخرج
يُسمى ركة على المحار وقد بوحد في كتاب الله أشياء تسمى بأسماء
على الحقيقة، وأشياء تسمى بأسماء على المحار من ذلك قول الله
تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [سورة ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ
النَّبِيِّ﴾ [سورة ٥٢]، والبيوت للنبي على الحقيقة، وبيوت سائيه على
المحار وكذلك قال عز من قائل: ﴿أَمَّا السُّبَّةُ فَكَانَتْ لِمَسَافِكِينَ يَعْمَلُونَ
فِي الْبَحْرِ﴾ [الكهف: ٧٤]، ففسها إليهم ثم قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ

(١) في (ش) في ذاته صلاة

(٢) في (ش) تسمى باسم الحقيقة، وأسماء تسمى باسم المحار

فِي الْخَيْرِ كَمَا أَهْلَامَ» [الزمر ٢٤] ، وقال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام ١٠٩] ، وقال تعالى : ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنعام ٢٨] ، فالملك لله على الحقيقة ، ولأن السيد^(١) يملك عبده وما ملك.

ومما يدل على حلول العرص في الجسم أن الحركة والسكون لا يخلو العالم منهما ، وهما أكبر الحُجَج على حدوث العالم ، فلما ثبت أن الحركة والسكون حالتان قائمتان في العالم صحَّ أن لهما محلاً وشبهاً. ومما يؤيد ذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في الدرّة البيّنة : (كلُّ معروفٍ بنفسه مَصْنُوعٌ ، وكلُّ قائمٍ في سواءٍ معلونٌ) فثبت أن الأعراس حالة في الأجسام ، وبطل قولهم : إن العرص لا يحلُّ ولا يُحلُّ ولا يؤهم.

وأما الحقّة في أن الألوان شيءٌ فقولهم : لما رأينا الشعر الأسود في حالة أسود ، ثم رأيناه في حالة أبيض ، وعينه قائمة ، علماً أن البياض شيءٌ ، وأن السواد شيءٌ ، وأنهما ضدّان ، يَظُلُّ أحدهما بحضور الآخر ، ولا يكون العدم ضدّاً لغيره يَظُلُّه ، ولا يكون أيضاً العدم يُحدث ويُظِلُّ ، فكذلك السُرة^(٢) تكون تارة خضراء ، وتارة حمراء ، وعينها قائمة ، فصحَّ أن اللون شيءٌ. ومما يؤيد ذلك قول الله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلَافُ السَّيِّئَاتِ وَالْوَارِدُكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الزمر ٢٢] ، فذكر أن اللون من آياته ، فصحَّ أنه شيءٌ ؛ لأنه لا يكون شيءٌ من آيات الله عدماً ، وأيضاً فإن الأمة مجمعة على ذلك ، فبطل قولهم : إن الصفة هي الوصف ، ولا صفة في الجسم غيره.

(١) في (ب) : وليس السيد

(٢) في (ش) : وكذلك البسرة

وثبت أن في الجسم صفة غير حادثة فيه^(١) غير الوصف. وقال علي بن الحسين عليهما السلام^(٢) في توحيده. (ضاد الظلمة بالنور، والجلالة بأنهم، والخشونة باللين، والصرد بالحرور).

والدليل على أن اللون يرى بالأعيان أن الأعمى لا يتأتى له أن يصف شيئاً بلوياً، وكذلك من لا يرى الشيء لا يصفه بلون، ولا يوصل إلى معرفة اللون من طريق السمع، ولا من طريق الشم، ولا من طريق الذوق، ولا من طريق اللمس، فلما لم يكن يوصلنا إلى معرفة اللون من أي هذه الطرق^(٣)، وكانت تحصل معرفة اللون من طريق النظر؛ علم أنه يرى بالأعيان.

ودليل آخر: أن السرة لما رأيناها خضراء، ثم رأيناها حمراء، ثم رأيناها صفراء، وعينها قائمة، فلو كان اللون يعلم ولا يرى لما فرق

(١) في (ش). صفة لغيره حالة فيه

(٢) هو الإمام السجاد علي بن أحمد السبط بن الإمام عبي بن أبي طالب (عليه السلام) الهاشمي العلوي الحسيني، أبو محمد، زين العابدين، سمعناه، وابن عباس، والسنن بن عجرة، وأبا رافع، وعائشة، وصفيه، وآخرين، وعنه أولاده محمد وعبد الله وريد وعمر والحسين وعلي، والقطان والزهرى، وآخرون من القطان هو أفضل هاشمي رأيت بمدينة، وقال الزهرى: ما رأيت أفضل منه وأخلف في مواده، فصل. في سه حمسين، وقيل: في آخر خلافة عثمان، وقيل غير ذلك، قال الزبير بن نكار كان عمره يوم الطيف ١٣ سنة قال السيد الخافظ: فصائله (عليه السلام) أكثر من أن تحصى، أو يحيط بها الوصف وقال الخافظ في كتابه الذي صنعه في فضل بني هاشم أم عبي بن الحسين، فلم أر الخارجى إلا كالحسيني، ولم أر الشيعي إلا كالمعتزلي، ولم أر المعتزلي إلا كالحاشمي، ولم أر الحاشمي إلا كالحاشمي، ولم أر أحملاً مجري في فضله وقد صنف بهمي في مناقب زين العابدين كتاباً انتهى بولي (عليه السلام) في سنة أربع وتسعين من الهجرة النبوية، وقيل غير ذلك وقبره بالسقيع

(٣) في (ش): فلما لم يوصل من أي هذه الطرق

من يَظُنُّ البُسْرَةَ بَيْنَ الْخَضِرَةِ وَالْحُمْرَةِ وَالصُّفْرِ، إِذِ الْبُسْرَةُ قَائِمَةٌ الْعَيْنِ،
وَالْأَلْوَانُ يَحْدُثُ بَعْضُهَا وَيَبْطُلُ بَعْضُهَا، فَلَوْ فُرِّقَ بَيْنَ الْخَضِرَةِ وَالْحُمْرَةِ
وَالصُّفْرِ بِغَيْرِ النَّظَرِ لَصَحَّ مَا قَالُوا وَلَمَّا صَحَّ أَنَّهُ لَا يُفَرَّقُ بَيْنَ هَذِهِ
الْأَلْوَانِ إِلَّا بِالنَّظَرِ^(١) صَحَّ أَنَّهَا مَرْتَبَةٌ

فَإِنْ قَالُوا: أَوْجَدُونَا شَيْئَيْنِ - فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ - جَسَماً وَلَوْناً، فَلَا
يُشَاهَدُ^(٢) غَيْرَ الْجَسْمِ الْمَلَوَّنِ.

قُلْنَا: أَمَّا قَوْلُكُمْ أَوْجَدُونَا شَيْئَيْنِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، فَإِنْ كُنْتُمْ أَرَدْتُمْ^(٣)
أَنْ تُثَبِّتَ لَكُمْ شَيْئَيْنِ: جَسَماً وَعَرْضاً، فَقَدْ يُسَا ثَبُوتَ الْعَرْضِ،
وَاحْتِجَاجُنَا عَلَيْهِ عَمَّا فِيهِ كَهَابَةٌ، وَإِنْ كُنْتُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُوَحِّدُكُمْ شَيْئَيْنِ
قَائِمَيْنِ بِنَفْسِهِمَا^(٤) شَاعِلَيْنِ لِلْمَكَانِ، فَإِنَّ الْعَرْضَ لَا يَكُونُ قَائِماً بِنَفْسِهِ
شَاغِلاً لِلْمَكَانِ، وَإِنَّمَا هُوَ قَائِمٌ فِي جَسْمٍ، صِفَةً لِلْجَسْمِ، وَلَا يَقُومُ
بِنَفْسِهِ فَيَكُونُ شَيْئاً شَاعِلاً لِلْمَكَانِ، فَلَا حِجَّةَ لَهُمْ بِهَذَا السُّؤَالِ.

وَالْحِجَّةُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَلَى صَحَّةِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ
قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَجِدْنَا ضَلُّوا قَالَ أَلْعَزُوفُ بِاللَّهِ
أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ قَالُوا ادْخُلْنَا رِجْلَكَ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْتَرَوْا مَا تُلَاقُونَ ۝ قَالُوا ادْخُلْنَا رِجْلَكَ لَنَا مَا
لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوُحُهَا تَشْرُ النَّاطِقِينَ﴾ [البقرة: ٦٧-٦٩]،

(١) في (ش): ولما صح أن يفرق بين هذه الألوان إلا بالنظر

(٢) في (م): فلا شاهد.

(٣) في (ي): فإن أستم أردتم

(٤) في (ل): بأسمها

فعرّفهم الله بداتها، وبجميع صفاتها، فكان مما وصفها به اللون، فصَحَّ
أنّه شيءٌ وأنه مرثيٌّ، إذ لو لم يَرَوْا لونها لما زالت عنهم الشبهة،
ولَبِّقَتِ الجُهالةُ، ولو لم تكن الصفرة مرثيةً لما فرقوا بين الصفرة
وغيرها من الألوان، فلم وصفها الله بالصفرة، وببالغ في صفتها
بالفقاعة - فلم يكونوا يلعبون إلى معرفة هذه الصفة إلا بالطر - صحَّ
أبها مرثيةً.

ويكفي من هذا الاحتجاج أن لأعشى لو لمس البقرة لما عرف
لونها، فسقط قولهم: (إن اللون يُعلم ولا يرى) وأيضاً فإن الله أرسل
موسى (عليه السلام) إلى فرعون وملأه سمجرتين إحداهما (١) حسم، والأخرى
عرص، فقال تعالى فيما حكى عنه (٢) ﴿مَأْتِي ضَبَاءٌ فَإِذَا هِيَ ثَمَانٌ
مِثْقَالٌ وَمَنْعُهَا إِذَا هِيَ تَعْنَاءُ لِلنَّاطِرِينَ﴾ (٣) والسم الثعبان،
والعرص بياض اليد، فيس أنه مرثيٌ بقوله (٤) ﴿إِذَا هِيَ تَعْنَاءُ لِلنَّاطِرِينَ﴾،
فمن قال: (إن اللون لا يرى بالأعيان) فقد أكذب القرآن، وكفر
بعض آيات الله، ومن كفر ببعضه فقد كفر بكلها، وقد قال تعالى في
آية أخرى: ﴿لِذَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أَنْ يَفْرِقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَيَقُولُوا نَحْنُ بَيْنُكُمْ وَبَيْنَهُمْ وَنَكْفُرُ بِمَا يَكْفُرُونَ أَنْ تَخْتَلُوا بَيْنَ ذَلِكَ سُبُلًا ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ (٥) وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فَاتَّقُوا النَّارَ، وَاتَّقُوا النَّسَاءَ، وَاتَّقُوا الْعَصَبَ، فَإِنَّ جَمْرَةً يَتَوَقَّدُ فِي
قَلْبِ ابْنِ آدَمَ (٦)، أَلَا تَرَوْنَ إِلَى تَفَاحِ أَوْذَاجِهِ، وَحُمْرَةِ عَيْنِيهِ»

(١) في (ص) أحدهم

(٢) في (ش): فيما حكى عنه

(٣) في (ب، ت، ل): في جوف ابن آدم

فصح أن الحمرة تُرى، وإجماع الأمة أيضاً (يُحجُّهُم) ^(١)، فإن الأمة أجمعت على رؤية الألوان.

ويدل على رؤية الألوان قول القاسم بن إبراهيم عليهما السلام في المسترشد في الرد على من زعم أن الله يُرى يوم القيامة: (ويقال لهم: هل يدرك البصرُ إلا لوناً، أو شخصاً؟) وكرّرنا القول برؤية اللون مراراً، وإجماع الأمة أيضاً (يُحجُّهُم) ^(٢). وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته التي وصف فيها الطاووس: «وإذا تصفّحت شعرة من شعرة ^(٣) أرتك حمرة وردية، وتارة حضرة زبرجدية، وأحياناً (أرتك) ^(٤) صبرة عسجدية. وقال (عليه السلام) في خطبة التوحيد: وكلُّ سميع غيرُه يخفى عنه عمض الأصوات، وبصمة كثيرها، ويذهب عنه ما بعدَها، وكل بصير غيرُه، يغمى عنه ^(٥) حمي الألوان ولطيف الأجسام.

وأجمعت الأمة على رؤية الألوان إلا من نعى الأعراض أصلاً، وهو ^(٦) هشام بن الحكم، وأبو بكر الأصم، فإنها عندهم أحسام، ولا يكرّون رؤيتها ^(٧).

واختلف أهل الكلام في لون الداء فقال قوم: لونه أبيض. وقال قوم: لونه أسود. وقال قوم: ليس له لون، وهو يتلون مع الأشياء.

(١) ساقط في (ش)

(٢) ساقط في (ث)

(٣) لعل نهج البلاغة: (من شعرات فصو)

(٤) ساقط في نهج البلاغة، وفي (ب، ش) وأحياناً يريك

(٥) في (ص): يغمى عن

(٦) في (ش): وهم

(٧) في (ش): لا يكرّون رؤيتها وفي (ب) فإنها عندهما أجسام، ولا يكرّان رؤيتها

واستدل من قال: (هو يتلون مع الأشياء) أنه إذا جعل في أجانة خضراء^(١) رُؤي أحضر، وإذا كان في بيضاء رُؤي أبيض وأشبه ذلك. وقال من زعم أن لونه أسود: أنه لما رُؤي الكثير منه أسود، كالذي يكون في العدير العظيم، والحر، والنثر العميقة، عُلِمَ أن لونه أسود. واستدل من يقول^(٢): (إن لونه أبيض) بأنه إذا رُمي به في الهواء أنه يُرى أبيض. فلما كان كل هؤلاء لا يستدلون عليه إلا بالنظر عُلِمَ أنه مرئي^(٣).

وللأنمة^(٤) أقوال تدل على صحة ما ذهبنا إليه؛ منها قول القاسم بن إبراهيم عليهما السلام في مناظرته للملحد: (فالبصر طريق الهبات، والألوان) وقال في رده على المجرة: والعقل روحاني الطيف لا يُرى بالعيون، لأنه ليس بشبح ولا لون ولا جسم. وقال^(٥) في رده على الملحد: على أنا نجد الصور والهبات والألوان والصفات بعد أن لا يحدها فيها، ووجود الشيء بعد عدمه أدل الدلالة على حدوثه، فحدثني عن الصورة^(٦) من أي شيء حدثت؟

فإن قلت: إنها قديمة أحلت، وذلك أنها لو كانت قديمة لكانت في هذا المصور الذي ظهرت الصورة فيه أو في عنصره الذي يُسمونه هيولي^(٧) فإن كانت في هذا المصور بان فساد قولكم ودعواكم،

(١) في (ج): في أجانة خضراء

(٢) في (هـ): واستدل من قال

(٣) في (ت): على جذته، حدثني عن الصورة

(٤) في (ش): الذي تسمونه هيولي

إد قد نجد على خلاف هذه الصورة، وإن كانت في الذي تسمونه هيولى فلا بدّ إذا ظهرت أن تكون قد انتقلت عنه إلى هذا.

فإن قلت: انتقلت أحلت، لأن الأعراض لا يجوز عليها الانتقال، على أن في الصورة ما يرى بالعين^(١)، فإن كانت متقلة فما بالها حفيت عند الانتقال، وظهرت عند لبث.

وقال الهادي إلى الحق (عليه السلام) في كتب المسترشد: (فلما أن وجدت العقول^(٢)) والخواس أحساماً مثلها، مصورات في الخلق كتصويرها، وأعراضاً لا تقوم إلا بعيرها، استبدلت على الماعل بفعله) فدلّ كلامه هذا على أن العقول والخواس تترك الأحسام والأعراض، لأنه عطف الأعراض على الأحسام بوار السق، وإعرابها إعرابها. وقوله: (أحساماً مثلها مصورات في الخلق كتصويرها) يريد أنها مثلها في الحدث؛ لأنه احتج على أهل التشبيه بأن العقول والخواس لا تقع إلا على مثلها في الحدث، ولم يرد أنها أجساماً مثلها^(٣)؛ ولأن العقل غير الجسم

وقد بين في المسترشد وفي مسائل الرازي أن العقل ليس بجسم، وكذلك في الأحكام قال: (والنوم مزيل للعقل ينقض الطهارة) فصحّ أنه غنى به العرض، لأن القلب لا يزول بالنوم، فثبت أنه أراد أنها مثلها في الحدث^(٤) لا أنها جسم^(٥)

(١) في (م): ما يرى بالأعيان

(٢) في (ج): فلما وجدت العقول

(٣) في (ص): جسم مثلها

(٤) في (ش، ي): أراد بها مثلها في الحدث

(٥) في (ث): لأنها جسم وهو خطأ

وأما قوله : (مصورات في الخلق كتصويرها)، فهو يُريد به الأجسام خاصة، ثم عطف العرض على الأجسام بأنها مُدركة، وأنها مثلها في الحدث لا أنها جسم^(١). ويوضح صحة ما ذهبنا إليه قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في الدرة اليتيمة ق: (لأن الصفة على نفسها تدل وفي مثلها تحل).

قوله (عليه السلام) : (وفي مثلها)^(٢) يريد في الحدث لا أنها مثل الجسم في الجسمية^(٣). وقوله : (تحل)^(٤) يدل على أن الأعراض تحل (الأجسام)^(٥).

وقال السيد أبو طالب (عليه السلام) ردّاً على من اعتقد الرؤية فقال : لأن الرائي بالنظر إنما يرى الشيء إذا كان مقابلاً له، أو في حكم المقابل، كما يرى وجهه في المرآة، أو كان حالاً فيما قابله، كما يرى السواد في الجسم الأسود إذا كان الجسم مقابلاً له.

وقال في شرح كتاب الباع المدرك^(٦) في الأعراض : (إنها تختلف في أنفسها، وتُدرك في أُنْيَتِهَا^(٧) خلافاً لبعض أهل الكلام من المعتزلة

(١) في (ث) : لأنها جسم. وهو خطأ

(٢) في (ث) : وفي مثلها تحل

(٣) في (ث) : لأنها مثل الجسم في الجسمية وهو خطأ وجه الخطأ في المواضع الثلاثة أن المراد (لا) لا الباع : لأن قصده أن لأعراض محدثة مثلما أن الأجسام محدثة لا أن الأعراض مثل

الأجسام في الجسمية تمت

(٤) ساقط في (ث)

(٥) ساقط في (ث)

(٦) كتاب الباع المدرك : للإمام البدي إلى حق يحيى بن الحسين عليهما السلام انتهى.

(٧) في (م) : وتُدرك في أُنْيَتِهَا

وغيرهم من العوام، وقد بينا فيما خالعوا. فصَحَّ أن جميع الألوان مرئية بالأعيان؛ وكذلك النور والظلمة^(١) القياس واحد فهو سواد وبياض. (والشعاع جسم لطيف يرى بالأعيان)^(٢)

وأيضاً فإنه رُوي عن ابن عباس أن عبد المطلب بن هاشم مرُّ بولده عبد الله على يهودية يقال لها: فاطمة بنت مِرَّة الحثعمية، وأن نور النبوة في وجهه^(٣). الخبر، فدلَّ على أن النور يُرى ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور» وهذا معروف عند الناس، يقول القائل: رأيت ضياء القمر، ورأيت ظلمة الليل؛ قال الشاعر:

أيها العبد كن لما لسد جرحك
من شعاع الخلق لما أنت راح
إن موسى مضى ليقتبس ناراً

من ضياء رآه والليل داج

يقول: إنه لما رأى الضياء حسب ضياء نار، فمضى ليقتبس من النار.

وقد قال القاسم بن إبراهيم عليهم السلام في رده على ابن المقفع: وقد ترى الأبصار إن^(٤) أشرقت الأنوار فحينئذ ترى الأشياء، وترى الظلمة والضياء وهو سواد وبياض، والشعاع جسم يرى بالأعيان.

(١) في (ش): وكذلك لون النور والظلمة

(٢) ساقط في (ث)

(٣) في (ص): ورأت نور النبوة في وجهه

(٤) في (ج)، إدا.

وقد قال القاسم بن إبراهيم عيهما السلام: والحجة عليهم في أن
الريح شيء غير المشعوم أبا شاهد لأثرجة في حال غضاضتها لها ربح
ثم تطيب فيبطل ذلك الريح، ويحدث لها ربح غيره، وعينها قائمة،
فصح أن الذي بطل وأن الذي حدث عرص في الأثرجة غيرها.

والحجة عليهم^(١) من كتاب الله قوله عز من قائل فيما حكى عن
يعقوب (عليه السلام): «إني لأجد ريح يوسف لولا أن تسخن^(٢) الأرض، وفي هذا
بيان وكفاية وهو مدرك بحاسة الأسف، والهواء هو الذي يحمله إلى
الأنف، كما يحمل الكلام إلى الأذن.

وأما ما كان يتجزأ ويقوم بنفسه كالدخان والبخار وشبهه، فهو
حسم وله رائحة ولم تختلف الأمة في أن الريح يُدرك بحاسة الأنف،
بل هم يجمعون على ذلك.

ومن المعقول المشاهد أن الهائم تعرف أولادها بالريح، وتفرق بين
أولادها وبين أولاد غيرها^(٣). وكذلك الساع تدرك ما جعل الله لها
فيه متاعاً بالريح من مكان بعيد، وهذا فيه كفاية وبيان^(٤). والطعوم
أعراص كالروائح، ألا ترى أنك تجد ريح الأثرجة وتجد لها طعماً في
ابتدائها؟ ثم تجد لها طعماً غيره في انتهائها؟ وكذلك سائر الكرم فإنك
تجده في ابتدائه حامضاً، وبعد ذلك ممتزجاً، ثم تجده عند انتهائه
حلواً، وعينه قائمة، فصح أن هذه الصفات التي تحدث وتبطل شيئاً

(١) زيادة في (هـ)

(٢) في (ش): وتفرق بالريح بين أولادها وأولاد غيرها

(٣) في (ب، د) وفي هذا كفاية وبيان

غيرها وأنها مُدْرَكَةٌ بالفم، ولو كانت الحموضة والحلاوة وأشباههما وصف الواصف لا غير لما كان أحدٌ يفرق بين الحلو والحامض، ولو لم يكن مُدْرَكًا بحاسة الفم لكان الإنسان يجد طعم الشيء ويعلمه بغير الذوق، ألا ترى أنه لو لمَسَ جسمًا أو نظره أن ذلك^(١) لا يؤدي إلى علم الطعم، ولما كان يجد طعم الشيء إذا ذاقه عليم أنه أدركه بحاسة الذوق، فصح أن الطعم عرصٌ قائمٌ في المَطْعوم ومُدْرَكٌ بحاسة الذوق^(٢)، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَهَازِ مِنْ لَمَنِ لَمْ يَنْتَهِزْ طَعْنَةً﴾ (ممد ١٥)، فصح أن له طعاماً سواء؛ ولأنه قد يتغير الطعم واللبن بحالٍ في لونه وحنسه واسمه

والحرارة والبرودة أيضاً حالان يفتقران الجسم، تحدث حالة وتطل أخرى والجسم قائمٌ بعبء، وهذه كلها مُدْرَكَةٌ باللمس، وقد قال القاسم (عليه السلام) في جواب الملعّد: (اعلم أن طرق العلم بالأشياء مختلفة، فمنها ما يُعرف بالحس، ومنها ما يُعرف بالنفس، ومنها ما يُعرف بالعقل، ومنها ما يُعرف بالظن والحسبان).

فأما ما يُعرف بالحس فطرقه خمس: سمع، بصر، شَم، ذوق، لمس، فالسمع طريق الصّوت. والبصر طريق الهيئات والألوان. والذوق طريق الطّعموم. والشَم طريق الروائح. واللمس طريق اللين والخشونة... إلى قوله: ولو حاولت كل علم من غير طريقه لعسرَ

(١) في (ض): علم أن ذلك

(٢) في (ل، م)، مدرك بحاسة الذوق

عليك^(١)، وكنت كمن طلب علم الألوان بالسمع وعلم الدُّوق بالعين).

فأما أحوال الأجسام فبما طريق المعرفة بها من جهة البصر، والبصر يؤدي إلى الإنسان؛ لأن الأجسام لا تخلو من هذه الصفات، فصح بيان ما قلنا في الأعراس والقرآن عرصاً وشبحة قلوب الحافظين له والمصاحف والقارئ له، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «القرآن يوحى في ثلاثة مواضع: في القلوب محفوظاً، وعلى الألسن متلوّاً، وفي المصحف مكتوباً»^(٢). وفعل الإنسان فيه هو: الكتابة والتلاوة والحمط؛ وفعل العبد لهذه^(٣) اختياري إن شاء فعله وإن شاء لم يفعله، وفعل الله الذي هو ذات القرآن ضروري لا يجوز عليه الطلان وإنما تبطل أعمال الناس فيه، وهذا مراد المؤلف بالله قدس الله روحه بقوله في الإهادة: (والقرآن عرصاً لا يجوز عليه النقاء)، يريد أنه لا يجوز (عليه)^(٤) البقاء على الحكاية، فأما المحكي فلو كان يبطل لبطلت حجة الله وقد قال الهادي إلى الحق (عليه) في المسترشد: (ولو بطل من القرآن يسير لبطل منه كثير، ولو بطل بعضه لأشبهه الباطل كله بل هو يؤكد بعضه بعضاً، فلن يبطل منه حرف أبداً، وكيف يبطل أو يتناقص ما أحكمه ذو الجلال والإكرام والسلطان، وحفظه من كل سوء الرحمن، ألا تسمع كيف يقول: ﴿وَإِنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ عَزِيزًا لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ

(١) في (ش) تفسر عليك

(٢) في (ب، ش) وفي المصحف مكتوباً

(٣) في (ش) وفعل العبد في هذا

(٤) ساقط في (ب، ش، س)

مِنْ يَمِينِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَبِيدٍ» [سورة البقرة ١٢-١٣]؟، وقال . جل جلاله عن أن يحويه قول أو يناله : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَشْهُودٍ﴾ [البروج ٢١، ٢٢] ، كيف يتناقض^(١) أو يبطل ما حفظه الكريم ، وحاطه من كل باطل أو دنس دميم وحيم ، ومنعه وحجره من الشيطان الرجيم كذب العادلون لله ، وضلوا ضلالاً بعيداً).

فصح أنه لا يبطل في ذاته وإنما تبطل حركات العباد فيه كما تبطل حركاتهم في مفعولهم من الأجسام ، والأجسام باقية ، كما تبطل حركات السماء^(٢) (التي هي الثاليف ، والقل ، والوضع)^(٣) ، والحجر والمدر باقيات ، فصح ما قلنا ، ووضح ما إليه ذهننا . وأما الحركات فإنها تعلم ولا ترى بالإجماع ، فاعلم ففهم بعض ما هنا كفاية .

فصل

في الكلام في الروح

اعلم أن الروح جسم لطيف مجنس للهواء .

والدليل على أنه جسم أنه قائم بنفسه بل لا يعلم الحيوان ولا يقدر إلا به ؛ ألا ترى أن الدواب تحمل الأثقال ، فإذا زایلها الروح لم تحمل أنفسها فضلاً عن حمل غيرها ، فصح أنه جسم ، ولو كان عرضاً

(١) في (ب ، ش) . فكيف يتناقض

(٢) في (ش) . حركة السماء

(٣) ساقط في (ش) .

لضعف عن القيام بنفسه، ومن الحمل لغيره، وقد قال القاسم (عليه السلام) (١) في جواب مسائل سُئل عنها: وسألته عن الروح الذي يكون في الحيوان، فقال: هو المتحرك الذي به يحيى الحيوان، ويذهب، ويقبل ويدبر، ويعرف ويكر، وهو شيء لا يُعرف بالعين، وإنما يُعرف بالدليل واليقين.

وقال الهادي إلى الحق (عليه السلام) في جواب مسائل الرازي: وسألت عن الروح، وهو شيء خلقه الله وصوره واعتطره بحكمته، وجعله تحيا به الأبدان والأعضاء تعيش به مما جعل الله في الأبدان من الأشياء، به تبصر الأعيان المصرة، وبه تسمع الأذان السامعة، وبه تطلق الألسن الباطقة، وتشم الأنف، وتطش الحكمان، ويميز القلب، وتمشي الرجلان، وجعله قواماً (٢) لما حملت الأبدان، ودليلاً على قدرة الرحمن. إلى قوله. ولم يوصف الروح بغير ما وصفها، ولم يستدل عليه بغير ما دللنا؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [اسراء: ٨٥]

وقال المؤيد بالله -قدس الله روحه- في تعليق شرح الإفادة: الروح والهواء جسمان لطيمان، والعقل عرض، قال: واختلف العلماء في الروح. فقيل: يبقى بعد مفارقة الجسد حتى يمسي عند أرفق القيامة؛ كما قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [نجم: ٢٦]. وقيل: لا يكون حياً بعد مفارقة الجسد.

(١) في (ب) وقد قال فيه القاسم (عليه السلام)

ونقول: إنا لم نكلّف حقيقة معرفته لقول الله تعالى: ﴿وَسَأَلُوكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (اسراء: ٨٥)، والذي علينا، أن نعلم أنه شيء من خلق الله، وحكمته وعمته، ولولا هو ما كان شيء من الحيوان يعلم شيئاً، ولا يقدر على شيء فاعلم (ذلك)^(١) فيه كفاية

(٢) في (ش): جعله الله قوَّاماً

(١) ساقط في (ث)



مرکز تحقیقات و توسعه در مطالعات اسلامی

(٣) باب حقيقة معرفة الصانع

اعلم أما لما وجدنا هذا العالم، ووجدنا فيه أثر الصنعة، ووجدناه محدثاً - وقد دللنا على حدوثه^(١)، وبيننا ذلك فيما تقدم - علمنا أن له صانعاً، وهو الله حلّ وعلا، إذ لا يكون صنع إلا من صانع، ولا مبدوع إلا من بادع، وفي المشاهد أنه لا يوجد محدثاً^(٢) إلا وله محدث.

واعلم أن مثل هذا العالم كمثل بيتٍ قد أُعِدَّ فيه كل ما يحتاج إليه، ووُضِعَ كل شيءٍ منه في موضعه؛ فبالسمااء سقفه، والأرض فراشه، والشمس والقمر مثل الشمعتين في البيت، والنجوم مثل القناديل، وما أُعِدَّ في الأرض من العيون والفواكه والزروع والمعادن مثل ما يكون في البيت من الآلة وامتاع والدحائر؛ والعبد كالمخول فيها ذلك البيت وما فيه، والعقل الضروري يحكم أنه لا يوجد بيت فيه أثر البناء وعلامة الصنعة إلا وله صانع، فكما لا يكون بناء إلا وله بناء، ولا كتابة إلا من كاتب، علمنا أن لهذا الصنع صانعاً مبتدئاً بادعاً وهو الله أحسن الخالقين.

(١) في (ب، ش)؛ على جذبه.

(٢) في (ش)؛ لا يوجد محدث

فصل

في الكلام في أن الله تعالى شيء

اعلم أن أعم الأشياء قولنا: شيء، وهو ما يُعلم أو يُدَلُّ عليه، أو يُشاهد أو يُخبر عنه، فكل هذه لأشياء تستحق اسم الشيء. وما لم يكن يُعلم أو يُدَلُّ عليه أو يُشاهد أو يُخبر عنه فليس يستحق اسم الشيء وهو معدوم، والعدم لا شيء، ولا منزلة ثالثة (تكون) غير الشيء الموحود وغير المعدوم الذي ليس بشيء، فعلمنا أن الله تعالى هو شيء لا كالأشياء، وقد سَمَى نفسه شيئاً، قال تعالى: ﴿قُلْ أَشْيَاءُ أَحْكَبُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَيْءٌ﴾. ﴿آيَةُ (١٤٣)﴾.

وقدنا إنه شيء لا كالأشياء لإثبات الموحود ونفي التشبيه، لأنه لو لم يكن شيئاً لكان منقياً لا يحكم له، ولو كان كالأشياء لكان مشبهاً للمحدثات، وإذا كان مشبهاً للمحدثات كان مُحْدَثاً، وإذا كان مُحْدَثاً كان مصوعاً، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فصَحَّ أن الله شيء لا كالأشياء.

ولا يلزم على هذا قول من يقول: إنه جسم لا كالأجسام؛ لأن الجسم هو الطويل العريض العميق، لشاغل للمكان، وإذا كان بهذه الصفة^(١) كان جسماً، وإذا كان جسماً كان مُحْدَثاً؛ لأن جميع الأجسام لا تتعزى من الأحوال الحادثة التي هي الحركة والسكون

(١) ساقط في (ص)

(٢) في (س، م، ن): وإذا كان بهذه الصفات

والزيادة والنقصان، وإذا كان كذلك كان محدثاً. وإذا لم يكن طويلاً عريضاً عميقاً محوياً بالجهات شاعلاً للمكان لم يكن جسماً، فبطل تعلق من تعلق بهذا^(١)، وصح أن الله ليس بجسم ولا عرض.

فصل

في الكلام في أن الله حي قادر

اعلم أنا لما رأينا المصورات في لشاهد على ضربين: فمصورٌ حيٌّ قادرٌ، ومُصورٌ غيرُ حيٍّ ولا قادرٍ ورأينا المصورات غير الحيوان التي ليست بحية ولا قادرة لا تتم ولا تقع إلا من حيٍّ قادرٍ، ورأينا الأموات^(٢) وجميع الحمادات لا فعل لها، فعلمنا أن الله أولى بأن يوصف بالحياة والقدرة من الذي ليس في فعله حياة ولا قدرة، فصح أن الله حيٌّ قادرٌ.

ودليل آخر: أنا لما رأينا هذا نصنع دائم التدبير حسن الصورة والتقدير، استدللنا بذلك على حية اللطيف الخبير.

فإن قيل: فإذا كان الله حياً قادراً، وكان العبد حياً قادراً، فما الفرق بينهما؟

قلنا: إن الله تعالى حيٌّ لنفسه قادرٌ لنفسه، والعبد^(٣) حيٌّ بحياته

(١) في (ش، هـ، ل) من يتعلق بهذا

(٢) في (ب، ت، ي): ورأينا الأموات

(٣) في (ج، د): والحي

هي غيره، قادرٌ بقدرته هي غيره وهي الاستطاعة، وليس العبدُ يُسمى حياً قادراً إلا على المجاز في بعض أوجوه، وإما هو مُحيا ومُقدر؛ لأن الله تعالى جعله حياً قادراً، وجعله سميعاً بصيراً، ألا ترى أنه خلق له آلة السمع والبصر، قال عز من قائل: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (الاسد ١٦)، والله سميعٌ بصيرٌ على الحقيقة، حيٌّ قادرٌ على الحقيقة.

وحياة العبد، وقدرته ناقستان، لأن حياته تعود إلى الموت، وقدرته ترجع إلى العجز. ألا ترى أنه لو اجتمع الخلق، وتظاهروا على أن يخلقوا بعوضة، أو أن يحييوا ميتاً، أو يدفعوا الموت عمَّن أراد الله موته ما قدروا ولا استطاعوا ذلك، فليضح أن الله الحيُّ القادرُ على الحقيقة، وغيره حيٌّ قادرٌ على المجاز في بعض أوجوه، فهذا الفرق البين

لصل

في الكلام في أن الله عالم حكيم

اعلم أنا لما رأينا هذا العالم قد قُدِّرَ وجُعِلَ كلُّ شيءٍ منه في موضعه، وأُعِدَّ كلُّ أمرٍ منه لشأبه، ورأينا هذا الصُّنْعَ المشاهد حسن التقدير، مُحْكَمَ التدبير، لا خلل فيه ولا تفاوت، علمنا أن صانعه عالمٌ حكيمٌ.

ونظرنا في خلق الإنسان، ورقه، من ابتدائه إلى انتهائه، فإنه عندما

(١) ي (ش): ويحيوا ميتاً زى (مر). وأن يحيوا ميتاً

تحمله أُمّة ينقطع عنها الحيض ليكون الدّم ررقاً له، كما يكون مع البيضة^(١) رزقاً للفرخ في وسط البيضة المحضونة، فإذا ولد أحدث الله له رزقاً في ثدي أُمّه لم يكن من قس، ويولد وقد جعل الله له آلة لا يستعملها في الحال، ولا يستغني عنها في المال، فدلّ ذلك على أن صانعه عالم حكيم.

ودليل آخر: أنا نظرنا إلى الأدميين، وإلى ما يملكون من الحيوان، فإذا هم لا يشبه مهم الناس في صورة الوجوه^(٢) ولهجة الأصوات، وكذلك لا يشبه من الأنعام والخيل والدوابّ اثنان، على كثرتهم وسعتهن.

وبان العلم في اختلافهم أن الله لما كان عالماً بكل معلوم لم يشته من الناس اثنان، ولا يشبه بما يملكون من الحيوان اثنان^(٣)، قال عزّ من قائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (سك ١١).

ووجه الحكمة أنه لو اشتبه من الناس رجلان أو امرأتان لوقع الفساد؛ لأنه لو غاب أحدهما فأتى شبيهه إلى امرأة الغائب لأفسد في زوجته وماله، وكذلك لو اشتبه امرأتان لأشكّل أمرهما على زوجيهما، ولما عرف أحدهما زوجته من روجة الثاني. وجعل الله اختلاف صورة الوجه للنهار، وجعل اختلاف الأصوات لليل، وكذلك فرق بين الهائم، ولو اشتبه اثنان من الثمانية الأزواج،

(١) قوله - (مع البيضة) هو بالميم، ودعاء المهسة، وهو الصغار الذي وسط البيضة تمت.

(٢) في (ب) في صورة الوجه

(٣) في (ش) ولا يشبه ما يملكون من الحيوانات ذلك

والحبل، والبغال، والحمير، لدخل على مالكة الضرر ولا دعى الشيء غير مالكة. ولما لم يدخل على أحد ضرر في اشتاء الطير والسباع والسمك أمكن فيهما التشابه، فهل يدبر هذا ويُقدّره (ويحكمه)؟ إلا عالم حكيم؟

وكذلك القول في السميع البصير أنه بمعنى العليم الحكيم

فصل

في الكلام في معرفة الصانع

اعلم أنه لما كانت العقول والخواص والأوهام والطنون لا تكون إلا حالة أو مخلوقة، ولا تكون إلا محدثة بمجولة، لم تدرك^(١) إلا أمثالها في الحدوث وأشباهاها في المحل والمخلوق. فصيح أن الله تعالى لا يدرك بوجه من الوجود، لا بعقل ولا بحس ولا بوهم ولا بظن، وإنما تدرك معرفته بالاستدلال والطر، وقد دل على هذا في كتابه فقال عز من قائل: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ نَبَأُ حَدِيثٍ بِقَدَرٍ لَظُنُونَ﴾ [المراد ١٨٥]، وقال عز من قائل: ﴿لَنْ يَكُنَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِمُؤْمِنَةٍ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَمُتُ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَالْجَلَالُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَلْيَحْأَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَنَضْرِبُ الرِّيحَ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ يَلَيْكَ آيَاتُ اللَّهِ فَخَلَوْهَا بِالنَّصْقِ نَبَأُ حَدِيثٍ بِقَدَرٍ لَظُنُونَ﴾ [المراد ٢٠٣-٢٠٦]،

(١) ساقط في (ب)

(٢) في (ض): لم تدرك. وفي (ص): لم يدرك

ثم أخبرنا الله تعالى بنظر إبراهيم خليله واستدلّاه عليه بمخلقه ومناطرتة لنفسه، فقال عزّ من قائل: ﴿وَكَذَلِكَ يُدْرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونُ مِنَ التَّوْقِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى مَكْرُوحَةً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِيلَهِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْتَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَصْغَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۝ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (البقرة ٧٥-٧٧)، فصَحَّ أنه ما عرف ربّه إلا بمخلقه، ولا استدلّ عليه^(١) إلا بصنّعه، وقد قيل في قول إبراهيم (عليه السلام) ﴿هَذَا رَبِّي﴾ خمسة أقاويل:

أحدها: أنه قال هذا ربّي في ظنّي، لأنه في حال تعليل ظن واستدلال.

والثاني: أنه قال ذلك اعتقاداً أنه ربّه في الوقت الذي لم يعرف الناس يعبدون إلا الأصنام، فرأى البيرات أشرف من الأصنام؛ وهو قول ابن عباس.

والثالث: أنه قال ذلك في حال اطفولية والصغر؛ لأن أمّه ولدته في مغارة حذراً من النمروود عليه^(٢)، فلما خرج منها^(٣) قال هذا القول قبل قيام الحجّة عليه.

والرابع: أن يكون قال ذلك على وجه الإنكار لعبادة الأصنام،

(١) في (ب، ت): وما استدلّ عليه

(٢) في (ب، ش): في مغارة حذراً عليه من النمروود

(٣) في (ب، ش): خرج منه

إذ كان^(١) الكوكب والشمس والقمر لم يصنعهن ولا عملهن بشر، فلم تكن معبودة لزوالها، والأصنام التي هي دونها أولى أن لا تكون معبودة.

والخامس: أنه قال ذلك توبيخاً للمشركين، على وجه الإنكار الذي معه ليكون^(٢) ألفاً استفهام، وتقديره: أهذا ربي؟ ومثله موجود في لغة العرب، قال الشاعر:

رفوني وقالوا يا حويلد لم ترع

فقلت وأكرت الوجوه: هم هم

أراد: أ هم هم.

ولا يجوز عبداً أن يقول ذلك اعتقاداً، ولو قال ذلك اعتقاداً لكان ذلك شركاً، وهو بريء من الشرك، ومن أهله.

فأما الأقوال الأربعة^(٣) فيحوز أن تحمل الآية على أحدها، إذ ليس في أيها ما يوجب الشرك عليه. وأقربها إلى أنه قال ذلك في وقت صغره وقبل بلوغه على وجه الاستدلال وتغليب الطن؛ ولأن في الآية ما يدل على ذلك؛ وهو قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾، فصيح أنه دعا إلى ربه أن يهديه إلى معرفته، وقطع على نفسه أن الله إن لم يهده ل يكون من الضالين.

(١) في (ث): إنا كان

(٢) زيادة في (ب). وفي (ش) الذي يكون معه

(٣) في (ش): فأما الوجوه الأربعة

من القوم الضالين، وهو في وقت دُعائه ونظره واستدلاله قد علم أن لهذا الصُّنع صانعاً، وأنه لا يجوز عليه صفة نقص. فنظر في الشمس والقمر والكواكب فكانت أشرف المصنوعات، فلما رآها لا تخلو من صفات النقص رَفَضَهَا، وَعَلِمَ أن الله لا يُدْرَكُ بالأبصار، ولا يُشَبَّهُ شيئاً، ولا يُشَبَّهُ شيءٌ، ويؤيد ذلك ما حكى الله عنه من قوله: ﴿أَرَبِي كَيْفَ تُخْبِرِي النَّوَكِي قَالَ أَوَلَمْ تَأْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنَّ لِيَطْفِئُنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة: ٢٦٠)، فصَحَّ أنه كان في وقت النظر والاستدلال

ونقول: إن من وُلِدَ على فطرة الإسلام أنه يجب عليه أن ينظر ويُمَيِّرَ ويستدل على معرفة ربه بما أوجد من صعه، حتى ترسخ معرفة ربه في قلبه، ويعرف ذلك معرفة حَقِيقَةً لا يَجْزِيهِ الإقرار باللسان، لأن معرفة الله تعالى عقلية، والمسموعُ غيرُ للعقول، فصَحَّ ما ذكرنا من وجوب النظر في صنع الله والاستدلال به عليه^(١)، وقد رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ أَخَذَ دِينَهُ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي آلاءِ اللَّهِ تَارَكَ وَتَعَالَى، وَعَنِ التَّدَبُّرِ لِكِتَابِهِ، وَالتَّهَمُّ لِسُنَّتِي، زَالَتِ الرُّوَاسِي وَلَمْ يَزَلْ، وَمَنْ أَخَذَهُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ^(٢)، وَقَلَّدَهُمْ فِيهِ، ذَهَبَتْ بِهِ الرِّجَالُ مِنْ يَمِينٍ إِلَى شِمَالٍ وَكَانَ مِنْ دِينِ اللَّهِ عَلَى أَعْظَمِ زَوَالٍ»

(١) في (ب، ش): والاستدلال به على الله تعالى

(٢) في (ث): عن أفواه الرجال

فصل

في الكلام في صفات الله والفرق بين الأسماء والصفات

اعلم أن الله تعالى يُوصَفُ بصماتٍ راجعةٍ إلى ذاته، ويُوصَفُ بصماتٍ راجعةٍ إلى فعله. ولصمات الراجعة إلى ذاته هي التي لا تضاد ولا تنافي^(١) كقولك: الحي، القادر، العالم، القديم، فهذه وما كان من صفات العظمة لا تضاد ولا تنافي، لأنه يستحيل أن نقول: يعلم ولا يعلم، ويقدر ولا يقدر.

وأما الصفات الراجعة إلى الفعل فهي كقولك: الرزاق، الخالق، ولا يستحيل^(٢) أن يدخل عليها انتظام والتنافي؛ لأنك تقول: يخلق ولا يخلق، ويرزق ولا يرزق^(٣) لجميع هذه الأسماء يثبت لله معانيها وينتفي عنها أضدادها.

فينتفي عن الله الموت بالحياة، والجهل بالعلم، والعجز بالقدرة، والحدث بالقدم ومعنى قولنا: به حياة، بمعنى أنه حي، ومعنى قولنا: إن له قدرة، بمعنى أنه قادر، وأن له مقدوراً ومعنى قولنا: إن له علماً، بمعنى أنه عالم، وأن له معلوماً. فهو حي لنفسه^(٤) لا بحياة هي غيره، وهو عالم لنفسه^(٤) لا بعلم هو غيره، وهو قادر لا بقدرة هي غيره. وذهب قوم

(١) في (ب، ش): التي لا تضاد ولا تنافي

(٢) في (ش): لا يستحيل

(٣) في (ص): بنفسه.

(٤) في (ص): بنفسه

من المشبهة القائلين بقدم المعاني - وتسميهم العلماء الصفاتية - أن الله عالم بعلم هو غيره، وقادر بقدرته هي غيره، وحي بحياة هي غيره، وهذه المعاني عندهم هي قديمة.

فيرد عليهم^(١) أن الله تعالى لو وُصفَ بمعانٍ هي القدرة والعلم والحياة، والسمع والبصر والقدم، لم تحمل هذه المعاني من أن تكون قديمة أو محدثة أو معدومة، ولا يجوز أن تكون معدومة لأن العدم لا يُوجب حكماً، ولا يجوز أن تكون محدثة لأنها لو كانت محدثة لوجب أن يكون الله تعالى قبل حدوثها غير قادر ولا عالم ولا حي ولا سميع ولا بصير، ولو كان كذلك لم يصح منه إحداث هذه المعاني، ولا يجوز أن تكون قديمة لأنها لو كانت قديمة لوحب أن يكون مع الله قديم سواء؛ لأن كونه قديماً من أخص أوصافه، وما يشارك الشيء^(٢) في أخص أوصافه يجب أن يكون مثله، فبطل ما قالت الصفاتية، وصح أن الله تعالى قديم لنفسه، عالم لنفسه، حي لنفسه، سميع بصير لنفسه.

ولما ثبت أنه عالم لنفسه ثبت أنه عالم بجميع المعلومات، وقد دلّ الله على ذلك بقوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ﴾ (سورة البقرة، ٢٥٦)، فأخبر^(٣) أن كل عالم بعلم فعلم الله فوقه. ومعنى قوله تعالى: ﴿أَدْرَاكَ عِلْمِهِ﴾ (سورة البقرة، ٢٥٦)، أي أنزله^(٤) وهو عالم به.

(١) في (ش): قادر بقدرته.

(٢) في (ص): فرد عليهم.

(٣) في (ص): وما يشارك الشيء.

(٤) في (ش): وأخبر.

(٥) في (ب): أنه أنزله.

ومعنى قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، يريد من معلوميه ، ولو كان علمه هو هو لكان منقسماً ، فبعضه يُحاط به وبعضه لا يُحاط به ؛ لأنه استثنى شيئاً منه فقال : ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ ، فصَحَّ أن علم الله ليس هو الله.

اختلف الناس من أهل التوحيد في صفات العظمة على قولين :

فقال قوم : الصفات هي لله ، وقال قوم : هي الله . وعندنا وعند المعتزلة : هي لله^(١).

وعند فرقة المجبرة وهم الذين قالوا^(٢) : القرآن معنى في النفس ، وعد (أصحاب)^(٣) مطرف بن شهاب : أنها هي الله ، فإنهم قالوا : اسم الله هو هو.

والرد عليهم^(٤) بأن نقول : أخرجونا هل الله مستحق لهذه الأسماء أو غير مستحق لها ؟ فإن قلوا : ليس بمستحق لها خرجوا من العقل والإجماع والكتاب والسنة . وإن قالوا : هو المستحق لها صح أن المستحق غير المستحق ، وثبت أنه له ، فإذا استدلوا^(٥) على قولهم بقول الله تعالى : ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨] ، ويقول : ﴿سُبْحَاحَ اسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الرحمن: ٧٩] ، ويقول : ﴿سُبْحَاحَ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] ، ويقول : ﴿يَسُبِّحُ اسْمُ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَتُكَرَّبَ بِهَا اسْمُهُ﴾ [الرحمن: ٣٦] . قلنا : إن معنى ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ هو تبارك ربك ،

(١) في (ب ، ث ، ي) : أنها لله تعالى

(٢) في (ن) وهم الذين يقولون

(٣) سافط في (ج)

(٤) في (ب ، ش) يُرد عليهم . وفي (ص) ورد عليهم

(٥) في (ش ، ي) فإن استدلوا

وسُبِّحَ ربك، ويذكر فيها الله^(١)، والاسم هاهنا صِلَةٌ. ومثل هذا موجودٌ في لغة العرب، قال طرفة بن العبد:

إلى الخول ثم اسم السَّلام عليكما
ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذرَ

أراد: ثم السلام عليكما.

ونقول لهم. أخبرونا عن أسماء الله^(٢) هل هي موجودة في الكتب وفي صدور العارفين؟ أم ليست في صدور المؤمنين^(٣) ولا في كتب رب العالمين؟

فإن قالوا: ليست في صدور المؤمنين، ولا في كتب رب العالمين. حالفوا الإجماع والعقل والكتاب والسنة ثم فإن أقرؤا بها وقالوا: هي توجد في الصحف وسائر الكتب^(٤)، وفي صدور المؤمنين، صح أنها غيره وأنها له، ويؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر ١٢٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِقُونَ بِالْأَسْمَاءِ﴾ [الزمر ١٨٠]، وقد تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الزمر ١١٠]، فصَحَّ أنها له؛ لأنه لم يقل: وهو الأسماء الحسنى، ولا قال: فادعوها^(٥).

(١) في (ن) قلنا إن معنى قوله تعالى ﴿تبارك اسم ربك﴾ هو تبارك ربك، ومعنى قوله تعالى ﴿فسبح باسم ربك﴾ هو سبح ربك، وكذا معنى قوله تعالى ﴿سبح اسم ربك﴾ هو سبح ربك، ومعنى قوله تعالى: ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ هو يذكر فيها الله.

(٢) في (ص) ونقول: أخبرونا عن أسماء الله تعالى.

(٣) في (ش): أم ليست موجودة في صدور المؤمنين.

(٤) في (ي): ولي سائر الكتب.

(٥) في (ب، ش)، ولا قال فادعوه به.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في الدُّرّة اليتيمة: له سبحانه من أسمائه معناها، وللحروف مجراها، إذ الحروف مَبْدُوعَةٌ، والأتفاسُ مصنوعةٌ. وروى عنه (عليه السلام) أنه قال: من عبَدَ الاسمَ دونَ المعنى فقد كَفَرَ، ومن عبَدَ الاسمَ والمعنى فقد أشركَ، ومن عبَدَ المعنى بِحَقِيقَةِ المعرفة فهو مُؤْمِنٌ حقّاً.

وقال (عليه السلام) في الدُّرّة اليتيمة: إن قلت: متى؟ فقد سبق الوقت كونه، وإن قلت: قل، فالقل بعده، وإن قلت: هو، فالهاء والواو خلقه.

وقال علي بن الحسين عليهما السلام: (فأسماءه تعبير، وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقة) فصح أن التعبير تحريراً للمعبر عنه وقال (عليه السلام): ليس مُدْ خَلَقَ استحقَّ اسمَ الخالق، ولا بإحداثه التَّرايَا استحقَّ البراءة^(١).

وقال القاسم بن إبراهيم عليهما السلام في جواب مسائل سُئِلَ عنها: معنى «أَقْرَأَ بِاسْمِ وَكَذَا» [سورة الأعراف]، وإنما اسمُ ربه الذي أمر أن يُقْرَأَ به «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» الذي قدّمه في صدر كل سورة. وقال (عليه السلام) في معنى قول الله تعالى: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» [الأحزاب: ١٨] - وسؤال الملحد: هل شهد الاسم للمسمى، أو شهد المسم للاسم؟ - فقال: الشاهد هو الله، أي عَلِمَ، والاسمُ فهو إسمُ الله، وما كان لله فليس هو الله، والله الأسماء الحسنی، والمسمى فواحد.

(١) يعني بل هما له، من قبل ذلك، انتهى

وقال ولده محمد بن القاسم عنهما السلام - في كتاب الشرح والتبيين في صفة الله تعالى: لم يزل الجود له صفة، وإن كان من يجود عليه غير موجود، وكذلك كن رحيماً ولا مرحوم بالقوة التي يرحم بها المرحوم إذ خلقه، ورضاه الرحمة، وإنها عنده محمودة من فعله له مدحه^(١)، ولا يجوز أن يقال: إن الله لم يزل لهذه المخلوقات فاعلاً^(٢) قبل فعلها، ولكن يقال: كان خالقاً بالقوة إذا أراد أن يخلق، وعالم وإن لم يكن معلوم، ورحيم لرضاه بالرحمة، وإنها من صفته وإن لم يكن مرحوم، وحكيم بقدرته التامة على الحكمة، ولا محكمات قبل خلقه لها، وسأضرب لكم في ذلك مثلاً: ألا تعلمون أن العالم بالبناء القوي عليه بناء وإن لم يكن، وكذلك النجار والطبيب والعالم والممارس إلى قوله. فسمي بهذه الأسماء إلهي واجبة له قبل وجود الأشياء).

وقال جعفر الصادق (عليه السلام) - في رده على صاحب الهليلة عندما قال له: كيف جاز للمخلق أن يسموا بأسماء الخالق؟ - فقال: إن الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه أباح الأسماء، فقد يقول القائل للواحد من الناس: واحد وقوي، والله واحد وقوي. وصانع والله صانع، فمن قال: الله واحد، والإنسان واحد، فلم يشبهه في المعنى^(٣)، وإنما الأسماء هي دلالات على المسمى.

(١) قوله (من فعله له مدحه) المعنى غير ظاهر فيتحقق تحت

(٢) في (ث): فاعل

(٣) في (ص) - فلم يشبه في المعنى

وقال علي بن موسى الرضائي عليهما السلام^(١) في أحد مجالسه لعمران الصابي^(٢) عند المأمون. وكذلك^(٣) صار اسم كل شيء غير المسمى، وصفة كل شيء غير الموصوف.. إلى قوله: ألهمت؟ قال: نعم.

قال عمران: يا سيدي؛ وصفاته هي نفسه؟

قال الرضائي: إن أسماء وصفاته غيره، وهو غيرهما، ولا يخلو إذا كانت غيره من الدلالة عليه وعلى وجوده. وتحقيقه والمثل في ذلك والدليل عليه قولك: أد قلت: السماء؛ وإنما ذكرت خمسة أحرفاً

وقال الهادي إلى الخو^(عليه السلام) في كتاب الأحكام محتجاً على من قرأ

(١) هو الإمام علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب^(عليه السلام) المعروف بالرضي، الإمام الحجة، أبو الحسن، أحد عشر أبه، وعمومه، وابن أبي رافع، وصهر بن علي الجهمي، وعمه أحمد بن عامر الطائي، وداود بن سليمان بخاري، نصيحة. وهي المعروفة بصحيفة علي بن موسى الرضائي، وعمه ولده محمد، وعد السلام بن صالح الهروي

صنفه الشقي علي البخاري وعن الدراستي أن ابن حبان في كتابه قال بهم ويخطئ وقال ابن طاهر يأتي عن آتائه بمحاضات فاطمة بن كلام هولاء في هذا الإمام الذي هو شيع ومعه، ووجد عصره علماء وعملًا، ومضلاً وكذلاً، حتى قال أحمد في سب الحديث القدسي لمرئ هذا الإمام على مجنون ليرئ من تحت، فكيف حالهم مع الشيعة، والاتباع وقال الإمام منصور بالله عبد الله بن حمزة، ولأصحابي دس عليه المأمون السُم فقتله، بعد أن كان قد عهد إليه بالخلافة، ولم يحتلف في قتله باسم، وإنما اختلف في الكيفية وكانت وقاه^(عليه السلام) بطوس سنة ثلاث ومائتين من الهجرة تحت

(٢) في (ث) لعمران الصابي وفي (ص) - لعمران الصابي

(٣) في (ش) فكذلك

في الركعتين الأخيرتين مُسْرًا فذكر فضل أم الكتاب وقال: هي السَّبْعُ
المثاني التي ليس في التوراة والإنجيل والرُّبُور مثلها. وروي ذلك عن
النبي ﷺ قال: وذلك أنها أم الكتاب^(١)، ولما فيها من أسماء
ربِّ الأرباب وتوحيده جلَّ جلاله^(٢)، إلى قوله: وإنما جعل الله القرآنَ
منفعةً لكل إنسان، وأمر نبيّه بتسنيته للعالمين، وإقراره^(٣) في
آذان السَّامعين.

وقال الهادي إلى الحق (عليه السلام) في مسائل الرازي - وقد سأله - عن
الفرق بين الاسم، والمُسَمَّى - فقال (عليه السلام) الفرق بينهما أنما رأيا
الاسم الواحد، ينتقل في المُسَمَّين، علميا أن الاسم غير المُسَمَّى،
وأنه دلالة على المُسَمَّى وعلامة له، ليس بيه ولا هو بها، وهذا قاتن
ما يكون، ولن يغلط في الفرق بين الاسم والمُسَمَّى حتى يقول: إن
الاسم المُسَمَّى: إلا حاهلٌ غمبي، وضالٌّ أبلة غوي.

فصح ما قلنا من أن أسماء الله له، وأنها ليست هو. وأي حجة أبهر
من كتاب الله، ومن إجماع أهل بيت رسول الله ﷺ، وقد قال
رسول الله ﷺ: «إني تاركٌ فيكم ما بين يدي منكم من فضل الله، ولن تضلوا من بعدي
أبداً، كتابُ الله وعترتي أهل بيتي.. الخ»^(٤).

(١) في (ب، ش، ي) لأنها أم الكتاب

(٢) في (ب، ل): وإقراره

(٣) يعني بضمه، وهو: (إن اللطيف خير بياني بها لن يشرق حتى يرد علي الخوص).

(٤) باب حقيقة معرفة التوحيد

اعلم أنه لما ثبت أن لهذا العالم صانعاً (صعده)، وأنه حيٌّ، قادرٌ، قديمٌ، عالمٌ، سميعٌ، بصيرٌ، وجب أن يكون واحداً؛ ولأنه لو كان معه إلهٌ غيره، أو آلهة (معه) ^(١) لجاءتنا كتبهم ورسالهم، ولتبين لنا صنعهم وعملهم، إذ لا يُحكم بشيءٍ لغير مُدَّعٍ، فلما لم تصلنا الكتب والرسائل إلا لواحد علمنا أنه لا ربُّ سواه ولا إلهٌ غيره.

ودليل آخر - أنا لما رأينا هذا العالم على غاية من التدبير، والصنع المتقن والتقدير، فرأينا شمساً وقمره ونجومه قد قدرت على غاية من الصلاح، ورأيناها لا يفترق مجتمعها، ولا يجتمع مفترقها، ولا تفاوت فيها ولا غيار، ورأينا الهواء وما شاهد من السماء والأرض وما فيهما قد وُضِعَ كلُّ شيءٍ منها في موضعه، وأُعِدَّ كلُّ شيءٍ منها لشأنه، قال الله تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَإِنَّهُمْ كَافِرٌ بِهِ﴾ [الشورى: ٢١]، فعلمنا أن صانع هذا الصنع ومدبره واحد، ولو كان معه غيره لم يخلُ من أن يُريد أحدهما صنع شيءٍ ويريد الآخر خلافه، كأن يُريد أحدهما حياة زيد، ويُريد الآخر موته،

(١) ساقط في (ص).

(٢) في (ض): لرأينا الهواء.

ولو كان ذلك كذلك لوجب انتصاد والتمانع، ولفسد الصنع ولما اتسق وانتظم إلا للمدبر واحد.

وقد دل الله تعالى على ذلك في كتابه على لسان نبيه ﷺ فقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٦]، وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَاقَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الأنعام: ١٦٧]، وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَتَى بِشَيْءٍ مِمَّا يَخْلُقُ وَلَعَلَّا يَحْتَسِبُ عَلَى بَعْضِ الْأَوْبَانِ﴾ [الأنعام: ١٧١]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ هُوَ إِلَّا اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإسلام: ١-٤].

واعلم أن الكفار اختلفوا على مقالاستهم:

ففرقة نعموا الصانع نقياً محضاً. وقد حكى الله قولهم حيث يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا أَعْيَانُ النَّاسِ أَنْ تُنْفَخَتْ وَرَبُّهَا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الشُّعْرُ﴾ [الأنعام: ٢٥]، وهو باطن الناطية واعتقادهم الذي^(١) لا يُطْلَعُونَ عليه إلا من استخلفوه واستوثقوا منه؛ ولأنهم جمعوا بين الفلسفة والشرعية، فأقروا بالإسلام واعتقدوا الكفر، وزعموا أن لكل ظاهر باطناً، ولزموا مسائل من متشابه الكتاب. وقالوا في توحيدهم: لا يقال إن الله موجود، ولا يقال غير موجود، ولا عالم ولا غير عالم، ولا حي ولا غير حي، ولا قادر ولا غير قادر.

قالوا: لأنك إذا قلت: إنه موجود حي قادر عالم، فقد شبهته

(١) في (ث): الدين

بما سواه ؛ وإذا قلت : ليس كذلك فقد نفيتَه و غرضهم بهذا القول التوصل إلى الكفر. وإذا لم يكن موجوداً فهو معدوم بلا شك ؛ لأنه لا منزلة ثالثة تُعلم ؛ وكذلك إذا لم يكن حياً فهو مواتٌ ، وإذا لم يكن قادراً فهو عاجزٌ ، وإذا لم يكن عالماً فهو جاهلٌ ... تعالى الله لعن ذلك^(١) علواً كبيراً.

وقد بينا الفرق بينه ، وبين من سُمي^(٢) حياً قادراً عالماً موجوداً من خلقه فيما تقدم.

وقالت فرقة من الملحدة وهم من الفلاسفة : الهواء هو الله. ووصفوه بأنه مع الأشياء ومحيط بالاشياء^(٣) ، وأنه بعيدٌ قريبٌ ، وقد قدمنا الرد عليهم.

وقال قوم : التور والظلمة الصانعان ، وقد قدمنا الرد عليهم.

وقال قوم من الفلاسفة بإثبات الصانع ، وزعموا بأنه فاعلٌ في ما لم يزل ، وأن العالم ظهر منه كظهور ضياء الشمس من الشمس ، وحرّ النار من النار. وقال قوم من الفلاسفة : بقدَم^(٤) الزمان والمكان والهيولى والنفس.

وقالت النصراني بقدَم الأقاليم الثلاثة : أقنوم أب ، وأقنوم ابن ، وأقنوم روح القدس ، وقالوا. ليس الأقنوم الأول الأقنوم الثاني

(١) زيادة في (ض)

(٢) في (ش) وبين من يُسمى

(٣) في (ش، ح) : ومحيط بكل الأشياء

(٤) كلها في (ش، ت، ب، ي، ل) ، وفي بقية النسخ : يتقدم

ولا الثالث ولا غيرهما، وهذا القول ظاهر الفساد، إذ لا يكون شيء لا شيء ولا لا شيء.

وقالت الثنوية بقدّم النور والطّعمة، وعلّوا الظلمة على النور.

وأنت كفار العرب الصّابع، وشركوا بعبادتهم الأصنام، وقالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، وقد حكى الله ذلك فقال: ﴿وَلَعِنَ سَائِلُهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [النمل ٢٥] [النمل ٢٨]. ومنهم من قال: الحن شركاء لله^(١)، وقلوب الملائكة إناث، وجعلوا لله بنين وبنات، فقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ۝ يَدْبَحُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ فَلْيُكْفِرُوا لَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ مَا غَشَوْا هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝ لَا تَتَّخِذْكَ الْأَصْنَادُ وَهُوَ يُحْذِرُ الْأَصْنَادَ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام ١٠٠-١٠٢]، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَّكِبِ النَّبَاتُ وَالْهَمُّ الْثُّنُونَ ۝ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ نَاهِثُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِنكِبِهِمْ يَقُولُونَ ۝ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ۝ أَسْمَعُ الْبَنَاتِ عَلَى الثَّنَاتِ ۝ مَا لَكُمْ سَكَتٍ مِّنْهُنَّ أَن تَكُونْنَ ۝ أَمْلَأْ تَدْعُهُنَّ ۝ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ۝ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَهْجًا وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْجَنَّةَ إِذْ هُمْ لَمْ يُحْضَرُوا ۝ مُتَحَانِ اللَّيْلِ قُمًا يَمُوتُونَ ۝ إِلَّا جُنَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الملك ١١٩-١٢٠]، فأخبر الله تعالى بقولهم. ثم قال: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ أي حجة وقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْجَنَّةَ إِذْ هُمْ لَمْ يُحْضَرُوا﴾

(١) ي (أ، ص) الحن شركاء الله

يقول: لقد علمت الجنة^(١) إنيهم لمُعَذَّبُونَ، ثم استثنى المؤمنين منهم، فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ومحضرون هاهنا بمعنى معذبين^(٢) قال الله تعالى: ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنِّي كُنْتُ لَعَزِيزِينَ ۝ وَلَوْلَا هِنَا رَأَى لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْطَرِينَ﴾ [المعات ٥٦، ٥٧]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبُوا فَلَهُمْ لُخْطَرُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [المعات ١٢٧، ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادٍ خِزْيَانًا إِنِّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ۝ أَمْ أَتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَمْتَانَكُمْ بِالنَّهْيَةِ ۝ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا حَزَبَ لِلرَّحْمَنِ مَقَالًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَكَلِيمٍ ۝ أَوْ مِّنْ نَّشَأٍ فِي الْجَنَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَوْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَجَعَلُوا التَّلَاقَ الَّذِي لَمْ يَجِدِ الرَّحْمَنُ إِلَّا قَائِمًا أَنفَعُوا خَلْقَهُمْ سَعْيَهُمْ شَهَانَتُهُمْ وَكَأَنَّهُمْ﴾ [المرود ١٥، ١٦]، فاحتج الله عليهم بحجة بالغية، وأي حجة أهدى من حجة الله هاهنا قال: ﴿أَمْ أَتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَمْتَانَكُمْ بِالنَّهْيَةِ ۝ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا حَزَبَ لِلرَّحْمَنِ مَقَالًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَكَلِيمٍ﴾، يقول: إن أحد هؤلاء الكفار إذا بُشِّرَ بالأشئ اغتم وتعب، وإذا بشر بالذكر فرح واستبشر، فهل يكون الله اختار لهم الذكور، ويأخذ الإناث له؟ وقد عابهم^(٣) بقوله: ﴿أَوْ مِّنْ نَّشَأٍ فِي الْجَنَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَوْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المرود ١٨]، عز الله عما يقول الكافرون.

فأما عباد الأصنام والأوثان فإن الرد عليهم ظاهر قريب، وذلك أن الحجارة والأصنام مَوَاتٌ لا حياة فيها، ولا قدرة، ولا علم،

(١) في (ش): ولقد علمت الجن

(٢) في (أ): بمعنى معذبون

(٣) في (ش): وقد عابهم

ولا تنفع، ولا تدفع، وقد بين الله تعالى ذلك فقال: ﴿وَلَا يَسْتَلْزِمُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ صَغْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ [الحج ٧٣]، يريد أن الذباب لو أخذ من الصنم شيئاً لم يستفدوه منه، ضعف الصنم والذباب.
وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الاعراف ١٥]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الصَّكْبُوتِ اتَّخَذَتْ بِعَمَّا وَإِنَّ أَوْهَنَ الشَّيْءِ لَكَيْتَ الصَّكْبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الصكوت ١١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّي أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِي قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الرعد ٣٨]، وقال تعالى حاكياً قول إبراهيم عليه السلام: ﴿أَعْبُدُونِ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة ١٠٠-١٠١]، يريد: يا حجارة التي تعبتون

ومن الكفار من ادعى الربوبية كالمروء، وفرعون، وغيرهما من الملحدين وقد ذكر الله احتجاج إبراهيم عليه السلام حين قال إبراهيم: ﴿رَبِّىَ الَّذِى يَخْتِى وَيَكْتُمُ﴾، ﴿قَالَ﴾ الذى كفر: ﴿أَنَا أَخِي وَأُمِّيْتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ سَمِعَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة ٢٥٨] فثبت حُجَجُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وعلمت أولياء الله، وأهلكت أعداء الله، وقد أوردنا من الحجج على جميع فرق الكفار ما في بعضه كفاية.

فصل

في الكلام في أصل التوحيد وحقيقته

اعلم أن أصل التوحيد وحقيقته هو إثبات الصانع ، ونفي كل صفة نقص عنه . وقد قدمنا الكلام في إثبات الصانع ، وهذا موضوع نفي صفات النقص عنه^(١) ، فنقول :

إن كل صفة نقص لا تجوز على الله لا في دنيا ولا في آخرة ؛ لأنه إذا كانت فيه صفة نقص كان عاجزاً ، وإذا كان عاجزاً لم يكن قادراً حكيماً ، والله يتعالى عن ذلك .

فمن صفات النقص أن يكون والدًا أو مولوداً ، أو يكون له صاحب أو صاحبة أو حد^(٢) أو ضد أو يد ، أو يكون معه سواء في القدم ، أو يكون في مكان ، أو يكون محالاً أو محلولاً ، أو يكون له جوارح وأعضاء من يدين وجنس ، وروح وعينين ، أو أنه يرى في دنيا أو آخرة ، أو يذكر بحاسة أو وهم أو ظن ، وإذا كان بهذه الصفات كان مشبهاً للمحدثات ولم يكن مستحقاً للمدح ، فتعالى الله عن ذلك ، بل تمدح بأنه لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء ، فقال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣) ، فلو كان والدًا لكان مولوداً ، وإذا كان مولوداً ثبت أنه محدث ، وإذا كان محدثاً كان مصنوعاً .

ولو كان له صاحبة لكان محتاجاً ، ولو كان محتاجاً لم يكن غنياً ،

(١) في (ع) : وهذا موضوع نفي الصفات عنه .

(٢) في (ث) : أو جد - بالجيم المعجمة

وإذا لم يكن غنياً كان عاجزاً، وإذا كان عاجزاً كان مصنوعاً. وإذا كان له صدق كان له مانعاً عما يريد^(١)، وإذا كان له مانع كان ضعيفاً، وإذا كان ضعيفاً كان مصنوعاً، وإذا كان له ندم كان له شبيهاً^(٢)، وإذا كان له شبيه لم يكن صانعاً للعالم وكان مصنوعاً. وكذلك لو كان معه غيره في القدم لكان له شبيهاً^(٣)، ولو كان في مكان لوجب أن يكون مخوياً، ولو كان مخوياً لكان مصنوعاً^(٤)، ولكن بعض المواضع منه حالياً، وإذا كان في مكان دور مكن كان عن المكان الذي ليس هو فيه غائباً، وإذا كان عنه غائباً كان له ولما يحدث فيه جاهلاً، وإذا كان عن شيء جاهلاً كان عاجزاً

ومعنى قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْزَمْنِي بِشَيْءٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَهَ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهًا﴾ [الزمر ١٨٤]، أنه إله ليس في السماء، وإله من في الأرض؛ كما يقال: فلان أمير في بلد كذا، وبلد كذا كذا لم يكن فيهما ساكناً. وقوله تعالى: ﴿وَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّتْ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَنُورُ﴾ [الحج ١٦]، أراد أأمنتهم إله من في السماء؛ ولأنه تعالى كان ولا مكان، ولو كان المكان الذي يكون فيه قديماً لوجب أن يكون له في القدم شبيهاً^(٥)، ولو كان المكان الذي يكون فيه محدثاً لكان منتقلاً، وإذا كان منتقلاً كان محدثاً؛ لأن الانتقال دليل الجِدْث.

(١) في (ص، ح): مانع عما يريد

(٢) في (ع) فكان له شبيه

(٣) في (ع) فكان له شبيه

(٤) في (ع) لوجب أنه مخوياً يحدث، ولو كان مخوياً محدثاً لكان مصنوعاً وفي (ش): لوجب أن

يكون محدثاً ولو كان محدثاً لكان مصنوعاً

(٥) في (ض) شيء

ونقول: إنه ليس بخارج من الممكن، كخروج الشيء من الشيء، ولا بعائنه منها، ولو كان كذلك لأدى ذلك إلى الانتقال والجهل... تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. ولو كان حالاً أو محلولاً لكان جسماً أو عرصاً، ولو كان جسماً أو عرصاً لكان محدثاً، ولو كان محسوساً أو موهوماً لكان محدثاً ضعيفاً، لأن المحسوس والموهوم لا يكونان^(١) إلا حالاً أو محلولاً، ولا يكون الحال والمحلول إلا جسماً أو عرصاً، ولا يكون المدرك بالحواس والوهم إلا مقابلاً - أو في حكم المقابل - كمن يرى وجهه في المرآة، أو حالاً في الجسم كالألوان؛ وإذا كان كذلك كان صعيماً عاجزاً، وإذا كان عاجزاً كان مصنوعاً. ولو كان يُرى في الآخرة لوجب أن يُرى في الدنيا، ولو كان يُرى لزال عنه المدح ووجب له النقص^(٢) لأنه تعالى يقول: **لَا تُتْرَكُ الْأَبْصَارُ وَلَوْ يَتَرَكُ الْإِنْسَانُ** (الأنعام ١٠٢)، فمدح نفسه بذلك، فلو جاز أن يُرى في الآخرة لزال عنه المدح، ووجب له النقص^(٣) كما أنه مدح نفسه بأنه لا تأخذه سنة ولا نوم، فلو جاز أن تأخذه سنة في وقت من الأوقات لزال المدح، ووجب النقص، والله تعالى عن ذلك. ولو كان له جارحة يد أو وجه أو جب أو عين لكان جسماً، ولو كان جسماً لكان مصنوعاً. والأعضاء والجوارح لا تكون إلا مصورة، والصورة لا بُد لها من مصور؛ ولو كان كذلك لكان هذا غاية التشبيه والإلحاد وخلاف التوحيد.

(۱) ی (ب، ش، ع)۔ لا پکون

(٢) في (ب)؛ ووجب عليه العصى.

(٣) في (ب) ١ ووجب عليه القمى

فأما ذكر الوجه - في القرآن - واليد والعين والجنب، فإن الوجه هو الدات، والعين هو العلم^(١)، واليدين البسط والقبض^(٢)، والجنب السبيل وهذا موجود في لغة العرب لأن القرآن نزل بلغة العرب، قال الشاعر:

وقد يهلك الإنسان من وجه أمته

وينحو بإذن الله^(٣) من حيث يحذر

وتقول العرب: لفلان علي يد^(٤) أي نعمة. والعين عند العرب قد تكون الحديقة، وقد تكون عين الماء، وقد تكون عين الركبة، وكذلك العلم فقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [مريم: ٦٤]، أي بعلمنا، وقوله تعالى: ﴿يَلْحَظُّنَا عَلَى مَا فَرَّطْتَ فِي خَشْيِ اللَّهِ﴾ [مريم: ٦٥] أي في سبيل الله، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُحِيقُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة: ١٠٤] يريد نعمته وبيئته، وقوله: ﴿وَنَسِيتُ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [مريم: ٦٧] أراد ويبقى ربك^(٥) ذو الجلال والإكرام

والدليل على أن وجهه ذاته وأنه لا حارحة له قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [مريم: ٨٨] فأوجب الهلاك على الجوارح واستثنى الوجه وهي لا تكون إلا شيئاً، فكيف تهلك الجوارح ويبقى الوجه؟ فصح أنه لا جارحة له، وأن وجهه ذاته وقد روي عن رسول الله ﷺ

(١) في (ص) هي العلم

(٢) في (أ): والدان: البسط والقبض

(٣) في (أ، ي) ويجو بأمر الله

(٤) في (ع): لفلان على فلان يد

(٥) في (ث): أراد ويبقى ذات ربك

أنه قال: «خمسٌ لا يُعذرُ بجهلهنَّ أحدٌ: معرفة الله سبحانه، لا يُشبهه بشيءٍ، ومن شبه الله بشيءٍ، أوزعم أن الله يُشبهه شيءٌ»^(١)، فهو من المشركين... الخبر. فصَحَّ أن الله تعالى مُنزهٌ عن صفات النقص غير مُشبهٍ بشيءٍ^(٢)، ولا شيءٌ مُشبهٌ له، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، تأويله أن اللقاء في كتاب الله هو يوم الحساب والموقف، والعربُ تُسمي الاجتماع والحشد لقاءً، ولما كان الله هو الذي جمعهم سُمي لقاء الله^(٣)، ألا ترى أن الأمير لو أمر بلقائه ولم يُر فيه، أن القائل يقول: كنا في لقاء الأمير. واللقاء الجراء والثواب؛ يدل عليه قول الله تعالى: ﴿فَمَا عَزَمَهُمَ يَا قَوْمِمْ إِلَى يَوْمِ لِقَائِهِمْ هَذَا أَفَلَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٧٧]، ولأن المشبهة مجمعة على أن أهل النار لا يرونه.

وروي عن الناصر^(٤) أنه روى بإسناده أن رجلاً

(١) في (ض): أوزعم أن الله يشبه شيئاً

(٢) في (ن): غير مشبهٍ بشيءٍ

(٣) في (ع): سُمي بقاء الله

(٤) في (ب، ش): وروي الناصر، هو لإمام البصر للحق الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن السبط الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الملقب بالأطروش والناصر الكبير، والناصر الحق أحد أتباع الزيدية الأعلام، وأحد عظماء الإسلام، كان عالماً مجتهداً، زاهداً، ورعاً نقيباً، شجاعاً شجاعاً، أديباً بارعاً، عظيم القدر مولده (عليه السلام) سنة ٢٢٠ هـ ومثلاً في طلب العلم وقراً من الكتب السماوية بصحة عشر كتاباً، وقام في أرض الديلم سنة ٢٨٤ هـ بدعو إلى الله تعالى عشرين سنة، ودخل طبرستان سنة ٣٠١ هـ وأسلم على يديه ألف ألف م بين رجل وامرأة وتوفي بآمل في ٢٥ شهر شعبان سنة ٣٠٤ هـ من الهجرة النبوية قال الطبري لم ير الناس مثل عدل الأطروش وحسن سيرته، وإقامته للحق له مؤلفات كثيرة انتهى

أتى إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أتصدق بشيء من مالي أريد به وجه الله، وأجيب أن أذكر بالخير، فأنزل الله هذه الآية: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [النجم: ١١٠].

فصل

في الكلام فيما اتفق عليه أهل القبلة وما اختلفوا فيه من التوحيد

فاتفق الشيعة والمعتزلة والصدئية والخوارج والحشوية على أن الله تعالى لا مثل له. وأجمعوا على القول بأنه يرى ولا يرى، وهو بالمنظر الأعلى. وانفقوا في أنه لا تدركه الأبصار في الدساء وانفقوا على أن الله تعالى عالم فيما لم يرل ولا يزال، ويجب ذلك له ويستحيل عليه^(١) خلافه. وانفقوا في أن القرآن تنزيل الله، ووحية.

واختلفوا فيما له كان الله عالم. فقالت الزيدية، والمعتزلة: إن الله تعالى عالم لذاته^(٢)، وعالم لنفسه؛ ومعنى عالم لذاته: أنه تعالى عالم يجب ذلك له، لا لشيء سوى ذاته، وكذلك قالوا في أن الله تعالى حي، قادر، قديم، سميع، بصير، ولم يثبتوا قديماً سوى الله تعالى، وسبوا من أثبت معه قديماً (أو قداماً)^(٣) إلى الكفر وقالوا: هو مذهب الصابري قد دس في الإسلام. وأن لقرآن محدث.

(١) زيادة في (ع)

(٢) في (أ) عالم يجب ذلك لذاته

(٣) ساقط في (ث)

وقالت الصفاتية من الكلائية والأشعرية: إن الله تعالى عالم بمعنى سموة عالماً، وقادر بمعنى سموة قدرة، وحي بمعنى سموة حياة. وروي عن بعض الأشعرية مثل قولنا. وقد قدمنا الاحتجاج عليهم فيما تقدم.

ولم يختلفوا^(١) في أن القرآن قديم، واختلفوا في هذا المثل، فقال قوم: إن القرآن المثل ليس هو كلام الله تعالى على الحقيقة بل هو عبارة عنه، وكذلك قالوا في التوراة والإنجيل والزبور، وقالت الحشوية منهم: إن المثل هو القديم.

فنقول: إذا كان الله قديماً (والصوت قديماً)^(٢) فقد اشتبهها في القدم، وصارا قديمين اثنين، وكذلك إدراك كان له شيء يقدر به^(٣) وكان قديماً كان مُشابهاً له، وأشبه ذلك قول النصاري في الأقانيم الثلاثة [أنها] جوهر واحد. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَفَّفٍ إِلَّا عَكَاؤُنَا عَنْهُ تَفْرِحَتٌ﴾ [سجدة: ١٧]، وقال: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَفَّفٍ إِلَّا اسْتَمْتَعُوا بِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ...﴾ الآية [البقرة: ١٢٩].

وأيضاً فقد أجمعت الأمة على أن في الكتاب مُحْكَمًا ومُتَشَابِهًا، وناسخاً ومنسوخاً، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ...﴾ الآية [البقرة: ٢]،

(١) أي الصفاتية تمت.

(٢) كذا في الأصل، والجملة ساقطة في أكثر النسخ.

(٣) في (ش): يقدره.

وقال: ﴿مَا صَحَّ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسَبٍ فَأَتَى بِهِ رِبِّيَّهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ (البقرة ١٠٦)، فإذا ثبت أن فيه ناسخاً ومنسوخاً ثبت أن الناسخ بعد المنسوخ، وأن المنسوخ قبله، وإذا صحَّ أن الناسخ بعد المنسوخ ثبت حدث الناسخ، وإذا كان بعضه محدثاً وجب أن يكون البعض الثاني محدثاً

وأيضاً فإنه أنزل على لغة العرب، وفيه الماضي والمستقبل، فيخبر عن الماضي بما يحسن وقوعه في أمر، ويخبر عن المستقبل بما يحسن وقوعه في غيب، قال عز من قائل: ﴿الْم ۝ طُهِتِ الرُّؤُومُ ۝ فِي أَكْثَرِ الْأَرْضِ وَلَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِيَّتِهِمْ مَتَّعِيُونَ﴾ (الروم ١-٣)، وقد أجمعت الأمة على أن القرآن لم يرسل على النبي ﷺ جملة واحدة في وقت واحد وإنما نزل متفرقاً، فكان ينزل بحسب الحاجة إليه عند الباردة التي تنزل والحادة التي تحدث، ولا يُقدَّم الشيء ويدخره ويُعَدُّه^(١) قبل الحاجة إليه إلا العاقر الذي يخشى أن يطلب الشيء عند حاجته إليه فيتعذر عليه، والله تعالى لا يتعذر عليه شيء ولا يعجزه شيء، فصَحَّ أن الله تعالى أحدثه (في^(٢)) وقت حاجة المكلفين إليه.

وأيضاً فإن الكلام الذي سمعه موسى عليه السلام من الشجرة لا يحلو من أن تكون^(٣) الشجرة محلاً له، أو يكون الله محلاً له نطق به كما ينطق ذو الآلة.

فإن قالوا: الشجرة محل له خلقه الله فيها، فهذا قولنا،

(١) في (ع). ولا يتقدم الشيء ويدخره ويعتده

(٢) ساقط في (ب، ش، ع)

(٣) في (س، ش، ي)، إما أن تكون

وهو يدل على أنه مُحدث ؛ لأن الشجرة محدثة^(١) ، وإذا كان المحلُّ محدثاً كان الحالُّ محدثاً ، ولا يصح أن يقال : إن الشجرة قديمة ، ولا أن كلام الله الذي سمعه موسى قديم فيها ، ولا يجوز أن يكون الكلام في غير محل .

وإن قالوا : الله هو الذي نطق بالكلام ، كما ينطق ذو اللسان ، فقولهم : نطق يدلُّ على الحدث ، لأنه بمعنى : فعل ، وخرج من أن يكون قديماً .

وإن قالوا^(٢) : هو المتكلم فيما لم يزل . قل : هذا يدل على العبث ، والهديان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

وإن قالوا : هو ينطق حيناً ويصمت حيناً قلنا : وهذا دليل على الحدث ، حدث النطق والنطاق ؛ لأنه يكون متحركاً حيناً وساكناً حيناً ، وقد صح أن السكون بعد الحركة محدث ، وأن الحركة من بعد السكون محدثة ، فصح أنه مُحدث ، لأن فيه دليل الحدث

وأيضاً فإذا كان ينطق بآلة لم تكن الآلة إلا مُصورة ، وإذا كانت مُصورة ثبت أن لها مصوراً ، فبطل ما قالوا من أن الله ينطق ، وأن كلامه قديم ، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : «ما خلق الله شيئاً أعظم من آية الكرسي ، وما خلق الله شيئاً أحب إليه من سورة الإخلاص» فدلَّ على أن القرآن محدث .

(١) في (ع ، ل ، ي ، هـ) . ولأن الشجرة محدثة

(٢) في (ب ، ش) : فإن قالوا

فإن قالوا: إذا لم يكن متكلماً وجب أن يكون أخرس. قلنا: إن الخرس آفة في اللسان، والله ليس بذئ لسان ولا جارحاً. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وأما قول من يقول: إن القرآن المتلو ليس هو القرآن على الحقيقة، وإنما هو عبارة عنه. فنقول: إن الله تعبد المؤمنين بهذا المتلو، ولم يتعبدهم بقرآن غيره، وتحدى الكافرين بأن يأتوا بسورة من هذا المتلو، ولم يتحدّهم بقرآن غيره، فقال تعالى: ﴿فَاتْلُوا مَا تُحْسِرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [البقرة: ٢٠]، وقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَصْبِعُوا لَكُمْ تَرَاتُيْمًا﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال: ﴿فَأَيُّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ قَوْلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال: ﴿لَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ سَمِعُوا بِحَدِيثِ رَبِّهِمْ أَنْ يُضِلُّوا هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِبَيِّنَةٍ وَكَذَّبُوا عَنْهَا وَأَعْتَدُوا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [البقرة: ٢٣]، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْعَلْ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٤].

وقول من يقول: (إن هذا المتلو عبارة عن القرآن)، يشبه قول السوفسطائية الذين نفوا الحقائق؛ لأنه إذا كان هذا المتلو لا حقيقة له؛ أمكن في كل الأشياء أن يكون لا حقيقة لها، فبطل قول من يقول: إن المتلو عبارة عنه. ولا فائدة في شيء لم يقف عليه المكلفون، ولا تعبّدوا به.

وأما احتجاجهم على قديم المعاني بقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ بِرَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩] وقوله: ﴿وَلَا تَحِطُّونَ بِشَيْءٍ مِنْ غَيْبِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]،

ويقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [سورة التين: ١-٣]، ويقول الناس: انظروا إلى قدرة الله^(١). فإن معنى قوته: ﴿أَذْكُرُهُ بِطَاعِهِ﴾ أي: أنزله وهو عالم به. وقوله: ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ أي: من معلوماته، وقوله: ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ معناه: لقوي المتين. وقول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الصافات: ١٨٠]، المعنى: سبحان ربك العزيز. وقد تكون العزة لله إسمًا وحكمًا غيره تنفي عنه اسم اللذة وحكمها^(٢) كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصفوة: ٨]. وأما قول الناس: انظروا إلى قدرة الله؛ فالمعنى: انظروا إلى اقتدار الله؛ لأنهم لا يقولون ذلك إلا إذا رأوا خلقاً من خلق الله عظيماً، قال الله تعالى: ﴿وَحَسْبَانَ أَمْرِ اللَّهِ قَدْ رَأَوْا خَلْقًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَظِيمًا﴾، قال الله تعالى: ﴿وَحَسْبَانَ أَمْرِ اللَّهِ قَدْ رَأَوْا خَلْقًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأنعام: ١٣٨]

وقالت الصفاتية: يصح أن يرى الله تعالى من طريق العقل، ونراه في الآخرة قطعاً، وإنما يراه المؤمنون دون المعاقبين، ومنهم من جوز أن يراه أهل البار، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَجُزْءٌ يَوْمَئِذٍ مُّحِيرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [الأنعام: ٢٢، ٢٣]، وبما روي عن النبي ﷺ^(٣) قال: «سترون ربكم يوم القيامة كالقمر ليلة البدر».

والرد عليهم -من طريق العقل- أن المرئي يحتاج إلى شروط يصح أن يرى لحصول الشروط، وهي امقابلة أو ما يكون في حكمها، كمن يرى وجهه في المرآة، أو أن يكون المرئي حالاً في المقابل كحلول

(١) في (ض): انظر إلى قدرة الله.

(٢) في (ض): أو حكماً غيره تنفي عنه اسم اللذة وحكمها.

(٣) في (ث): وبما روي عن رسول الله ﷺ.

السَّواد والبياض في الجسم، وهذا اعتلالُ أهل العدل^(١) والتوحيد من الزيدية والمعتزلة، وإذا كان الله مُقبلاً، أو في حكم المقابل، أو حالاً في المُقابل، احتاج أن يُرى^(٢) بالحاسته، ولو جاز أن يُرى بغير هذه الشروط لاستوى في ذلك الأعمى والصير، وهذا هو التشبيه - جلَّ الله عن ذلك، وتعالى علواً كبيراً.

ومن الشروط ألا يكون بين الرئي، والمرئي حائل، يمنع من نظره.

ومن الشروط أن تكون آلة الرائي صحيحة

ومن الشروط أن لا يكون المرئي لطيفاً تمنع لطافته من الرؤية

ومن الشروط التحديق إلى المرئي وفتح العين وتقليب الحدة.

وهذه الشروط كلها توجب أن المرئي محدود (في مكان)^(٣) وأنه حالٌ أو محلولٌ أو في حكم الحال، أو جسمٌ أولول، وإذا كان بهذه الصفات كان محدثاً مصنوعاً - تعالى الله عن ذلك.

وأيضاً فإن الله تعالى تمدح بقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]، والآية تدلُّ على التمدح من قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة البقرة: ١١٧]، وإذا رآه مُوجبُ التمدح وجب النقص. وقد مدح نفسه بأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأنه لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، وأنه لا يظلم العباد. فلو جاز أن يفعل

(١) في (ج): وهذا عد أهل العدل

(٢) في (ع، ش): احتاج إلى أن يُرى. وفي (ن): لزم أن يُرى.

(٣) ساقط في (ص).

شيئاً مما نفاه عن نفسه في وقت من الأوقات لزال التمدح ووجب النقص، وكذلك الإدراك والرؤية^(١).

وأما معنى قول الله تعالى: ﴿وَنُحْمَةً يُوعَدُونَ فَاصِحَةً ۝ إِلَيْنَا رُفْعًا فَاطِرَةً﴾ [الجمعة ٢٢، ٢٣]، فهو أن يكون النظر إلى الله بالعقل، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رُكَّتِكَ كَيْفَ مَدَّ لَظَنًا﴾ [الزمر ٥٠]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَلَّ رُكَّتِكَ بِأَحْتَابِ اللَّيْلِ﴾ [الزمر ١٠]، وفي آخر الآية ما يدل على هذا التأويل، وهو قوله: ﴿وَنُحْمَةً يُوعَدُونَ فَاصِحَةً ۝ قَطُنًا أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةً﴾ [الجمعة ٢١، ٢٢]، فعلق ذكر الظن بالوجوه، والظن لا يتعلق بالوجوه^(٢)، فوجب أن يكون المراد بها^(٣) العقل ويحتمل أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿إِلَيْنَا رُفْعًا فَاطِرَةً﴾ أي منتظرة، قال الله تعالى: ﴿فَاطِرَةً إِلَيْنَا مَيَّسِرَةً﴾ [الجمعة ٢٨]، والمعنى: (فانتظار إلى ميسرة). وقال تعالى حاكياً قول بلقيس: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَبِأَيِّ فَاطِرَةٍ بِهِمْ يُرْسَلُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل ٣٥]، أي منتظرة، ومثل ذلك موجود في لغة العرب، قال الشاعر:

وحوة يوم بدر نناظرات

إلى الرحمن يأتي بالخلأص

وقال غيره:

وكنا نناظرك بكل فج

كما للبعث يتطير الغمام

ويحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿إِلَيْنَا رُفْعًا فَاطِرَةً﴾ أي إلى رحمة ربها

(١) في (ش): فكذلك الإدراك والإرادة

(٢) في (ب): فالظن لا يتعلق بالوجه، وفي (ن) و (ط) لا يتعلق بالوجه

(٣) في (ع، ش)، المراد بهما وفي (ن) المراد به

ناظرة، كما قال الله حاكياً عن إبراهيم (عليه السلام) : «إِنِّي قَاهِبٌ إِلَى رُبِّي سَاقِطِينَ» [الصافات ١٩]، أراد إني ذاهبٌ إلى حيث أمرني ربي، وقد روي هذا التفسير عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وعن ابن عباس وغيرهما.

وأيضاً فإن النظر غير الرؤية. ولنظر هو قلب الحذقة وفتحها إلى جهة المرئي ؛ ويدل على ذلك أن من ينظر الهلال، يقال : نظر إلى الهلال، وإن لم يره.

وأما استدلالهم بالخبر : «سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته» فإنه من خبر الآحاد، وخبر الآحاد لا يقبل في الأصول. وهذا الخبر أيضاً مروي عن قيس بن حازم، وقيس هذا لا تقل روايته لأنها مطعونة من (لوحوه) :

أحدها : يُعَضُّ عَلِيٌّ (عليه السلام) (١) وكفى بذلك طعناً فيه لأن أقل أحواله المسق. والذي يدل على ضعفه وأنه ليس من النبي (صلى الله عليه وآله) أنه يقتضي التشبيه، ولأن الكاف في لغة العرب تدخل للتشبيه ؛ قال الله تعالى : «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» [المدح ١٩٨]، وقال : «يَوْمَ تَكُونُ النَّامُ كَالْمُفَهِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمُفَهِ» [المدح ١٥٤]، والعرب تقول : زيدٌ كعمرو، وفرسي كفرس فلان. وقوله : «كما ترون القمر» وهذا هو التشبيه المحض لأن القمر يُرى في مكانٍ دون مكانٍ، ويُرى مُدَوَّراً على صفةٍ مخصوصة. وهو جسمٌ، وإذا كان الله يُرى في مكانٍ دون مكانٍ، وكان مخوياً

(١) في (ص)، بنصه لعل (عليه السلام)

بالجهات، وكان مُدَوَّراً بصورة مخصوصة، فهل هو إلا جسم مشبه للأجسام، فكيف يكون التشبيه غيره هذا؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فصَحَّ أنه ليس من رسول الله ﷺ.

وإن قال^(١) قائل مستغيد: ما تقولون لو كان صحيحاً، ما يكون تأويله؟ قلنا: ليس هو بصحيح، وإن صحَّ فمعناه: تعلمون ربكم علم ضرورة كما تعلمون القمر علم ضرورة بالمشاهدة؛ لأن المشاهد يُعلم^(٢) علم ضرورة، والله تعالى يُعلم في الدنيا علم استدلال، ويُعلم في الآخرة علم ضرورة بغير مشاهدة، ولأن الاستدلال يسقط في الآخرة لأنه تكليف وبحث وإزالة تشبيه، وقد سقط في الآخرة التكليف، فصَحَّ أنه يُعلم في الآخرة علم ضرورة^(٣) ولأن العبد عندما يرى صدق الوعد والوعد، يعلم به علم ضرورة، وقد سأل موسى ربه أن يُريه آية من آيات الآخرة حتى يعلم ربه، علم ضرورة، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَهْلُ الْإِلَهِ قَالَ لَنْ قَرَأِي وَلَكِنْ أَهْلُ الْإِلَهِ لَنْ أَسْتَقِرَّ مَكَانَهُ فَسَوَّلَ قَرَأِي﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ويحتمل أن يكون سأل ربه^(٤) أن يبين له بفي الرؤية إذ سأل قومه الرؤية، فقال: ﴿لَنْ قَرَأِي﴾. و(لن) عند أهل اللغة للقطع والتأييد، قال الله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُوفُهَا...﴾ الآية [الجم: ٣٧]، وقال: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ولأن الله عاقب الذين سألوا موسى أن يُريهم الله ولم يعاقب موسى، ولو كان موسى سأل

(١) في (ب، ع، ش): وإن قال

(٢) في (ع) لأن المشاهد تعلم وفي (ص) لأن المشاهد يعلم

(٣) في (أ)، علم ضروري وفي (ص) علماً ضرورياً

(٤) في (ش): ويمكن أن يكون سأل ربه

كسؤالهم لكان معاقباً مثلهم. وقد حكى الله عن موسى (عليه السلام) أنه نسب ذلك إلى بعض قومه، ونمأ عن نفسه بقوله: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأنعام: ١٥٥]. وأما توبة موسى فيها من سؤاله البيان قبل الاستئذان. والأنبياء لا يُقيمون على صغيرة ولا يسألون ربهم حتى يستأذنوه؛ قال الله تعالى حاكياً عن نوح: ﴿وَدَاوُدَ نُوحٍ وَكَانَ رَبُّهُ لِيٍّ إِتْقَانِيٍّ مِّنْ أَهْلِىٍّ وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ قَالَ يَدُوحُ إِنَّهُ لَمِنَ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّى أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّى أَخُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَخَيَّرَلِي وَكَرِهْتَنِى أَحْكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ [النمل: ١٥-١٧]، فاستغفر ربه من سؤاله^(١) قبل استئذانه. ولو كان موسى سأل ربه أن يُريته نفسه، كما سأل قومه، لأصابه ما أصابهم من العقوبة، ولما قال: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ وقد حكى الله قولهم فقال: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُرِيَنَّكَ لَكَ حَقِّ نَرَى اللَّهَ هَهْهَءَ مَلْعَنَتُكُمُ الصَّاحِبَةُ﴾ [النمل: ١٥٠]، وقال عز من قائل لنبيي: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنِزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَبَ اللَّهُ هَهْهَءَ...﴾ الآية. ب. ١٥٢، فلو كان يجوز أن يُرى^(٢) في وقت من الأوقات، لما عاقبهم الله على ما يجوز في وقت من الأوقات. ألا ترى أن العبد يسأل ربه وهو في الدنيا المغفرة والجنة والثواب فلا يُعاقب في ذلك. وقد سأل قوم عيسى صلى الله عليه وآله وسلم المائدة فلم يُعاقبوا بسؤالهم ذلك قبل وقته؛ فبطل قول المشبهة.

وقد وردت الأخبار عن النبي ﷺ تعارض خبر المشبهة،

(١) في (ص): عن سؤاله

(۲) فی (ش): فہو جاز ار یُری.

وتوافق العقول والقرآن، منها قوله ﷺ أنه قال: «إياكم لن تروا الله في الدنيا ولا في الآخرة». وروى عن عائشة عن النبي ﷺ مثله.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المصوِّرون لن يدخلوا الجنة»^(١)، قيل: يا رسول الله، ومن المصوِّرون؟ قال: الذين يُصوِّرون الله بعقولهم» وروي عنه ﷺ أنه قال: «من شبه الخالق بالمخلوق فقد كفر، ومن شبه الله بمخلقه فقد كفر». وعن علي (عليه السلام) في خطبه^(٢) ما يدل على ذلك.

وأما استدلال الحشوية بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِهِ﴾^(٣)، بأن قالوا: الزيادة هي الرؤية. فهذا غلط من وجوه
مها أن الريادة لا تكون أرفع من التزبد عليه

ومنها أن الريادة لا تكون إلا عن جنس التزبد عليه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِهِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِهِ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِهِ﴾^(٥).

ومنها أنه قد روي أن الريادة قصر في الجنة، فلا تعلق لهم بهذا.
فإن قال قائل (منهم)^(٦) متعنت أو مستعبد: إذا لم يكن يرى ولا تدركه الأبصار، فهل هو يرى نفسه^(٧)؟ قلنا: إن كنت تعني

(١) ريادة في (ع)

(٢) في (ب، ص) أنه قال ((لن المصوِّرون لن يدخلوا الجنة))

(٣) في (ع): في خطبه

(٤) رياده في (ع)

(٥) في (ث): كما يرى الواحد ما معه

بقولك: يرى ذاته، أي يعلمها فكذلك نقول^(١). وإن كنت تقول: يرى نفسه كما يرى الواحد منا نفسه فلا؛ لأننا قد بينا أن ذاته غير مرئية، فلا يجوز أن يرى نفسه، كما يرى الرائي المرئي^(٢).

وإذا قيل^(٣): إذا لم يكن جسماً، ولا عرضاً، ولا حالاً، ولا محلّولاً، ولا تدركه الأبصار في دنيا ولا في آخرة^(٤)، فكيف يتصوره المكلف في نفسه؟

قلنا: لا يجوز أن يُتصور القديم تعالى؛ لأن الصورة لا تقع إلا على ما له مثل يُشاهد، فيتصور على حسب ما شوهد من مثله. فلما كان الله تعالى لا مثل له، عمنّا أنه لا يجوز أن يتصوره المتصورون^(٥)، ولا يُتصور إلا بما يجب عليه الحدث، ويلحقه النقص، فصحّ أن الله لا يتصور، ولهذا سُمّي نفسه لطيفاً باطناً، وسُمّي نفسه طاهراً قريباً، فقال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُبْصَرُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْغَيْبُ﴾ [الأنعام ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حِلِّ الْوَيْدِ﴾ [الأنعام ١١٦]، وقال: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الأنعام ٨٥]، وقال: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَائِسُهُمْ وَلَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [الحديد ١٧]، فدلّ على أنه طاهر باطن، قريب بعيد.

(١) في (ع): فذلك نقول

(٢) في (ب): كما يرى الراءون المرئي

(٣) في (ج): فإن قيل

(٤) في (ب، ع، ش): ولا يدرك بالأبصار في الدنيا ولا في الآخرة.

(٥) في (ش): أن يتصور المتصور

فمن رام إدراكه بالعقل، أو بالحواس، أو بالوهم، أو بالظن أو بالتصور، فهو أبعد ما يكون، ولن يبلغ إلى شيء مما طلب، بل ترجع الأبصار حائرة^(١) والعقول والأوهام حائرة. ومن طلب معرفته واستدل عليه بصنعه فهو أقرب من كل قريب وأكبر من كل موجود، فهو الظاهر القريب بما أوجد^(٢) من صنعه، وهو الباطن، البعيد، اللطيف من أن يدرك أو يتوهم^(٣) أو يتصور، وقد قصرت الأبصار والحواس والعقول عن صفة جسم مرئي بصورة مخصوصة - وهو الشمس - فلم يقف على حقيقتها، فكيف من خلقها وصورها؟! فإذا قصرت عن صفة حقيقة جسم مشاهدة^(٤) فهي عن ذلك صانعه أقصر. وقد حكى عن أهل الحوم وأهل الطبر والفلاسفة أنهم اختلفوا في الشمس وحقيقة صفتها؛ فقال قوم: هي ملك أجوف مملوء ناراً، له فمٌ يحبس بهذا الوهج والشعاع؛

وقال قوم: هي اجتماع أجرام نارية، يرفعها البخار الرطب.

وقال قوم: هي سحابة ملتهبة.

وقال قوم: هي جسم زجاجي يرسل علينا شعاعه.

وقال قوم: هي صفوة لطيفة تصعد من البحر^(٥)

(١) في (ن) خاسرة

(٢) في (أ): لما أوجد

(٣) في (ع، ش) أو بوهم

(٤) في (ب) عن حقيقته جسم مشاهدة في (ع) عن صفة حقيقة جسم مشاهد

وفي (ش)، عن حقيقة جسم مشاهد

(٥) في (س، ش، ع، ل) تنصعد من البحر

وقال قوم: هي أجزاء كثيرة مجتمعة من النار.

وقال قوم: هي من جوهر خمس سوى الجواهر الأربعة.

وقال قوم: هي بمنزلة صحيفة عريضة.

وقال قوم: هي كالجرة المدحرجة.

وقال قوم: هي مثل الأرض.

وقال قوم: هي أضعاف ذلك.

وقال قوم: هي أعظم من الجزيرة الكبيرة.

ذكر ذلك عنهم وحكاه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب الدلائل وقال: ففي اختلاف هذه الأقاويل منهم في الشمس دليل على أنهم لم يفقوا على الحقيقة من أمرها. فإذا كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر، وتتركها الحس، قد عجزت العقول^(١) عن الوقوف على حقيقتها، فكيف بأحد لما لطف عن الحس واستسر^(٢) عن الوهم.

فإن قالوا: لم استسر^(٣)؟ قلنا: لم يستسر^(٤) بحيلة يخلص إليها كمن احتجب عن الناس بالأبواب والستور. وإنما معني قولنا: (إنه استسر)^(٥) أنه لطف عن مدى ما تلعبه الأوهام كما لطفت الشمس وارتفعت عن إدراكها بالبصر.

(١) في (ع): فقد عجزت العقول

(٢) في (ش): استر

(٣) في (ش): استر

(٤) في (ش): لم يستر

(٥) في (ش): أنه استر

فإن قالوا: ولمَ لطف؟ - ونعالي عن ذلك - كان خطأ من القول^(١) لأنه لا يليق بالذي هو صانع كل شيء إلا أن يكون^(٢) فائتاً لكل شيء، متعالياً عن كل شيء.

فإن قالوا: فكيف يُعقل إن كان^(٣) فائتاً لكل شيء متعالياً عن كل شيء؟ قلنا: إن الذي يطلب معرفته من الشيء أربعة أوجه^(٤):

أولها: أن ينظر أهو موحود؟

والثاني: أن يعرف ما هو في ذاته وجوهره.

الثالث: أن ينظر كيف هو وما صفته؟

الرابع: لماذا هو؟ ولأي علة هو؟

فليس من هذه الوجوه شيء يمكن المخلوق أن يعرفه من الخالق حق معرفته سوى أنه موحود فقط فأما^(٥) ما هو؟ وكيف هو؟ فممتنع عليه كنهه وكمال المعرفة به^(٦)، وأما لماذا؟ فهو ساقط في صفة الخالق؛ لأنه جل ثناؤه صانع كل شيء، وليس شيء بصانع له.

ثم ليس علم الإنسان بأنه موحود يوجب له^(٧) أن يعلم ما هو؟

(١) في (ص): كان خطأ من القول.

(٢) في (ع): إلا إذا كان

(٣) في (ع): أنه كان

(٤) في (ه): أربعة وجوه

(٥) في (أ): وأما

(٦) في (أ): فمتنع عليه كنهه وكمال معرفته

(٧) في (ب، ج، ش): بموجب له.

وكيف هو؟ كما أن علمه بوجود سمس لا يوجب له أن يعلم ما هي؟ وكيف هي؟ وكذلك الأمور الروحانية اللطيفة.

فإن قالوا: أفرطتم فيما تصفون، من قصور العلم عنه حتى كأنه غير معلوم. قلنا: كذلك من جهة إذا رام العقل معرفة كنهه، والإحاطة به، وهو من جهة أخرى أقرب من كل قريب إذا استدل عليه^(١) بالدلائل الشافية.

وقال أرسطاطليس في الجوّ تشبيهاً بهذا القول^(٢) في كتابه الذي يُسميه بغذاء الطبيعة، فإنه وصفه بهذه الصفة فقال: هو قريبٌ بعيدٌ، لأنه من جهة كالواضح لا يحصى على أحد، وهو من جهة كالعائب لا يُدركه أحد، وكذلك العقل أيضاً ظاهراً بشواهد مستتر في ذاته.

فصل

في الكلام في الإرادة

أجمعت الأمة أن الله سبحانه يُريد ويشاء، واحتلّفوا في حقيقة الإرادة والمشئّة؛ فعندنا أن إرادة الله ومشئّته في فعله: إرادة حتم وخلق وإحداث وحتر^(٣) وحكم ووعد ووعد، وأنه لا تسبق إرادته مراده، وأن إرادته خلقه^(٤)، وأن خلق الشيء هو الشيء،

(١) في (ع)، إذا استدلّ به

(٢) في (ع): تشبيهاً بهذا القول وفي (ي): بما يشابه هذا القول

(٣) في (ش): وإحداث وخبر

(٤) في (ع)، فإن إرادته مراده

وفناء الأجسام هو هي، وليس هو غيرها، وأن إرادته في فعل خلقه: إرادة نهى، وأمر، وأن رضى الله ومحبتة [أعمالاً] (١) رحمته وثوابه، وأن سخط الله وكراهته وغضبه نقمته وعقابه، فمن رضى الله عنه وأحبه فقد حكم له بالرحمة والثواب، ومن سخط عليه وكره أفعاله (٢) فقد حكم عليه بالنقمة والعقاب، فهذه إرادة الحكم.

وقالت المعتزلة: لله إرادة غير المراد، وهي محدثة، وهي في غير محل، وقالوا لا يكون مُريداً لنفسه، لأنه لو كان مريداً لنفسه، لكان مُريداً لكل المرادات (٣)، كما أنه لما كان عالماً لنفسه كان عالماً بجميع المعلومات.

قالوا: والدليل على أن إرادة الله غير مراده (٤) أنه أمرٌ ومخيرٌ، ولا يكون الأمرُ أمراً إلا أن يُريد كونُ المأمور، ولا يكون مُخيراً إلا إذا أراد إيقاع الحروف، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ لَكُمْ وَتَقْبَلَكُم مِّنَ الدِّينِ مِن قَوْلِكُمْ وَتُحِبَّ عَنَّا وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وبقوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُحِبَّ عَنَّا عَنَّا وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وبقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وذلك كثير، وهذا مذهب الصريين مهم. فأما قول البغداديين فمثل قولنا.

(١) زيادة في (ج، د) وفي (ع): هي

(٢) في (ع، ش) فعالة

(٣) في (ش). لكل الإرادات

(٤) في (أ) - غير مراد.

والرد على المعتزلة أن الأمة مجمعة على أنه لا يكون شيء موجود غير الله - إلا في العالم. فإن كانت لإرادة في العالم فقد صار العالم لها مكاناً، وإن كانت في غير العالم فمداً غير العالم إلا الله أو العدم؟

فإن قالوا: هي في العدم، فيكون العدم باطلاً، فكيف كون شيء فيه؟ فإذا لم تكن نية ولا ضميراً^(١)، ولا كانت الخلق بمسه، ولا كانت في مكان، فهل هي إلا عدم؟ ولا يعقل شيء موجود لا يكون حالاً ولا محلولاً إلا الله تعالى فبطل ما قلوا، وصح أن إرادة الله هي حلفه لا غير وقول الله تعالى: ﴿لَمَّا بَدَأَ يَخْلُقُ، وَبِحُكْمٍ، وَيُسَبِّحُ، وَيُعَاقِبُ، وَإِنَّمَا خَاطَبَ اللَّهُ لِعَرَبٍ بَلَّغْتَهُمْ وَبِمَا يَعْرِفُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا حَسْرَةَ ضَيَّيْنَا إِلَهُدِمَا بَاتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا هَكَأُنَا بِهِ يَسْتَكْزِبُونَ﴾ [سورة الحجر: ١٢٠]، فخطبهم بما يعرفون. والله تعالى لا يتحسر؛ لأنه لا يتحسر على شيء إلا من فاته وأعجزه^(٢)، والله لا يفوته شيء ولا يعجزه؛ ولأنه لو كانت إرادته غير مراده لم تكن إلا نية أو همة، أو مشهة للنية والهمة. وهم فلا يقولون هي همة ولا نية، إذا كانت^(٣) شيئاً غير المراد أشبهت النية المتقدمة للفعل، ولا يتقدم الفعل ويريد فعله قبل فعله إلا من يفعل بآلة، والله يتعالى عن ذلك

وأما قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَادْنَاهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة الإسراء: ٤٠]، فإنهم يجمعون معنا أنه ليس ثم قول غير إيجاد الشيء

(١) في (ص، ع، ش) فكيف يكون شيء فيه

(٢) في (أ): فإذا لم تكن نية، ولا ضمير

(٣) في (س، م، ع) أو أعجزه

(٤) في (ش، ح، ي). وإذا كانت

كما لم يكن ثم قول غير إيجاد القول^(١)، كذلك ليس ثم إرادة غير إيجاد الشيء.

وإذا كان الكلام مع الصفاتية قلنا: إذا كان الكاف والنون غير الكائن كائناً قولاً، وإذا كانا قولاً فلا يكون القول هذا إلا أمراً. فإذا كان القول لموجود فإيجاد الموحود محض، وإذا كان لمعدوم فمحال أيضاً أن يُؤمر المعدوم، فبطل ما قالوا، وصح أنه لا قول غير إيجاد الشيء. ومثل هذا موجود في لغة العرب قل الشاعر:

امتلأ الخوض وقال قطني

مهلاً رؤيداً قد ملأت بطني

والخوض لم يكن منه قول غير الامتلاء

وقال آخر:

وقالت له العيار سمعاً وطاعة

وحذرت كالدر لئلا يُثقب

ولم يكن من العينين قول غير تحذير الدمع.

وقالت الصفاتية: (الله مريد بإرادة قديمة)، كما قالوا: (عالم بعلم قديم)

والدليل على أن إرادة الله محدثة أنك تقول: الله يريد، ولا يريد، كما تقول: يخلق ولا يخلق، ويرزق ولا يرزق. فجاز أن تصفه بصفات الفعل وأضدادها وليس كذلك صفات الأزل. ألا ترى أن الله لما كان

(١) في (ص): غير إيجاد الفعل

عالمًا فيما لم يزل استحال الجهل عليه، ويُريد ذلك أن الله إذا أراد حياة زيد ثم أراد موته، ألا ترى أن الإرادة التي هي الموت حادثة، وقد قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والرد عليهم في قولهم: (إن الله يُريد بهمّةً ونيةً) أن الهمة والنية لا يكونان^(١) إلا لمن يعمل الشيء بآلة ومثال وجولان فكري، وتصوّر للصنع وضمير، وهذه الأشياء كلها من صفات المحدثين - تعالى عنها رب العالمين - وهذه الأشياء (كلها)^(٢) تكلف وإدارة حيلة، ولا يتكلف ويحتال ويفعل الشيء بالمثال إلا عاجزٌ ضعيفٌ، والضمير والنية لا يكونان إلا عرضان^(٣)، ولا يكون العرض إلا محلاً في غيره، وإذا كان محلاً للعرض كان حسماً - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فبطل قول المشبهة.

واعلم أن إرادة الله هي فعله، وهي تخرج على وحوه.

مها إرادة حتمٍ وجبرٍ كخلق السموات والأرض ومن فيهن وما خلق الله.

ومها إرادة أمرٍ ونهي، فهذه الإرادة إرادة تخير وتمكين وليست إرادة حتمٍ وجبرٍ؛ لأنه قد أراد من عباده الطاعة، فلو كانت الإرادة إرادة حتمٍ وجبرٍ لأنفذ ما أراد وأمضاه، ولَمَّا قَدَرَ أَحَدُ (عليه)^(٤)

(١) في (أ)، لا يكون

(٢) ساقط في (ب، ع)

(٣) في (ي) إلا عرضاً

(٤) ساقط في (ص)

أن يخرج من الطاعة إلى المعصية، فصَحَّ أن هذه الإرادة منه إرادة تخيير وتمكين.

ومنها إرادة حكم ووعد ووعيد، وهي إرادة خَيْرٍ وليست إرادة حتم وخير؛ لأنها لو كانت إرادة حتم وخير لأنفذ ما أَرَادَهُ وأمضاه، ولكان قد خلق الوعد والوعيد والآخرة وما فيها، فصَحَّ أنها إرادة خير لا غير.

واعلم أن أُمَّمَ الْأَنْبِيَاءِ (عليهم السلام) قد اختلفوا مثل اختلاف أمة نبيِّنا محمد (ﷺ) من ذلك ما قالت اليهود وهم اعلى^(١) ثلاثة أصناف: فقال منهم رأسُ الجالوت - وهو سلطانُهُم الذي يقولون: هو من ذرية موسى وهارون: إن إلههم أبيضُ الرأسِ واللحية، وقالوا: وجدوا في سفر شعيا: رأيت قديم الأديم قاعداً على كرسي حوله الأملاك^(٢)، فرأيت أبيض الرأس واللحية.

وقالت العانية منهم بنفي التشبيه، وزعمت أن العزيز ابن الله على مثل قولك^(٣): إبراهيم خليل الله.

وقالت الأصهبانية - وهم عامة اليهود - بنفي التشبيه، إلا أنهم قالوا: عزيز ابن الله على معنى القرية.

وقالت السامرية بنفي التشبيه، والاستطاعة قبل الفعل، وأنكرت نبوة داود، ولم تؤمن إلا بما في التوراة.

(١) زيادة في (ب، ت، ع)

(٢) في (ع): حَوَالِهِ الْأَمْلاك

(٣) في (ش): مثل قول

وقالت النصارى: إن الله ثلاثة أقانيم^(١):- أب وابن وروح القدس- جوهر واحد، وهذا منهم غلط في الحساب فضلاً عن خطائهم^(٢) في اعتقادهم: لأن ثلاثة في العدد لا تكون واحداً؛ ولو جاز ذلك في ثلاثة لجاز في أكثر منها؛ من أربعة وخمسة وعشرة وغير ذلك.

وإن كانت الأعداد الكثيرة شيئاً واحداً فهذا غلطٌ بين لا يغيب على عاقل ولا جاهل.

وقالت الملكاية منهم: [إن] "الله اسمٌ لمعنيين: للماسح ومسوح"^(٣) فالماسح هو الله، والمسوح هو الإنس^(٤)، وهو متحيز بالبدن، قالوا: والعلم غيرُه وهو قديم. وقالوا: كان عيسى (عليه السلام) ناسوتاً مصار لاهوتاً.

وقالت القولية منهم: قولك: (الله) اسمٌ لمعنى واحد، والعلم غيره، وزعمت أن المسيح ابن الله على وجه الرحمة، كما سُمي إبراهيم خليل^(٥)، وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَّقَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [ص ١٧٣].

واختلفوا قلنا في الاستطاعة، فقالت اليهود قولين:

(١) في (ث) - إن الله ثالث ثلاثة أقانيم

(٢) في (ع)، على خطائهم

(٣) زيادة في (ع)

(٤) في (ث) لماسح ومسوح

(٥) في (ث): فالماسح هو الله، والمسوح هو الإنس

(٦) في (ع): خليل الله

فقال رأس الجالوت ومن تبعه : لا إرادة لله غير ما يستطيع العبد ،
ولا يستطيع العبد غير ما فعل .
وقالت العنانية : الاستطاعة قبل الفعل ، وإن شاء العبد صرف
استطاعته في طاعة أو معصية .

وقالت النصارى : الاستطاعة قبل الفعل

وقالت المجوس -لعنهم الله- والثوية والديصانية بالجبر كلها ،
فرعم المجوسي^(١) أن الله قضى عليه بنكاح أمه وابنته وغيرهما من
المحرّمات ، وأنه لا يستطيع ترك ذلك ، وأنه لو استطاع غيره لتركه ،
وهذه علّة القدريّة من هذه الأمة ولذلك قال رسول الله ﷺ : «القدريّة
مجنوس هذه الأمة» .

(١) في (ش) : فرعم المجوس



مرکز تحقیقات و توسعه در مطالعات اسلامی

(٥) باب حقيقة معرفة العدل

اعلم أن معنى قولنا: (إن الله عدلٌ) هو أنه مُزَّةٌ^(١) عن صفات النقص في أفعاله، وهو أنه لا يفعل القبيح، ولا يرضاه، ولا يُحبه، ولا يُريده، ولا يُجبر العبد عليه، ولا يكلف أحداً فوق طاقته، وأنه لا يمنع المكلف الاستطاعة، وأنه لا يجوز ولا يظلم أحداً، ولا يكذب، ولا يخلف الوعد والوعيد^(٢)

والدليل على أنه مُزَّةٌ عن هذه الصفات التي توجب النقص من طريق العقل أنه قد ثبت أن الله عالمٌ لنفسه، قادرٌ، حكيمٌ، عني^(٣)، فثبت أن العالمَ القادرَ الحكيمَ الفسي لا يفعل القبيح، ولا يرضاه، ولا يأمر به، والعقل يشهد^(٤) أن فعل القبيح قبيحٌ، وأن من أمر به أورضي بفعله يكون كمن فعل لقبيح. والعقل أيضاً يحكم ويشهد على أنه لا يفعل القبيح إلا من جهل قبحه، أو احتاج إلى فعل القبيح لشهوة داعية، أو غرض مؤذٍ، أو طمع فيما لا يجوز، أو سفاهة أو سخف رأي، أو استماع مشورة مُضلٍّ أو حاهلٍ.

(١) في (م، ش): بمعنى أنه مَزَّةٌ

(٢) في (ش، ب، ص، ع): ولا الوعيد

(٣) في (ت، ص، ع) أنه قد ثبت أن الله عالمٌ قادرٌ عني حكيمٌ لنفسه

(٤) في (م) والعقل يحكم ويشهد وفي (م) والعقل يشهد ويحكم

فَمَنْ كَانَ فِيهِ بَعْضُ هَذِهِ الصِّمَاتِ لَمْ يُؤْمَرْ مِنْهُ فَعَلُ الْقَبِيحِ،
أَوْ الرُّضَى بِهِ، أَوْ الْأَمْرِ بِهِ^(١)، مَعَ أَنْ فَاعِلُهُ وَإِنْ كَانَ بِهِذِهِ الصِّمَاتِ
مَلْذُومًا بِفَعْلِهِ لِلْقَبِيحِ، أَوْ أَمْرِهِ بِهِ، أَوْ رِضَاؤِهِ بِهِ

وَكُلُّ مَكْتَلَفٍ مِنْ مُوَحِّدٍ أَوْ مُلْجِئٍ يَسْتَحْسِنُ فَعْلَ الْحَسَنِ وَيُحِبُّ أَنْ
يُذَكَّرَ بِهِ، وَيَسْتَقْبِحُ الْقَبِيحَ^(٢) وَيَكْرَهُ أَنْ يُذَكَّرَ بِهِ. أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَلْجُودَ لَوْ
رَأَى صَبِيًّا يُرِيدُ أَنْ يَتَرَدَّى فِي بَثْرٍ أَوْ فِي بَارٍ، أَوْ يَمُدُّ يَدَهُ لِيَلْزِمَ حَيَّةً، أَنَّهُ
يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ، وَيَسْتَحْسِنُ مَنَعَهُ، وَيَسْتَقْبِحُ تَرْكَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِرَجْمٍ؟
فَإِذَا كَانَ فَعْلُ الْقَبِيحِ يَقْبَحُ بِالْعَبْدِ الْجَاهِلِ الْمَحْتَاجِ الضَّعِيفِ، فَكَيْفَ لَا
يَقْبَحُ مِنَ الْعَالَمِ الْحَكِيمِ الْقَدِيرِ؟ فَوَحِبٌ أَنْ يَكُونَ الْقَدِيمُ تَعَالَى مُنْزَهًا
مُتَعَالِيًا عَنْ فَعْلِ الْقَبِيحِ لِأَنَّهُ تَعَالَى عَالَمٌ يَقْبَحُ الْقَبِيحَ، وَلِأَنَّهُ غَيْرُ مَحْتَاجٍ
إِلَيْهِ، لَا لِيَجْرُ مَعَهُ إِلَيْهِ، وَلَا لِيُدْفَعَ ضَرْبُ عَمَلِهِ، وَلَا لِيَسْخَفَ رَأْيُهُ، وَلَا
لِيَطْمَعُ فِيهِمَا لَيْسَ لَهُ، وَلَا لِيَشُورَةَ مُضِلٍّ أَوْ جَاهِلٍ. فَلَمَّا كَانَ مُنْزَهًا عَنْ
فَعْلِ الْقَبِيحِ^(٣)، وَكَانَ الظُّلْمُ وَالْحَوْرُ وَالْكَدْبُ وَخُلْفُ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدُ،
وَفَعْلُ الْفَوَاحِشِ وَجَمِيعُ الْمَسْكِرَاتِ قَبِيحًا، وَالرُّضَى بِذَلِكَ وَالْأَمْرُ بِهِ،
صَحَّ أَنْ اللَّهُ تَعَالَى لَا يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَلَا يَرْضَى بِهِ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ،
وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَدَخَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَصْرِ وَالذَّمِّ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُ عَلَى
الْعَبْدِ؛ لِأَنَّهُ عَالَمٌ لِدَاتِهِ، قَدِيرٌ لِدَتِهِ، وَالْعَبْدُ جَاهِلٌ مَحْتَاجٌ، فَكَانَ ذَمُّ
الْعَبْدِ أَقْلَ الْجَهْلِ وَحَاجَتِهِ. أَلَا تَرَى أَنَّ الْعَالَمَ الْغَنِيَّ مِنَ النَّاسِ إِذَا فَعَلَ
قَبِيحًا؛ كَانَ دَمُّهُ عِنْدَ النَّاسِ وَلَوْثُهُ أَكْثَرُ مِنْ ذَمِّ الْجَاهِلِ الْفَقِيرِ إِذَا فَعَلَ

(١) فِي (ص) وَالرُّضَى وَالْأَمْرُ بِهِ

(٢) فِي (ع)؛ وَيَسْتَقْبِحُ فَعْلَ الْقَبِيحِ

(٣) فِي (ث)، مِنْ فَعْلِ الْقَبِيحِ

مثل فعل العالم؟ فصَحَّ أن الله تعالى لا يفعل ظلماً ولا جوراً، ولا يُجبر الخلق على فعل، ولا يُكَلِّف أحداً فوق طاقته، ولا يفعل قبيحاً، ولا يريده، ولا يحبه، ولا يرضاه، ولا يأمر به، ولا يكذب، ولا يحلف وعداً ولا وعيداً، قال عز من قائل: ﴿لِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْعَتَاةِ وَالنُّكْرِ وَالْإِثْمِ يُطِيعُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فصَحَّ أن الله عادل، وأنه منزَّه عن القبائح.

فإن اعترض علينا معترض في هذه الجملة فقال: إنه قد يوجد في خلق الله القبيح والناقص، كالسباع والهوام والقمل والدود والذباب والبق، وما لا صلاح ظاهراً في خلقه، وكالصورة القبيحة من الناس، وكمن يولد أعمى، أو أصم، أو مقعداً، أو ناقصاً في جوارحه، كأن يولد بغير يدين أو شبه ذلك.

قلنا: لا يلزمنا هذا الاعتراض، لأن فعل جميع هذه الأشياء حسن وليس بقبيح - وإن قُبِحَ عند الجهال. فاما من أنصف عقله^(١)، وفكر في حكمة الله، ونظر في دقائق التدبير فإن عقله يحكم بأن فعل هذه الأشياء التي يستقبح فعلها الجهال حسن وصواب في الحكمة والتدبير^(٢)، إما في الحال أو في المال، وإما لها وإما لغيرها. فإنك إذا نظرت وفكرت في خلق السباع والحيات والعقارب؛ وجدت في خلقها وكونها مصالح للعبد؛ منها أنها تذكر بمصائب الآخرة وهوامها، ولعل عبداً موقناً^(٣) إذا رآها ذكرته العقاب ويوم الحساب فازدجر واتعظ.

(١) في (ع)؛ فمن أنصف عقله

(٢) في (ص)؛ من الحكمة والتدبير

(٣) في (ث)؛ ولعل عبداً موقناً

ومنها أن من نظرها وفكر في حلها علم أنها بليّة ابتلى الله بها العباد ليصغر الدنيا^(١) في أعينهم ويزهدهم^(٢) في نعمها، إذ لو كان فيها نعيم دائم لم يكن فيها هذه الأشياء

ومنها أن من أراد السرى^(٣) في ما لا يرضاه الله، وذكرها، امتنع من السرى من خوفها وهذه الأشياء تدلّ على أن فعل الله لها حسن وأنه غير قبيح. وكذلك التود والقمل ولقّ والبعوض والذباب^(٤) وجميع ما يؤذي الإنسان فيها مصالح، عرفها من عرفها، وجهلها من جهلها؛ وجعلتها البليّة والتذكير، وتصغير الدنيا في أعين الناس.

وأما قبح خلق بعض الناس والنقصان الذي يكون فيه فليس ذلك بمرح قطعاً وإن قبح في أعين الناس، بل هو حسن، وذلك أن الميقوص يتمتع بما نقص فيه في الحال وفي المال، أما في الحال فيمعه النقصان عن ارتكاب المعاصي، وتصغر في عينه الدنيا، ويخفف عليه التكليف.

وأما في المال فإنه بليّة ابتلاه الله بها، فإن صبر عليها عوضه الله في الآخرة أفصل مما نقصه في الدنيا، من تمام الخلق والزيادة في الدرجات. وكذلك من يكون خلقه جافياً يستقبحه الناس، فإذا صبر^(٥) على البليّة عوضه الله أضعاف ذلك. وإذا رأى حسن الخلق الكامل

(١) في (ج، ض، أ): لتصغر الدنيا.

(٢) في (ص): وترهدهم

(٣) في (ع، ل): أراد أن يسري

(٤) في (ب، ع)، والذباب

(٥) في (ب، ت، ع): فإنه إذا صبر

قبيح الخلق - أو الناقص - وشكر الله على حسن خلقه وتماحه زاده الله في الآخرة من الأجر والثواب^(١) ، فكأن نقصان نافعاً للمنفوس وغيره. وكذلك جفا الخلق ألا ترى أن العبد الرّحيم غليظ الخلق قوي البنية وهو مع ذلك راضٍ بخلقهم غير مستوحش من نفسه. فإذا نظر إليه الكامل العاقل المالك لنفسه عليم أن الله قد فضله عليه وأتم خلقه وأحسن إليه، فإذا علم ذلك وشكر الله على ذلك استحق الأجر والزيادة بالشكر. وإذا صبر العبد وأطاع ربه حياءً أيضاً، وأعطاه عوضاً ذلك في الآخرة.

واعلم أن الدنيا دار هلية وامتحن، والله يتلى عباده بالخير والشر لعلهم يرجعون.

وأيضاً فإن أكثر العبيد المملوكين لو ملكوا نفوسهم، وسلموا من الرق واستخدموا الأحرار لهم يخرجوا من الخدود ولظهر مهم البطر والأشر والضرر ما لا يظهر من غيرهم، وهذه الأمور المؤذية موجودة فيهم إذا اجتمعوا في موضع مع الرق، فكيف لو ملكوا أنفسهم.

وأيضاً فإن في خلق الله كثيراً من الأشياء يدق علينا البطر فيها، ويخفى علينا كثير من معانيه^(٢)، بل إننا نقطع ونقول: إن الله حكيم، ولا يفعل الحكيم شيئاً إلا وفيه حكمة أو حكم. وقد يوجد في أفعال العقلاء^(٣) من المكلمين ما يدق ويخفى على أكثر الناس^(٤)،

(١) في (ع): راده الله في الآخرة والثواب

(٢) في (أ): كثيراً من معانيه

(٣) في (ص): في فعل العقلاء

(٤) في (ص، ع) ويخفى على كثير من الناس

وقد حكى الله ذلك من أفعال الأنبياء والصالحين ؛ من ذلك ما أخبر الله
 من أفعال الخضر (عليه السلام) حيث صحبه موسى (عليه السلام) وقدم إليه أن
 لا يسأله عن أمر حتى يُبينه له ، ففعل فعلاً استنكرها موسى وصدق
 عليه ولم يعلم معانيها ^(١) ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَارْتَدَّا عَلَى آفَارِهِمَا
 قَصَصًا ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ جَبَابِهَا إِتَاهُ رَحْمَةً مِنْ رَبِّهِمَا وَغُلَّتَاهُ مِنْ لَدُنْهُمَا ۝ قَالَ
 لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُضِلَّنِي إِذَا ظَلَمْتُ لِنَفْسِي ۝ قَالَ إِنْ كُنْتَ تَصْطَلِحُ نَفْسِي
 صَبْرًا ۝ وَكَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا ۝ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا
 وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝ قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُخْبِرَ ۚ لَكَ بِهِ
 ذِكْرًا ۝ فَاصْلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا إِلَى السُّفِينِ أَخْرَجَهَا قَالِ لَمَرْفَعَتَا يُضْرَبُ أَهْلُهَا لَقَدْ
 جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّهُ لَنْ يَصْطَلِحَ نَفْسِي صَبْرًا ۝ قَالَ لَا تُولِجْنِي فِيهَا
 نَسِيتُ وَلَا تَزِدْفَنِي مِنْ أَمْرِي غَيْرًا ۝ فَاصْلَقَا حَتَّى إِذَا لَبَيَا غُلَامًا فَهَلَلَا قَالِ أَهْلَتُ
 هَٰذَا وَصَبِيَّةٌ بِنْتٌ رَحْمَتِ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا ذَكْرًا ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّهُ لَنْ يَصْطَلِحَ نَفْسِي
 صَبْرًا ۝ قَالَ إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَٰذَا فَلَا تُصَلِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ۝
 فَاصْلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّرُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ
 أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَا قَالِ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝ قَالَ هَٰذَا بِرَأْيِ نَفْسِي وَبِذَلِكَ
 سَأَلْتُكَ بِأَوَّلِ مَا لَمْ تَصْطَلِحْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۝ أَمَّا السُّفِينُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ يُقْتَلُونَ
 فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝ وَأَمَّا
 الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَصَبْنَا أَنْ يَرْثِيَهُمَا طُغْيَانًا وَكِبْرًا ۝ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا
 رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ

(١) في (أ) عن استنكره موسى ، وصدق عليه ولم يعلم معانيها وفي (ع) ، (د) . ففعل أفعالاً ،

استنكره موسى ، وصدق عليه وجه الحكمة ، ولم يعلم معانيها

وَصَكَانَ تَحْتَهُ صَكْرًا لَّهُمَا وَصَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّهُ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا صَكْرَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا تَشَاءُ عَنْ أَمْرِي فَلِلَّهِ تَأْيِيدٌ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (الكهـ ٦١-٨٢)، فكان هذه الفعـال بما دق^(١) على موسى (عليه السلام) ولم يعلمه حتى أعلمه الخضر (عليه السلام) بتأويله.

وكذلك فعل يوسف (عليه السلام) جعل السقاية في رحل أخيه، ثم أدن مؤذن^(٢): أيتها العير إنكم لسارقون. وهم لم يسرقوا الصّواع، وإنما سرقوا يوسف (عليه السلام) والقوة في الحب، وقد قيل: إنهم أيضاً هم الذين باعوه بالدرهم المعدودة، وذلك أنه لما عرس السفّر^(٣) عند البئر، فأتى رجل منهم يريد الماء^(٤)، فأطلعه من لبئر، وكان إخوة يوسف في جسر قريب منهم^(٥)، فلما رأوهم أقبلوا إليهم وقالوا: هو عبد، فباعوه إلى السفّر بثمن بخس - كما قال الله تعالى - فكان فعال يوسف (عليه السلام) ذلك من أمر الصّواع بما دق على الناس.

وكذلك فعل طالوت حيث بعثه النبي شموول، حيث مر على النهر فقال: من شرب منه فليس مني، ومن لم يطعمه فإنه مني؛ ولأنه لما خرج لجالوت وكثر جنده - وكان منهم الصادق والمنافق - فخشي أن يتواكفوا ويفشلوا^(٦) ويتنازعوا في الأمر فينكسروا، فينكسر^(٧) ولا يبلغون في عدوهم مبلغاً، فأراد أن يتميز بعضهم من بعض

(١) في (ص، ع)، بما يدق.

(٢) في نسخة: لما عرض السفّر

(٣) في (شر): يريد الماء

(٤) في (ي): قريب منهم

(٥) في (ع): أن يترافقوا ويفشلوا

(٦) في (ث): فينكسر

فامتحنهم بالنهر، وعَلِمَ أنه من صبر منهم على الظم فهو يصبر على الحروب والآقتل، ومن لم يصبر عن الماء^(١) لم يصبر في الحرب. وكان أيضاً لا يمكنه تغييرهم إلا بما فعل، ومثل ذلك كثير موجود في أفعال العقلاء، قال الشاعر:

يَدِقُّ عَلَى الْأَفْكَارِ مَا أَنْتَ صَاحِبُ
فَبِتَرَكْ مَا يَحْفَى وَيُؤْخَذُ مَا بَدَى

فإذا كان في أفعال الناس ما يَدِقُّ على بعضهم - وكان ذلك حسناً كان ذلك في فعل الله أولى

وقد جهل هذا المعنى أصحاب مطرف بن شهاب، فنفوا عن الله تعالى خلق بعض هذه الأشياء التي يستقبحها الناس، مثل نقصان الخلق، واحتجوا بقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٢)، وقالوا: لم يقصد الله الخشى لكونها خشى^(٣)، وكذلك من وُلِدَ أعمى، أو مُقْعِدٌ، أو أَصَمٌّ، أو بَعِيرٌ يَدِين، وقالوا: ذلك من العوارض وليس بقصد من الله وعمد، وكذلك خلق الدود وشبهه. وقالوا: إن الله قد فطر لأشياء^(٤)؛ تحيل وتستحيل، ونسبوا ذلك إلى المطرة والعوارض. وقد قدمنا الكلام في أن الجمادات لا فعل لها ولو صح ما قالوا لكamt المطرة مشاركة لله في الصنع، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(١) زيادة في (ع، ي)

(٢) في (أ) على الماء

(٣) في (ش)، وكونها خشى

(٤) في (ج، ل): قد خلق الأشياء

وإذا كان العقلاء من الملائكة ^(١) والانس والجن لو اجتمعوا وتظاهروا على خلق بموضع ما قدرُوا، ولا تم لهم ذلك، مع أنهم قد جعلهم الله عقلاً، أحياء ^(٢) قادرين، فكيف يصح للفقرة فعلٌ وليست بعاقلة ولا حية ولا قادرة؟!

وأما احتجاجهم بقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ فالمراد به الأعم والأكثر ^(٣)، ولم يُرد الكل بل خصّ ناساً دون ناسٍ، ومذهبنا ^(٤) ماء العام على الخاص، قال الله تعالى: ﴿وَالنَّصْرُ لِلَّهِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفَرٌ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَقَبِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ^(٥)، فلو أراد به كل الناس ^(٦) لكان الطفل من أهل الخسر، إذ لم يستثبه مع الذين آمنوا من الخسر فلا حجة لهم بهذه الآية. وأيضاً فقد قدمنا الحديث ^(٧) في أن الله لا يخلق قبيحاً وإن قبح في أعين الناس، فلعل ذلك المعنى دق عليهم علمه. ألا ترى أن الخشْي من أكثر الناس ^(٨) بليّة وحسرة، وأقلهم في الدنيا نعمة؛ لأنها ممنوعة من الكاح ومن مجالسة الرجال - إلا من يحرم عليها - لو كانت امرأة؛ ومن مجالسة النساء - إلا من يحرم عليه - لو كان رجلاً، فهذا من أكبر البلايا والمحن، فإذا صبر ^(٩) وقدر على منع نفسه عما حرم الله عليه كان له في الآخرة عند الله

(١) في (ص): عقلاء أحياء

(٢) في (أ): الأعم الأكثر

(٣) في (ب، ش، ع): ومن مذهبنا

(٤) في (ع): كل إنسان

(٥) في (ب، ص، ط): وإنما قدمنا الحديث

(٦) في (ع): من أكبر الناس

(٧) في (ب، ع، ش): فإن صبر

منزلة رفيعة وأجر عظيم، ومن نظره أيضاً من أهل الكمال، فشكر فله أجر كبير^(١) على شكره، ومن جهل هذه الجملة فقد جهل خلق الله ونعمته وبليته، ومن جهل نعمة الله وبليته فقد جهله وجهل لِمَاذَا خلق الخلق، وكفى بالجهل لذلك ذنباً وخطيئة.

فصل

في الكلام في اختلاف أهل القبلة في العدل وذكر ما أجمعوا عليه وما اختلفوا فيه

(فإنهم)^(٢) أجمعوا على القول: (أن الله عدل، وأنه مُنَزَّه عن صفة القصر) لأنهم جميعاً يقولون: **الله: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ**^(٣). وتأويله التنزيه له من صفات النقص. وأجمعوا على أنه لا يظلم العباد، ولا يُحبب الفساد ولا يرضاه، وأجمعوا على أنه صادق الوعد، وأجمعوا على أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، وأن المؤمن مُخَلَّدٌ في الجنة، وأن الكافر مُخَلَّدٌ في النار.

واختلفوا في فعل العباد وفي الاستطاعة، وفي الوعيد وفي الإرادة، وفي الهداية والإضلال. فعندنا وعند المعتزلة: أن أفعال العبد له خالصة^(٤)، وأنها لا تُنسب إلى الله، وأنه لا يجبرهم على فعلها، ولا يأمر بالمعاصي، ولا يرضى بها.

(١) في (ص): فله أجر كبير على شكره.

(٢) ساقط في (ع).

(٣) في (ع، ل، ب): يقولون: الله سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ.

(٤) في (ص): أن أفعال العباد لهم خالصة.

وعند جهنم بن صفوان ومن قال بقوله من الصفاتية : هي أفعال الله خالصة ، وليس للعبد فيها صنع وإنما هو كالظرف والوعاء .

وقالت النجارية والأشعرية : إن الله وعده مشتركاً في فعل العبد ؛ فقالوا : إن الله يخلق أفعال العباد ، ويحدثها ، والعبد مع ذلك مكتسبٌ لفعله

وقالت النجارية : هي فعله على الحقيقة .

وقالت الأشعرية : هي فعله على المجاز ، وحجتهم قول الله تعالى : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الزمر ١٦٢) ، وقوله : ﴿أَتَشْكُرُونَ مَا قَدْ جُعِلَ ۖ وَاللَّهُ خَالِقُكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت ٢٩٩، ٣٠٠) .

وقد قدمنا الرد عليهم من المعقول أن الله مُتَرَكٌّ عن صفات النفس ، وأي نقص أكبر من أن يكون فاعلاً لكل فاعلية ومنكراً ومعروفاً وحيراً وشرّاً ، ولو صحّ ذلك لكان جائراً ظالماً عابثاً ؛ لأنه إذا كان يُجبر العباد على أفعالهم كانوا مطيعين له كلهم ، وإذا أحير العبد على الكفر ثم أدخله النار كان جائراً ظالماً ، وإذا نهى العبد عن فعل شيء وجبره على فعله لكان عابثاً^(١) - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وكذلك إذا أمره بالإيمان ، وسلبه الاستطاعة عليه يكون أيضاً ظالماً عابثاً - تعالى الله عما يقول المشبهون .

ونردُّ عليهم من المسموع : أما احتجاجهم بقول الله تعالى : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فهو خاصٌ فيما خلق الله^(٢) دون ما فعل العباد .

(١) في (مر) : لكان عابثاً . وفي (ن) : ك ، عابثاً

(٢) في (مر) : فيما فعل الله تعالى .

كما قال تعالى^(١) في بلقيس . ﴿وَأَوْثَقْتِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [المد ٢٣] ، المراد به خاص فيما يصلح لها ، ويكون لشهها في عصرها ؛ لأنها لم تزل ذكراً ولا حية ، وقال الله تعالى . ﴿وَمُخَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا قُرْبَةً كَانَتْ آيَةً لَطَمِيئَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ [المد ١١١] ، المراد به من كثير من المواضع ، وليس من جميع الأماكن حتى لا يبقى مكان لا يأتيها رزقها منه ، فسقط تعلقهم بهذا .

واستدلوا أيضاً على قولهم بقول الله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ شَاءَ وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ شَاءَ وَيُغْنِي مَنْ شَاءَ وَكَذَلِكُمْ كُنَّا تَبَرُّ﴾ [المد ٢٦] ، وتأويل الآية . أن الله تعالى يؤتي الملك من يشاء وهو النوء والرسالة والإمامة ، كما قال تعالى : ﴿اللَّهُ أَهْلَمُ حَيْثُ يَخْتَلِفُ رِسَالَتُهُ﴾ [الم ١٢٤] ، وينزع من عمل لا يستحقه^(٢) ، ويعز أوليائه ويذل أعداءه .

وأما ما حكى الله من قول إبراهيم . ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْمِلُونَ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَحْمِلُونَ﴾ [الصافات ١٦٠، ١٦١] ، والمراد به . الله خلقكم وحمل ما تحمّلون ، فسمي محل الفعل فعلاً ، والمراد به محل الفعل ، قال الله تعالى في عصا موسى (ع) : ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [المد ١١٧] ، وهي لم تلقف أفعالهم ، وإنما تلقف^(٣) محل الفعل .

ومما يبيّن أن أفعال العباد منسوبة إليهم قول الله تعالى : ﴿يَوْمَ يُعَذِّبُ الْمُتَشَكِّكِينَ النَّاسُ أَشْغَاةً يُهَوِّوْنَ أَهْمَانَهُمْ ۝ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزمر ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤] .

(١) في (ع) : كما أنه قال تعالى

(٢) في (ص، ع) . ويرعه من لا يستحقه

(٣) في (ب، ت، ع) : وإنما تلقف

شَرًّا نَرَهُ ﴿البقرة ٨٠﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَئِي الدُّنْيَا جُزْئٍ وَدَلِيلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابُ الْخَرِيقِ ۝ ذَلِكَ بِمَا قَسَمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الحج ٨-١٠] ، وقال تعالى : ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَصَدَقْنَاهُمَا مَا مِيمَنَ مِنْ شَرِّ الْمُجْرِمِ﴾ [البقرة ١٧٥] ، وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ حَكَّرُوا أَهْلَهُمْ حَكَّرَابٍ بِقِيَمَةٍ يَحْسَبُ الظَّالِمُ مَاءً ۝ لَا يَأْتِيهِمْ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَرْضًا ۚ أَنِ اتَّخَذُوا آمَنَ يَخَافُونَ أَنَّ يَجِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [السر ٥٠] ، وقال تعالى حاكياً قول السحرة لفرعون - ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّكَ إِنَّا كُنَّا بِمَا نَعْمُرُكَ أَجْزَئًا وَمَا أَصْغَرُحْنَاهَا عَلَيْهِ مِنَ الشَّجَرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه ٧٣] ، ولم يقولوا . وما أكرهنا عليه الله . وقال تعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالشَّيْئَةِ فَلَا يَحْزَنُ الَّذِينَ عَمِلُوا الشَّرَّ فَإِنَّهُمُ إِلَّا مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعر ٨٤] ، وقال تعالى : ﴿لَمَّا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَهْسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الزمر ٦٩] ، وقال تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَلَعَوْلَا غِيًى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَقْدِرُ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الزمر ٦٧] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّا نَقْرَأُ الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [الزمر ١٠٥] ، وهل يكون أحدٌ أكذب ممن يفعل الفاحشة ثم يُرَى نفسه ويُزهرها وينسبها إلى الله؟ وقد قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ اجْعَلْ لَهُ ثَمًّا وَإِنَّمَا نُنَبِّئُكَ بِمَا تَعْمَلُ﴾ [البقرة ١١٢] ، وهذا كثيرٌ في القرآن ، وقد قال الله تعالى : ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة ١] ، والله لم يتبرأ من خلقهم ولا من رزقهم ، فلم يبق إلا أنه تبرأ من أفعالهم ، فهو كان فاعلاً لها لما تبرأ منها .

وأيضاً فلو كان أفعال العباد من الله^(١) لما استحقوا عليها الشواب والعقاب في الآخرة، ولا المدح والدم في الدنيا.

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «القدرية مجوس هذه الأمة»، وروي عنه ﷺ أنه قال: «القدرية خصماء الله، وشهداء إبليس» ومعنى شهداء إبليس أن الله حكى عنه أنه قال: ﴿لَمَّا أَتَيْنِي﴾ [المزمل ١٦]، فنسب الإغواء إلى الله، ولم يفعل كذلك آدم عليه السلام بل قال: ﴿وَكُنَّا ظَنًّا أَهْنَاءُ﴾ [المزمل ٢٢].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيُّنَ الْقَدَرِيَّةِ خُصَمَاءُ اللَّهِ وَشُهَدَاءُ إِبْلِيسَ، فَتَقُومُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُخْرِجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ دُخَانٌ أَسْوَدٌ».

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِصْمِنَا لِي سِتَّةً^(٢) أَصْمِنَ لَكُمْ الْحَيَّةُ: لَا تَظْلَمُوا عِنْدَ قَسَمِ مَوَارِيثِكُمْ، وَلَا تَغْلُوا غَنَائِمَكُمْ، وَلَا تَجْبِنُوا عَنْ قِتَالِ عَدُوِّكُمْ، وَاصْبِرُوا ظَالِمَكُمْ مِنْ مَظْلُومِكُمْ، وَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَحْمِلُوا عَلَى اللَّهِ ذُنُوبَكُمْ».

وروي^(٣) عن مكحول عن أبي هريرة أن رجلاً من خثعم قام إلى النبي ﷺ فقال: متى يرحم الله عباده؟ قال: «ما لم يعملوا بالمعاصي ثم يزعمون أنها من الله تعالى، وإذا فعلوا ذلك انتزعت عنهم الرحمة انتزاعاً. قال الخثعمي: يا رسول الله، أَيْضِلُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قال: إذا قال هذا القول طبع على قلبه».

(١) في (ث): أفعال العباد لله.

(٢) في (ع): اصمنا لي ستة.

وروي عن أسر بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما هلكت أمة حتى يكون الخبر قولهم».

وعن أبي ذر رحمه الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله عز وجل: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا».

واعلم أن القول بالعدل هو إجماع المهاجرين والأنصار، فمن ذلك: ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه لما انصرف من صفين، قام إليه شيخ من أهل الحجاز، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله وقدره؟ فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما هبطنا وادياً ولا عجلونا تلعة إلا بقضاء من الله وقدر. فقال الشيخ: في الله احتسب عاني أو مسيري، والله ما أحسب لي من الأحر شيئاً. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): لقد عظم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم ذاهبون، وفي منقلكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين، ولا إليها مصطرين.

قال الشيخ: كيف يكون ذلك والقضاء والقدر ساقان، وعههما كان مسيرنا؟

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): لعلك تظن قضاء لازماً وقدرًا حتمًا؛ لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، وما كانت تأتي من الله لائحة للذنوب ولا مخمدة للحسن، وما كان^(١)

(٣) في (د): وقد روي.

(١) في (ب، ص، ع): ولا كان

المُحْسِنُ أَوْلَى بِثَوَابِ الْإِحْسَانِ مِنَ الْمَذْنِبِ، وَلَا الْمَذْنِبُ أَوْلَى بِعَقُوبَةِ الدُّبُلِ مِنَ الْمُحْسِنِ، تِلْكَ مَقَالَةُ حِوَالِ لِشَيْطَانٍ، وَعَبْدَةِ الْأَوْثَانِ، وَخَصَمَاءِ الرَّحِمِ، وَشُهَدَاءِ الزُّورِ، وَأَهْلِ الْبَغْيِ وَالْفُجُورِ، هُمْ قُدْرَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمُجُوسُهَا، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ تَخْيِيراً، وَنَهَى تَحْدِيراً، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً، وَلَا بَعَثَ الْأَنْبِيَاءَ عِبْثاً، وَلَا أَرَى عَجَائِبَ الْآيَاتِ بِاطْلَافِ ﴿قُلْ لَّكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [سورة ٢٧] فَقَالَ: وَمَا ذَلِكَ الْقِصَّةُ الَّتِي سَأَلْتَنِي فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام): أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِدَلَالِكَ وَإِرَادَتِهِ لَهُ، ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِمْ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَهًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة ١٧٣]

فهو الشيخ مسروراً عما يسمع وهو يقول:

أست الإمام الذي ترجو بطاعته

يوم سُورَ مِنَ الرَّحِمِ رِصَوَاناً

أوضححت من ديننا ما كان مُشْتَبَهاً

جزاك ربك عنا فيه إحساناً

وروي أن أبا بكر سئل وهو على منبر رسول الله ﷺ عن الكلالَةِ فَقَالَ: مَا سَمِعْتُ فِيهَا شَيْئاً، وَسَأَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِي -فَإِنْ أَصِيبْتُ فَاللَّهُ وَفَّقَنِي، وَإِنْ أَخْطَأْتُ فَاعْطَا مِنِّي- وَمِنَ الشَّيْطَانِ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْهُ بَرِّئَانٍ^(١) -أَرَاهُ مَا خَلَا الْوَالِدَ وَالْوَلَدَ- فَلَمَّا وَلِيَ عِمْرُ قَالَ: أَسْتَحْيِي أَنْ أَرُدَّ قِضَاءً، قَضَىٰ بِهِ أَبُو بَكْرٍ

(١) في (ب، ص): بَرِّئَانِ

وروي أن كاتباً كتب عند عمر: هذا ما أرى الله عَمَرُ، فقال عمر: امحه، واكتب هذا ما رأى عمر، فإن كان صواباً فمن الله، وإن يكن^(١) غير صوابٍ فمن عمر.

وروي أن ابن مسعود سئل عن امرأة مات عنها زوجها، ولم يفرض لها صداقاً فقال: أقول فيها برأيي - فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني، ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريان^(٢) - لها مثل صداق امرأة من نساءها، لا وكس ولا شطط، ولها الميراث، وعليها العدة.

وروي عن علي بن عبد الله بن العباس قال: كنتُ جالساً عند أبي، فقال له رجل: يا أبا العباس إن هاهنا قوماً يزعمون أنهم أتوا من قبل الله تعالى، وأن الله أحبرهم على المعاصي فقال: لو علمت أن هاهنا أحداً منهم لقبضتُ على حلقه فقصرتُه حتى ترهق نفسه.

وروي مثل ذلك في العدل عن جابر بن عبد الله، وحذيفة بن اليمان، وغيرهم، وهو قول أهل البيت^(عليهم السلام) والمعتزلة.

وروي أن الحجاج بن يوسف كتب إلى الحسن بن أبي الحسن البصري، وإلى واصل بن عطاء، وإلى عمرو بن عبيد؛ يسألهم عن العقوبة على أفعال الشر^(٣)، وهل هي من أفعال الله تعالى، أو من أفعال الفاعلين؟

(١) في (ب، ص، ع) فإن يكن وي (م). - فإن يك

(٢) في (ب، ص)، بريئاً

(٣) في (ع). على أفعال البشر

وكتب إليه الحسن يقول: ما سمعتُ في ذلك إلا قول عليٍّ (عليه السلام)، فإنه قال: (أترى الذي بهك دهاك؟ إنما دهاك أسفلك وأعلاك، والله بريء من ذلك).

وكتب إليه واصل بن عطاء: ما سمعتُ فيه إلا قول عليٍّ (عليه السلام)، فإنه قال: (أبدلك الطريق ويلزم عليك المصيق^(١)) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).

وكتب إليه عمرو بن عبيد: ما سمعتُ في ذلك إلا قول عليٍّ (عليه السلام)، فإنه قال: (إذا كان القضاء حتماً كنت عقوبة المأمور ظلماً^(٢)).

فلما وصلت الكتب وكنها مسددةً إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) قال^(٣): قاتلهم الله، لقد أخذوها من عيني صافية.

وروي أن أول من أظهر الحجة معاوية - لعنه الله، فروي عنه أنه قام خطيباً بالشام فقال: يا أهل الشام إنما أنا خائنٌ من حزن الله، أعطي من أعطى الله، وأمنع من منع الله. فقام إليه أبو ذر فقال: كذبت يا معاوية، إنك تعطي من منعه الله، وتمنع من أعطاه الله. فقام عبادة بن الصامت فقال: صدق أبو ذر. فقام أبو الدرداء فقال: صدق عبادة. قال: فنزل من المنبر وهو يقول: فعم إذا، فعم إذا.

ومعاوية ممن لا يُعتد بقوله^(٤)، لأن العلماء من الأمة والمضلاء يجمعون على فسقه، ومنهم من يعدّه كافراً مرتدّاً، ورووا فيه أحباراً عن النبي ﷺ.

(١) في (أ) أبدلك على الطريق، ويأخذ ويلزم عليك المصيق

(٢) في (م، د): كانت العموية ظلماً

(٣) أي الحجاج

(٤) في (ص، ع): ومعاوية لا يعتد بقوله.

روى عن أبي سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله الأنصاري وحذيفة بن اليمان : كلهم يروون عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاضربوا عنقه» قال : فلم يفعلوا فاذلهم الله. وروى عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا رأيتم معاوية يطلبُ الملك فاضربوا عنقه». وروى عن النبي ﷺ أنه قال : «إن هذا يريد الأمر من بعدي - يريد معاوية -^(١) وأشار بيده إليه ، فمن أدركه منكم وهو يُريده فليقر بطنه». وروى عن عبد الله بن عمر قال : تركتُ أبي يتهياً للمصطفى إلى النبي ﷺ فدحيتُ على رسول الله ﷺ فسمعته يقول : «ليدخلن علي رجل يكون عسى غير ملتي» فرهبت أن يكون أبي فما زالت عيني إلى الطريق (حتى دخل معاوية). وروى أنه مات وفي عنقه صليب. فمن قبل هذا أنه لا يقتدى بقوله

فصل

في الكلام في الاستطاعة

اختلفوا في الاستطاعة قبل الفعل وبعده (ومعه)^(٢) :

فعندنا وعند علماء المعتزلة أن الاستطاعة قبل الفعل ، والاستطاعة الواحدة تكون على الشيء وضده ، وإن الله لا يسلب عبده الاستطاعة على شيء ثم يأمره بفعله.

(١) في (ع ، ب) : يعني : معاوية

(٢) ساقط في (ع ، ب) وفي (ص) : قبل الفعل ومعه

وقالت المجبرة^(١) من النجارية والجهمية والأشعرية: الاستطاعة مع الفعل، وقالوا: الاستطاعة على الكفر هي غير الاستطاعة على الإيمان، ولا تكون الاستطاعة على الشيء وضده، فمن كان مستطيعاً للإيمان لا يكون مستطيعاً للكفر^(٢)، ومن كان مستطيعاً للكفر^(٣) لا يكون مستطيعاً للإيمان^(٤)، ودليلهم أنهم قالوا: إنا محتاجون إلى الله في كل وقت ونحتاج فيه إلى الاستطاعة، فلما كانت حاجتنا إليه عند كل فعل، والتمكين منه عند كل شيء، علمنا أن استطاعتنا مع فعلنا. قالوا: ولأن أحدنا قد يريد الفعل قبل أن يريد الحركة، فإذا فعل^(٥) تحرك، وإذا تحرك فعل، فصح^(٦) الاستطاعة مع الفعل.

وقال أبو حنيفة^(٧)، ومن قال بقوله من المرجئة،

(١) في (ص): ثم قالت المجبرة

(٢) في (أ): مستطاع على الإيمان. وفي (ص): مستطاعاً على الكفر

(٣) في (ص): مستطاعاً على الكفر

(٤) في (أ): مستطاعاً على الإيمان

(٥) في (م): فإن فعل

(٦) في (ص، ع، د): وصح

(٧) هو النعمان بن ثابت الكوفي، أبو حنيفة مولى بني تميم الله بن ثعلبة، فقيه العراقي، وعلمامة الدنيا بالانفاق، مولده سنة ٨٠ هـ رأى أسير بن ماث، وروى عن عطاء بن أبي رباح وطبقته، وتفقه على حماد بن أبي سليمان وكان من أدعيه بني آدم، جمع الفقه والعبادة والورع والسجاء، وكان لا يقل جوائز الدولة من يفتق ويؤثر من كسبه، له دار كبيرة بمكة بمكة، وعنده صنّاع وأجراء قال الشافعي الناس عال في سمعه على أبي حنيفة، وقال الشافعي من أراد الفقه فليأت أصحاب أبي حنيفة وقال يزيد بن هارون ما رأيت أورع ولا أعقل من أبي حنيفة، وسمع رجلاً يقول: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل، فقال: والله لا يتحدث الناس عني بما لم أفعل، وكان يحبي نيل صلاه ودعاء وتصرفاً واتقى بالإمام الأعظم زيد بن علي (عليه السلام) لما وصل الكوفة مدع، وسأله عن مسائل فأعجب به الإمام زيد، وقد عدّوه في الزيدية وصنف الزمخشري في مدحه كتاباً سماه: شقائق النعمان في حقائق النعمان قيل: مات مسموماً قال الذهبي سقاه منصور الدوابني السّم لقيامه مع الإمام إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) في شهر رجب سنة ١٥٠ هـ.

(وابن التَّجَار) (١) وابن التَّمَّار، ومن قل بقوله من الزيدية: الاستطاعة مع الفعل، والشيء الذي يفعل به لإيمان هو الشيء الذي يفعل به الكفر، وعلتهم: أنَّ الكافر لما أمر بالإيمان، حوّل القوة والحركة التي كان يستعملها في الكفر.

وقال أبو حنيفة: الأمر مع الفعل.

وقال ابن التَّمَّار: الأمر قبل الفعل، وهو مشغول مع الفعل، ودليله: أنك لا تفعل فعلين في وقت واحد.

وقال صاحب الطَّاق، وهشام الجواليقي: الاستطاعة قبل الفعل، ولا يكون الفعل إلا أن يشاء الله، وعلتهم: أن أحداً لا يفعل في سلطان الله شيئاً إلا أن يشاء الله ذلك.

وقال هشام بن حرول: الاستطاعة مثل القاس والدلو والإبرة.

وقالت الفضلية - وهم أصحاب فضيل الرقشي - والشمريّة - وهم أصحاب أبي شمر - والميمونية - وهم صنف من الخوارج -: الاستطاعة قبل العمل، وإنما هي سلامة الخوارج.

وقال بشر بن المعتمر، ومن قل بقوله: الاستطاعة قبل الفعل، وهي عَرْضٌ، وهي السلامة وحدها، قال (٢) وعند الله عونٌ أعطاه أوليائه ومنعه أعداءه، ودليله قوله تعالى: ﴿لَنْ نَقْضَ عَنْكَ عَهْدَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّهُمْ غَلَّتْ أَهْجَانُهُمْ لَهَا حَاصِرَاتٌ﴾ [سورة ١١]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [سورة ١١٠].

(١) ساقط في (ص).

(٢) زيادة في (ع).

وقال أبو الهذيل العلاف^(١)، ومن قال بقوله: الاستطاعة قبل الفعل، وهي عرض من الأعراض، ودليله أن الاستطاعة لا تبقى زمنين لأنه إذا فعل الفعل كان غير محتاج إلى الاستطاعة بفعل بها الفعل الموجود.

وقال معمر^(٢): الاستطاعة قبل الفعل، والبدن مَوَاتٌ يفعل بالطبيعة، والإنسان يفعل بالاختيار.

وقال حفص الفرد^(٣)، وصالح فقه^(٤): الاستطاعة قبل الفعل، وهي مع الفعل.

وقال بعض الإمامية، منهم أبو مالك الحضرمي: الاستطاعة مع الفعل له، ولتركه، وقبل الفعل.

وقال صرار بن عمرو ومن قال بقوله: الاستطاعة قبل الفعل، وهي بعض الإنسان، ودليله على أنها بعض الإنسان؛ أنه لما رأى الإنسان لا يفتك من لون وطعم ورائحة ومنحة وسمع وبصر وقوة وعجز، فلما كان اللون بعضه كذلك كان عجزه والقوة بعضه.

(١) سبقته ترجمته

(٢) هو أبو عمر محمد بن عباد السلمي، نهر مداهب، وهو من القدرية، وكان يميل إلى مذهب الفلاسفة، ومن تلاميذه عيسى بن صبح المردار، وانفرد عن أصحابه بمسائل، منها الأجسام والأعراض، وكلام الله، والحركة والسكون، فعل الإنسان إرادته، توفي سنة ٢١٥ هـ.

(٣) حفص الفرد، كان من المتقدمين في علم الكلام، وقد كتاب (الأبواب) لعباد، وهو الذي أملاه أبو هاشم، وهو من الهجرة، ويكنى أبو عمر، وكان من أهل مصر، قدم البصرة، فسمع بابي الهذيل، واجتمع معه وباطنه، صطبه أبو الهذيل، وكان أولاً معتزلياً، وقال بخلق القرآن.

(٤) صالح فقه هو أبو جعفر بن محمد بن فقه، من متكلمي الشيعة، وهو من الطبقة السابعة، خالف الجمهور في أمور، منها كبر الترتيبات مع الله تعالى، وكون الإدراك معنى قمت.

وقال إبراهيم النظام: أنت مستطيعٌ قبل الفعل، وأحال أن تكون الاستطاعة غير المستطيع، وعلته أنه لو كانت الاستطاعة غيره لكانت مفسدةً عليه ولكانت غير مُعينةً له.

وللمتكلمين في هذا كلامٌ طويلٌ، ونحن عمدنا في كتابنا هذا [إلى] الاختصار.

ونحن نقول: إن الاستطاعة قبل الفعل، وهي جسمٌ وعرضٌ. فالجسمُ هو الخواص^(١) واللسانُ واليدانِ والرُجلانِ وسائر الجوارح، والعرضُ قوةُ النفس، وهي قبل الفعل، فإذا أراد الفعل تحركت له النفس.

وقوة النفس عَرَضٌ حالٌ في الجسم، يتناول بها المعصية كما يتناول بها الطاعة، والعمد قادر بها على الفعل، قادرٌ بها على تركه، ولأن الله قد جعلها في العبد وجعله مالكا لها ولم يجعلها مالكةً له، ومكنه بها على فعل الطاعة التي خلقه لها، وجعله مستطيعاً بها على فعل المعصية لِيَسْلُوهُ، ولولا ذلك ما استحق^(٢) الحمد والثواب على فعله للطاعات ولزوم نفسه عن المنكرات، ولما استحقَّ الذم والعقاب على فعله للمحرمات وتركه للواجبات. ولو كانت الاستطاعة مع الفعل، وكانت الاستطاعة على الشيء ولا تكون على ضده؛ كان الله قد كلف ما لا يُطاق، ولو كلف العبد ما لا يطيقه^(٣) لكان (ذلك)^(٤)

(١) في (ص): هي الخواص

(٢) في (ص): لما استحق

(٣) في (ص): ما لا يُطاق له

(٤) ساقط في (ع)

ظلماً وعبثاً. ألا ترى أنه لو كلف معاصي الطاعة وسلبه الاستطاعة ثم عذبه لكان ظلماً^(١)؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والدليل على أن الاستطاعة جسم وعرض أنه لولا الآلة لم يكن الإنسان مستطيعاً بقوة النفس، ولولا قوة النفس لم يكن مستطيعاً بالجوارح، وقد نكون الاستطاعة قوة النفس، والآلة مستطبعة.

وبما يدل على أن الاستطاعة قبل الفعل أن سلطاناً لو كلف محاراً، أو صائغاً^(٢)، أو حدّاداً، على عمل من الأعمال^(٣) وليس لأيهم شيء من آلات الصناعة، ولا قوة موسى^(٤)؛ أنه لا يتم لهم صنع شيء مما كلفهم عليه إلا أن تكون قد حصلت لهم الآلة والقوة. ألا ترى أنه كلفهم ما لا يطيقون، وظلمهم في تكليفهم لهم المعسور. وكذلك الطفل إذا كلف عمل شيء، يكون من يكلفه ما لا يطيق ظالماً

وكذلك إذا كلف الله عبداً عمل شيء، ولم يكن قد أعطاه الاستطاعة عليه يكون ظالماً في تكليفه للعد ما لا يطيق، وأعظم من ذلك: أن يسلب الكافر^(٥) الاستطاعة على الإيمان ثم يعذبه ويتوعدده^(٦) بأصناف العذاب إذا لم يعمل ما لا يطيق، فهل هذا إلا صريح الظلم وخلاف العدل؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، قال الله تعالى: ﴿وَكُلِّفَ عَلَى النَّاسِ حِجُّ نُبُوتٍ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران ٩٧]

(١) في (ع، ش): ثم عذبه كان ظلماً

(٢) في (ص): أو صائغاً

(٣) في (ش، ع، ب): على عمل عمر من هذه الأعمال

(٤) في (ص، ل): ولا قوة النفس وفي (ش): ولا قوة موسى

(٥) في (ب، ص): إذا سلب الكافر

(٦) في (ص): ثم يعذبه، ويتوعدده وفي (ل): ثم يعذبه ويتوعدده

وروي عن النبي ﷺ أنه سُئِلَ عن الاستطاعة على الحج فقال: «هي الرَّادُّ والراحلة». ألا ترى أنه لم يجب^(١) إلا بعد حصول الاستطاعة، وأن الله تعالى ما كَلَّفَ الحج إلا مَنْ استطاع إليه؟ فصَحَّ أن الاستطاعة قبل الفعل، وقال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبَدِّلْ عَنْهَا ۚ إِنَّهَا رِجْزٌ عَنِ النَّاسِ ۚ وَأَنَّ اللَّهَ يَبْغِي الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٤٠]، وقال تعالى: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ هَذَا إِلَّا بُشًى﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْفَقِيرِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَنُحَرِّ حَرْجٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا رَكَّلَ بِطُلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥]، وأبو حنيفة والشافعي يوافقان^(٢) في أن الاستطاعة على الحج قبل الفعل - وهو الزّاد والراحلة - فصَحَّ أن الاستطاعة قبل الفعل، وأن الله لا يكلف المعسور.

فصل

في الكلام في الوعد والوعيد

أما الوعدُ فلا خلاف بين أهل القبلة فيه، وإنما اختلفوا في صدق الوعد

لعندنا، وعند المعتزلة: أن الله صادق الوعد، كما أنه صادق الوعد، وأن من مات مُصْرًا على معصية أنه مُخَلَّدٌ^(٣) في النار وإن كان من أهل القبلة.

(١) في (ب، ج، د): أنه لا يجب

(٢) في (ص): وافقنا.

(٣) في (ب، ص): أنه يخلد

وقالت الحشوية، والمرجئة: لا يستحق أهل القبلة العذاب، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿لِنَّ اللَّهَ لَا يَخْشَى أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَخْشَى مَا هُوَ قَلِيلٌ لِمَنْ يُشَاءُ﴾ [سجدة: ١٨]، ونفوا المنزلة بين المنزلتين. وقالوا: الناس مؤمن وكافر، وحقبتهم قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التوبة: ١٢].

وقالت المرجئة: يجوز أن يعذبهم، ويجوز أن يعفو عنهم، وهو قول بعض المعتزلة، وعلتهم أنهم قلوا: ليس العفو بقبيح^(١)، ألا ترى أن إسان لو توعد^(٢) عبده بالعذاب وأصرب، والحس ثم قدر عليه وعفا عنه أن ذلك لا يكون قبيحاً.

واستدلوا عليه بقول الشاعر:

وإسبي إن أوعدك أو وعدك

لمُخْلِيفٍ إيمادي ومُصَدِّقٍ موعدي^(٣)

وقد روي أن عمرو بن عبيد رحمه الله تناظر هو ورجل من المرجئة، فاحتج المرجئي بقول الشاعر:

لمُخْلِيفٍ إيمادي ومُصَدِّقٍ موعدي^(٤)

فاحتج عليه عمرو بن عبيد بقول الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤١].

(١) في (ع) إن ذلك لا يكون بفتح

(٢) في (ب، ع، ش) لو وعد. وفي (أ): ألا ترى أن الإنسان لو أوعد

(٣) في (أ): لمُخْلِيفٍ إيمادي ومُصَدِّقٍ موعدي

(٤) في (أ): لمُخْلِيفٍ إيمادي، ومُصَدِّقٍ موعدي

وبقول الشاعر:

إن أبا ثابت لمجتمع الرأي شريف الأبناء واليستر
لا يخلف الوعد والوعيد ولا يصح من ثاره على فوت
وقال قوم من المرجئة: يُعَدُّهُ الله في النار ثم يخرجهم استدلوا^(١) بما
روي: «يخرج رجل من النار قد ذهب حبره وسبره»^(٢).

فقول: إن من دخل الجنة لا يخرج منها أبداً، وهذا مجمع عليه؛
فكذلك^(٣) من دخل النار لا يخرج منها أبداً

فأما قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لِّلنَّاسِ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝ وَمَا يُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّقْدَرٍ ۝ يَوْمَ يُأْتِي لَأْتِكُمْ هُمْ إِلَّا يَأْتِيهِمْ شِقَئٌ وَسَّيِّدٌ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زُمْرٌ وَشِقَاقٌ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ سَجَدُوا فِي الْجَنَّةِ وَالأَرْضِ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ مُخَالِفٌ لِّمَا يَرَى ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ سَجَدُوا فِي الْجَنَّةِ فَأَمَّا الَّذِينَ سَجَدُوا فِي الْجَنَّةِ وَالأَرْضِ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ فَطَاءَ غَمَرٌ مَّجْمُوعٌ ۝ ١٠٣-١٠٨، فإن الاستثناء ههنا من الحكم في الدنيا للشقي باسم الشقاء^(٤)، وللسعيد باسم السعادة. وليست المشيئة بمستثناة من الخلود، وإنما هي مستثناة من حكم له في الدنيا باسم، ثم رجع عما كان عليه. تقديره: فأما الذين حكم عليهم باسم الشقاء في الدنيا، ففي النار حالدين فيها، إلا أن يتوبوا في الدنيا فهذا الاستثناء هو المراد

(١) في (ب، ع) واستدلوا

(٢) (لخر) بكسر الحاء المهملة، وقد تفتح، هو غمائل والهيئة الحسنة و(السبر) بكسر السين

المهملة، وقد تفتح، هو حسن الهيئة والجمال. تمت بهـ

(٣) في (ص ي) وكذلك

(٤) في (ص): للاستثناء باسم الشقاء

بقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ وكذلك في الذين سعدوا تقديره: وأما الذين كُتِبَ لهم اسم السعادة في الدنيا، ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض، إلا أن يخرجوا من الطاعة إلى المعصية في الدنيا. وهو المراد بقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾.

ومما يؤيد ذلك أن الذين سعدوا لا يخرجون من الجنة أبداً إذا ماتوا سعداء بالإجماع. فلو جار خروج أحد من النار، جاز خروج من يدخل الجنة، لأن الاستثناء هاهنا في ذكر الجنة والنار. فبطل تعلقهم بهذه الآية.

وقد قبل - إن شاء الله - معنى ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ المراد به: وقت الحساب وأما الخبر الذي رُوِيَ عن النبي ﷺ فهو خير ضعيف؛ لأنه من خبر الآحاد، وإن صح فالمراد به: من حُكِمَ له^(١) بأنه من أهل النار ثم تاب في الدنيا خرج مما حُكِمَ عليه به.

ويدل على هذا التأويل ما رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه سمع مؤذناً^(٢) يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فقال ﷺ: «خرج من النار»

ونحن نعارضهم بالكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ مُؤْمِناً مُّحْسِناً فَخَرَّاهُ جَهَنَّمَ خَالِئاً بِهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ (الب، ٢٤)، وقال تعالى: ﴿وَالنَّارُ الَّتِي أُتِيَ بِهَا جَمِيمٌ﴾ (يونس، ١٠).

(١) زياده في (ب، ش، ص).

(٢) في (ص): من حُكِمَ الله له.

(٣) في (ص): أنه سمع مادياً.

وَمَا لَهُمْ عَنْهَا بِغَاهِبَتٍ ﴿١٧١﴾ [نظر ١٧١-١٧٠]، وقال تعالى: ﴿مَا يَمْثِلُ الْقَوْلَ لَنُؤَىٰ وَمَا آثَا بِظُلَامٍ لِّلْعَمِيدِ﴾ [د ١٢٩]، وقال تعالى: ﴿لِئَلَّا تُعْزِمَنَّهُ فِي عَذَابٍ مُّهِمٍّ خَالِدُونَ﴾ [مردف ١٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَصَبَّ إِلَهُ وَرَسُولَهُ وَتَصَدَّ خَشُودًا لِّتَحْمِلَهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِمٌّ﴾ [س ١١٠]، وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ مَّكَتَبَ سَبِيَّةً وَأَخَاطَتَ بِهِ خَطِيئَتَهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [مردف ١٨١]، ومعنى قول الله تعالى: ﴿لِئَلَّا تُعْزِمَنَّهُ النَّارُ النَّارُ جَمِيعًا﴾ [مردف ١٥٢] المراد به مع التوبة، لأنه ذكر عقيب^(١) هذه الإنابة بقوله: ﴿وَأَيُّهَا الَّذِينَ رَزَقْنَا نَسْتَلِمْوْا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ [مردف ١٥٤]، فشرط التوبة. وروى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحصى سعيًا فقتل نفسه فهو يتحصى في نار جهنم خالداً فيها مخلداً أبداً». وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «إياكم والزنا، فإن فيه أربع حصص: يُذهب بالبهاء من الوجه، ويقطع الررق، ويُسخط الرَّحِم، ويُحلد في السيران» وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «من تعلم العلم ليهامي به العلماء، ويُمَارَى به السفهاء، أو يباهي به في المجالس لم يُرَخَّ رائحة الجنة». وروى في الأخبار: «يَوْمُ» بالعالم العاسق إلى النار قبل عدة الأوثان. ويقال: ليس من يعلم كمن لا يعلم»

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يقطع رجل حقَّ امرئٍ مسلمٍ

(١) في (ب): عقيب.

(٢) في (ب، ص) - أنه يوم

بيمينه إلا حرم الله عليه الجنة، وأوجب له النار، فقال رجلٌ من القوم: يا رسول الله وإن كان شيئاً يسيراً؟ قال: وإن كان سُواكاً من إراك». وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «تُحرم الجنة على أربعة: المثان، والغيباب، والنمام، ومُدمن الخمس». فبطل ما قالوا.

فإن اعترض معترضٌ علينا فقال: ليس من العدل أن يعصي العبدُ عبد اقتراب أجله فيعذبه الله بمعصية واحدة صادفت موته، ويُخلد في النار^(١) ما دامت السماوات والأرض، وهو من أهل القبلة

قلنا: ليس هذا بلارم لنا، لأنهم مُجمعون معاً على أن إنساناً لو كفر وقت بلوغه - وهو من أولاد المشركين - ثم صادف ذلك موته، أنه يكون في النار خالداً مُخلداً فيها، مع أنهم قالوا: أطفال^(٢) المشركين في النار، ولنا نقول^(٣) فيه. فإذا كان هذا كفر عبد بلوغه قد دخل النار بكفره، فالذي يعصي ربه مع معرفته به وبالحلال والحرام أحق بالعداب والنكال، لِمَا روي^(٤): «يؤمر بالعالم القاسق إلى النار قبل عبدة الأوثان». ويُقال: ليس من يعلم كمن لا يعلم.

ويؤيد ذلك أن الكافر يعصي الله وهو يظن أنه لا يراه، والمسلمُ العالمُ يعصي الله وهو يعلم أنه يره، فلا يحتشم منه، ولا يمتنع من فعل الفاحشة، ولو علم أن إسانه يراه - ربيعاً أو وضيعاً - لاحتشم منه، وامتنع من واقعة الفاحشة. ألا ترى أنه لا يحتشم من ربه^(٥)،

(١) في (ص، ع)، فيخلده في النار

(٢) في (ع): إن أطفال

(٣) في (ص): بما روي

(٤) في (ب، ص، د): لم يحتشم من ربه

واحتشم من أشر خلقه^(١)، فجعل ربه أهون الناظرين إليه، فهذا^(٢) يخلد في النيران، ويكون حقيقاً بالخزي، والهوان.

وأما احتجاجهم بقول الله تعالى: ﴿لَنْ يَنْفَعَكَ بِهٖ وَتُظِرُّ مَا تَكُنْ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سجدة: ١٨]، فإن المراد به الصفات، والتوبة أيضاً من الكبائر؛ والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّتَمَّ لِمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَتَجِدُوهُمْ قَلِيلًا مَجْجُوًّا﴾ [سجدة: ٢٧]، فأخبر أنه واسع المغفرة، لمن اجتنب كبائر الإثم والفواحش، وأنه لا يغفر الفواحش والكبائر، إلا لمن تاب لقوله تعالى: ﴿وَأَنِى نُنَزِّلُ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [سجدة: ١٨]، وقوله: ﴿وَأَنِى رَزَقْنَاهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَتَجِدُوهُمْ قَلِيلًا مَجْجُوًّا﴾ [سجدة: ٢٧]، المراد به إذا تابوا وأخلصوا، وذلك موجود في القرآن كثير.

فصل

في الكلام في المنزلة بين المنزلتين

فهمدنا، وعند المعتزلة أن الفاسق ليس بمؤمن، ولا كافر جحود، بل هو كافر نعم.

وقال حسين النجار، ومن قال بقوله، والأشعرية: الفاسق فاسق بنفسه، مؤمن بإيمانه، والإيمان عندهم هو التصديق بالقلب. وذهبت الخوارج إلى أنه مشرك.

(١) في (ص). من شر خلقه

(٢) في (ع، ش، ب): فهذا

وقال الحسن المصري : هو صادق ، واستدلوا بقول الله عز وجل :
 ﴿لَا يَسْتَلَاحَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي كَذَبَ وَكَوْثِيَ﴾ [البقرة ١٦٠] ، وقد قال :
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ لَسِيفًا بِطُرُفِهِمْ ذَارًا
 وَيَسْتَلْزِمُونَ سُبُورًا﴾ [البقرة ١٨٠] ، فأوجب لهم الدار ، وقد أخبر أنه لا يصلها
 إلا الأشقى الذي كذب وتولى ، فعلمنا أنهم مكذبون ، ولقوله : ﴿وَلَنْ
 جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة ١٤٩] .

وحجة التحاريرة والأشعرية : أن إنساناً كافراً لو صدق بقلبه بالله
 وبكتبه وملائكته ورسوله واليوم الآخر ثم مات أنه يموت مؤمناً .

فقول : إن اسم المؤمن منقول من اللغة إلى العرف ؛ لأن الإيمان في
 اللغة هو التصديق ، فنقل إلى اسم الدين ، فمن اعتقد بقلبه ما جاء به
 رسول الله ﷺ وأقر به بلسانه وعمل به كان مؤمناً ، فصار هذا الاسم
 منقولاً إلى العرف . ومثل ذلك : اسم الصلاة كان موضوعاً في اللغة
 للدعاء فنقلت إلى الصلاة المحصورة ، ومن ذلك الغائط ، والدابة ،
 وأمثال ذلك واسم الكفر في اللغة كان موضوعاً للتغطية ، فنقل إلى
 من جحد وكذب وكفر ؛ وكذلك اسم الفاسق ؛ كان في اللغة لخروج
 الشيء من موضعه ، كما يقال للفأرة إذا خرجت من حُجرها :
 فُوسِيقَة . وإذا خرجت النواة من الرطوبة قيل : فسقت النواة ، أي
 خرجت ، فنقل إلى اسم العاصي المتهتك ، وكان في العرف اسم المؤمن
 مدحاً له ، ألا ترى أن من مدح إنساناً قل : هو مؤمن ؟ واسم الكافر
 ذمٌ له ، وكذلك اسم الفاسق ويد على ذلك : أن الكافر والفاسق
 يغضبان إذا قيل لهما : يا كافر ، يا فاسق ، ويكرهان ذلك ،

وأن المؤمن يُحب أن يقال له: يا مؤمن، ويرضى به، فلما صح أن العاسق مذموم بفسقه، صح أنه لا يكون مذموماً محموداً في وقت واحد؛ ولأن المدح والدم ضدان، ولا يجتمع ضدان في وقت واحد ومحل واحد، كما لا يجتمع السواد والبياض في محل واحد.

فأما قول العرب والمتكلمين من العلماء في أن الفرس (إذاً) داخل فيه البياض والسواد واجتمعا سُمي أبلق، ولا يسمى أبلق بأحدهما؛ فإن مرادهم إذا كان بعض جسد الفرس أبيض وبعضه أسود؛ لأن السواد والبياض لو اجتمعا في موضع واحد لم يكونا سواداً ولا بياضاً، وكانا لوناً آخر، فصح أن العاسق لا يجتمع فيه الحمد والذم^(١) معاً، ولا يبقى له اسم الإيمان تاماً^(٢)، ولا يكون كافراً جاحداً بل يكون كافر نعمة؛ قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ كُفْرًا﴾ [البراهين ٢٨]

والمؤمن عندنا من اعتقد بقلبه التصديق بالله وبملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وما جاء به رسول الله ﷺ، وأقر به بلسانه، وعمل ما أمر بعمله^(٣) من الطاعات، واجتنب ما نهى عنه من المنكرات^(٤)، فمن اجتمع فيه ما ذكرنا فهو مؤمن.

والدليل على ما قلنا من كتاب الله قوله عز من قائل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُؤُوسِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ

(١) في (أ، ي). المدح والدم

(٢) في (ص): ولا يتناول اسم الإيمان كاملاً

(٣) في (ب، ص)، ما أمر الله بعمله.

(٤) في (ص): من المحرمات المنكرات.

أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۚ فَمَنْ أَتَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝
وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ
هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْقَانِ هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿المؤمنون ١-١١﴾ وقال :
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ﴾ الآية (الاسد ١٢) ، وقال
تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَلَبُوا وَبَاءُوا عَلَىٰ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَصَفُوا أُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ (الاسد ١٧٤) ، وقال تعالى : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا
وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلْعَنَكُمُ
مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ذَكِيمٌ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ
لَمْ يَرْكَبُوا وَجَاهِلُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَهْبِهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾
(احزاب ١٥١) ، وقال تعالى : ﴿بِمَنْ أَلَاسُمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ (احزاب ١١١) ،
وقال تعالى : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبُ الْإِيمَانِ وَنَزَّاهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهُ الْإِيمَانُ
الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْإِيسْتِثْنَانِ﴾ (احزاب ١٧) ، وقال تعالى : ﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ
الْفَاسِقُونَ﴾ (الاحزاب ١١٠) ، وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِبَيْنٍ إِلَى
أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوا ۚ﴾ إلى قوله : ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ
يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِخْدَاهُمَا الْآخَرَىٰ﴾ (احزاب ١٢٨) ، فأمر المؤمنين بالإشهاد ثم نهى عن قبول
شهادة الماسق : فقال في من قذف ، ولم يأت بالشهداء : ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ
شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (احزاب ١١) ، وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِنْ جَاءَكُمْ
مَاسِقٌ بِمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ فَأُولَٰئِكَ بِجَهَالَةٍ فَتُصَحِّحُوا عَلَىٰ مَا فَتَحْتُمْ فَأَعْيَضْتُ﴾ (احزاب ١٦) ،
وقال تعالى في صفة النبي ﷺ ﴿خَرَجَ مِنْ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ
رَحِيمٌ﴾ (البقرة ١٢٨) ، وقال في صفة المؤمنين : ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
بَيْنَهُمْ﴾ (النسج ٢٩) ، ثم قال في الراسي ، والراية : ﴿وَلَا تَلْعَنُكُمْ بَيْنًا رَأْفَةً

فِي دِينِ اللَّهِ إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ [سور ٢٢]. وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يرني الرائي حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن، قالوا: يا رسول الله، كيف يفعل إذا وقع شيء من ذلك؟» قال: إن راجع التوبة راجع الإيمان^(١)، وإن لم يتب لم يكن مؤمناً.

وروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه سئل عن البغاة -أهل النهروان- فقيل له: أكفار هم؟ قال: (من الكفر هربوا)، فقيل: أمؤمنون هم؟ قال: (لو كانوا مؤمنين ما قاتلناهم، ولكمهم إخواننا بالأمس بعوا علينا)^(٢). فصنع أن البغاة ليسوا بمؤمنين ولا كافرين، وأن لهم منزلة بين المنزلتين.

وسئل: إيهام من أهل النار مخلدون فيها وعذاب الكفار أشد من عذابهم، ولا يُحكم عليهم باسم التعاقب؛ لأن المنافق مقر في الظاهر، مستحل في الباطن، وحكم الفاسق في الدنيا حكم المؤمن إلا في الموالاة والمعاداة والشهادات وأمثالها، فإنه يجب أن يتبرأ منه ولا يُوالى، لكنه يرث ويورث، وينكح وينكح، ويدفن في مقابر المسلمين. وقد اختلف أهل البيت (عليهم السلام) في ذبحته؛ فمنهم من نهى عنها، ومنهم من أجازها، وأنا لا أريدها ولا أجعلها ميتة؛ لأنه ليس بمؤمن ولا بكافر جاحد، هذا إذا كان مقيماً للصلاة مؤتياً للزكاة غير مدمن خمر.

(١) في (ب): إذا وقع شيئاً من ذلك

(٢) في (ب): رجع الإيمان.

(٣) في (ث): بعوا عليها اليوم

وأما إذا كان مُتَهَتِكاً فذبيحته ميتة لا يجوز أكلها. وقد ذكر الهادي (عليه السلام) أنه لا بأس بذبيحة الفاسق ما لم يبلغ فسقه الكفر. وقال في مسائل الطبريين: وسألت عن رجل يعرف العدل والتوحيد، وهو يشرب الخمر هو وامرأته، أو يكذب، أو يستحل مال مسلم فقلت: هل يجوز أكل ذبيحته؟

واعلم رحمك الله أن من شرب الخمر أو استحل^(١) أموال المسلمين، فليس هو عند من عرف الحق من المؤمنين، ومن لم يكن من المؤمنين، فأفعاله كلها أفعال أضداد المسلمين، ومن كان ضدًا للمسلمين فلا يجوز أكل ذبيحته لأحد من المؤمنين.

فصل

في الكلام في الهداية والإضلال

اختلف الناس في الهداية والإضلال.

فذهب الدين قالوا: الاستطاعة مع العمل، وسائر المجبرة إلى أن الله أجبر المهتدين^(٢) على الهدى، وأجبر الضالين^(٣) على الضلال؛ واستدلوا بظاهر قول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَهْدِي اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

(١) في (أ، ص): واستحل

(٢) في (ب، ص): جبر المهتدين

(٣) في (ب، ص): وجبر الضالين

وعندما وعند المعتزلة: أن الهدى من الله على ثلاثة وجوه^(١):

فهدى تفضل ابتداء الله به المكلفين، يستوي فيه المؤمن والكافر، والبر والفاجر؛ وهو العقل الضروري الذي هو استحسان الحسن واستقباح القبيح. قال الله تعالى: ﴿يَا هَٰذِهِ السَّبِيلُ إِنَّمَا جَعَلْنَاهَا ذِكْرًا وَنَسِيًّا ۚ﴾ [الاسراء: ٩]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۚ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۚ وَهَٰذِهِ السَّبِيلُ ۚ﴾ [الاسراء: ٨-١٠]، فهذا هو الهدى المستدام، وهو حجة الله على العبد.

وكذلك الكتاب، والرسول، هدى الله بهما الناس؛ قال تعالى في الكتاب: ﴿فَهَٰذَا بَيِّنَاتٌ لِّدِينِكَ وَإِنَّا قَالَتِ الْفِرْيَا مِنَّا أَن لَّا يَأْتِيَنَّكَ الْبَيِّنَاتُ إِلَّا أَهْلًا بِهَا ۚ﴾ [البقرة: ١١١]، وقال في الرسول ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّاتِ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَكَزَّيْنَهُمْ رِكْمَهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَمِنَ ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۚ﴾ [إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾] [البقرة: ١٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَّا فَكَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَانَ الْإِسْلَامُ كَكُفْرِهِمْ ۚ﴾ [البقرة: ١٧٥]، فصح أنه هدى (أي القرآن) من الله تفصل به على جميع عباده، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الاحزاب: ١٨].

والثاني: هدى جزاء وهو الجنة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُعْطِيَ اللَّهُ أَجْرًا لَّهُمْ ۚ سَيُغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۚ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ولأن الذين قاتلوا، قد قتل منهم في الحال قوم،

(١) في (ص): على ثلاثة أوجه

(٢) زيادة في (ب، ص)، وفي (أ). فصح أن هذا هدى

فصح أن الهدى الذي وعدهم الله في الآخرة ؛ لأنهم لم يبقوا لهداية الدنيا. وقد قرأ أبو عمرو : ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ الآية. وبما يؤكد هذا قول الله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [الاسم: ١٠٦] ، أراد به هدى الحزاء على الحقيقة ؛ لأنه لا يُشيب من أحب في الآخرة.

فلو كان المراد بالهداية هاهنا في الدنيا ، لكان هذا مخالفاً للكتاب والسنة ، ناقضاً للأصول ، لأنه قد هدى في الدنيا من أحب ومن لم يحب ، وأثاب أيضاً في الدنيا من أحب ، فصَحَّ أن المراد : أنك لا تُشيب في الآخرة من أحببت ، وصَحَّ أن الحزاء يُسمى هدى^(١) ، وقول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الاسم: ١٠٦] ، وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الاسم: ١٠٦] ، فهو يريد هدمية الثواب ، لأنه قد هداهم في الدنيا فلم يهتدوا ، قال عمر بن قاتل : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحْمُوا أَلَمْنَى عَلَى الْهَدَى﴾ [الاسم: ١١٧] .

والثالث : هدى زيادة في الثواب في الآخرة ، وتوفيق وتسديد في الدنيا ، قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ احْسَنُوا زَادْنَاهُمْ هُدًى وَأَنَّا لَهُمْ نِقَاتِهِمْ﴾ [الاسم: ١١٧] ، وقال تعالى : ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الاسم: ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [الاسم: ١١١] ، فصَحَّ أن الزيادة على الأجر تُسمى هدى وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّا لَهُمْ نِقَاتِهِمْ﴾ يريد ثوابهم.

فأما التوفيق^(٢) والتسديد في الدنيا فهو مثل قوله : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِ

(١) في (ص) : فصَحَّ أن الحزاء يُسمى هدى.

(٢) في (ب، ص، ع) - وأما التوفيق

إِيَّاكُمْ الْإِيمَانَ وَذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَفَرًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَالْحَسْبُ أَوْلِيَاكُمْ
الرَّاشِدُونَ ۝ فَتَلَا مِنْ آلِهِ وَهَنَةً ۝ [المعرب ٨٠٧] ، فَبَيْنَ أَنَّهُ فَضْلٌ ، وَالْفَضْلُ
غَيْرُ الْجَزَاءِ .

وأما الإضلال من الله تعالى ، فلا يكون من الله تعالى إضلالاً
لأحدٍ ، إلا أن يكون جزاءً على معصية ، قال الله تعالى : ﴿ يُضِلُّهُ بِهٖ
كَبِيرًا وَيَقْدِرُ بِهٖ كَبِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهٖ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ۝ الَّذِينَ يَخُشُونَ عِزَّ اللَّهِ
مِنْ بَعْدِ مِيقَاتِهِ وَيَقُطُّونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهٖ أَنْ يُوصَلَ وَالْمُسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أَوْلِيَاكُمْ لَهُمُ
الْخَاسِرُونَ ۝ [البقرة ٢٦٩] ، وقال تعالى : ﴿ كَيْفَ يَقْدِرُ اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بِعَدَّةِ
إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُلَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَقْدِرُ الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ۝ [آل عمران ٨٦] ، وقال تعالى : ﴿ سَكَّالًا بَلَّ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا هَكَّاءُ
يَكْسِبُونَ ۝ [المعرب ١١١] ، فصَحَّ أَنَّ الإضلال مِلْكُ اللَّهِ جزاءً للفاشرين على
فسقهم ويؤيد ذلك قول آية تعالى : ﴿ وَهَسِبُوا أَنَّهُمْ لَمْ
يَلْمِزُوا بِهٖ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَكَلَّمَنَّا بِهٖ قُلُوبَهُمْ فِي طَنَابِهِمْ يَتَكَبَّرُونَ ۝ [المعرب ١١٠] ، وكذلك الطبع
والختم يكونان أيضاً ^(١) من بعد الكفر والعسق جزاءً لهم على كفرهم
وفسقهم ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَدْعَوْتَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ
أَمْ لَمْ تَدْعُهُمْ لَآ يَؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ [البقرة ٧٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا
مِنْ جُنُودِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْيَقِينَ مَآذَا قَالَ إِلَهُكُمْ أَنَّهُ أَوْلِيَاكُمْ الَّذِينَ طَعَنَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
وَأَبْصَرُوا أَهْوَاءَهُمْ ۝ [ممد ١١٦] ، فدلَّ على أنه جزاؤهم لاتباعهم أهواءهم ^(٢) .

وقد ذكر بعض مشائخ المعتزلة أن الطبع والختم سمة وعلامة

(١) في (أ) يكون أيضاً

(٢) في (ب) ع : باتباعهم لأهوائهم وفي (أ) أنه جرائم لاتباعهم أهواءهم

جعلها الله في قلوب الكافرين وافسقين يعرفهم بها الملائكة (الأنبياء)،
قالوا: لأن الختم والطبع في الشاهد لا يجمع من الكسر.

وقال سائر المعتزلة: الإضلال من الله حكم، وكذلك الختم
والطبع، وأنشدوا عليه قول الكميت بن زيد.

وطائفة قد كفروني بجمعهم^(١)

وطائفة قالوا مسيء ومذنب

ومما يدل على أن الهداية من الله جزاء، وأن الإضلال من الله حزاء
ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا إنه من رَهْد في الدنيا وقَصَر
فيها أَمَلُهُ أعطاه الله علماً غير تعلم، وهُدًى غير هداية، ألا ومن
رعب في الدنيا وأطال فيها أَمَلُهُ^(٢) أَهَمُّ إِلَهٍ قلبه على قدر رغبته فيها»
والذي يدل على صحة ما ذهبنا إليه من أن الإضلال من الله
لأعدائه هو الجزاء على عصيانهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَجَرِّمِينَ فِي سُلَّالٍ
وَسُجْرٍ ۖ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ فُوقَهَا مَسُّ سَقَرٍ﴾ (النار ١٧-١٨) فصَحَّ
أن الإضلال هو العذاب، وهو جزاء لهم بما فعلوا

وأما قول الله تعالى: ﴿مَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ
أَنْ يُضِلَّهُ يَغْضُضْ صَدْرَهُ نَبْطًا ضَرَبًا﴾ (الأنعام ١٢٥)، فالمراد به ما ذكرنا من الجزاء،
والزيادة في الدنيا للمؤمنين من سعة الصدور^(٣)، واليقين والرحمة
للمؤمنين.

(١) في (ص) قد اكفروني وفي (ب، ع): قد اكفروني بجمعهم

(٢) في (ع): وطال فيها أَمَلُهُ

(٣) في (ب، ص، ع): من سعة الصدر

ومن كفر أو فسق، وعَنَدَ عن الحق، جزاء الله على فعاله، وجعله ضيق الصدر. وليس جعل حتم وحبر، لكنه جعل حُكم وإرسال، وزيادة في الأعمار والأموال^(١) والأولاد وسلامة الأحوال.

والمراد بالآية أن الله وسع^(٢) صدر المؤمن للعالم^(٣) بالعلم، وترك الآخر على أصله؛ لأن أصله الجهل. وقد قيل: العلم سعة، والجهل ضيق.

وقد قال الله تعالى: ﴿أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَلْوَهُمْ﴾ [نمل ٨٢]، والمراد به أنه أرسلهم وحلّاهم وتركهم.

ومما يدل على أن ذلك، ومثله جزاء من الله تعالى لهم على معصيتهم؛ قول الله تعالى: ﴿سَتَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّهْبَ بِنَا أَسْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَكُنْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَفْوًى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران ١٥٦].

ومما يؤيد أن الله لم يضلهم^(٤) ابتداءً، بل أضلوا أنفسهم، وأضلهم بعضهم؛ فحكم الله عليهم باسم لضلال، وجزاهم به عذاب جهنم، قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ يُعْرَقُ أَكْثَرُهُمْ أَضَلُّوا عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ لَمْ يَسْلُكُوا السَّبِيلَ ۚ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتُمْ أَبَائَكُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُرْءًا﴾ [نمل ١٧-١٨]، فبان أن الله ما أضلهم، ولكن أضلوا أنفسهم،

(١) في (أ) وريادة في الأعمال والأموال

(٢) في (ع): إن الله يوسع

(٣) زيادة في (ش، ع)

(٤) في (ب، ص): ومما يدل على أن الله لم يضلهم.

وأضل بعضهم بعضاً؛ قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْضُرُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ۚ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۚ لَقَدْ أَهْلَبْتَنِي الذِّكْرَ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خُنُوءًا﴾ [الزمر: ٢٧-٢٩]، وقال: ﴿فَمَاذَا بَعُدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يس: ٢٢]، وقال تعالى حاكياً قول إبراهيم (عليه السلام): ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَتَرْسِيَّ أَنْ هَبَهُ الْأُمَمَانِ ۚ رَبِّ أَهْلِلْنِي أَهْلًا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَهْلَلَّهُمُ النَّامِرِيَّ﴾ [طه: ٨٥]، وقال: ﴿وَأَهْلَلْ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه: ٧٩]، فبرأ الله نفسه من الإضلال، وسه إلى أعدائه.

وأما إغواء الشيطان وإضلاله للإنسان، فقد يكون الإغواء والإضلال من شياطين الإس ومن شياطين الجن

فأما شياطين الإس فذلك **ظاهريين** وأما شياطين الجن فقد يكون بالمقاربة والمدانة من غير مباشرة، ولا بمنازجة، ولا مخالطة، ولا كلام. وقالت الحشوية: الشيطان يمازج الإنسان، ويدخل في صدره ويخالطه.

فقول: لو كان يمازجه كما يقولون لكان الإنسان غير مخير، ولا مُمَكَّن، ولو كان غير مخير ولا مُمَكَّن لكان الله قد كلفه ما لا يطيق، وقد قدمنا الاحتجاج عليهم، ولو كانت نفس تدخل في صدر نفس وتمازجها وتشاركها في فعلها لكان ذلك من أقبح ما يكون، والله سريء من فعل القبيح^(١) وقد قال الله: ﴿إِنَّ جَهَادِي تُبْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [يس: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٨٢]، وقد قل الله تعالى حاكياً ما يقول إبليس

(١) في (ص)، من فعل ذلك

يوم القيامة: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾ الآية [سورة ١٢: ١٢٠]، ويوم القيامة موضع صدق، وليس كقوله في الدنيا: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [سورة ١١: ١١٠]، لأنه في الدنيا يمكنه الكذب، ويوم القيامة لا يقبل منه الكاذب، ولا يُقر عليه، ولا يصدقه أحد، ولا ينتفع بالكذب في شيء، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْفَعُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُخْرِجُهُمْ مِنْ صُكْمٍ يَخْتَلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْتَسِرُونَ أَلَهُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا إِلَهُمُ لَهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة ١٨: ١٨٠]، يقول: يحسبون أن الكذب يفعلم في شيء، وأنهم يُصدقون كما كانوا إذا حلفوا في الدنيا صدقوا. فصح أن الشيطان ليس له سلطان على المؤمنين قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝ إِنَّهُ يَهْدِي لَكُمْ شَيْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَهْوَكُلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ يَهْوَكُلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [سورة ٩٨: ١٠٠]، فصح أنه ليس له إحسان^(١) في الدخول في صدر الإنسان. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَكَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [سورة ١٧٦: ١٧٦]، ثبت أنه ليس له قوة على الإنسان ولا له حيلة في الدخول في صدر الإنسان، فبطل ما قالت الحشوية.

واعلم أن الأمة مجمعة على أن الشيطان يُضل الإنسان؛ وقد نطق بذلك القرآن. واختلفوا في كيفية إضلاله. فقالت الحشوية: بالممازجة، وقد قدمنا الكلام^(٢) والاحتجاج عليهم. وعندنا أن إضلاله بمعنى المدانة للإنسان والمقاربة؛ ولأنه يعرف في وحه الإنسان ما يدل

(١) في (ص): ليس له سلطان.

(٢) في (ث): وقد قدمنا القول.

ثم قال: ﴿وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوفُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوفُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ وَإِنَّمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [١٨ م١٨]. وقال تعالى حاكياً عن صاحب موسى: ﴿وَمَا آتَايَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكه ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَحْنُ إِلَّا إِذَا نَسَى الْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥ لِيُضِلَّ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ بَصَرَهُ لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَلِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ٥ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَلِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [مع ٥١-٥٢]، ومعنى ﴿نَسَى﴾ قرأ، وتأويل ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيهِ﴾ المراد به في قراءته، وليس المراد به أنه يُلْقِي في قلب الرسول ولا على لسان الرسول، ولكن المراد (به أنه) ^(١) يُلْقِي في قراءة بعض من يقرأ ما يأتي به الرسول، وذلك الإلقاء مثل العلط والسيان، والزيادة والنقصان. وقد سئل القاسم بن إبراهيم ^(عليه السلام) عن تأويل هذه الآية فقال: تأويل ﴿نَسَى﴾ هو قرأ، وتأويل ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيهِ﴾ تأويله ألقى الشيطان في قراءته. وقراءته ^(عليه السلام) هو ما ألقى من القرآن إلى أمته، والإلقاء الشيطان فيما يقرؤون من آياته هو إلقاء من الشيطان في أمنيته وقراءته. والإلقاء في القراءة من الشيطان ليس إلقاءً ^(٢) في قلب الرسول، ولا فيما جعله الله له من اللسان، ولكنه إلقاء في القراءة من الشيطان، بزيادة منه في القراءة أو نقصان ^(٣). وقد رأينا نحن في دهرنا هذا بين من يقرأ آيات القرآن اختلافاً كثيراً في الزيادة

(١) ساقط في (ص)

(٢) في (ع): ليس الإلقاء

(٣) في (ش): بزيادة منه في القرآن أو نقصان

والنقصان، فما كان من ذلك صدقاً وحقاً فمن القرآن، وما كان منه كذباً وباطلاً فهو من الشيطان وفي أيدي الروافض والغلاة من ذلك ما قد سمعت وسمعتاً. وقد أمر الله ﷻ بالاستعاذة من الشياطين^(١) وهمزاتهم فقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [النسب ١٧، ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَغُكُمُ الشَّيْطَانُ ذُرْغَ فَاثْمَعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [نبت ٣٦]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [سدر ١٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ إلى آخر السورة.

وقد جاء عن النبي ﷺ ما يوفق الكتاب، من الأمر بالتعوذ من الشيطان الرجيم. وروي عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ هَذِهِ الْحَشُوشُ مَحْتَصِرَةٌ فَإِنَّا دَخَلْنَا أَحَدَكُمْ فليقل: اللهم إني أعوذ بك من الخبيث والخبائث». وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلو بامرأة ليست له بمحرم، فإن ثالثهما الشيطان». وعن النبي ﷺ أنه قال: «لا يزال إبليس هائباً مذعوراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس، فإذا ضيعهن تجرأ عليه فآلقاه في العظام». وروي عنه ﷺ أنه قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَأْتِيَ أَحَدَكُمْ فَيَفْخُ بَيْنَ إِيَّتَيْهِ فَلَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يَجِدَ رِيحاً أَوْ يَسْمَعَ صَوْتاً». وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه كان إذا دخل المخرج قال: «بسم الله، اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس، الخبيث المخبث، الشيطان الرجيم».

(١) في (ش): بالاستعاذة به من الشيطان

وقولنا: إن الشيطان يستدلُّ إذ نظر في وجه الإنسان على ما في قلبه ؛ ومثل ذلك قد يعرفه أهلُ العطنة من الناس في الغضب والرضا ؛ وقد قال الله تعالى : ﴿ تَعْرِفُ إِلَىٰ وَجْهِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَكَرَ يَكَاذِبُونَ يَسْتُخْفُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ [سج ١٧] ، ولولا أن الإنسان يمكنه الامتناع من الشيطان وإضلاله لما أمر الله بالعود منه. وقد يمكن أن يكون إضلال الشيطان للإنسان بالإرسال من الله والتخليبة، عقوبة للإنسان على معصيته ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ إِذَا ثَوَّاهُ كَفَرُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَتَبَيَّنْ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ [سج ١٣٧] ، وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِن دَهْرِ الرُّعُوسِ هُمْ مَن لَّكَ خِطَابًا هَؤُلَاءِ قَبِرُوا ۖ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ غَنِي السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴾ [الزمر ٣١-٣٢] ، ويحمل على هذا المعنى قول الله تعالى : ﴿ ذَلَّلْنَا لَهُم مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ [الزمر ٤٨] ، والعشور هو المسير في غير الطريق ، قال الشاعر :

متى تأنهم تعشوا إلى ضوء نارهم

نجد حير نار عندها خير موقد



(٦) باب حقيقة معرفة النعمة

اعلم أنه لما ثبت أن المنعم حكيم، وثبت أنه لا يفعل قبيحاً^(١)، ثبت أن إظهار الحسن وإيجاده حسن، وإذا ثبت^(٢) أن إيجاده الحسن حسن، وثبت أن الله لا يفعل قبيحاً، ثبت أن إيجاده الله للعالم حسن.

ولما ثبت أن الله غني عن العالم، ثبت أنه لم يخلقه لنفسه بل خلقه لعباده نعمة منه وتفضلاً، فصح أن الله خلق العالم نعمة وتفضلاً، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [البقرة ٥٦-٥٨]، فيبين أنه ما خلقهم له، وأحرأه غني عنهم، وكذلك هو غني عن عبادتهم ونفعها لهم لا له، فلما أمرهم بالعبادة وأعطاهم الاستطاعة عليها قلَّ وجوب الأمر؛ ثم آتابهم عليها وصاعف لهم الثواب، صح أن التعبد نعمة وتفضل منه ابتداءً الله به عبده المكلفين، فصح أن الله ما خلق الخلق إلا نعمة وتفضلاً على عباده، فكان إظهاره^(٣) للحكمة ابتداءً منه بالنعمة

واعلم أنه لا يوجد شيء من خلق الله إلا وفيه نعمة لبعض

(١) في (ص)؛ وأنه لا يفعل قبيحاً

(٢) في (ش، ي)؛ فإذا ثبت

(٣) في (ص، ل)؛ فصح أن إظهاره

خلق الله ، تفضل الله بها عليه ، وكذلك لا يُفْطَرُ العبد على فطرة
إلا وفيها له نعمة من الله تعالى ، ولا يُؤمر بأمرٍ إلا وله فيه نعمة ،
ولا يُنهى عن فعل شيءٍ إلا وفي تركه له نعمة معجلة أو مؤجلة.

فصل

في الكلام فيما خلق الله من النعم

من ذلك خلق الهواء ، وما جعل الله فيه من السَّعة والصفاء ،
وكونه مكاناً للكبير والصغير من الحيوان والجماد ؛ وما جعل الله فيه
للعباد من المنافع والمصالح والمواد. وجعل في الأمر أن من فارق الهواء
مات ، وبات عنه عند مفارقة الحياة ؛ فصيح أنه نعمة من النعم
الكبار ، على الكبار من الحيوان والصغار .

ومن ذلك خلق السماء ، وسعتها ، وبُعدها ، وموافقة لوبها
للأبصار. وما جعل الله فيها من لأفلاك والشمس والقمر والنجوم
لمصالح الحيوان^(١) ، وقد قدّمنا لكلام فيها ، فهل هي إلا من
النعم الجسم ؟

ومن ذلك خلق السحاب المسخر بين السماء والأرض ، وما فيه من
المنافع والمصالح لو النعم^(٢) الجسم

(١) في (ع) : لمصالح الحيوان

(٢) زيادة في (ع ، ي).

ومن ذلك إخلقاً^(١) الرياح وتسخير الله لها بين^(٢) السماء والأرض ليشرب بها السحاب وتصلح بها الأجساد والأشجار، ويزيل بها^(٣) من الهواء العفونات والغبار، فهل هي لا من النعم الجسام؟!

ومن ذلك خلق الأرض وما جعل الله فيها من الطول والعرض وجعل جبالها أوتاداً لأن لا تميد بأهلها. وجعل الإنسان مخولاً^(٤) لحزنها وسهلها وبث فيها من كل دابة، وجعل فيها من الفواكه والكروم والرروع والنحيل والأعب، وصنوف المعاش والأرزاق؛ وجعل ذلك مادة ونعمة للإنسان.

ومن ذلك خلق الإنسان من الله خلقه من طين، وجعل نسله من سلاله من ماء مهين، ثم نقله في بطن أمه من حالة إلى حالة، ثم أحدث له رزقاً في ثدي أمه لئلا خالصاً سائغاً موافقاً للطفل، ثم أحدث الله له الرحمة في قلب أمه وقلوب أبيه رحمة من الله ونعمة. فإذا علم الله أنه قوي على أكل الطعام أحدث الله له أسنماً وأضراساً ولما علم الله أن البهائم لا تقدر على ما يقدر عليه الناس من تربية أولادهم؛ جعل أولاد البهائم بخلاف أولاد الناس؛ فإن البهيمة^(٥) تلد ولدها، وقام من ساعته يطلب صرع أمه وقد فطره الله من وقت ولادته على اجتلاب المنافع والنفر عن المضار رحمة من الله ونعمة

(١) زيادة في (ث)

(٢) في (ص)، لها ما بين

(٣) في (ج) وتزال بها وفي (س) يزيل بها وفي (هـ) يزال بها وفي (د) يزيل بها

(٤) في (ص)، وجعل الإنسان مخولاً وهو خطأ

(٥) في (ص) فإن البهائم

وسأ الحياة المولود. ثم أنعم الله على العبد بنعم كثيرة لا يحصي عددها في نفسه ؛ فجعل له عينين ، ولساناً وشفقتين ، وأنفاً وأذنين ، ويدين ورجلين ، وغير ذلك من الآلة والبنية المخصوصة. وطُرق ما يدخل مما يتغذى به ، وطُرق ما يخرج وجعل له نفساً يستنشق به الهواء^(١) ، وهو سبب الحياة والنماء وجعل له طريقاً أحوف مفتوحاً لا يطق وهو الخلقوم ؛ وذلك لضعف النفس وكثرة تتابعه وجعل للطعام والماء طريقاً منطبقاً - وهو المريء - يفتح بالماء^(٢) والطعام. وجعل المعدة مستقرّاً للعداء ، وجعل صفوه يقسم على جميع الجسد والأعضاء. وجعل المخارج ترمي بالثقل والأذى^(٣)

وقد ذكر عمرو بن بحر الخاطي رحمه الله مثل هذا ، ومثل فأحسن في كتاب الدلائل فقال : فكري في تقدير هذه القوى للحاجات إليها ، والمآرب فيها ، وما في ذلك من التلييز والحكمة ، فلولا القوى الجاذبة لما كان الإنسان يتحرك لطلب الغذاء الذي به قوام البدن ، ولولا المسكة كيف كان الطعام يلبث في الحوف حتى تهضمه المعدة ، ولولا الهاضمة كيف كان ينطخ^(٤) حتى يخلص منه الصفو الذي يغزو البدن ، ويسد خلله ، ولولا الدافعة لما كان الثقل الذي تخلفه الهاضمة يدفع ويخرج أولاً أولاً^(٥) أفلا ترى كيف وكّلت هذه القوى بالبدن ،

(١) في (م) : وجعل له أنفاً يستنشق بها الهواء.

(٢) في (ب ، ي) : يفتح بالماء.

(٣) الثقل هو ما يبقى من الطعام في المعدة بعد أن يخلص منه العائدة العادية تحت

(٤) في (ص) : كيف كان يصح.

(٥) في (ع ، ي) : ويخرج أولاً فاولاً

والقيام بما فيه صلاحه، فصار البدن بمنزلة دار للملك^(١) فيها له حشم وصبية وقوامٌ موكلون بالدار، فواحد لاقتضاء حوائج الحشم وإيرادها عليهم، وآخر لقص ما يرد وخزبه إلى أن يعالج ويهيأ، وآخر لعلاج ذلك وتهيئته وتفريقه في الحشم، وآخر لكسح ما في الدار من الأقدار وإخراجه منها. فالملك في هذا المثل هو الخلاق الحكيم، مَلِكُ العالمين، والدار هي البدن، والحشم هم الأعضاء^(٢)، والقوام هي هذه القوى الأربع، فهل هذا^(٣) إلا تفصل ونعمة من الله تعالى، بل هذه الأفعال التي تحدث حالاً بعد حالٍ أفعال الله سبحانه، يفعل ذلك في أوقات حدوثه لما يعلم^(٤) من مصالح خلقه، ولا يكبل ذلك إلى تدبير غيره، وإنما كان صرب المثل لتقريب ذلك إلى الأفهام.

ومما يدل على عظم هذه المواهب والنعمة أن العبد العقيم المملوك الذي يكون من أدنى الناس منزلةً، وأقلهم نعمةً فإنه قد أعطي جميع ما ذكرنا من تمام الخلق، وحصول الآلة، والصحة والسلامة والعافية ألا ترى أنه لو قيل له: أتحت أن تُعطى ملكاً عظيماً في الدنيا، ويكون جراًء على أن تسلب مادةً من أحد المواد^(٥) التي وهبها الله تعالى له^(٦) كالسمع والبصر، أو قطع يده أو رجله، أو سلب (إحدى)^(٧)

(١) في (ب، ص، ع): بمنزلة دار الملك

(٢) في (ش): والحشم هي الأعضاء

(٣) في (ع): فهل هذه

(٤) في (ص): بما يعلم

(٥) في (ه، م): من إحدى المواد

(٦) في (ث): التي وهبها الله لك

(٧) ساقط في (ص)

القوى التي ذكرنا ما أراد ذلك، ولو أُعطي الدنيا بأسرها. ألا ترى أنه قد أعطاه الله من الآلة والسلامة، ما هو خير له من الدنيا وما فيها.

ويوضح صحة ما ذكرنا أن سلطاناً ممن له مالٌ كثيرٌ وهيئةٌ واسعة^(١) لو دخل عليه حصنه عدوٌّ له أو قرب منه أنه يهرب بنفسه إذا أمكنه الهرب، ويُحلي حصنه وأهله وأمواله، ألا ترى أنه رأى نفسه خيراً له من ذلك؛ فهذا دليل على عظم النعمة وكبرها.

ومن ذلك: ما خول الإنسان من الأرزاق والمال والخدام، فإنه جعل للأحرار عبيداً من بني آدم لتبلغ النعمة وتظهر الحكمة، ولو جعلهم سواء لا يملك الأحرار الممالك، لدخل عليهم الضرر، ولأدى ذلك إلى أن يتولى الإنسان جميع الأعمال بنفسه السني لا يستعني عنها، ولو كان كل إنسان يتولى خدمة نفسه لاشتغل كل إنسان بمصالح نفسه وقوته عن العلم^(٢) وطلبه وعن أعمال الآخرة وعن الجهاد، ولكان من أراد الاستشجار على الأعمال تستوعب ماله الأجرة، وقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَتَّبِعُونَ رَحْمَةً رَبِّكَ إِذْ قَسَمْنَا لَبُثَّكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَحْمَةً لَّعَنَّا بَعْضَهُمْ لَفِي بَعْضٍ فَرَجَعَاتٍ لِّيُعَذِّبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَحْكُمُونَ﴾ [نور ٢٢]، فأعلم الله على المالك بملك المملوك، وسخره له في دنياه، فإن صبر لعذ على هذه البلية، وأطاع ربه أعاضه في الآخرة^(٣)، وكان الثواب له نعمة آجلة، وملك سيده له

(١) في (ش) وهيئة واسعة

(٢) في (ص، ع)؛ في قوته من العلم. وفي (م)؛ وقوته عن العلم.

(٣) في (ع، ل)، أعاضه الله في الآخرة

نعمة عاجلة، وأن النعمة الآجلة^(١) خير من النعمة العاجلة؛ لأن العاجلة فانية، والآجلة باقية، فصيح أن ملك المملوك نعمة للمالك والمملوك، فإن شكر المالك كان أفضل لقوله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى» ولأنه قد أعطي نعمة الدنيا ونعمة الآخرة، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاثة على كُتبان المسك يوم القيامة: رجل تعلم القرآن وأم به قوماً يطلب به وجه الله وما عنده، ورجل يأتي كل يوم وليلة بخميس صلوات يطلب بها وجه الله وما عنده، ومملوك لم يمنعه رقب الدنيا من طاعة ربه».

ومما خولهم أثمان الأشياء المبيعة، وهي الذهب والفضة، وكذلك اللؤلؤ والياقوت وأشياء ذلك. وجعلها قليلتم بعيدة التناول^(٢)؛ لأن في قلتها نفعاً، وفي كثرتها ضرراً أما النفع في قلتها فلأن تكون عزيزة عند الناس محسوبة؛ لأنها لو كثرت حتى تكون كالحجارة لَمَا بلغ أحدٌ بها غرضاً ولا قبلت منه ثمناً لشيء، ومن هاهنا أنها لو كثرت لكان في كثرتها ضرر؛ ولأنها لا تقتات، وصح أن الفاقة بسبب قلتها. فلو كانت تقتات بنفسها، لكان في قلتها ضررٌ كبير^(٣)، ولما كان ما يقتات ولا يُستغنى منه إذا قل وانقطع هلك الناس وتلفوا جعله الله كثيراً رخيصاً يمكن كل إنسان أن يطلبه^(٤) فمن له قدرة، ومن لم يكن له قدرة على طلبه سهله الله له.

(١) في (ع، ش): والنعمة الآجلة.

(٢) في (ح، ل): بعيدة التناول.

(٣) في (ع): ضررٌ كبير.

(٤) في (ب، ص، ع): يمكن كل إنسان طلبه.

ومما يوضح ما ذكرنا من حزيل النعم والكرم من الله والرحمة : أن كل ما كان لا حياة للناس إلا به أنه كثير ورخيص^(١)، من ذلك : الطعام والماء واللبن والصوف ولوتري، وليس كذلك الذهب والفضة والدّر وما كان من حسه، والمسك والعبر وما كان من جنسهما، والحرير والخمر، فلما كنت هذه الأشياء يوجد من دونهما ما يغني عنها، وكان عدمها لا يؤدي إلى هلاك الحيوان؛ كانت قليلة غالية، وكان في قلتها صلاح الناس. لا ترى أن من كثرت هذه الأصناف عنده، -أو بعضها- ولم يُعقها في سبيل الله أنها تدعوه إلى الشر والظلم وظلم الناس والبعي في الأرض بغير الحق

ولما كانت حاجة الناس إلى الماء أكثر من حاجتهم إلى الطعام جعل الله الماء كثيراً وأرخص من طعام^(٢)، ولأنهم يحتاجونه للتطهر به والغسل والشرب وسقي الأراضي والبهائم، فمن هاهنا جعله الله أكثر وأرخص، نعمة منه وتفضلاً.

فإن قيل : لم جعل الله الرزق يقل ويكثر ويتيسر -وحيث يتعسر- وجعل أكثر الرزق في الضرب في الأرض والتكسب والطلب، والتجارة والصاعات، والمؤاجرة والحراث، وأصناف الطلب؛ ولم يجعله سهلاً يأكل الإنسان من فوقه ومن تحت رجليه^(٣)، وكان يكون أتم للنعمة؟

(١) في (ب، ع) : كثير ورخيص

(٢) في (ب)، ومن تحت رجليه

قلنا: لو كان ذلك كما تقول^(١) لأدى إلى وجوه من المضار.

منها أنه كان يؤدي إلى حب الدنيا؛ ولأنه من كان في (مثل)^(٢) هذه النعم لم يحب معارضة الدنيا، واصمأن إليها ورضي بها، وقد دم الله من رضي بالحياة الدنيا واطمأن إليها، فقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَاتِنَا غَائِلُونَ ۝ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْفِيُونَ﴾ [سورة النازعات، ١٨٧]، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حب الدنيا رأس كل خطيئة».

ومنها أنهم لو كانوا يأكلون من فوقهم وتحتهم^(٣) لأدى ذلك إلى البطر^(٤) والأشر والعمى، ولتمرغوا لفساد؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَكُذَّسَ اللَّهُ الرَّثْقَ لِعِبَادِهِ لَهْفُوا بِمِ الْأَرْضِ وَلَكِنْ لِيُرْىَ بَقَدْرِ مَا مَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الزمر: ٢٧].

ومنها أنه^(٥) لو كانت المعاش كدلت، وكان الإنسان يأكل من حيث نوحه لأدى ذلك إلى البطة والتحم، وكان أسرع لهلاك الناس^(٦).

وقد قال بعض أهل الطب: إن إدخال الطعام على الطعام هو الذي أهلك البرية، وقتل السباع في البرية.

(١) في (ب، ع) كما يقولون وفي (ص، ل) لو كان ذلك كذلك كما تقولون وفي (م): كما يقول

(٢) ساقط في (أ)

(٣) في (ب، ص) ومن تحت أرجلهم

(٤) في (ض): إلى كثرة البطر

(٥) في (ب، ع): أنها

(٦) في (ب): لهلاك الإنسان

ومنها أنه لو كان الرزق موجوداً بغير سبب لم يكن له في قلوب الناس محبة كمحبتهم لما يكسبون والقليل أيضاً من المال محبوب، وقد أنزل الله على بني إسرائيل من والسلوى فلم يصبروا عليه، وسألوا موسى (عليه السلام) أن يدعو ربهم أن يدلهم به ما هو دونه، فقال تعالى - حاكياً قولهم: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاجِدْ لَنَا مِنْكَ لَمَحْرَجَ لَنَا مِمَّا تَبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقِيَّتِهَا وَفَالِهَا وَفُومَهَا وَفَعَسِهَا وَتَصْلَٰهَا قَالَ أَتَسْتَبْلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ (الفرقان: ٢١)

ومنها أن اكتساب الرزق في الدنيا دليل على الآخرة، فكما أن الدنيا يحصل الرزق فيها بالاكتساب والطلب، كذلك الآخرة لا تحصل للمكلف إلا بطلب واكتسابه، فصح أن ذلك نعمة من الله وحكمة. ومما خول الله الإنسان الأكابر واليؤت التي يسكنها ويأمن فيها من الخوف والحر والبرد والمطر

ومما خول (الإنسان) 'اللباس ليستر به سوءاته، وليتجمل به'، والحس ليقضي بها من الناس، وقد ذكر الله هذه النعم فقال: ﴿هُوَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُودِ الْأَنْعَامِ ثِيَابًا قَسَتْهُ عَلَيْهَا يَوْمَ ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْسِبَكُمْ وَتَوْفَىٰ بِأَقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَارِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ خَلْقِ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْبَأْسَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا

(١) ساقط في (ص).

(٢) في (ص)، ولتجمل به صورته، وفي (ل)، ولتجمل به صورته.

عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الثَّيِّبُ ۝ يَقْرَأُونَ حَمْدَ اللَّهِ لَمَّا بَلَغَ الْإِنْسَانُ مِنْ حَلَلٍ ۚ وَقَالَ عِزُّ بْنُ قَاتِلٍ ۖ ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ فَخَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝
وَالْأَنفَامُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَلِيلٌ وَمَنَاسِكٌ وَفِيهَا أَكْثَرُ الْخَبَرِ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ
تُزْجَرُونَ وَحِينَ تَخْرُجُونَ ۝ وَتَحِيلُ أَتَقَالِكُمْ إِلَىٰ يَدِي لَمْ تَكُونُوا بِالْإِنْسَانِ إِلَّا يَسِقُ
الْأَفْسُ إِنَّ رَبَّكُمْ لَخَبِيرٌ بِّرَيْبِهِمْ ۝ وَالْحَمْدُ وَالْبُحَالُ وَالْخَبِيرُ لَعَزَّكَوْهَا وَرَبُّهُ وَخَلَقَ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَعَلَى اللَّهِ فَتَدُ السَّيْلِ وَمِنْهَا جَاهِدٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَذَا صُكُّكُمْ أَجْمَعِينَ ۝
هُوَ الَّذِي أَذَلَّ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْ شَجَرٍ فِيهِ ثَمِيمُونَ ۝ يُنَبِّئُكُمْ بِهِ
الرَّيْزُ وَالرَّيْزُونَ وَالسَّيْلُ وَالْأَحْبَابُ وَمِنْ حَكْمِ الْقُرْآنِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالْخَمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا فَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّقَوْمٍ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَجَارِبَ الْبَحْرِ فَتَعْلَمُوا بَيْنَهُ لَحْمًا طَرِبًا وَتَسَخَّرُجُوا مِنْهُ
جَلِيَّةً تَلْبَسُوهَا وَكَرَى الْعَالَمَ مَوْلِجٍ فِيهِ وَتَجْتَلُوا مِنْ فَتْلِهِ وَتَتَكَلَّمُ تَشْكُرُونَ ۝ وَالْقَىٰ فِي
الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تُجْبَدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ
يَهْتَدُونَ ۝ أَفَمَنْ يَخْلُقُ هَكَذَا لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ وَإِنْ تَعْلَمُوا حَمْدَ اللَّهِ
لَا تَعْلَمُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [السر ٢-١٨]

فأخبر الله بحُملٍ من جزيل معمه ثم أخبر أنها لا يُحصى لها عدد. وتبيين ذلك^(١)؛ أن كل ما تَقَلَّبَ فيه مَكْلَفٌ^(٢)، وما أُعْطِيَ من النعم التَّوَامِ، والأَيَادِي الجريئة الحسام، لو أُراد أن يُعَدَّ تكرار نعمة واحدة

(١) في (هـ، د): وليس ذلك وفي (م): وليس ذلك

(۲) فی (ب، ش)؛ الإنسان

مما أعطي، ما قدر على عذها وهي النفس، وما أحسب أنه يقدر (أن) ^(١) يعد أنفاسه يوماً وليلاً، وإذا لم يقدر على ذلك، كيف يقدر على عدد أنفاس عمره، وإذا لم يقدر على عدد أنفاسه، وهي نعمة واحدة فكيف يعد النعم كلها، قل الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [المر ٥٣]

ومما أنعم الله به على المكلف: الكتاب والرسول، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَهْلِهِمْ يَعْلَمُونَ آلِهَهُمْ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [المر ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَلِكْ أَلِهَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هَدَىٰ وَرَحْمَةً لِلشَّاعِلِينَ﴾ [النمل ٦-٣]



في الكلام في ما فطر الله عليه العبد

اعلم أن الله (قد) ^(٢) فطر الحيوان (كله) ^(٣) على استجلاب المنافع العاجلة، والنفار عن امصار العاجلة، وفطر بعض الحيوان على الحاجة إلى الأكل والشرب والنوم والجماع، وجعل للحيوان آلة يبلغ بها الأشياء رحمة منه ونعمة؛ وجعل ذلك سبباً لحياته وهي أفعال الحيوان وليس لله فيها فعل غير الإلهام، والاستطاعة التي أعطاه على فعل هذه الأشياء، والحاجة الداعية إلى فعل الأشياء إلا النوم

(١) ساقط في (ع، ل، م)

(٢) ساقط في (ح، ل)

(٣) ساقط في (ح، ل)

فإن الحيوان^(١) مضطراً إليه، وليس له فيه إلا التعرض له، وهو عرض ضروري يغشيه الله الحيوان ومما يبين لك أنه ضروري أن الإنسان قد يريد أن ينام ويتعرض لذلك في بعض الأوقات فلا يحصل له النوم، وقد أيضاً^(٢) يغشيه الله النوم ويريد أن لا ينام فلا يتم له ذلك في بعض الأوقات ويغله النوم، فصيح أنه ضروري، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشِيكُمْ النُّعْمَانُ ائْتَمْتُمْ بِهِ﴾ [الروم: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَافِكُمْ بِالنَّوْمِ وَالنَّهَارِ﴾ [الروم: ٢٣]، فلو كان اختياراً للعبد لم يكن آية من آيات الله

واعلم أن فيه مافع للعبد، ويعلم^(٣) من الله سبحانه وتعالى.

منها: الاستراحة والسُّلُو^(٤)

ومنها: السُّكُون لهضم الطعام

ومنها: أنه يشغل كثير^(٥) من الناس عن المآثم^(٦) والفساد.

ومنها: أنه دليل على الموت، ومُشَبَّه به^(٧)، ومذكَّر بالموت^(٨)، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَاجِبِهَا فَيُمْسِكُ الْغَنَى فَمَنْ فِيهَا الْمَوْتُ وَكَرْسِلُ الْآخِرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

(١) في (ب، ع) فإن الإنسان.

(٢) في (ث): وقد أبصأ يغشيه الله النوم

(٣) في (ص): ومعمة

(٤) في (ص): والسُّلُو

(٥) في (ش، م، س): يشغل كثيراً

(٦) في (ن، هـ): من المآثم

(٧) في (أ، ب، ث، ع): ومُشَبَّه للموت، وفي (ي): ومُشَبَّه له

(٨) في (أ): ومذكَّر للموت، وفي (ص): ومذكَّر به

ومما فطر الله عليه المكثف: استحسان الحسن واستقباح القبيح، وهو العقل الغريزي، وهو عصبية من الله ونعمة من أعظم النعم والعطايا، ولولا هو ما عُرِفَ المعصم ولا عُرِفَت النعم^(١)، وهو حجة الله على عباده.

وفطرهم على السمع والبصر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة ١٧٨)، فجعل الله لهم السمع يسمعون به الأصوات والمسموعات، وجعل لهم البصر ينظرون به الألوان والبهائم وجعل لهم الأفئدة يعقلون بها المعلومات، فكان من الله الآلة، والإنسان مستعمل لها، وحجة الله هي الآلة والاستطاعة، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ نَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَنْظُرُوا أَنَّمَا جُعِلَ السَّمْعُ لَكُمْ تَسْمَعُ وَأَنَّمَا جُعِلَ الْبَصَرُ لَكُمْ تُبْصِرُ﴾ (سورة ١٠١)، فدل على أن العقل غير القلب، كما أنك تقول: لك يداً تبطش بهما، ورجلاً تمشي بهما، وسيفاً تضرب به فصيح أن الصرب غير السيف، والبطش غير اليدين، وشمسي غير الرجلين، وكذلك العقل غير القلب.

ومما أكرم الله به على العبد: لسان المترجم للقلب، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَجَعَلَ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ لَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة ٢٢)

والكلام عندنا هو إلهام من الله، والدليل على ذلك أن الله عده من آياته، ولولا هو إلهام منه^(٢) لما عده من آياته، وأيضاً فإن الطفل يتطرق

(١) في (ش، ع، ص) ولا عُرِفَت النعمة

(٢) في (ش) ولولا أنه هو إلهام منه وفي (ص): ولولا أنه إلهام منه

باسم أبيه وأمه قبل أن يتلقن مثله^(١)، وكذلك سائر الكلام^(٢)، أعني معرفة أسماء الأشياء، وقول أبي علي من المعتزلة مثل قولنا، وقال أبو هاشم: معرفة الأسماء اصطلاح اصطلاح عليه الباس.

ومما فطره الله عليه الشهوة، والنَّفَر، والكراهة، والفرح، والسرور، والغم، والخوف، والأَمْس، والجوع، والشَّبع، والجهل، والعلم الضروري، والذكر، والنسيان، وهذه كلها موحودة في الإنسان، فطره الله عليها. وكذلك استعجال الخير وأشباه ذلك؛ فهذه كلها نِعَمٌ من الله وإحسان.

ومما يدل على أنها كلها نعم، أن أدونها وأضعفها النسيان، فإن الإنسان لو كان لا يسيى لكان ذلك مؤدياً إلى تعيص النعمة في كل وقت وحين؛ لأنه لو كان يذكر المصائب ولا ينساها، ويذكر الموت ولا يجهل وقت هجومه عليه في كل وقت لما طابت له نعمة، ولا فارقه هم ولا غم، وكان ذلك سيشعله^(٣) عن كثير من الأعمال المباحة والمستحبة^(٤)، ولربما أيضاً دعاه ذلك إلى الحزن المؤدي إلى الموت أو العمى، فقد عمي يعقوب (عليه السلام) من شدة حزنه على ولده يوسف (عليه السلام) قال الله تعالى حاكياً قول يعقوب (عليه السلام): «وَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْنَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْهَضْتَ عَيْنَا مِنْ لَحْزَنِ هُوَ كَظِيمٍ» (يوسف: ١٨٤).

(١) في (ص): قبل أن يُلَقَّن مثله

(٢) في (ع): فكذلك الكلام

(٣) في (ل، م): يشعله.

والدليل على أن الله فطر الناس على الجهل ؛ أن الإنسان يولد جاهلاً ، قال الله تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [سورة ٧٨] ، وقال تعالى : ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة ٩٥] ، وقال تعالى : ﴿وَعَلَى اللَّهِ تَصَدُّ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَاهِلٌ﴾ [سورة ٩١] ، أراد : وعلى الله تبين قصد السبيل . وقال تعالى : ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَلٍ سَأَلَكُمْ أَنْتَ بَلَى فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [السجدة ١٢٧] ، أراد : فطر للإنسان على استعجال الخير ؛ لأن العجل فعل المستعجل ، ولم يُرد أنه خلق الإنسان من فعله الذي هو العجل^(١) . وليس قولنا : إن الله تعالى فطره على شيء من فعله ، بمعنى أنه خسر^(٢) ، ولكن المراد به : أن الله جعل له داعياً^(٣) إلى ذلك للنعمة والسليّة .

فمنها : الحاجة الداعية إلى فمسل الشيء كالجوع والشهوة وأمثال ذلك .

ومنها : إلهام من الله تعالى كاستحسان الحسن ، واستقباح القبيح ، وذلك هو أصل الدين الصحيح ، قال الله تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم : ٣٠] .

(١) في (ث) : والمستحسنة .

(٢) في (ل) : الذي هو العجلة

(٢) في (ث) : أجره

(٣) في (ب ، ت) : جعل له دواعي

فصل

في الكلام في أن ما أمر الله به العبد فهو له نعمة

اعلم أنه لا يُؤمر العبدُ بأمرٍ إلا وله فيه نعمة، عاجلة أو آجلة، أو عاجلة وآجلة.

فمن النعمة العاجلة الأمر بالمباح كقوله تعالى: ﴿حَكِّمُوا مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿حَكِّمُوا وَاتَّقُوا﴾ [البقرة: ١٠٠]، وكقوله تعالى: ﴿إِذَا تَطَهَّرْتَ فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وكقوله: ﴿إِذَا أَقْبَلْتِ الصَّلَاةَ فَاهْبِثِي إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّقِي اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٠٠]، وكقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَبِثُوا﴾ [البقرة: ١٢٠]، فهذا الأمر ليس بمُوجبٍ وإنما هو مُبيح^(١) بالإجماع. وبنعمة عاجل.

والأمر الذي فيه نعمة عاجلة وآجلة، وهو وأحب، فهو أكثر الأمر بالعبادة، وهو معرفة الله تعالى حق معرفته، ومعرفة أصول الدين وفروعه، والطهارة والصلاة، وبر لوالديه، وصلة القرابة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وموالة أولياء الله، ومعاداة أعداء الله، وأمثال ذلك، فإن الأمر بهذه الفرائض نعمة من الله، وللعبد في فعلها نعمة عاجلة ونعمة آجلة. أما النعمة لآجلة في التطهر فثواب الله^(٢)، وأما النعمة^(٣) العاجلة فالتطهر من الحاسات، والتزهد عن المنكرات.

وأما معرفة الله ومعرفة الأصول والفروع، فإن النعمة العاجلة

(١) في (ض): ليس واجبا، وإنما هو مباح

(٢) في (ح): ثواب من الله

(٣) زيادة في (ع، ل، ب)

الشَّرَفَ وَالرَّفْعَةَ الَّتِي جَعَلَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْعَالَمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّعُوا فِي الْمَجَالِسِ فَانْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ادْشُرُوا فَادْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ فَرَجَاهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة ١٨]، وَأَمِ النِّعَةُ الْعَاجِلَةُ فِي الطَّهَارَةِ فَإِنَّهُ لَوْلَا التَّطَهُّرُ عَنِ السَّجَاسَاتِ وَالْوَضُوءُ لِلصَّلَوَاتِ لَكَانَ الْإِنْسَانُ أَقْبَحَ شَيْءٍ وَأَقْدَرَهُ.

أَلَا تَرَى أَنَّ مِنْ هَجَرِ الْمَاءِ^(١) لِسَخَافَتِهِ وَكُسْلِهِ وَسَقَاظَةَ نَفْسِهِ أَنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ مِنْ نَظَرِهِ عَلَى دَنَاءَتِهِ وَسُخَاعَتِهِ وَكُسْلِهِ، وَقَدْ يَتَطَهَّرُ وَيَتَرَهَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِخُشْيِ النَّارِ وَفَحِ الْحَسَةِ لَا لِرَجَاءِ ثَوَابٍ.

وَفِي التَّطَهُّرِ أَبْصَاحٌ وَحَوَّةٌ مِنَ النِّعَمِ الْعَاجِلِ:

مِنْهَا أَنَّهُ يَمْسَحُ الصَّدْرَ، (يُزِيلُ الْهَمَّ)، وَيُطَهِّرُ سَيِّمَاتِ الصَّالِحِينَ، وَالنِّعَمُ الْعَاجِلُ فِي الْإِعْتِسَالِ مِنَ الْخَنَابَةِ أَنَّهُ يَشُدُّ الْخَسَدَ، وَيُذْهِبُ بِالْكَالِ، وَيُزِيلُ النَّجَسَ وَفِيهِ نَفَاقَةٌ لِمَنْ هُوَ^(٢) لَوْلَا خَوْفُ مَشَقَّةِ الْإِعْتِسَالِ وَخَوْفُ مُؤْتَتِهِ وَكُلْفَتِهِ^(٣) لَكَانَ بَعْضُ النَّاسِ لَا يَكَادُ يَفْتَرُ مِنَ الْحَمَامِ فِي أَكْثَرِ وَقْتِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ يَصْرُ بِهٖ، وَيُضْعَفُ جَسَدُهُ.

وَالنِّفَاقَةُ الْعَاجِلَةُ فِي الصَّلَاةِ. أَنَّهَا عَلَامَةُ الْمُسْلِمِ، وَأَنَّهَا تُنْهِى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُسْكَرِ، أَيِ تَهْئِي صَاحِبِهَا عَنِ فِعْلِ الْمُنْكَرَاتِ، وَتُجَنِّبُهُ مِنَ الْفَوَاحِشِ^(٤)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [البقرة ١٨٥].

(١) فِي (ط) أَوْ مِنْ يَهْجُرُ الْمَاءَ

(٢) فِي (ص) ع: وَهِيَ.

(٣) فِي (أ): وَكُلْفُهُ

(٤) فِي (ص): وَتُجَنِّبُهُ مِنَ الْفَوَاحِشِ

والزكاة نفعها الآجل للمُعطي، ونفعها العاجل للمستعطي.

والصوم نفعه آجل، وربما كان فيه نفع عاجل، وهو أنه يُذلّ النفس ويُقوي صاحبها عليها.

والحج نفعه آجل، وربما كان فيه نفع عاجل لمن طلب الإجارة والتجارة مع الحج، مثل أن يحج لغيره بالأجرة إذا كان قد حجّ عن نفسه، ومثل من يبيع ويشترى مع الحج إذا لم يكن البيع والشراء أكثر همه^(١).

وبر الوالدين وصلة القرابة، فالتمع العاجل فيه طاهر للوالدين والأقربين، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «صلة الرّحم تريند في العُمر»

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نفعه العاجل عام لجميع الناس، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَابُغٌ وَيَبَغُ وَصَلَوَاتٌ...﴾ الآية [المع ١٠]، فمن تمام النعمة أن الله أمر بما يستحسه العقل، وينفع في العاجل. ثم وعد عليه الثواب الآجل، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المع ١٢]، وقد روي عن كميل بن زياد النخعي، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (يا سبحان الله ما أزهّد كثيراً من الناس في الخير، عجبت لرجل يأتيه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فوالله لو كنّا لا نرجو جنة ولا ثواب، ولا نخشى ناراً ولا عقاباً لكان

(١) في (ح، م): أكثر همه

ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فإنها تدلّ على سبيل النجاة)،
فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين، أسمعت هذا من
رسول الله ﷺ؟ قال: نعم وما هو حيرمه: لما أتني بسايا طي وقعت
حارية حميًا، حواء، لفسًا، لعميًا، غبطاء، شماء الأنف، معتدلة
القامة، درما الكعبين، حدلحة لساقين، لف الفخذين، خميصة
الخصرين، مضمرة الكشحين، فتمّ رأيتها أعجبتُ بها، وقلت:
لاطلبنّ إلى رسول الله ﷺ أن يجعلها في فيشي، فلما تكلمت نسيتُ
جمالها لما سمعتُ من فصاحتها^(١)، فقالت: يا محمد إن رأيت أن
تحلّي عني ولا تُشمت بي العرب وبني أمة سُراة قومي^(٢)، كان أبي
يفك العاني، ويقوي الضعيف، ويقرم الضيف، ويشبع الجائع،
ويصرح عن المكروب، ويطعم الطعام، وينقي السلام، وما ردّ طالب
حاجة قط، أنا أمة حاتم المظالم، فقال النبي ﷺ: «هذه صفات
المؤمن، لو كان أبوك إسلاميًا لترحمنا عليه، خلّوا عنها، فإن أباهما
كان يُحبّ مكارم الأخلاق، والله سبحانه يُحبّ مكارم الأخلاق».
فقام أبو بردة فقال: يا رسول الله. لله يُحبّ مكارم الأخلاق؟ فقال:
«نعم، يا أبا بردة، لا يدخل أحدٌ لجنة إلا يحسن الخلق»^(٣). فصيح أن الله
ما أمر إلا بمكارم الأخلاق^(٤).

(١) في (هـ، ي) إلى فصاحتها

(٢) في (ب، ع): سرّة قومي وفي (ص): سرّي قومي

(٣) في (ل). فصيح أن الله أمر بمكارم الأخلاق

فصل

في الكلام في أن الله نهى عن فعل ما يستقبحه العقل ويضر في الحال والمآل
فما نهى الله عنه الظلم. والظلم مما يستقبحه العقل ويضر الظالم
والمظلوم في الحال والمآل.

ومما يدل^(١) على أن الظلم قبيح: أنك تستقبح أن يظلمك غيرك
ويصرك ذلك في الحال، فكما أنه قبيح من غيرك كذلك هو قبيح منك
واعلم أن الظلم على وجهين: فظلم يظلم العبد فيه نفسه لا
غيرها. وظلم يظلم فيه نفسه وغيرها^(٢) من المخلوقين.

فأما الظلم الخاص من نفسه لنفسه^(٣) فهو معصيته لربه، مثل كفر
المجسود، وكسر النعمة، وقلة نصير علي البلية، وترك العمل
بالطاعة، وما جرى مجرى ذلك، فهذا ظلم لقوله تعالى: ﴿لِنَّ الشُّرَكَاءَ
ظَلَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الاحقاف: ١٣]، ولم يظلم به إلا نفسه. وقال الله تعالى: ﴿وَمَا
ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَهْلَكًا بِظِلْمِهِمْ﴾ [السجدة: ١١٨]

والظلم الثاني الذي يظلم فيه نفسه وغيره من المخلوقين فهو ما
نقص به غيره من المخلوقين من عرضيه - كالغيبة - أو ماله - كالغصب -
أو دمه - كالقتل والجرح - أو حقه - كترك معاونة من أمر بمعاونته،

(١) في (س، ش): وما يدل

(٢) في (ش): وغيره

(٣) في (ص): فأما الظلم الخاص به وفي نسخة أخرى: فأما العلم لنفسه

فهذا الظلم وأمثاله مما يضرُّ به مخلوقاً، فإنه فيه ظالمٌ لنفسه ولمن ضره، فصَحَّ أن الله نهى عما يُستفح ويَصْرُّ في الحال والمآل.

ومما نهى الله عنه: الربا، ومما يدل على قبحه ومضرته في الحال أنك تكرهه وتستفحه من حرمتك، ويضرك ذلك في الحال، فكذلك حرمة غيرك.

ومما نهى الله عنه: الخمر والميسر، ومما يدل على قبح الخمر وضره في الحال أن الإنسان يكون عاقلاً ثم يشرب الخمر فيسكر فيصير سكراناً لا عقل له، ولا يدري ما يفعل به، فهل شيء أضرُّ على الإنسان وأقبح من أن يُزيل عقل نفسه بعد أن أكمل الله له العقل؟! والميسر أيضاً يشعل عن الطامعات، ويدلحو إلى الصغناء والعداوات، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُرَفِّعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَفِي الصَّلَاةِ فَبَلَّغْ أَهْمَ مُتَذَكِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فبَرَّ الله تعالى الحكم والعلة، فصَحَّ أنه مستقبح صارُّ في الحال والمآل.

ومثل ذلك: ما نهى الله عنه من أكل الميتة والدم والخنزير، فثبت أن الله نهانا عن (فعل) الخبائث، وصَحَّ أن الله ما أمرنا إلا بما يستحسنه العقل، وما نهانا إلا عما يستقبحه العقل، وهذا^(١) من تمام النعمة وكمال الرحمة، فالحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه طاهرة وباطنة.

(١) زيادة في (ض).

(٢) في (ج، د، هـ) نهى.

وأيضاً فإنه يمكن أن يكون فيما نهاها عنه أشياء من المضار العاجلة لا نعلمها، ويؤيد ذلك^(١) قول رسول الله ﷺ: «لا يفتسل الجُبُّ حتى يبول، وإلا تردّد فيه بقية النبي، فكان منه داء لا دواء له». وفيما ذكرنا دليل على ما لم نذكر.

ومن تمام النعمة أن الله أمر عباده بما تستحسنه العقول، وينفع في الحال، ثم أثابهم وأعطاهم الأجر الكثير في الآخرة على فعله ونهاهم عما يضرهم في الحال والمآل وتستقبحه العقول، وعاقبهم على فعله في الآخرة.

ومن كمال النعمة أنه ما كلف أحداً فوق طاقته بل أمر المكلفين بالإتيان ورغبتهم فيه، ونهاهم عن الإتيان الذي يضرّ بهم^(٢)، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [سورة ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَهْقُوا لَمْ يُسْتَرْهَوْا وَلَمْ يَنْتَفِعُوا وَهَكَأُنَ يَكُنْ لَكُمْ قَوَامًا﴾ [سورة ١٧]، وقال تعالى: ﴿لَا يُلَاقِيكَ اللَّهُ هَٰذَا إِلَّا وَهَمًا﴾ [سورة ٢٨]، وقال: ﴿يَرْبِطُ اللَّهُ بِكُمُ الْبُرْءَ وَلَا يَرْبِطُ بِكُمُ الْبُرْءَ﴾ [سورة ١٨٥]، فالحمد لله على نعمه عدد نعمه.

(١) في (ع): يولد ذلك

(٢) في (ع): الذي يضرهم



مرکز تحقیقات و توسعه در مطالعات اسلامی

(٧) باب حقيقة معرفة شكر المنعم

اعلم أن العقل الصوري يحكم بوجوب شكر المنعم، وأن شكر المنعم حسن، وأن كفر النعمة قبيح.

وفي الشاهد أن إنساناً لو أنعم على ملحد وأحسن إليه أن الملحد يشكره ويثني عليه، فثبت أن شكر منعم في العقل واجب.

والذي يدل على وجوبه من كتاب الله قوله تعالى: ﴿فَادْكُرُوا

أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا﴾ [سورة النحل: ١٠٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلْتَكْفُرُوا

اللَّهُ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَكُمْ تَشْكُرِينَ﴾ [سورة النحل: ١٨٠]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ لَهُاءَ

تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل: ١١٢]، وقوله تعالى: ﴿كَلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَاشْكُرُوا

لِئِمَّةِ اللَّهِ لِيْنَ كُنْتُمْ لَهُاءَ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنْ رِزْقَكَ لَذُو فَضْلٍ

عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل: ١٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ

عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سورة النحل: ١١٢]. وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من

أودع عُرفاً فليشكره، فإن لم يمكنه فليشره، فإذا نشره فقد شكره،

وإذا كتبه فقد كفره».

واعلم أن الكفر هو الححد، وهو على وجهين: فكفر بالله، وكفر بنعمة الله، ومن لم يشكر الله فهو كافر بنعمة الله،

والكافر بنعمة الله فاسق، وهو من أهل النار، وإن الشكر^(١) ضد الكفر، قال الله تعالى: ﴿لَنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْجِي لِعِبَادِهِ الْكَافِرِينَ تَشْكُرُوا يَرْجَى لَكُمْ﴾ [الرعد ٧]، وقال تعالى -حاكياً عن سليمان عليه السلام-: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَتْلِ رَبِّي لِيَتْلُوِيَ الشَّكْرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [المدثر ٢٠]، وقال تعالى: ﴿أَهَاطِلُ يُدْمِنُونَ وَيَنْعَمُ اللَّهُ لَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [الرعد ٧٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [الرعد ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا رَبُّنَا يُبَدِّلُ نِعْمَتَنَا لَكُفْرًا لَمَّا بَدَّلْنَا أَعْيُنَنَا عَنْ تَبَوُّهِ إِلَهِ رَبِّنَا لَمَّا عَلَّمُوا أَنَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ فَتَبَوَّاهُمْ وَابْتَدَلُوا دِينَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ فَإِنَّ إِلَهَهُ الْقُبُورُ﴾ [البقرة ٢٢٥]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّهُ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [الأنعام ٨].

فصل

في الكلام في حقيقة الشكر

اعلم أن أول ما يجب من شكر المنعم أن تعرف المنعم، وتعرف النعمة، فإذا عرفت المنعم والنعمة وجب عليك أن تعرف ما أمرك به وما نهاك عنه، وتعرف أوليائه فتواليهم، وتعرف أعداءه فتعاديهم، فإذا عرفت هذه الجملة، وعرفت صدق الوعد والوعيد، وجب عليك أن تعمل بما أمرك به^(٢) المنعم، وتجتنب ما نهاك عنه^(٣).

(١) في (ص، ش): ولأن الشكر.

(٢) ساقط في (أ، ل، م).

(٣) في (ص) ولجتنب ما نهاك عنه.

واعلم أن شكر المنعم على ثلاثة وجوه: اعتقاداً بالقلب، وقولاً باللسان، وعملً بالنفس والأركان.

فصل

في الكلام فيما يجب أن يعتقد بالقلب من الشكر

أما الشكر بالقلب فهو الاعتقاد والعلم؛ وهو أن تؤمن بالله، وتعرفه حق معرفته، وتفي عنه كل صفة نقص في ذاته وفي أفعاله، وأن تؤمن بملائكته وكتبه ورسله ومن تخلفهم من الأوصياء، والأئمة الأنبياء، واليوم الآخر، والبعث والحساب، والحمة والنار، والتصديق بالوعد والوعيد، وحلود أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، وأن الله عدلٌ في جميع أفعاله، وأنه لا يكلف فوق الطاقة، ولا يسلب مكلِّفاً الاستطاعة ثم يعاقبه على ترك ما لا يطيق. وأن يعرف موجبات العلم وموجبات العمل، ويعلم علم الأصول وعلم الفروع.

واعلم أن موجبات العلم هي ما عرفنا الله ورسله، وحكم به العقل من معرفة الله، ومعرفة الأصول التي ذكرنا ومعرفة الفروع أيضاً، ومعرفة طاعة الله، ومعرفة معصية الله، ومعرفة ما كان من قصص الأولين، وما يكون في يوم الدين وأمثال ذلك وموجبات العمل هو الأمر بفعل الطاعات، والنهي عن فعل المحرمات.

والأصول هي التي سميناها في كتابنا هذا وهي ثلاثة عشر باباً وهي: معرفة النظر والاستدلال، ومعرفة الصنع، ومعرفة الصانع،

ومعرفة التوحيد، ومعرفة العدل، ومعرفة النعمة، ومعرفة شكر المعصم، ومعرفة البلاء، ومعرفة الخزاء، ومعرفة الكتب، ومعرفة الرُّسل، ومعرفة الإمامة، ومعرفة الاختلاف.

ولولا معرفة الاختلاف لَمَا عُرِفَت الفرقَةُ النَّاحِيَةُ، وَلَا تَحَقَّقَ وَأَيُّضَ صَاحِبُ الْحَقِّ أَنَّهُ مُجَقُّ، فَلَمَّا لَمْ تَكْمَلْ مَعْرِفَةَ الْأَصُولِ إِلَّا بِهِ عُلِمَ أَنَّ مَعْرِفَةَ الْوِفَاقِ وَالْخِلَافِ هُوَ أَصْلُ مِنَ الْأَصُولِ وَهُوَ سَبَبُ الْوِلَاةِ وَالرِّاءِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا عُرِفَ^(١) سَوِيُّ مِنَ الْعَدُوِّ.

واعلم أن هذه الأصول أجمع عليها جميع العلماء الصالحين^(٢) من الملائكة والمرسلين^(٣)، ومن كفة المؤمنين. ولم يُسَخَّ منها شيءٌ ولا يُدَلَّ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِياً لِلَّهِ خَيْفَاً وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ شَاقِراً لَأُفْعِلَ بَعْدَهُ وَهَذَا إِلَى مِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِلَى الْآخِرَةِ لَمِنَ الْعَالِمِينَ ۝ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَيْفَاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سمر ١٢٠-١٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [مع ٧٨]، وقال تعالى: ﴿نُرِيدُ أَنْ جَعَلْنَاكَ نَدَى إِنْ كَانَتْ عِبَادًا مُشْكِرِينَ﴾ [سمر ١٢٠]، وقال تعالى عن نوح^(عليه السلام): ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَأَمْسِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَنْ أَهْبَثُوا النَّهْ وَأَهْوُوا وَأَطِيعُوا ۝ يَنْفِرُ لَكُمْ مِنْ فُتُوبِكُمْ...﴾ الآية [نوح ٢-٤]، وقال تعالى: ﴿وَشَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا

(١) في (ص). لا عرفت

(٢) في (أ): والصالحين

فِيهِ كُتِبَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا قَدْ كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ إِلَى اللَّهِ يَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِمْ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَكَانُوا سَبِيحًا لِلَّهِ أَتَمًّا وَمُكَرَّمًا لِفَضْلِهِمْ وَالْعُرْسِيَّ وَالْمُحَلَّيْنِ مِنَ قُلُوبِهِمْ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَبَلَغُوا النِّكَاحَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢٣﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أُدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُمُ وَقْفُهُمْ وَذُكْرُهُمْ لَا تَهْرُجُ بَيْنَ أَعْدَائِهِمْ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا مَبِيتًا وَأَطَعْنَا خُضْرًا ظَنَّا رَجَاً وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [سورة الحديد: ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَتَعَذَّبْنَا بِمِيثَاقِهِمْ أَنِّي عَشْرَ نَبِيٍّ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ...﴾ الآية [سورة القصص: ١٢]، وقال تعالى: ﴿مِمَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [سورة القصص: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَكُنْتُ حَكِيمًا وَكَانَ صِدْقًا وَعَدًا لَا تُنْكِلُ لِكَلِمَاتِهِ وَلَهُ السُّبُحُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة القصص: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي أَتَى قَدْ خَلَقْتَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ فَعْدَ لِسْنَةِ اللَّهِ تَهْلِيلًا﴾ [سورة القصص: ٢٢]، فصَحَّ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ لَمْ يُخْتَلَفْ فِيهَا وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهَا شَيْءٌ، وَلَيْسَ يُقْبَلُ فِي هَذِهِ الْأَصُولِ خَيْرُ الْآحَادِ وَلَا قِيَمًا بِقَصَصِهَا، مِثْلَ مَا رَوَى أَهْلُ التَّشْبِيهِ وَأَهْلُ الْقَدْرِ وَالْعَلَاةُ وَغَيْرُهُمْ بِمَنْ دَسَّ^(١) فِي الْإِسْلَامِ مَا لَيْسَ بِهِ.

ومما يجب^(٢) أَنْ يُعْتَقَدَ فِي الْقَلْبِ: مَوَالَاةُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَمَعَادَاةُ أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَهُوَ أَنْ يُعْتَقَدَ حُبُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَبُغْضُ أَعْدَاءِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي صِفَةِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة القصص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا غُفْرًا وَعَشْرًا كُتِبَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَتُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَتُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة القصص: ١٢]، وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَكَانُوا كَمَا كَانُوا آبَاءُهُمْ أَوْ أَبْنَاؤُهُمْ أَوْ إِخْوَانُهُمْ أَوْ عَشِيرَتُهُمْ أُولَئِكَ

(١) فِي (ب، ص، ع)، عَنْ دَلَسَ.

(٢) فِي (ص، ع، د): وَمَا يَجِبُ.

صَكَّبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَلْبَسَهُمْ بَرُوحَ مِنِّهِ وَلِيَدْخُلَهُمْ خَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ .

ومما يجب أن يُعتقد بالقلب : النية والإخلاص لله ، والدكر لله ، والصدق والاستقامة والخشوع لله في جميع العبادات^(١) ، قال الله تعالى : ﴿ مَا هُدِيَ اللَّهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الرعد ٣: ١] ، وقال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ مُخْلِصًا لَهُ دِينَهُ ﴾ [الرعد ١١: ١] ، وقال تعالى : ﴿ قُلِ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الرعد ١١: ١] ، وقال تعالى : ﴿ مَا دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الرعد ١١: ١] ، وقال رسول الله ﷺ : « الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » ، وإنما لكل امرئ ما نوى .

وقال الله تعالى في ذكر الخشوع : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [الرعد ١١: ١] ، وروي عن رسول الله ﷺ : أنه نظر رجلاً يعبد بلحيته في صلاته فقال : «أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه» . وقال الله تعالى في الصدق والاستقامة : ﴿ وَرِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَبَّلَ خَدَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ نَظَرُ وَمِمَّا يَدُلُّوا كَذِبًا ۝ يُخْزِي اللَّهُ الصَّائِقِينَ بِمَقْعَتِهِمْ ﴾ [الرعد ٢٣: ١] ، وقال تعالى في الاستقامة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الاحقاف ١٣: ١] .

ومن واجبات القلب تعظيم أوصياء الله ، وشعائر الله ، وحرمات الله ؛

(١) في (ص ، ه ، د) : في جميع العبادات

قال الله تعالى: ﴿وَتَقَاوَنُوا عَلَى الْمَرْءِ وَتَقْوَى﴾ [سورة ٢١]، وقال: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة ٢٩]، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة ١٠]، وقال: ﴿وَمَنْ يُكْثِرْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذَنْبِهِ﴾ [سورة ٢٠]، وقال: ﴿وَمَنْ يُكْثِرْ شَهَادَةَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [سورة ٢٢].

وقال تعالى في الصبر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة ١٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالْعُسْرَاءِ وَبِمَتِّ النَّاسِ﴾ [سورة ١٧٧]، وقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَائِمِينَ وَالْقَائِمَاتِ وَالصَّائِقِينَ وَالصَّائِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِمِينَ وَالصَّالِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة ٢٥] وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال (مزلة الصبر من الإيمان كمزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له).

ويجب بالقلب: اليقين والتقوى، قال الله تعالى: ﴿هَذَا بِصَابِرٍ لِلنَّاسِ وَلِلْغَنِيِّ وَالْغَنَى يُؤْتُونَ﴾ [سورة ٢٠]، وقال: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُوتَهُمْ مُوقِفَةٌ﴾ [سورة ٢١]، وقال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [سورة ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [سورة ١١].

ويجب الذكر والتفكير في صنع الله بالقلب، قال الله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَذْكُرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة ١٩١].

ومن واجبات القلوب: التوبة، والتقدم، والتواضع، والمحبة والرحمة لأولياء الله، والبعض واعداء أعداء الله، وإبكار المسكر فهذه الأصول والفروع يجب معرفتها بالقلب، ويجب نفي أضدادها عن القلب؛ فصد الإيمان الكفر، وهو حقد أو شرك أو شك، والجهل صد العلم، والشك صد اليقين، والرياء صد الإخلاص، والشكر صد الكفر، قال تعالى: ﴿مَنْ لَكَ لِيُصَلِّتَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَمَتَّعُونَ النَّاسَ ۝﴾ [البقرة: ١٧-١٨] وروي عن أسس أنه قال: الحمد لله كما قال. ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، ولم يقل: (في صلاتهم ساهون) ذكره المؤيد بالله في الزبدة.

واعلم أن الرياء والمهاذبة بطلان الأعمال، ويُفسدان الأفعال، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قِيلَ مَا يُدْعَى رَحُلٌ حَمَّعَ الْقُرْآنَ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: عِبْدِي أَلَمْ أَعْلَمْكُمَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ فَيَقُولُ: بَلَى يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ كُنْتُ أَقُومُ بِهِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَبْتَ بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يَقَالَ: فَلَانٌ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، إِذْ هَبَ فَلَيْسَ لَكَ الْيَوْمَ عِنْدَنَا شَيْءٌ. ثُمَّ يُدْعَى بِصَاحِبِ الدَّلِّ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: عِبْدِي أَلَمْ أُنْعِمْ عَلَيْكَ؟ أَلَمْ أَفْضِلْ عَلَيْكَ؟ أَلَمْ أُوسِعْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ^(١)، وَأَنْصَدِّقُ، وَأَفْعَلُ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَبْتَ بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يَقَالَ: فَلَانٌ جَوَادٌّ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، إِذْ هَبَ فَلَيْسَ لَكَ الْيَوْمَ عِنْدَنَا

(١) في (ص): أصبل به الرحم

شيء. ويدعى بالمقتول فيقول الله تعالى: عدي فيم قُتِلْتَ؟ فيقول: يا رب (قتلت) (١) فيك وفي سبيلك فيقول الله له: كذبت بل أردت أن يُقال: فلان حرية فقد قيل ذلك، إذهب فليس لك اليوم عندنا شيء. ثم قال رسول الله ﷺ: أولئك الثلاثة أول خلق يُسعرُ بهم في النار.

ومما يجب أن يُسمى من القلب: الكبر والحسد، قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ قَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (س. ١٠١)، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِظُرٍ ظُلْمٍ آتَاهُمْ لِن فِيْ مَنُورِهِمْ إِلَّا هَكَذَا مَا هُمْ بِبَالِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (س. ١٠١)، وكان أول من تكبر وحسد إبليس لعنه الله فقال الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ الآية (١١٢). وروي عن عبد الله بن سلام أنه مر في السوق وعلى رأسه حزمة حطب فقيل له، فقال: إني أردت أن أخلع الكبر (٢)، وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة عبد في قلبه مثقال (٣) حبة خردل من كبر».

ومما يجب أن يُنقى من القلب: الصر الكاذب، وتكذيب الصادق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ يَتَعَنَّ الظُّنَّ إِنَّمَا﴾ (س. ١٢)، وقال: ﴿إِنَّ يَتَبَيَّنُونَ إِلَّا الظُّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَهْوَى وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ رَبِّهِمْ الْهَدَى﴾ (النعم. ٢٣).

(١) ساقط في (ث)

(٢) في (ب): أدمع الكبر

(٣) زيادة في (ج، د)، وفي (س) مثل حبة خردل

ومما يجب أن يُنفى من القلب: العفلة عن ذكر الله، وذكر الوعد والوعيد، وذكر الموت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ رَبِّهِمْ هَانُوا وَعَلَىٰ رُءُوسِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنعام ١٢].

وفي ذكر الموت ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أذكروا هادم اللذات» يعني: الموت.

ومما يجب أن يُبغى من القلب: كراهة الحق وأهله، قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة ٢١٦].

فصل في الكلام في واجبات اللسان

من ذلك الإقرار بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسوله، والنعمة، والبلية، والموت، والبعث، والحساب، والثواب، والعقاب، والخلود. ومما يجب باللسان: التوحيد والعدل.

ومما يجب باللسان: قراءة ما تيسر من القرآن، قال الله تعالى: ﴿فَاَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ...﴾ [الأنعام ١٢٠] في الصلاة^(١).

(١) قوله (في الصلاة) يعني أنه يجب قراءة ما تيسر من القرآن في الصلاة. تحت

ومما يجب باللسان: ردُّ السَّلام، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيَّةٍ فَحَيُّوا بِحَسَنٍ مِنْهَا أَوْ رُكُوعًا﴾ (الب، ٨١)، ويجب باللسان الأذان على المنفرد والإقامة.

ومما يجب باللسان: تكبيرة الإحرام، وقراءة^(١) فاتحة الكتاب في ركعة وثلاث آيات معها، وما تيسر من لتسبيح، وقول المأموم: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ - في الصلاة - قال الله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِثَّ تَسْبُحُونَ وَحِثَّ تَسْبُحُونَ ۝ وَلَهُ الْعِزَّةُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحَسَبَتْ تَظَاهِرُونَ﴾ (الزمر، ١٨، ١٧)، وقال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْقَبِيحِ﴾ [البقرة، ٧٤].

ومما يجب باللسان: التشهد الأخير مُشتملاً على الصلاة على النبي وآله - صلوات الله عليهم جميعاً - والتسليم.

ومما يجب باللسان: التعلُّم أو التعليم^(٢) وسؤال العلماء، ودراسة كتب الأصول وكتب الشرع

ومما يجب باللسان: أداء الشهادة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ (الب، ٣٣)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ [البقرة، ١٩٥].

ومما يجب باللسان: الإصلاَح بين الناس، والأمر بالصدقة والمعروف، قال الله تعالى: ﴿لَا تَجْزِيكُمْ كِبِيرُكُمْ مِنْ جَوَالِحِهِمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (الب، ١١٤).

(١) في (أ): وقراءته

(٢) زيادة في (ج).

ومما يجب باللسان: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتْلِحُونَ﴾ [٢١٣: سورة آل عمران] وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»

ومما يجب باللسان: الدعاء إلى الله وإلى الحق على ما يستحق الإحابة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [١٢٣: سورة هود]

ومما يجب باللسان: الدفع بما يتي هي أحسن، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَاطَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [١١٢: سورة النحل] ومما يجب باللسان: الحكيم عن رسول الله ﷺ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [١٧: سورة النحل]

ومما يجب باللسان: الحمد لله والشاء عليه، فإن الله تعالى افتتح كتابه بالحمد لله رب العالمين قال: ﴿وَكُلِّ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [١١١: سورة الإسراء]

ومما يجب باللسان: الإقرار بما يكون " على العبد من الحقوق متى سأله صاحب الحق.

ومما يجب باللسان: تعليم الجاهل - إذا سأل ذلك " ولم يكن يدخل

(١) في (هـ، ي): بما يجب

(٢) في (ص): إذا سأل عن ذلك

على المعلم مشقة كبيرة^(١).

ومما يجب باللسان: مناظرة المخالفين؛ روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَمَقَامُ أَحَدِكُمْ فِي الدُّنْيَا يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ يَرُدُّ بِهَا بَاطِلًا أَوْ يُحْيِي بِهَا حَقًّا أَفْضَلُ مِنْ هِجْرَةٍ مَعِي».

فهذه واجبات اللسان؛ وما كان من جنسها مما ورد به الكتاب والسنة، وفيهما^(٢) بيان واجبات اللسان، وما يُستحب وما يُكره وما يُحرم.

ومما يحرم النطق به: القول بالجدان، والكفر، والشرك، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿هَيِّجُوا إِلَى اللَّهِ أَسَى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٥٠]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَخْلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ أَسَى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٥١].

ومما يحرم النطق به: الاستحفاف بحق الله وملائكته، ومثل النطق بالإثم والعداوة، ولعل الناطق بالإثم يكره أن يسمعه الناس، ويُسرّه منهم^(٣) أو من بعضهم استحياء لهم ورهة منهم، ولا يستحيي من ربه وملائكته، ولا يرهّب ربه، فهل يكون إثم مثل هذا؟! وقد قال الله تعالى: ﴿يَسْتَعْظَمُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَعْظَمُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٨]. وروي عن بعض الصالحين أنه رأى رجلاً يتكلم فيما لا يعنيه فقال: يا هذا إنما تعلّم على حافظيك كتاباً إلى ربك.

(١) في (ع)، مشقة كثيرة.

(٢) في (ش)؛ وفيها

(٣) في (ع)؛ يكره ويسوء، ويزه منهم، وفي (ش)؛ ويرده منه

ومما يحرم النطق به: الافتراء على الله، والكذب عليه؛ بما يدخل^(١) عليه النقص، في ذاته أو في أفعاله^(٢) مثل قول المجبرة: إن الله يرى يوم القيامة. وقولهم: له حوارج وأعضاء، وهو في مكان. وقولهم: إنه حرهم^(٣) على أفعدهم، وكلف الكافر بالإيمان وهو لا يستطيعه ثم يُعذبه، فهذا^(٤) أكبر الكذب والفرية على الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. قال عز من قائل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة ص، ٧] وقال عز من قائل: ﴿أَطْرَفَ صَكِّفَ يَنْفَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَصَكَّي بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾ [سورة ص، ١٠] وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ خَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حُرُمَانَا مِنْ شَيْءٍ هَكَذَا هَكَذَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَأَبُوا بَأْسًا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِنْ عِلْمٍ يُخْرِجُهُمْ لِمَا لَمْ يَتَّبِعُوا إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَهْمُ إِلَّا تُخْرِصُونَ﴾ [الأنعام ١١٨]

ومما يحرم النطق به: الكذب على رسول الله^(٥)، روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»

ومما يحرم النطق به^(٦). الاستحداف بحق الإمام والعالم والمؤمن لما

(١) في (ص): بما يدخل

(٢) في (أ): وفي أفعاله

(٣) في (ث): به أحبرهم

(٤) في (ع) وهذا

(٥) في (ب) على رسول الله

(٦) في (ش): ومما يحرم من النطق

رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاثة لا يستخفُ بحقهم إلا منافقٌ نَيْنُ النفاق: الإمام المُقسطُ^(١)، وذو الشبهة في الإسلام، ومعلم الخبيث». ويحرم الكذب على جميع الناس.

ويحرم من النطق: الحكمُ بغير ما أنزل الله

ومما يحرم النطق به: شهادة الزور، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (النور: ١٧)، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج: ١٣).

ومما يحرم النطق به: محاصمة أهل الحق، والمجادلة بالباطل؛ قال الله تعالى: ﴿وَهَذَانِ خَصِمَانٍ اِخْتَصِمَا بَيْنَ رُيُومٍ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ قِيَامٌ مِنْ ثَابِتٍ﴾ (الحج: ١٩)، وقال تعالى: ﴿مَا يَمْتَنِعُ بَيْنَ آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَنْزِلُ إِلَيْكُمُ فِي الْبِلَادِ﴾ (الرعد: ١٨)، ومن المجادلة في آيات الله قول من يقول: لم ينزل كتاب الله وقول من يقول: ليس يُسمع كتاب الله.

ويحرم على الجنب والنساء والحائض قراءة القرآن.

ومما يحرم النطق به: الغيبة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَابَ بَنَاتُكُمْ أَنْ يَأْكُلْنَ أَمْثَلُ نَحْمٍ لِيَهُنَّ مِمَّا فَكَرِهْتُمُوهُنَّ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (النور: ١٢).

ويحرم النطق باليمين الكاذبة، وبالنميمة^(٢)، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْلِعْ عَلَى عَشِيرَةٍ مِنْهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا مِنْكَ خَمْسًا﴾ (النور: ١٦)، وروى عن

(١) في (ص): إمام مقسط

(٢) في (ض): والسبحة.

رسول الله ﷺ أنه قال: «الغيبة ولُصمة يُفْطِرَانِ الصائم، وينقضان الوضوء». وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة قتات» والقتات النمام.

ومما يحرم النطق به: أذى المسلم، والقذف للمؤمنين والمؤمنات بغير بينة عادلة؛ قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا احْكَمْتُمْ بِهِ إِحْكُمُوا لَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُبِينًا﴾ [النور ٥٨].

ومما يحرم النطق به: الهزؤ، قال الله تعالى حاكياً عن قوم موسى حيث قالوا لموسى: ﴿أَصْحَبْتَ قَوْمًا قَالَ أَغْوَىٰ بِاللَّهِ أَن أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [النور ٦٧]، فسمى الهزؤ جهلاً، والجهل يجب الخروج منه.

ومما يحرم النطق به: البغاء، وتلهوهم والشعر بالأصوات الملهية، وذكر الحب والخصب^(١)، ولأنهم من اللهل^(٢) ومما يفوي هوى النفس فهذه الأشياء، وما كان من حملتها يحرم النطق بها والخوض فيها.

فصل

في الكلام في واجبات السمع

ومما يجب أن يُسمع^(١): كتاب الله قال الله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور ٢٠] وقال رسول الله ﷺ: «إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ القرآن فأنصتوا».

ومما يجب استماعه: الأذان والإقامة.

(١) في (ط): والمحبوب.

(٢) في (ل، هـ، م): أن يُسمع

ومما يجب أن يُسمع^(١) كلام رسول الله ﷺ، وكلام الأئمة الهادين، وكلام معلّمي الخير. وقد دّم الله تعالى الدين لا يستمعون كتابه، وما جاء به رسول الله ﷺ، قال عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانُهُمْ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يَمُوتُونَ مِنْ مَكَانٍ يَمِيدٍ﴾ [سج ١١]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [سج ١٧٣]، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمِعُوا﴾ [البقرة ١١٤]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَلَمْ نَلْمَسْكُمْ﴾ [سج ٢١].

وتأويل قوله: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ روي عن ابن عباس أن (راعنا) عند اليهود كلمة ذم، وهي عهد الحرب بمعنى أنظرنا، ويقول القائل منهم: أرعيني سَمْعَكَ والمعنى اسمع مِنِّي. فكانت اليهود يأتون إلى النبي ﷺ فيقولون: راعنا، وأرعنا سَمْعَكَ. وعرضهم السب له لسانهم، فإذا حلا بعضهم إلى بعض قالوا: قد كُنا سباً محمداً سراً، فقد صرنا نسبه علناً فانزل الله هذه الآية، وخاطب بها المؤمنون، لئلا يتشبه بهم اليهود^(٢) إذا قالوا: راعنا.

ومما يجب استماعه على القاضي: قول المدّعي، وقول المدّعى عليه، وقول الشهود، ويجب استماع حكم القاضي على الخصمين.

فهذه الأشياء، وما جانسها يجب استماعها

(١) في (ل، هـ، م): أن يُسمع

(٢) كُنا في الأصل، والصواب أن يقال: لئلا يتشبهوا باليهود

ومما يحرم استماعه: اللهو والعناء، وصوت المرمار^(١)، والطنبور،
وجميع الملاحى، واللغو قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ
مُقَرَّبُونَ﴾ [الزمر ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَوْنَ الزُّهْدَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
مَرُّوا صَحْيًا﴾ [الزمر ٧٢].

فصل

في الكلام في واحبات البصر

ومما يجب بالنصر: النظر إلى عجب صنع الله، قال الله تعالى:
﴿أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَكُونَتْ لَهُمْ قُرُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أُرَادَانِ يَتَسَوَّوْنَ بِهَا فَلَهَا لَا
تَحْسَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَحْسَى الْقُرُوبُ الَّتِي فِي الْمَشْهُورِ﴾ [سج ١٦]، وقال تعالى:
﴿أَمَّا لَا يَتُفَكَّرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ وَإِلَى
الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الناس ١٧-٢٠].

ومما يجب أن يظفره العبد كتب الله، وكتب الأصول، وكتب
الشرع، وما كان يؤدي إلى العلم والعمل، ويدل على الخير،
ويُجنب الشر.

ومما يحرم لبصره^(٢): النظر إلى نعورات من الرجال والنساء، وحد
العورة من الرجل من السرة إلى تحت الركبة، وهو مفصل الفخذ من
الساق، لقول رسول الله ﷺ: «كل شيء أسفل من سُرَّتِهِ إلى ركبته
عورة»، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الفخذ من العورة».

(١) في (ص): وصوت المرامير.

(٢) زيادة في (أ).

[illegible]

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا فِي سَبِيلِهِ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يريد لمن استثناه بقوله: ﴿إِلَّا تَتَّبِعُوا﴾ إلى آخر الآية.

وقوله : «وَلْيَخْزَيْنَ فِيْكُمْ» وأوجب التقنع والتستر.
والجيب هو الفقرة من القميص والمدرعة.

(١) في (ب، ت، ج): كما يظهر

وقوله: ﴿إِلَّا لِعَوْلِهِنَّ﴾ فاستثنى عوائلتهن؛ لأنه لولا الاستثناء هذا لكان من جملة من يحرم عليه نظر ريتهن، ومن حال الاستثناء أنه لولا هو لدخل المستثنى في جملة من لم يُسْتثنَ.

وقوله: ﴿أَوْ سَائِهِنَّ﴾ دليل على ما قلنا أنه لولا استثنى سائتهن لحرم عليهن أن يُبدن زيتتهن عليهن.

وقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يُريد من الإماء، دون العبيد الذكران، فإنه يحرم عليهن أن يبدن زيتتهن عليهم وإنما استثنى الله النساء والإماء لأنه لولا هذا الاستثناء لحرم عليهن أن يبدن لهن ريتتهن. وسائهن: هن المسلمات، دون المشركات، وعلى هذا لا يجوز أن يُبدن زيتتهن للمشركات والذميات؛

وقوله: ﴿أَوْ النَّائِمَاتِ ظُهُرُهُنَّ أَوَّلِي الْإِثْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ والتابعون: هم ذوو الرضاعة: الابن من الرضاعة، والأخ من الرضاعة، وابن الإبن، وابن الأخ، وابن الأخت من الرضاعة، وأشياء ذلك؛ ولأن الرضاع يتبع السبب في التحريم، لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي أمير المؤمنين (عليه السلام): «أما علمت أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب».

وقوله: ﴿غَيْرِ أُولَى الْإِثْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ والإثبة هي الحاجة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى ۖ قَالَ هِيَ غَضَائِي أَتَوَحَّكًا عَلَيَّهَا وَأَهْنِي بِهَا عَلَيَّ غَضَائِي وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخَرَى﴾ [طه: ١٨١٧] يريد حاجات أخرى^(١)،

(١) في (س)، آخر

والإربة هاهنا هي النظر^(١) للشهوة، دستنى الله من ينظر للشهوة من ذوي الرضاع^(٢)، ولم يستثن ذلك من ذوي النسب؛ لأن الرحم يلزم ما لا يلزم الرضاع، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلو بامرأة ليست له بمحرم، فإن ثالثهما الشيطان» إلا مع امرأة يحرم عليه نكحها من سبب أو صهر.

وقوله: «أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْدَاتِ النِّسَاءِ» وهم الذين لم يدروا ما يطلب الرجال من النساء صفرهم، وهو يكون من ست سنين^(٣) أو سبع، أو قريباً من ذلك، ولله أعلم.

واعلم أن هذا النهي شاملٌ للماظر والمنظور من الرجال والنساء. ولا يحرم النظر إلى الصبية الصغيرة على هذا القياس إلا أن يكون يؤدي إلى الشهوة. وكذلك النظر إلى ما ظهر من الأمة المملوكة للغير لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم شهوة كشهوة النساء» فمن هاهنا يحرم النظر إلى أمة الغير إذا كان النظر إليها يؤدي إلى الشهوة. فإذا لم يكن يؤدي إلى الشهوة كالزنجية وشبهها فلا يحرم النظر إلى ما ظهر منها.

قال القاسم (رحمته الله): (يجوز أن تُصَيَّ الأمة بغير خمار) فصح أنها كالرجل في العورة، إلا ما ذكرنا مما يدعو إلى الشهوة.

(١) في (ب، ع). هي النظرة

(٢) في (ع): من ذوي الرضاغة

(٣) في (ش) وهو يكون ابن ست سنين وفي (ع) وهو يكون إلى ست سنين

فصل

في الكلام في واجبات اليدين

فإنه يجب أن يستعمل العبدُ يديه^(١) فيما أمر الله به من العمل باليدين؛ من ذلك: الطهارة ووضوءه، والكتابة في التعليم، والحج والجهاد، وأمثال ذلك.

ومما يحرم عليه باليدين^(٢): أخذ مال الغير، وبخس الميراث، وتطيف المكبال. ويحرم لمس ما يحرم نظره باليدين وبجميع الجسد.

ويحرم بسط اليد لقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، قال الله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ هَرَسٍ أَوْ فِسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَلْهَقَهَا فَكَأَنَّمَا أَلْهَقَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [٢٢: ٥٨]، وكذلك يحرم بسط اليد إلى الغير للضرر، والجرح، وجميع أنواع الظلم.

فصل

في الكلام في واجبات النفس على الكمال

فإنه يجب على النفس الطهارة، والصلوة، والزكاة، والصوم، والحج، وبرُّ الوالدين، وصلة القرابة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وموالة أولياء الله، ومعاداة أعداء الله.

(١) في (ص، ش). فإنه يجب على العبد أن يستعمل يديه

(٢) في (ب، ش، ع): ومما يحرم عمله باليدين

ومما يجب بالنفس^(١) : طلب العلم ؛ قال الله تعالى : ﴿قُلُوا لَهُمْ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَلَذِّثُوا فِي الدِّينِ وَيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [سورة ١٢٢] ، وروى عنه عليه السلام ^(٢) أنه قال : «طلب العلم فريضة على كل مسلم». وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يخلعوا دياراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر». وروى عن المسيح عليه السلام أنه قال : (من عَلم وعمل بما علم^(٣) دُعي عظيماً في ملكوت السماوات) وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال «فصل العلم خير من فصل العبادة وخير دينكم الورع».

ومما يجب على النفس : الورع فإنه رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «الورع سيد الأعمال».

ومما يجب على النفس أيضاً : دفع الضرر^(٤) والظلم عن النفس والوالدين والأقربين والصاحب بالجنب والجار.

ومما يحرم فعله على النفس : الطعم ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، والزنا ، وشرب الخمر ، وجميع ما يُسكر ويُفتر لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «ما أسكر كثيره فقليله حرام»، ولما روي عنه ﷺ : «أنه نهى عن كل مُسكر ومُفتٍ».

(١) في (أ) : ومما يجب على النفس

(٢) في (ع ، ل ، م) : وروى عنه أيضاً

(٣) في (ث) من علم وعمل فيما علم وفي (ع) من علم بما علم

ومما يحرم على النفس فعله . الربا ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَزَوُّا مَا بَيْنَ يَدَيِ مِنَ الرِّبَا إِنَّكُمْ مُؤْمِنُونَ فَلَنْ تَقُولُوا فَأَنذُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتِمْ فَزَكِّمْ زُكُومًا تَوَالِكُمْ لَا تَقْبِلُونَ وَلَا تَقْلَبُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩] .

ومما يحرم على النفس : الوقوف على الجهل ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [نور التواب: ٥] عند الله الصمُّ أعمى الذين لا يسمعون . وكوهم الله بهم خيرا لا سمعهم وكوهمهم لتوكلوا ولهم مقرعون ﴾ [الأنعام: ١١٠-١١١] .

ومما يحرم على النفس : اتباع الهوى ، فيما لا يحوز ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَسَّ النَّفْسَ عَنْ هَوَاهِ ۖ فَلَهُ أَجْرٌ أَجْزَلُ ۖ هُوَ النَّارِ ﴾ [الدورات: ٤٠، ٤١] .

ومما يحرم على النفس ترك الواحات ، والعمل بالمحرمات .

ومما يحرم على النفس : ترك الصبر ، وترك الحلم .

ويجب كظم العبط ، قال الله تعالى : ﴿ وَالكَافِرِينَ الْغَيْظُ وَالْعَافِينَ مِنَ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [مريم: ١٢١] .

ومما يحرم على النفس : الرضا بالظلم ، والسكوت لأهل المنكر ، قال الله تعالى : ﴿ كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَ مِنْ مُنْكَرٍ قُولُوا لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [النساء: ٧٩] ، (وأمثال ذلك) (١) .

(١) في (ش، ع، ل) دفع الضرر

(١) ساقط في (س، م)

فصل

في الكلام في حقيقة الشكر

اعلم أنه لما ثبت أن كل نعمة على العبد فهي من الله لقوله تعالى : ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [البقره ١٥٢] ، وقوله : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُسِيئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكُمْ﴾ [البقره ١٧٩] ، وحسب أن يشكره عبده على كل نعمة أنعمها عليه ، لقوله تعالى : ﴿لِيُنْفِخَ الشُّعْبَ وَالنَّصْرَ وَالْفَوَازَ كُلَّ أَوْفَعَةٍ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الاسراء ١٣٩] ، وقال ﴿لَمَّا تَسَأَلْنِ يَوْمَئِذٍ هُنَّ النِّعَمِ﴾ [الفكر ٨] .

واعلم أن العبد لا يقدر (على^(١)) أن يبلغ عاية شكر الله كما لا يحصى عدّ نعم الله ، ولا ينم ذلك لشكر كائنات من كان ، لقول الله تعالى : ﴿وَلَوْ يُؤَلِّهُدُ اللَّهُ النَّاسُ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَائِبَةٍ﴾ [الاسراء ١١٥] ، وقد حكى الله عن الأنبياء (عليهم السلام) التوبة والاستغفار ، فقال تعالى^(٢) - حاكياً عن آدم (عليه السلام) وحواء : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنَّ لَنَا لَلْغَيْرَ لَنَا وَتَزَحَّمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [البقره ٢٢] ، وقال تعالى - حاكياً عن يسوع (عليه السلام) : ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ تَخْلُقُ يُوسَىٰ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [ابراهيم ٤٢] ، وقال تعالى - حاكياً عن إبراهيم (عليه السلام) : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [البقره ١٢٦] ، وقال تعالى - حاكياً عن يوسف (عليه السلام) : ﴿يُؤْتِيكَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا مُخَبِّرًا﴾ [يوسف ٢١] ، وقال تعالى - حاكياً عن موسى (عليه السلام) : ﴿قَالَ رَبِّ

(١) زيادة في (ش . م . م)

(٢) في (أ) . قال تعالى .

إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغُفِرَ لَهُ إِذْ هُوَ الظُّورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾، وقال تعالى -حاكياً عن داود (عليه السلام): ﴿فَاسْتَغْفِرْ رَبِّهِ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾ ﴿١٧﴾، وقال تعالى -حاكياً عن سليمان (عليه السلام): ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلِكاً لَا يَنْفِي لَأَخَذِ مِنْ بَقِيَّةِ إِذْكَ أَتَى التَّوَكُّبُ﴾ ﴿١٨﴾، وقال تعالى لنبيينا (عليهما السلام): ﴿إِنَّا فَتَنَّا لَكَ فَتَنًا مَبِينًا ۖ لِنَهَرَنَّكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا قَدَّمْ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَكَيْفَ نَقَعَهُ عَلَيْكَ وَنَهَدْنَاهُ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ﴿١٩﴾، وليس خطايا الأنبياء جميعاً -صلوات الله عليهم أجمعين- بتعمد منهم لمعصية الله سبحانه، ولكنهم يعفلون ويسهون، ويمترون ويسبون، إلا في تلبيع الرسالة فإنهم معصومون عن النسيان والغفلة، وأشاء ذلك.

وأما فيما يخصهم^(١) في أنهم قلوبهم معصومين بل يسهون، ويسبون ويعفلون، بل إياهم معصومون من الكسائر، وليسوا بمعصومين من الصغائر.

والدليل على أن النسيء لا ينسى ما أرسل به قول الله تعالى: ﴿سَقَرْتُكَ فَلَا تَنْسَى ۖ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ﴿٢٠﴾، ومعنى ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾^(٢) يريد وقت اليوم والموت، وعلى ذلك فطرهم الله. وغيرهم من الناس، قال الله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ حَافِياً﴾ ﴿٢١﴾.

فأما الملائكة صلوات الله عليهم فإنهم لا يفترون عن عبادة الله ولا ينسون، وقد حكى الله ذلك عنهم، فقال تعالى: ﴿يَسْبُحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ﴿٢٢﴾، وقال تعالى: ﴿تَكَاذَبَتِ السَّمَاوَاتُ يَنْفُخُنَ مِنْ فَوْقِهَا

(١) في (ع، س، ي). وأما ما يخصهم

(٢) في (ث): ومعنى ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ وفي (ص): معنى ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾

وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴿الأنعام: ١٠٠﴾ ، ولم يذكر عنهم أنهم يستغفرون لأنفسهم ، وذلك أن الله تعالى ^(١) قد خلقهم شديداً أهل قوة ، قال الله تعالى : ﴿عَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْقَوَى ۝ فَوَسَّوْا فَاذْهَبُوا ۝ قَالَ : ﴿عَلَّمَهَا مَلَائِكَةُ هَلَاكُ شَيْئًا لَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَنْظُرُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (الأنعام: ١٠٠) ، فوصفهم بالقوة والشدة ، وعصمتهم عن الغذاء والنكاح ، وخوف الخلق ، فأمكنهم ما هم عليه من طاعة الله تعالى

واعلم أنه لا يكون العبد شاكراً لربه حتى يكون مستصفاً لحسناته ، مستعظماً لسيئاته ، وذلك لكثرة نعم الله عليه ، وعلمه بسره وجهره وقدرته عليه . وقد روي أن أعرابياً سأل رسول الله ﷺ عن صفة المحبين للرحمن ، وأمر علياً عليه السلام أن يحبره ، فقال له علي عليه السلام : (يا بادي خذ مني صفة المحبين ؛ عبد استصفر بذله في الله ، واستعظم دنيه ، ووطن أنه ليس في السماوات ولا في الأرض مأخوذاً غيره ^(٢)) قال : فصعق الأعرابي ، فلما أفاق قال : أخبرنا يا ابن أبي طالب : هل يكون في حالة أحد أعلا من هذا العبد ؟ قال : نعم ؛ سبعين درجة .

ومما يدل على صحة ما قلنا ^(٣) : أنك لو عظمت أجنياً ^(٤) لا نعمة له عليك ؛ أنه يستكثر منك النعمة ويستعظمها ، ويكون ذلك منك إليه

(١) في (ش. ي) وذلك لأن الله تعالى

(٢) في (ي) : مأخوذ غيره

(٣) في (ش) : ما قلناه

(٤) في (ص، م، د) : لو أطعمت أجياً .

عظيماً، وأنت إذا عظمت^(١) والديك، أو عظم العبد سيده أن ذلك يصغر عند الوالدين ويقل من حقهما، وذلك لكثرة نعمتهما عليك، وإحسانهما إليك، وكذلك السيد يستصغر تعظيم عبده له، فإذا كان هذا معقولاً في الآدميين وحسب على العبد أن يستصغر شكره لرب العالمين المعصم المتعصل ويستعظم ذنبه، ويخاف ربه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَهُمْ مِنْ عَذَابٍ نَجَسٌ قَلِيلٌ ۖ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج: ٢٧، ٢٨].

ومما يكثر المعصية ويُعظمها أن العاصي لا يعصي إلا وهو في نعم الله^(٢)، ألا ترى أنه لو مدَّ يده إلى عمرو ليُعطيهِ عطيةً حزيلة يحتاج إليها ولا يستعني بها؟ فقد عمره يده ليلطم زيدا ألا ترى أن دونه كان عظيماً، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: يا ابن آدم ما تصفي إليَّ بالنعمة، وتعتق إليَّ بالمعاصي، وخيري إليك ينزل، وشركي إليَّ صاعدٌ، ولا يزال ملكٌ كريمٌ يأتيك عنك في كل يوم بعملٍ قبيحٍ، يا ابن آدم لو سمعتَ وصفك من غيرك وأنت لا تدري من الموصوف لسارعتَ إلى مقتله». وروي عن بعض الصالحين أنه سئل عن الشكر فقال: ألا تستعين بنعمة من نعم الله على معصية من معاصي الله.

(١) في (س، ص): لو عظمت

(٢) في (ع): نعم الله

فصل

فى الكلام فى الهجرة

واعلم أن من شكر المنعم الهجرة من أعدائه إلى أوليائه. فإن كان فى الزمان إمام حق فالهجرة إليه، وإن لم يكن فى الزمان -الذي يكون فيه المؤمن- إمام حق وحب عليه أن يهجر من الظلمة والفسقة إلى حيث غلب فى طئه^(١) أنه ينجو فيه مما فر منه -إن أمكنه ذلك- وإن لم يمكنه فلا إثم عليه، قال الله تعالى: ﴿لِئَلَّا الَّذِينَ تَوَلَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا لِمَ تَكُونُوا عَلَيْهِمْ؟ قَالُوا هَؤُلَاءِ تُسَوِّغُ لَنَا فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجَرُوا إِلَيْهَا فَأُولَئِكَ مَا لَهُمْ جَنَّةٌ وَلَا يَسْتَعْلِمُونَ جَنَّةً وَلَا يَسْتَعْلِمُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُولَئِكَ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ وَصَلَاتُ اللَّهِ طُورًا ۝ وَمَنْ يَهْجُرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مَرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَصَلَاتُ اللَّهِ طُورًا وَجِيمًا﴾ [البقرة: ١٥٧-١٥٩]، وقال الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَسَى أَوْ أَهَى بِتَحَنُّنٍ مِنْ بَقِيصِ قَالِ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَخَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَارْتُحُوا فِي سَبِيلِي وَقَالُوا وَكَلُوا لَا تَكُونُوا عَنْهُمْ سَبِيلًا وَلَا تَحْسَبُوهُمْ كَمَاتٍ يُقْرَىٰ مِنْ تَحْتِ الْأَنْهَارِ قَالُوا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَ حُسْنِ الْقَوَابِلِ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَنَّ رُكْلًا لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَقِيصِ مَا فَهِسُوا ثُمَّ جَاهَتُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رُكْلًا مِنْ بَقِيصِهَا لَخَيْرٌ وَجِيمٌ﴾ [الأنعام: ١١٠].

واعلم أن الهجرة هي سعة الأنبياء صلوات الله عليهم، وقد

(١) ي (ص): يعلب على طئه

حكى الله ذلك عنهم فقال - حاكياً عن إبراهيم (عليه السلام) : «وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّئِدِينَ» [الصافات ١٢٩] ، وقال تعالى : «وَمَا مَن لَّهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [سكرو ٢٦] ، وقال تعالى - حاكياً عن موسى (عليه السلام) : «قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَيْتُ عَلَى ظَنٍّ أَنَّهُ كُفْرٌ فَهَيَّا لِي مَخْرَجًا» [الشعراء ١٧] ، وقال لبيش : «فَقَوْلٌ عَنْهُمْ فَمَا أَتَتْ بِمَلُومٍ» [الاسراء ٥٤] ، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «خمسٌ لا يُعَدُّ بِجَهْلِهِنَّ أَحَدٌ : معرفة الله سبحانه لا يُشَبِّهُهُ بِشَيْءٍ»^(١) - ومن شبه الله بشيءٍ أوردتم أن الله يُشبه شيئاً فهو من المشركين - والْحُبُّ في الله ، والغصص في الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب العظيمة» . وكذلك فعل الأئمة الهاديون (عليهم السلام) : هاجر أمير المؤمنين (عليه السلام) من المدينة إلى الكوفة وهاجر القاسم (عليه السلام) إلى جبال الرّس . وهاجر الهادي إلى الحق (عليه السلام) إلى العيل من صعدة ، وغيرهم من الأئمة (عليهم السلام) .

فصل

في الكلام في التجارة

واعلم أنه يجب على المؤمن أن يطر فيما يصلح دينه ودنياه ويزيد في علمه وبقينه^(٢) فما حقّ عبده أو غلب على طه^(٣) أنه أسلم لدينه فعل ما يمكنه فعله في الحال ، ويُقَدِّمُ^(٤) لما يصلحه في المال ،

(١) في (ش) : لا يُشَبِّهُهُ بِشَيْءٍ .

(٢) في (أ، م) : عمله وبقيه .

(٣) في (ص) : أو غلب في طه .

(٤) في (ج) : أو يقدم . وفي (س) : وتقدم . وفي (ط) : ويُقَدِّمُ .

كما أن التاجر ينظر فيما يبيع ويشترى فما علم أنه يربح فيه - أو غلب في ظنه - شراه وكسسه ، وما كان يعلم - أو يغلب على ظنه - أنه يخسر فيه لم يشتره ، ويتجنبه ؛ وكذلك^(١) يجب على المؤمن أن ينظر في دينه ، فما كان يزيد في حسناته فعله وتقدم إليه^(٢) ، وما كان ينقص حسناته^(٣) ويريد سيئاته تجنبه ؛ ولأن الدين تجارة قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَلَبَسْتُكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُحِبُّونَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝ تَرْمِثُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَهْبِئْتُمْ فَلَكُمْ خِزْيٌ لَكُمْ لَنِ كُنتُمْ تَقْلُمُونَ﴾ [المع ١١٠] ، وقال تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدْ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدْ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورى ٢٠] .

وقد دلنا الله تعالى على التجارة ، وصمنا لنا الربح ؛ وأخبرنا بما يريد في العمل ويوجب الربح . وأخبرنا بما يفسد عملنا ويبطل فعلنا وأخبرنا باحتهاد الصالحين قبلنا في التجارة الربحية^(٤) . وأخبرنا بمن فسد عليه عمله فقال تعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا يَتْلَاهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا يَتْلَاهَا﴾ [المع ١١٠] ، وقال تعالى : ﴿لَنْ تَقْرَئُوا اللَّهَ فَرَسًا حَسَنًا فَضَاهِيَةً لَكُمْ﴾ [المع ١١٧] ، وقال : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَمَا ضَاعَ لَهُ وَكَانَ لَكُمْ كَرِيمًا﴾ [المع ١١١] . وقال تعالى : ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَمِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَمِقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [المع ٧] ، وقال تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُورَةٍ بِأَةٍ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المع ٢٦١] ،

(١) في (ش) : كذلك

(٢) في (ط ، ي) : وتقدم له ، وفي (ت) : ويقدم له

(٣) في (ع) : من حسناته ، وفي (م) : في حسناته

(٤) في (ل) : الربحية

فأعطى الله عباده الثواب الجزيل ، واستقرضهم بما أعطاهم القليل ثم ذخره لهم إلى وقت حاجتهم إليه ، وكثره لهم وزاد عليه .

ثم أخبرنا بما يُطل الصدقات فقال عز من قائل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَطْلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَنَىٰ كَأَلْيٰى يَغِيٓقُ مَالَهُ يَبَاءُ النَّاسُ﴾ [البقرة : ٢٦٤] ، وقال تعالى : ﴿أَيُّوۡدُ أَخَذَكُمۡ أُنۡ تَكُوۡنَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنۡ جَبَلٍ وَأَشَاجِدٍ تَجْرِي مِنۡ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنۡ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ مُّطَهَّرَةٌ فَأَمَّا نَهَا إِهۡبَازَ فِيهِ فَإِنَّهُ فَتَحَرَّقَتْ كَذٰلِكَ يَمَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة : ٢٦٦] فمثل الله تعالى من يكون له عملٌ صالح يستحق به الجنة ، فيطله ، بمن يكون له في الدنيا حنة من غيل عني ما وصف ، فتصيبها ريحٌ فيها نارٌ فتحرقها فاحترقت وقوله تعالى : ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ يُريد أنه يكون يوم القيامة كمن أصابه الكبر في الدنيا لا يمكنه أن يستعيص جنة أخرى . وقوله : ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ يقول : إنه محتاج إليها كما يحتاج الشيخ الكبير الذي له ذرية ضعفاء إلى من يقوم به وبذريته .

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفُضُوا أَسۡوَأَكُمۡ فَوۡقَ سَوَاتِ النَّاسِ وَلَا تَتَّبِعُوا لِهٖ بِالْقَوَالِ كَثِيرٍ يَتَّبِعُكُمۡ لِيَتَّخِذَ أَعۡمَالُكُمۡ وَأَنۡفُسُكُمۡ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [سورة ١٢] ، وقال تعالى : ﴿فَلِئَلَّا بِأَنۡفُسِكُمۡ أَتٰمُتَ اللّٰهُ وَكُرِهَلُوا رِشۡوَانَهُ فَلَتَحۡطَ أَعۡمَالُكُمۡ﴾ [معد ١٢٨] ، وقال تعالى : ﴿قُلۡ هَلۡ تَجۡعَلُكُمۡ بِالْأَخۡسَرِينَ أَمْثَلًا ۝ الَّذِينَ هُنَا سَعَتُهُمۡ إِلَىٰ الْحَيٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُخۡسَرُونَ مُنۡقَا﴾ [النجم ١٠٣، ١٠٤] . ثم أخبرنا بصفة الصالحين فقال تعالى : ﴿الْعَاقِبُونَ الْعَابِدُونَ الْعَامِسُونَ السَّابِقُونَ الرَّاكِبُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِنُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ

عَنِ الْمُتَكَبِّرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُثُودِ اللَّهِ وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١٢﴾، وقال تعالى :
﴿وَأَمِنْ خَوْفَاتِ آتَاءِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَعْرِى
الَّذِينَ يَظْلِمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَظْلِمُونَ إِنَّا تَعَذَّبْنَا أَكْثَرَ الْأَنْبَاءِ﴾ [الزمر ١٩]

وقد مثل رسول الله ﷺ الصلاة بالتجارة؛ فكذلك^(١) سائر أعمال
البر؛ فإنه روي عنه ﷺ أنه قال لأمير المؤمنين (عليه السلام): «يا عليُّ مثلُ
الذي لا يُتِمُّ صلاته كَحُلِّي حِلَتِ، فلما دنى بفاسها أسقطت، فلا
هي ذات حملٍ، ولا ذات ولدٍ، ومثل المصلِّي مثل التاجر لا يخلصُ
ربحُه حتى يأخذ رأس ماله، كذلك المصلِّي لا تقبل له نافلة حتى
يؤدي الفريضة» فصح أن الدين تجارة.

ومما يدل على وحب تدبر العاقبة فيما يستقبل فعله العبد: ما
روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي (عليه السلام): «عليك بالياس مما في
أيدي الناس فإنه الغنى الحاضر»، فقبت: زدني يا رسول الله صلى الله
عليك، فقال: «يا عليُّ إياك والطمع فإنه الفقر الحاضر» فقلت: زدني
يا رسول الله صلى الله عليك، فقال: «إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته،
فإن يك خيراً فاتبعه وإن يك غيماً فدعه»، ثم قال: «يا عليُّ إن من
اليقين أن لا ترصي أحداً بسخط الله، ولا تحمد أحداً على ما آتاه
الله^(٢)، ولا تدم أحداً على ما لم يؤنك الله فإن الرزق لا يجره حرص
حريص، ولا يصرفه كراهة كاره، إن الله^(٣) يحكمه وفضله جعل
الروح والفرح في الرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط».

(١) في (ل) وكذلك

(٢) في (ب، ت، ع): ولا تحمد أحداً على ما آتاك الله وهو خطأ

(٣) في (ج، ع، ل): فإن الله.

واعلم أنه يحب على تاجر الآخرة أن يكون على تجارته أشد حرصاً واجتهاداً من تاجر الدنياء على تجارته ؛ لأن تجار الدنيا يجتهدون في تجارتهم^(١)، وينفقون فيها نفوسهم وأموالهم، ويسهرون الليل، ويخدمون، ويحوعون ويعطشون، ويحافون ويعرون، ويصبرون على ما قابلهم من الشرور والمحن.

ورأيانهم يُعْمَلُونَ أفكارهم فيما يُصلح تجارتهم، ويتدبرون عاقبة تجارتهم فإن علموا فيها ربحاً تقدموا فيها، وإن علموا فيها خسراناً توقفوا. وإذا انتاع رجل منهم شيئاً بدينار اجتهد في أخذ الجيد، واستشار فيه من يعرفه، واستنقذه ولم يرضَ بنقار واحنة.

فإذا كان هذا فعلاً تاجر الدنياء تهاجر الآخرة أحق بالحرص والاحتياط وإعمال الفكر في سلامة رأس المال وحصول الربح وكذلك يجب أن يكون اجتهداه في انتقاد دينه^(٢) ومعرفة من يأخذه عنه أشد من اجتهد تاجر الدنيا في استنقاد دينه، وقد روي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم».

واعلم أن تاجر الدنيا يستكثر من التجارة التي يعلم أن له فيها ربحاً حتى أنه لا يقنع بتجارته بنفسه حتى يستعين غيره يتجر له، ويستأجر آخرين، ويشارك آخرين، حتى يجتمع له الربح من مواضع كثيرة، فكذلك يجب^(٣) على تاجر الآخرة أن يستكثر من الأرباح،

(١) في (س، د) يجتهدون أنفسهم في تجارتهم

(٢) في (ي) في انتقاد دينه وفي (ط): في انتقاد دينه

(٣) في (ت)، كذلك يجب.

ولا يقنع بالشئ منها بل يطلب مزيد عليه، كما فعل رجال من عباد الله الصالحين، منهم الهادي (عليه السلام) لم يقنع بكثرة جهاده وهداه للناس إلى الحق، واحتجاده، وصلواته^(١) وقيامه، وصدقائه وحجه وصيامه، ودعائه إلى رب العالمين، وإعزازه للمؤمنين، وإرعامه للفاستقين، ومباينته للظالمين، فلم يقنع بما فعل من البر في حياته حتى راد أوصى أن يتصدق عنه^(٢) بعد وفاته؛ فإنه سأل بنيه وبني عمومته والصالحين من شيعته وأهل مودته أن يتصدقوا عنه بعد مماته، ولا يستقل المتصدق عنه شيئاً من حسناته، فعليه من الله أفضل سلامه وتحياته.

واعلم أن خير التجارة العلم والورع لقول رسول الله ﷺ: «فضل العلم خير من فضل العباد»، وخير ديسكم الورع».

واعلم أن أشرف التجارة أكثرها تعباً مع الإحلاص لله لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أشرف لإيمان أن يأمّنك الناس، وأشرف الإسلام أن تُسلم الناس من يدك ولسانك، وأشرف الهجرة أن تهجر السيئات، وأشرف الجهاد أن تقتل وتُغفر فرسك في سبيل الله».

(١) في (ج). وصلاته

(٢) في (س): أن يتصدقوا عنه.

لصل

في الكلام في التوبة

فإن التوبة من واجبات الشكر على (العبد) المذنب، والتوبة هي
الدم من فعل المعاصي، والمباينة للمعاصي، والإقلاع عنها، ورد
المظالم إلى أهلها.

والتوبة على وجهين: توبة من كسر وتوبة من فسق

فالتائب من الكفر لا يجب عليه قضاء فرض، ولا رد مظلمة، لقول
الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لَئِنْ تَتُوبُوا يُحْسِنْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [البقرة: ٣٨]،
ولقول رسول الله ﷺ: «الإسلام يجب ما قبله».

وأما التائب من الفسق فإنه يقضي ما ترك من العروض، كالصلاة،
والزكاة، والصوم، وكفارة الأيمان، والنذور، وذلك لقول
رسول الله ﷺ: «من نسي صلاة أو صام عنها فليقضها إذا ذكرها»
وكذلك الزكاة، والصوم، وكفارة الأيمان، والنذور. فأما سائر حقوق
الله فلا يجب على من صيغها قضاؤها إذا تاب، لقول الله تعالى:
﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ
الدُّوْبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ولقوله تعالى: ﴿وَلَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ
التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَقُصِّ مَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]، ولقوله تعالى:
﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٢]، ولقوله تعالى:
﴿وَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَمْسَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٣٩].

(١) سقط في (ص)

وروي عن علي (عليه السلام) أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال: (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه) غُفرت له دنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر ورمل عالج».

قال السيد أبو طالب: والمراد. بقوله ويضم إليه عقد القلب في الندم على ما كان منه، والعزم على ترك أمثاله^(١). وأما^(٢) حقوق الأدميين فإنه يجب عليه الخروج (إليهم)^(٣) منها، فإن كان الحق في دم أقاد نفسه للقصاص، وإن كان في مال قضاء من ماله، وإن كان في عرص سأل الحل إذا اغتابه وبلغته نعيه، وإن لم تبلغه^(٤) لم يعلمه وتاب إلى الله تعالى؛ ولأنه إذا أعلمه^(٥) بشيء لم يعلمه من قبل أدخل عليه الغم.

والغية هي أن يتكلم على المؤمن في غيبته بما لا يتكلم في حصرته؛ يريد بذلك نقصه وإظهار عيبه، وهو^(٦) أن يذكر منه ذنب فعله^(٧) ويمكن أن يكون قد تاب منه فُسيمه باسم قد خرج منه،

(١) زيادة في (ط)

(٢) قوله: (قال السيد أبو طالب (عليه السلام) مراد بقوله) يعني يقول هذا الاستغفار، الذي هو. (استغفر الله الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه) ويضم إلى هذا الاستغفار عقد القلب في الندم على ما كان منه، والعزم على ترك أمثاله ثم

(٣) في (ج، س، م) وأما

(٤) صاقت في (ج، س، م)

(٥) في (ط): وإن لم يكن بلغته وفي (ع) وإن لم يكن بلغته وفي (س) وإن لم تكن بلغته وفي (م) وإن لم يكن بلغته

(٦) في (أ): إذا أعلمه

(٧) في (ب، ع): وهي.

(٨) في (ص، ش): ذنب فعله فعله وفي (ج) - دبا فعله.

وقد قال تعالى: ﴿بِمَنْ أَلِئْتُمْ النَّفْسَ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يُحِبَّ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المعمرات ١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَلَحَةُ فِي الدِّينِ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور ١١٩]، وإما أن يتكلم في المؤمن بما لم يعمل فذلك أكرم من الغيبة، وهو بُهتانٌ وافتراء وإثمٌ عظيم لقول الله تعالى: ﴿وَكَبُرَتْ هُنَا وَلَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور ١٢٥].

وأما الفاسقُ المصيرُ على فسقه ولا إثم في غيبته.

ويجب على القادف إذا قذف مؤمناً ولم يأت بأربعة شهداء التوبة وتسليم نفسه إلى الإمام ليأخذ منه حد القذف للمقدوف أو لورثته، إلا أن يعمو عنه المقدوف أو ورثته قبل المطالبة^(١) إلى الإمام، وإن لم^(٢) يكن إماماً سأل المقدوف المحل، وعلى من طُلب منه الحل في هذا أو في الغيبة^(٣) أن يحل ويعفو، لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الفصائل أن تُعطي من حرمك، وتصمح عمن شتمك، وتصل من قطعك».

وحقيقة التوبة الندم عن^(٤) فعل الذنب كائناً ما كان -ترك فريضة، أو عمل معصية- فهذا يجب الندم^(٥) من فعل المعاصي،

(١) في (ت) قبل المراجعة. وفي (ج): قبل المدعاة

(٢) في (س، ش): فإن لم

(٣) في (ل): وفي العدة

(٤) في (ص، ع): على

(٥) في (س، م): فهذا يوجب الندم

وترك الواجبات، والعزم على أن لا يفعل معصية، ولا يترك واجباً، والخروج عن المظالم^(١).

ومن الندم أن لا يتوب من ذنب ويرتكب ديباً مثله ؛ وهذا مروى عن القاسم بن إبراهيم (عليه السلام)، وهو قول جميع الريدية، وبه قال أبو هاشم وأكثر المعتزلة وقال أبو علي وأبو القاسم اللحي : (تصح توبته من ذنبه، وإن كان مُصرّاً على غيره^(٢)) وهذا لا أصل له ؛ لأن من اعتذر إلى زيد في قتل ولده، وهو مع ذلك غير مقلع عن طلعه لا يكون معذوراً^(٣) في قتله، وكذلك من امتنع من شرب الخمر لحموصته فأكل أحماض الأثريج^(٤) لا يكون مُمتنعاً من الحامض فصيح أنه لا يكون تائباً ما دام مُصرّاً على معصية^(٥). والصفائر مع الإصرار تكون كبائر (وهو قول الناصر (عليه السلام))^(٦)

(١) في (ص، ل، م). من المظالم

(٢) في (ط، ل) : على ذنب غيره.

(٣) في (ج، ه، ل) لا يكون معذوراً

(٤) في (ب) : حماض الأثريج. وفي (ع) حامض الأثريج

(٥) في (ش) : على معصيته.

(٦) ساقط في (ص)



(٨) باب حقيقة معرفة البلاء

وأصل البلاء الاختبار، وهو على أفانٍ كثيرة.

فمنها بلاء التعبد، وهو الأمر بفعل الواجبات، والنهي عن فعل المحرمات، وفائدته أن يُعرَّض الله مُتَعَبِّدِينَ لثوابه، ويُخَوِّفُهُمْ مِنْ عِقَابِهِ؛ قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَهْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الأنعام: ١٢]، فصَحَّ أن الدنيا دار بلاء، وأن الحياة والموت بلاء.

ومن البلاء: النعم التي تفضل الله به على العباد، قال الله تعالى - حاكياً عن سليمان (عليه السلام) - ﴿فَلَمَّا وَكَّدَ مِنْهُمَا إِثْمًا قَالَ أَتَسْتَبِرُّونَ قَالَ هَذَا مِنْ فَحْشٍ رَبِّىَ لِيَبْلُوَنِى أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [سورة ٢١: ١٢] وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْلَغَهُ رِزْقَهُ فَاشْكُرْهُ وَكَفَّهُ فَيَكْفُرْ بِرَبِّى أَكْفُرْتُمْ﴾ [سورة ١٠: ١٠].

ومن البلاء: التمهيط للعبد المؤمن قال تعالى: ﴿وَلِيَبْلُوَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلِيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقال تعالى: ﴿وَلِيَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿حَكُلُوا مِمَّا ذُوقُوا الْمَوْتَ وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِنَّا لَبَاقُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْمَرُكُم بِأَوْلَادِكُمْ فِتْنَةً﴾ [البقرة: ١٥٥]، والفتنة من التمهيط. وقال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَفْضَلُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، وذلك لأن القتل في سبيل الله حسن، والفتنة تمحيص؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مَرِئْتُمْ إِنَّا إِلَّا لِنُفْتِنَ الْحَسَنِينَ﴾ [البقرة: ٥٢]، فسمي الشهادة حسناً

ومن التمهيد ما ذكر الله تعالى من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات والأمراض ؛ ونقصان الأنفس مثل الموت ونقصان الخلق وقد يتلى الله عبده بالفقر لينظر صبره ، قال الله تعالى : ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَرَّبَ ظَهْرَهُ بِرَبِّهِ يَقُولُ أَنَا مِنَ الْهَاسِبِينَ﴾ (همز ١٦) ، وقد روي أن في التوراة : (يا موسى :ي لم أفقر الفقير بدنس^(١)) قدمه إلي ولم أغر الغني بصنعة قدمها إلي ، وإنما أفقرت الفقير لأنظر صبره ، وأغيت الغني لأنظر شكره ، ي موسى فلا المقير صر ولا الغني شكر). وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن المؤمن إذا أصابه السقم ثم عافاه الله مه كان كماراة لما مضى من ذنوبه ، وموعظة له فيما سقل^(٢)» ، وإن المفاق إذا مرض ثم عوفي مه كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه ، فلم يدري لم عقلوه؟ ولم أرسلوه؟ فقال رحل : يا رسول الله ، وما الأسقام والله ما مرصيت قط؟ فقال ﷺ : قم عا فليست ميا. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي (عليه السلام) : «يا علي عم العيال^(٣) مبتز من الدار ، وطعه الخالق أمان من العذاب ، والصبر على الفاقة جهاد ، وأفضل من عدة ستين سنة»

وعن علي (عليه السلام) أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يقول الله عز وجل : أيما عبد من عبادي ابتليته بلاء على فراشه فلم يشك على (أحد)^(٤) من عواده أبدلته لحماً خيراً من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ،

(١) في (ث) : لب.

(٢) في (س) : لما يستقبل

(٣) في (ج ، ه ، د) : هم العيال.

(٤) ساقط في (أ)

فإن قبضته فإلى رحمتي، وإن عافيته فليس له ذنب. قيل: يا رسول الله وكيف ينبت له لحم غير لحمه، ودم غير دمه؟ قال: لحم لم يذنب.

وعن أم العلى قالت: عادني رسول الله ﷺ وأنا مريضة فقال: «أبشري يا أم العلى فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياہ لوسيثاته»^(١) كما تذهب النار خث الذهب والفضة. وعن النبي ﷺ أنه قال: «عظم الجزاء على عظم البلاء»^(٢)، فإن الله^(٣) إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط. وقال القاسم بن إبراهيم (عليه السلام) في المكنون: ولربما آذ الله عبده بالمقر، وابتلاه بالعسر اختاراً له ليجعل له في عاقبة ذلك خيراً

واعلم أنه لولا البلاء لما أحرف الله بأول ما عرف^(٤) المطيع من العاصي، ولما عرفت النعمة، ولإن العبد (عليه السلام) ضر دعا ربه أميناً إليه^(٥) وتضرع إليه؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَنَّ الْإِنْسَانُ مَنَّ دَعَا رَبَّهُ تَبَنَّا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حُوِّلَتْ نِعْمَةٌ بِهِ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ آذَانًا يَحِيطُ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَنَّعَ بِكَرِّكَ فَلْيَلْ إِلَهُكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الر ٨]. وأيضاً إنه لولا البلاء لما عرف فصل النعمة، وفي الشاهد أن المعافي لا يعرف فضل العافية حتى يُبتلى، فإذا أصابه ألم وضر ومرص تمنى العافية،

(١) زيادة في (ج، ل)

(٢) في (س): مع عظم البلاء

(٣) في (س، هـ، ي) وإن الله

(٤) في (ع): ولا عرف

(٥) زيادة في (ص).

وعرف فضلها وقدرها وكذلك من أضرَّ به الجوعُ والظمأُ إذا وجد الطعام والماء عرف فضل السعة بعد البلية.

وفي البلية منافع أخرى^(١)، منها أنها تُذكر العبد عذاب الآخرة وألمها، ولولا البلاء^(٢) في الدنيا ما صدَّق العبد بوعيد الله في الآخرة.

ومنها أن البلاء يمنع العبد عن كثير من المعاصي، ويرغبه في الطاعة، ويرهبه في الدنيا ولما كان في الشاهد أن الأطباء والحكماء من الناس يداوون الأعيلاء بدواءٍ مؤلم لهم في الحال، نافع لهم في المآل، كالعصد، والكبي، وشرب العقاقير، وأمثال ذلك، حكم العقل الضروري أن البلاء من الله حميم، وأنهم نافع للمتلى قال الله تعالى: ﴿وَيُلَوِّدُهُمْ بِالْخَسَافَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الصافات: ١٢٨]، يريد أنه يلاهم بالخير ليذكروا، ويلاهم بالشر ليحذروا. والشكر والحمد رجوعٌ إلى الله تعالى

واعلم أن الله تعالى قد ابتلى عبده بالخير ليظهر شكره، وابتلاه بالشر لينظر صبره، ولولا البلاء لما عُرف^(٣) المطيعُ من العاصي.

(١) في (ح، ص، م): منافع أخرى

(٢) في (ص): ولولا البلية

(٣) في (ب، ج، ح، ش): ما عُرف

فصل

في الكلام في امتزاج النعمة والمعنة

اعلم أنه لا يوجد نعمة في الدنيا إلا وبجنبها محنة، فمن ذلك زوال النعمة فإنه محنة، ومنه ما جعل الله للعبد من الاستطاعة فإنه جعله مستطيعاً للإيمان ومستطيعاً للكفر، ومستطيعاً للطاعة ومستطيعاً للمعصية.

ومن البلية أنه عجل الدنيا العانية، وأخر الآخرة الباقية وجعلها معيبة خافية، قال عز من قائل: ﴿لِنَّ السَّاعَةِ آتِيَةٌ أَكَادُ أَكْثَرُهَا لُجُتًى﴾ كَلَّ هَسَّ بِمَا قَسَمْتُ (١٥)، يريد أنه لم يجعلها مشاهدة في الدنيا ولم يُبَيِّنْهَا، وأخبرها وأحبر عنها ومعنى إخفاء الله لها أنه أخفى عينها ووقتها، ولم يُخَفِّ خبرها.

ومن البلية أن الباطل قد يُكْسِبُ الحق في بعض المواضع، ولا يعصل بينهما إلا ذو العلم والحجاء، وذلك في مثل مسائل الاحتهاد؛ مثال ذلك الجمع بين الأختين في ملك ليمير، وقد سُئِلَ عن ذلك أمير المؤمنين فقال: أحلتها آية وحرمتها آية، فغلب الحظر على الإباحة فحرمتها.

وقال (عليه السلام) في حطة له: (ألا إن الحق لو خُلِّصَ لم يخف على ذي حجة^(١)، وإن الباطل لو خُلِّصَ لم يخف على ذي حجة، ولكنه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيمتزجان معاً، فحينئذ يستولى الشيطان على حزبه، وبجا حزب الله الذين سبقت لهم

(١) أي عقل قمت

من الله الحسنى. ألا إن الباطل خيل شمس ركبها أهلها فأرسلوا لها
أزمتها فسارت حتى انتهت بهم إلى نار وقودها الناس والحجارة.
ألا وإن الحق مطايا ذلل ركبها أهلها وأعطوا أزمتها فسارت بهم الهوينا
حتى انتهت بهم طلاً ظليلاً. فعليكم بالحق فاسلكوا سبله واعملوا به
تكونوا من أهله)

واعلم أن امتزاج الحق بالباطل ؛ مثل فعال المنافقين ، فإنهم أقرؤا
بالإيمان واعتقدوا الكفر فأجراهم الله ورسوله مجرى المسلمين ، ولم
يُدهم بأعيابهم - للبلية - فقال تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آَلَيْهِ إِلَتِكُمْ
الْإِلَٰهَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَتَّبِعُونَ عَرَضَ النَّهْإِ الثَّوَالِ﴾ [سـ : ١٤٠] . وروي عن
رسول الله ﷺ أنه قال : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : (لا إله
إلا الله محمد رسول الله) ، فإذا قالوها كُفِّوا عني»^(١) دماءهم وأموالهم ،
فلما قبل منهم الظاهر ، لم يكلف الله السيء ﷺ معرفة باطنهم ، ولا
كلف المؤمنين ذلك. فمن هاهنا امتزج الحق بالباطل^(٢) ، فصار المنافقون
يروون عن رسول الله ﷺ شيئاً لم يقله ، فيصدقوا لتعطيتهم بالإسلام ،
ولو كانوا مظهرين للكفر لم يصدقوا فمن هاهنا أفسدوا الإسلام .
فهذا من البلية قال الله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُفْرِجَ
اللَّهُ أَسْغَاتِهِمْ ۖ وَلَوْ نَشَاءُ لَا نُبَاسِكُمْ فَسَرَقَتِهِمْ بِسِيمَانِهِمْ وَلَقَرَنَتِهِمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ
وَاللَّهُ يَتْلُمُ أَعْمَالَكُمْ ۖ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالْمُتَابِعِينَ وَتَعْلَمُوا
أَنفَارَكُمْ﴾ [سـ : ٢٤-٢٥] ، فأخبر^(٣) أن ترك تعريف المنافقين بلية للمؤمنين .

(١) في (ب ، ن) . علي

(٢) في (م) . والباطل

(٣) في (أ) وأخبر

ومن البلية أيضاً: مُتشابه القرآن، فإنه لو كان كله محكماً لم يحتاج أحدٌ بعده إلى العلماء، ولَمَّا وجد المخالف للحق سبباً يتعلق به، ولو كان ذلك كذلك لزال الامتحان وسقط التكليف.

ومن البلية: موت رسول الله ﷺ ومن تخلّفه^(١)، فبسبب موته وقع الاختلاف.

ومن البلايا: معادات أعداء الله، والجهاد في سبيل الله، ولولا ذلك لَمَّا عرف الصابر من العاقر المتوهم، قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتِخَلَّوْا الْخَلَّةَ وَلَمَّا يَأْتِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا بِكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [ال عمران: ١٦٨].

فصل

في الكلام في الرزق

اعلم أن الرزق جعله الله للباس، والدواب، والطيور، متاعاً، وجعل هذه الأصناف لا تحيا إلا به، وجعل الحاجة إليه بلية

واعلم أن الرزق ينقسم قسمين. قسم منه أنعم الله به على عباده؛ كالمواريث والمطر والشجر والثمر والعافية وتمام الاستطاعة، وأمثال ذلك وقسم يحصل بالاكْتِسَاب والطلب؛ كالتجارة والضرب في الأرض، والإجارة والصناعة والحِرْث، وأشباه ذلك. فجعل الله بعض الرزق لا يحصل إلا بالاكْتِسَاب والطلب بلية ومحنة وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي (عليه السلام): «يا علي غمُّ العيال سترٌ

(١) في (ب)؛ ومن بخله. وفي (ط). ومن خلعه

من النار، وطاعة الخالق أماناً من العقاب^(١)، والصبر على الفاقة جهاداً، وأفضل من عبادة ستين سنة^(٢).

واعلم أن الرزق من الله عدمٌ لجميع المرزوقين، المكلفين وغير المكلفين، المطيعين والعاصين. وبرزق من تمام الخلق، ولولا الرزق من الله لما حيَّ المرزوق، ولكانت الحجة على الخالق للمخلوق - تعالى الله عن ذلك، بل خلق^(٣) ورزق، وأسبغ النعمة^(٤) وأكمل له على خلقه الحجة.

ودهمت المطربة إلى أن الله لم يرزق العاصي، وأن كل ما تناوله العاصي من الحلال والحرام عصياً اعتصمه، وليس يرزق له، ولم يسمعوا قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَمْتَلِكُ مِنْ قُلُوبِكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ [الاسراء: ١٥٠]، وهذا خطاب من الله يقال للمشركين، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿حَكَلًا ثَوْبًا هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَطْطُورًا﴾ [الاسراء: ١٣]، وقال تعالى: ﴿فَرَسًا وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِهًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْلُوءًا ۝ وَبَنَيْتُ خَنْدُودًا ۝ وَوَعَدْتُ لَهُ نَهْمًا ۝ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَنِيذَ﴾ [الاسراء: ١١-١٥]، وقال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُمْ وَحْدَهُ الشَّاءُ وَالْعَتِيدُ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الصَّبِّ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [الاسراء: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا أَوْلَادُكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِلَّا تَصْخَبُ﴾ [الاسراء: ٣١]، وقال تعالى - حاكياً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَكَ مِنَ الثَّرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ

(١) في (ع، ب) من العذاب

(٢) في (هـ) بل قد خلق

(٣) في (ع) وأسبغ النعم

وَمَنْ صَكَّرَ فَاَنْتَعَه قَلِيلاً ﴿١٢٦﴾ [البقرة: ١٢٦]، وقال: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِرَاقِي كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩١]، وهذا في القرآن كثير. ومن أنكر هذا فقد أنكر نعمة الله.

وروي عن السيّد (عليه السلام) أنه قال: «لا يتوارث أهل ملتين» وعلى هذا لو أن ذمياً مات وله ولدان أحدهما مسلم والآخر كافر لقضي بماله لولده الكافر ولم يكن للمسلم شيء. والميراث ررق من الله تعالى بالإجماع فسقط قولهم.

واعلم أن أكرم الناس عند الله أكثرهم بليّة، وأكبر البلايا أكثرها ثواباً؛ من ذلك ما ابتلى الله به الأنبياء صلوات الله عليهم من إبلاغ الرسالة، وتحمل كلمة الأمر وسياسة الناس، وفي خلال ذلك بلايا تصيبهم؛ مثل الجوع والعطش والخوف، والعلل المؤلمة، والأمراض المتعبة، مثل ما ابتلى الله به أيوب (عليه السلام) من الضر الذي ذكره الله، وقيل: إنه الجذام.

ومثل ما لقي يونس (عليه السلام) من العرق، والتقام الحوت له.

ومثل ما كان نبيّنا محمد (صلى الله عليه وآله) يلقى من الحصاصة، والجوع، وذلك بسبب إثاره على نفسه، واختياره للفقر لما علم فيه من الأجر، وقد قال الله تعالى فيه، وفي علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام): ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ مَلَكُوتٌ مُّغْتَمِبٌ عَلَيْهِمْ وَمِنْهُمْ أُولُو الرِّجَالِ وَأُولُو الْأُنْثَىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي عَنَادِ اللَّهِ لِئَ يُذَكَّرَ﴾ [التوبة: ٢٠]. وروي عن سويد بن غلقة قال: (أصاب علياً (عليه السلام) حصاصة، فقال لفاطمة (عليها السلام): لو أتيت

النبي ﷺ فسألتيه ، فأتته وكانت عنده^(١) أم أيمن ، فدقت الباب ، فقال رسول الله ﷺ : «إن هذا الداق فاضمة ، وقد أتينا في ساعة ما عودتنا أن تأتينا في مثلها ، فقومى فافتحي لها الباب» ، فقال ﷺ : «يا فاطمة لقد أتيتنا في ساعة ما عودتنا أن تأتينا في مثلها؟» فقالت : يا رسول الله هذه الملائكة إن^(٢) طعامها التسييح والتهليل ، والتحميد والتمجيد ، فما طعامنا؟ قل^(٣) : «والذي نفس محمد بيده ما اقتبس لآل محمد نار منذ ثلاثة أيام ، وقد أتينا بأعنز فإن شئت فخذني حمس أعنز ، وإن شئت علمتك خمس كلمات علمنيهن حبريل ﷺ؟» قالت^(٤) : بل علمني الكلمات ، قد : قولي : «يا أول الأولين ، ويا آخر الآخرين ، ويا ذا القوة المتين ، ويا هم أرق المساكن ، ويا أرحم الراحمين» فانصرفت حتى دخلت على علي^(٥) فقال : ما وراءك؟ فقالت : ذهبت من عندك إلى الدنيا فأتيتك بالآخرة ، قال : حير أيامك ، خير أيامك

فاختار ﷺ الفقر له ، ولأهل بيته^(٦) ، وكان الغنى ممكناً له ، لما روي عن محمد بن أبي طلحة الأنصاري عن أبيه قال : لبث رسول الله ﷺ ثلاثة أيام لم يطعم شيئاً^(٧) فخرج عليه اليوم الرابع مستشراً مسروراً ، فقلنا له : بشرك الله يا رسول الله ، وأقر عينك ،

(١) في (ح ، م) : وكان عنده

(٢) في (سر) : إن هذه الملائكة

(٣) في (ص) : فقال

(٤) في (ص) : فقالت

(٥) في (ت ، م) : لا يطعم شيئاً

بشرنا بأبائنا وأمهاتنا، قال: «نعم، جاءني جبريل (عليه السلام) في صورة لم يأتني في مثلها قط، شعره كالمرجان والدرّ، براق الشيا، على فرس من أفراس الجنة، سرجه من ذهب، ولجامه من ذهب، تحته قطيفة من استبرق، فقال لي: يا رسول الله، السلام يُقرؤك السلام، ويقول لك: أنجب أن أحمل لك تهامة ذهباً، وفضة، تزول معك حيث تزول، ولا ينقصك ذلك^(١) بما وعدك الله في الآخرة جناح نعوصة، فقلت له: أعمّر ما خرب الله^(٢) يا جبريل؟ إن الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ويجمعها من لا عقل له، فقال جبريل (عليه السلام) له: يا رسول الله وفقك الله يا رسول الله^(٣) لقد أحبرني بكلامك هذا إسماعيل تحت العرش من قبل أن آتيك» فصح أنه احتار الفقر على العنى^(٤)

ولم يتل أحد مثل ما اتلى الله به خليله إبراهيم (عليه السلام)، فإنه اتلاه بذبح ولده إسماعيل (عليه السلام) من بعد أن دعى ربه أن يهب له ولداً صالحاً لتوحيده وانفراده من الأولاد والأصحاب فلما وهب له ولداً صالحاً أمره بذبحه؛ فهذا هو البلاء العظيم الذي لم يتل به سواه^(٥)، قال الله تعالى حاكياً عن إبراهيم (عليه السلام): «وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّئِينَ ۝ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ فَبَشَّرْنَا بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۝ فَلَمَّا بَلَغَ مَقَامَ الشُّمَيْسِ قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي آرِي فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُ فَأَنْظَرُوا مَاذَا لَرَأْيَ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ

(١) في (ط، هـ): ولا ينقص ذلك.

(٢) في (ص، س): ما أحرب الله

(٣) زيادة في (أ، ب)

(٤) في (هـ، ي): الذي لم يتل به أحد سواه

سَعَجْتُ لِيِنَّ شَاءَ اللّٰهُ مِنَ الصّٰبِرِيْنَ ۝ فَلَمَّا اَسْلَمْنَا وَكُنَّا لِلْجَبْتِ ۝ وَدَقَّتْهَا اَنْ
 يَا اِبْرٰهِيْمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا اِنَّا كُنَّا بِكَ بِخَبْرٍ اَلْمُحْسِنِيْنَ ۝ اِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ
 الْكَبِيْرُ ۝ وَلَقَدْ كُنَّا بِذِيْجِ عَظِيْمٍ ﴿البقرة ١٩٠-١٩١﴾، ومثل هذا البلاء لا تطيقه
 المومنين، وقد تطيقه الاحساد وقول الله تعالى: ﴿وَكُنَّا وَلَا تُعَمِّلُنَا مَا
 لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ ﴿البقرة ٢٨٩﴾، المراد: ولا تحملنا ما لا تطيقه نفوسنا. فاما
 الاحساد فان الله لا يحملها ما لا تطيق؛ وذلك لا تخاف وقوعه من
 الله، وإنما أمرنا الله بالدعاء^(١) مما نخاف وقوعه منه أن لا يوقعه بنا.

فصل

في الكلام في الصبر على البلية

اعلم أن حقيقة الصبر على البلية هو الرضا بالقضاء وترك السخط
 منه والشكا، وأما من ابتلي ببلاء فلم يرض به^(٢) وسخط منه وشكا
 فليس ذلك بصابر، وقد روي عن جعفر بن محمد عليهما السلام: (أنه
 وفد عليه شقيق البلخي فقال له: من أين أتيت^(٣)؟ فقال: من
 حراسان. فقال: كيف التوكل هالك؟ قال^(٤): إذا رزقوا أكلوا،
 وإذا منعوا صبروا فقال جعفر بن محمد عليهما السلام: هكذا
 كلاب المدينة عندما إذا رزقت أكلت، وإذا منعت صبرت،

(١) في (أ) وإنما أمرنا بالدعاء إليه

(٢) في (ص) ولم يرض به

(٣) في (ش، م، س): من أين أنت.

(٤) في (ص، ل): فقال

فقال شقيق: فكيف هو عندك^(١) يا ابن رسول الله؟ قال: التوكل عندنا إذا رزقنا آثراً، وإذا منعنا شكرياً. فدل كلامه على أن من لم يرضَ بالبلية فليس بصابر عليها؛ لأن الكلاب لا ترضى بالمنع، ولا فضل لمن لم يجد بُدّاً^(٢) من الصبر قصير وهو غير راضٍ به، وهذه صفة البهائم. وإنما الصابر من رضي بالبلية، ورجا ثوابها من الله، ولم يشك ما أصابه إلى المخلوق^(٣)

ومن أفضل الصبر أن لا يدعو إلى الله لزوال البلية إلا إذا أجهده الأمر ولم يجد للصبر موضعاً، كب عمل أيوب عليه السلام، فإنه دعا إلى الله، قال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ هَبَدًا لَّيُوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بَعْثٍ وَعَذَابٍ﴾ [مر ١١]، وكذلك قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَشْكُرُ بَنَىٰ وَخَرَّنَىٰ إِلَٰهِي﴾ [يس ١٨٦]، ولم يدعوا ربهما بزوال البلية إلا عندما أجهدهما الأمر، ولم يجد للصبر موضعاً ولأنهما لو سألا ربهما زوال البلية في مبتدئها^(٤) لم يكونا راضيين بالبلية ولا يكون العبد صابراً على البلية إلا إذا كان راضياً بها وكان يقدر على الخروج منها فيحتر الصبر عليها، مثل أن يصيبه الله بألم فيرضى به ولا يسخط منه ولا يشكوه إلى مخلوق. ومثل من يصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى، ويصبر على كظم الغيظ وهو يقدر على الانتصار، وقد روي

(١) في (ل، م): فكيف هو عندكم

(٢) في (ص): لمن لا يجد بُدّاً

(٣) في (ص، م): إلى مخلوق وفي (ش، ي): إلى المخلوقين

(٤) في (ث): في مبتدئها

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا إِنْهُ سَيَكُونُ أَقْوَامٌ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُمُ الْمَلِكُ إِلَّا بِالْقَتْلِ وَالتَّجْبِيرِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ لَهُمُ الْغِنَى إِلَّا بِالْبَحْلِ وَالْفُجُورِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ لَهُمُ الْمَحَبَّةُ فِي النَّاسِ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الْهَوَى، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَصَبِرْ عَلَى الدَّلِّ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْعِزِّ، وَصَبِرْ عَلَى الْفَقْرِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْغِنَى، وَصَبِرْ عَلَى التَّعْصَةِ فِي النَّاسِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْمَحَبَّةِ، لَا يَرِيدُ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ وَالْدارَ الْآخِرَةَ، أَثَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى ثَوَابَ حَمْسِينَ صَدِيقًا».

واعلم أن أعظم ما ابتلي به الإنسان الشهوة والكراهة، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا لَبَسَ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْهَارِ وَالْأَعْنَابِ ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا﴾ [المراد: ١٤]، فهذه الأشياء التي سماها الله، هي أجل ما ولعت النصوص بشهوته، فأشدها حبة النساء ثم البنون ثم هي على هذا الترتيب المرتب في الآية إلى الحرث. فكانت الشهوة لهذه الأشياء، والحاجة إليها بلية ابتلى الله بها الناس، فمن صبر عنها وامتنع من الهوى^(١) فلزم نفسه^(٢) من اتباع الشهوات فاز بالحسنى وكان عند الله من الكرماء، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۖ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ فَلَهُ الْوَسْطَىٰ هِيَ الْآخِرَىٰ﴾ [المراد: ٣٧-٣٩]، وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ أَصْحَابَكُمْ

(١) في (ص، ع). عن الهوى

(٢) في (ش). ولزم نفسه

وكذلك الغضبُ من البلايا^(١) الكبار فإنه لا يكاد يصبر على كظم الغيظ عند الغضب مع القدرة على الانتصار إلا ذو حظٍ عظيم كما قال الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ لِمَاذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [سورة النمل: ٢٤، ٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ لِنَفْسِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [النور: ٢٢]. وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اتَّقُوا النَّسَاءَ، وَاتَّقُوا الْغَضَبَ، فَإِنَّهُ حَمْرَةٌ يَتَوَقَّدُ فِي جَوْفِ ابْنِ آدَمَ، أَلَّا تَرُونَ إِلَى انْتِمَاحِ أَوْدَاجِهِ، وَحَمْرَةِ عَيْسَى، فَإِذَا أَحْسَسَ أَحَدُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَذْكُرِ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى». وعنه ﷺ أنه قال لعلي (عليه السلام): «يَا عَلِيُّ إِنْ مِنْ الْيَقِينِ أَنْ لَا تُرْصِيَ أَحَدًا بِسَخَطِ اللَّهِ، وَلَا تَحْمَدَ أَحَدًا عَلَى مِمَّ آتَاكَ اللَّهُ، وَلَا تَذُمَّ أَحَدًا عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ، فَإِنَّ الرِّزْقَ لَا يَجْرُهُ حَرَصٌ حَرِيصٍ، وَلَا يَصْرِفُهُ^(٢) كَرَاهَةٌ كَارِهِ، إِنْ اللَّهَ بِحُكْمِهِ وَفَضْلِهِ جَعَلَ الرُّوحَ وَالْفَرْحَ فِي الرِّضَا^(٣)، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسَّخَطِ».

وروي عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْفَعَهُ دَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يَخْبِرَهُ^(٤) فِي أَيِّ جَوَارِهِ شَاءَ».

(١) في (ع). من أعظم البلايا

(٢) في (ص): ولا يرد.

(٣) في (ع): والفرح في الرضى

(٤) في (ط): حتى يخبره

فصل

في الكلام في الموت

اعلم أن الموت آخر بلايا المؤمنين، وأول نعمة العاصين^(١) وفيه نعمة، وثلاث بلايا.

أما النعمة فإن الله جعله موعظة للمؤمنين، وعبرة للمسلمين، وتذكرة لجميع المكلفين، وتحذير وتحويماً للمعتدين^(٢)، ولولا ذكر الموت وحوقه ما اردجر من اتاع سوى مردجر، ولا فعل ما يؤمر به مؤتمراً إلا من علم الله.

وأما البلايا الثلاث: فواحدة مهز عامة لجميع المكلفين، وواحدة خاصة لعيال الميت وأقاربه وأصحابه، ومن يصره موته، وواحدة خاصة للميت في نفسه.

فأما البلية العامة لجميع المكلفين: فإن الله جعل الموت والفناء بليّة ابتلى بها عباده ليظهر من يؤمن بالآخرة، ويصدق بالغيب، ويعمل ما يأمر به، وينتهي عما نهاه عنه^(٣) فيثيبه ويجزيه، ويخلّده في الجنان، ويظهر من يكذب بالآخرة والوعد والوعيد، ولا يأتمر بأمره ولا ينهي عن نهيه، فيخلّده في النيران^(٤) ويُعذّبه بالخزي والهوان، ولو لم يكن موت ولا فناء ولم تكن الجنة والنار غائبتين، وكانتا حاضرتين

(١) في (ص): للعاصين.

(٢) كذا في (س، ل)، وفي بقية النسخ للمتدين.

(٣) في (ج، ص) ويعمل ما يؤمر به وينتهي عما نهى عنه.

(٤) في (ص، م، د): ولا ينهي عما نهاه عنه فيخلّده في النار.

مشاهدتين في الدنيا لم يكن إيمان من يؤمن بهما عجيباً، ولا كان من يعمل للجنة المشاهدة ويخاف النار، المشاهدة مستحقاً للأجر؛ لأن البهائم قد تستحلب المنافع المشاهدة، وتبصر عن المضار المشاهدة، فصاح أن الله جعل الموت بليّة، وأن من آمن بالغيب يكون مستحقاً للثواب، ومن كذب به يكون مستحقاً للعذاب؛ قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ لِكُفْرَانٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَدْعُونَ إِلَهُاتٍ لَّهُمْ شُرَكَاؤُا كُفْرًا﴾ (الأنعام: ١٣٦)، فمدح الله من يؤمن بالغيب.

وأما البليّة الخاصّة لعيال الميت وأقاربه وأصحابه: فإن الله تعالى جعل الناس يحتاج بعضهم إلى بعض، ولم يجعل لبعضهم غنى عن بعض، وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: قلتُ وأنا عند النبي ﷺ: (اللهم لا تحوجني إلى أحد من خلقك). فقال النبي ﷺ: «مَوْ يا عليّ لا تقولن هكذا، فإنه ليس أحدٌ إلا وهو يحتاج» إلى الناس، قال: فعلت؛ كيف أقول؟ يا رسول الله؟ قال: قل: اللهم لا تحوجني إلى شرار خلقك. قال: قلتُ: يا رسول الله ومن شرار خلقه؟ قال: الذين إذا أعطوا منوا وإذا منعوا عابوا». فصاح أن موت الإنسان بليّة لمن كان محتاجاً إلى الميت.

وأما البليّة التي تخصّه في نفسه، فهدم ما كان منه مبنياً، ومصره إلى الضعف بعد ما كان قوياً، وكوبه مواتاً جماداً بعد ما كان^(١) حيواناً

(١) في (ص): إلا وهو محتاج

(٢) في (١): فكيف أقول.

(٣) في (ش، ع، ب): بعد أن كان

سويًا^(١) مع تجمُّعه للمرارات، وكونه من الموت في الغمرات والألم الشديد، والكرب المقني له المبيد، وحسرة الولي وغمه، وشماتة العدو العنيد^(٢)، ومفارقة لما يُحبُّ من الناس والأموال والعافية والسلامة والجمال، وكفى بالموت واعظًا وزاجرًا عن المحرّمات، ومُرغبًا في أفعال الطاعات، فلو لم يشاهد الإنسان العاقل ميّتًا ولم يره ثم أخبر عنه مُحبرٌ صادق لوجب أن يخاف الموت ويزهد^(٣) في الدنيا الفانية، ويرغب في الآخرة الباقية؛ فكيف وهو يشاهد أباه وولده وأخاه وصاحبه وأمه وأولياءه تُزرع أرواحهم في حجره ثم يحمل الواحد منهم فيدفنه^(٤) في قبره، ثم ينسى ذلك ويلهو بهسقه وكفره، قال الله تعالى: ﴿يُحِلُّ الْإِنْسَانُ مَا أَكْتَمَرَ ۝ مِنْ أَيُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝ مِنْ طِلْقَ عِلْقَةٍ قَدَرَهُ ۝ ثُمَّ الشَّيْلَ بِشْرَهُ ۝ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۝ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ۝ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ [ص: ١٧-٢٣]

واعلم أن الصبر على الموت هو الرضا به، وترك السخط منه؛ ولأنه لا بد^(٥) لكل نفسٍ من الموت لمن صبر ولمن لم يصبر؛ قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [ص: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَسْبِقُ فِي ذَلِكَ يَوْمٍ الْغُلَامُ ۝ وَالْإِنِّ كَرَامُ﴾ [ص: ٢٦، ٢٧].

واعلم أن الله تعالى أخفى وقت الساعة ووقت هجوم الموت

(١) في (ط)، حيًا سويًا

(٢) في (س) العدو والعنيد

(٣) في (ص)؛ يزهّد

(٤) في (ص)؛ ويدفنه

(٥) في (س، ش). وأنه لا بُدَّ

ليكون العبد خائفاً لقيام الساعة وهجوم الموت في كل وقت وحين، وليكون مستعداً للموت ونزوله في جميع الأوقات، وليكون ذلك أقرب للبلاء وأنفع للمبتلى؛ ولأنه لو كان العبد يعلم وقت قيام الساعة ووقت هجوم الموت عليه لكان أكثر الناس يتبع الشهوات ويلهو^(١) عن الصلوات وجميع الواجبات، فإذا قرب منه الموت وعلمه وتحققه تاب ورجع من سيئ أفعاله وأتاب، وكان هذا خارجاً من الحكمة ومجانباً للبليّة، وسبباً لكثرة الفساد، ومُسقطاً لحقوق الله وحقوق العباد، وإغراء بالمعصية، فصَحَّ أن الله تعالى أخفى وقت الساعة، ووقت هجوم الموت لصالح العباد.

واعلم أن العفلة ونسيان الموت^(٢) وطول الأمل أضرباً ما يكون على الإنسان؛ ولأن ذلك يدعو إلى اتباع الهوى، ويبيع الباقي بما يزول ويمضي وقد روي عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَحْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ، أَمَّا الْهَوَى فَيُضِلُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيَصُدُّ عَنِ الْآخِرَةِ، وَهَذِهِ الدُّنْيَا مَرْتَجِلَةٌ ذَاهِبَةٌ، وَالْآخِرَةُ قَادِمَةٌ؛ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ فَافْعَلُوا، وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ فِي دَارِ عَمَلٍ وَلَا حِسَابٍ، وَأَنْتُمْ غَدًا فِي دَارِ حِسَابٍ وَلَا عَمَلٍ، وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ فِي الْمَصْمَارِ وَعَدَا فِي السَّاقِ، وَالسَّابِقُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَالْمُتَخَلِّفُ إِلَى النَّارِ، وَيَالَعَمْرُو تَنْجُونَ، وَيَا لِرَحْمَةِ تَدْخُلُونَ، وَيَا أَعْمَالَكُمْ تَقْتَسِمُونَ».

(١) في (أ). ويسمى. وفي (ش). ويسهر.

(٢) في (ص، م): والنسيان للموت.

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «اذكروا الموت، وكونوا من الله على حذر، فمن كان يؤمل أن يعيش غداً فإنه يؤمل أن يعيش أبداً، ومن يؤمل أن يعيش أبداً يقسُ قلبه».

فصل

في الكلام في الآجال

اعلم أن الأجل أحلان: أجل محتوم، وأجل مخروم.

أما الأجل المحتوم فمن الله تعالى (جعلهُ) ^(١) كما شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وحتْمُهُ وقدرُهُ، قال عز من قائل: ﴿مَتَى نُنَازِلُكُمْ نَبَأَ بَاطِلٍ كَذِبٍ﴾ ^(٢) وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ^(٣) عَلَيْهِ أَنْ تَنْهَى أَعْيُنَكُمْ عَنْ تَبَوُّعِكُمْ إِيَّاهُ ^(٤) لَا تَقْلَمُونَ ^(٥) [الروم: ١١، ١٢] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَبْغِيَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ صَكَّاتًا مَرْجُلًا﴾ [المرج: ١١٥]، فهذا هو الأجل ^(١) المحتوم

والأجل ^(٢) المحروم من فعل العباد، وهو كُلُّ ما كان يجب فيه القصاص أو الدية ^(٣) أو كان قصاصاً بذاته ^(٤)، أو حداً، فهذا الأجل من فعل العباد، ولا يُسبب إلى الله تعالى؛ ولأن الله قد أعطى العباد الاستطاعة على فعل الطاعة وعلى فعل المعصية، وعلى فعل الشيء

(١) ساط في (ث).

(٢) زيادة في (ض).

(٣) زيادة في (ح، ل).

(٤) في (ع): والدية.

(٥) في (ص، ي)، بنفسه.

وتركه، ومكنهم وخلاهم للبليّة. وقد يصرف التعدي والظلم عن بعض خلقه لمصلحة في ذلك، ويكون الصّرف منه باللفظ، ويكون بالقهر كصرفه لمرعون عن موسى (عليه السلام) في صغره باللفظ، فإن الله أوجد له في قلب فرعون وقلب امرأته رحمة ورأفة، وصرفه عنه في كبره بالقهر حيث فرق^(١) له البحر فأنجى وليه وأغرق عدوه، وذلك لما أراد من موسى (عليه السلام) من تليغ لرسالة والهدى للناس من الجهل والضلالة والردى. وكذلك^(٢) إبراهيم (عليه السلام) لما رمي به في النار فجعلها الله^(٣) برداً وسلاماً، وكذلك^(٤) عيسى بن مريم (عليه السلام) فإن الله فداه بمصر الذين أرادوا قتله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَقُلُوا وَمَا صَنَعُوا وَلَكِنْ

شبهة لهم﴾ [النساء: ١٥٧]

فأما من لم يصرف عنه بطم ظلمه فوجه الحكمة في هذه البليّة من الله أنه يعيّن القليل المؤمن المظلوم في الحنة ثواباً عظيماً، ويعذب الظالم له عذاباً أليماً، وذلك لأن الدنيا قايمة وعذابها فان، وكذلك^(٥) نعيمها فان، والآخرة باقية ونعيمها باقي، وكذلك عذابها باقي، فاختر الله لأوليائه الآخرة ونعيمها، قال عز من قائل: ﴿لِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمُوتُونَ وَيَقْتُلُونَ وَهَذَا عَلَيْهِ حَقٌّ فِي الْفُورَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَتَنْ أَوْفَى بِوَعْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَنْشِرُوا بِنِعْمَتِكُمْ

(١) في (ص، ش): حين فرق.

(٢) في (ع): وكذا.

(٣) في (ج): فجعلها الله عليه وفي (ش): جعلها الله.

(٤) في (ع): وكذا.

(٥) في (ع): وكذا.

الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَفَلَيْكَ لَوِ الْقَوْمُ الضَّالِّينَ» (سورة ١١١)، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ تَصُرْنَا اللَّهُ مَنْ يَتَصَرَّهٗ﴾ (اصح ١٤٠)، فأوجب على نفسه لمن قُتِلَ في سبيل الله الأجر^(١)، وضمن له بالانتقام والنصر، وانتصارُ الله تعالى للشهيد في الآخرة^(٢)، وقد يكون بعض النصر في الدنيا، قال الله تعالى: ﴿إِذَا تَصَرَّوْا سَلَّاتَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَفْعَلُونَ الْإِحْسَانَ ۝ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْرِفَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (سورة ٥٩، ٥٨)، وقال تعالى فيما أوعده الظالمين: ﴿وَمَنْ يَشَأْ يُغْنِ عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ (سورة ١٠٤، ١٠٣)، ﴿وَمَنْ يَشَأْ يُغْنِ عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ (سورة ١٠٤، ١٠٣).

وقد روي عن أسس من ماله قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحدٍ يدخل الجنة فيحب أن يرجع إلى الدنيا ولو أن له ما على الأرض إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع، فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»، وعن زيد بن علي (عليه السلام) عن أبيه عن حده عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله ﷺ: «لشاهد سبع درجات: فأول درجة من درجاته أن يرى منزلته^(٣) من الجنة قبل خروج نفسه فيهن عليه ما به.

والثانية: أن تبرز إليه زوجته من حور العين فتقول: أبشر يا ولي الله، فوالله ما عند الله خير لك مما عند أهلِكَ.

والثالثة: إذا خرجت نفسه جاء حربة من الجنة فتولوا غسله وكفنوه وحفظوه وطيبوه من طيب الجنة.

(١) في (ع) لمن قتل في سبيل الآخرة

(٢) في (ع): بالآخرة

(٣) في (ع): أن يرى منزله

والرابعة: فإنه لا يهون على مسلم خروج نفسه مثل ما يهون على الشهيد.

والخامسة: أنه يُبعث يوم القيامة وجرحه يشخب مسكاً، ويُعرف الشهداء بروائحهم يوم القيامة

والسادسة: ليس أحد أقرب من عرش الرحمن من الشهداء

والسابعة: أن لهم في كل جمعة زورة فيحيون بتحية الكرامة^(١)، ويتحصون بتحف الحنة فيقال: هؤلاء رؤا الله تعالى، ومعنى قوله ﷺ: «إن لهم في كل جمعة زورة» يريد في كل مقدار جمعة إذ ليس ثم أيام ولا ليالي، وقد قل الله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف ٥٤] المراد به^(٢) مقدار ستة أيام، لأن الأيام والليالي أحدثها الله تعالى بعد خلق السموات والأرض، وهي مقدار حركة العالم، فثبت أنها بعده.

واختلف الناس في الأحال. فدهمت المجرة ومن قال بقولهم إلى أن الأجل كلها محتومة من الله تعالى، وأنه لو لم يكن من الجاني جنابة لمات المجبي عليه في ذلك الوقت، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [الأنعام ١٦٥]، ويقولون: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَخِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعِذُّونَ﴾ [الأعراف ٣٤]

(١) كذا في (ط هـ)، وفي (ص) محوون سحبا لكرامة وفي (ح، ل، س) فيحيون بتحية الكرامة، وفي بقية السح. فيحيون بحيا الكرامة

والرد عليهم: أن الله تعالى نهى عن قتل النفس التي حرم الله فقال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ هَتَا يَنْتَرَفِسِ أَوْ سَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَلْحَقَهَا فَكَأَنَّمَا أَلْحَقَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [النساء ٢٥] فلم يكن الله يُحَرِّم قتل النفس^(١) ويأذن به، ولا كان يُعَذِّبُ القاتل على فعل غيره. وقوله: ﴿وَمَنْ أَلْحَقَهَا فَكَأَنَّمَا أَلْحَقَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ المراد به: من منعها من القتل وصرف ظلم الظالم عنها. ولو كان من يقتل لو سَلِمَ من القتل لمات في ذلك الوقت، لكان من يذبح بهيمة غيره مأجوراً غير مأزور، ولم يُحَكِّمْ عليه لصاحبها شيء لأنه لو تركها لماتت، فكانت ميتة، فكأنه قد أحسن إلى صاحبها، وكذلك القاتل لا يحب عليه قود ولا دية في حرج من قد أدن الله بموته. ولو كان ذلك كذلك لكان خارجاً من الحكمة^(٢) أن نهى الله عن شيء ويأذن به، ويعذب عليه من فعله وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمَنْ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ صَاحِبُهَا مُتَحَلِّلاً﴾ [النساء ١٤٥] فإن الموت غير القتل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُحَدِّثُ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَهْلُكُمُ عَلَى أَهَابِكُمْ﴾ [النساء ١١٤] فصَحَّ أن الموت فعل الله، والقتل فعل القاتل^(٣). وقوله: ﴿وَكُلُّكُمْ أُمَّةٌ نَحْنُ فَادَا جَاءَ أَهْلُكُمْ لَا يَسْتَظْهِرُونَ مَاعَةً وَلَا يَسْتَقْبِلُونَ﴾ [الأنعام ١٢٤] يُريد: أجل الموت الذي هو غير القتل.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ دِينَكُمْ لَتَرَوْا الذِّينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [النساء ١٥٤] المراد بالكتاب هاهنا العلم، يقول: لبرز الذين

(٢) في (ج، ع، ل) - يريد به

(١) في (ع، ل، ي)، قتل نفس

(٢) في (ج، ل، ي) عن الحكمة

(٣) في (ص، ش): فعل الفاعل.

علم الله أنهم يُقتلون إلى مضاجعهم، وعلم الله سابق غير سابق

ودهبت المطرفية إلى أن الآجال ليست من الله، إلا أجل من بلغ
مائة وعشرين سنة، فمن بلغ مائة وعشرين سنة ومات، فالله أماته،
ومن مات قبل ذلك فلم يرد الله موته^(١) وإنما ذلك بتعدي من تعدى
وظلم لمن ظلم^(٢)، وبأسباب وأعراض وأمراض ليست من الله
ولا قصدها، ولا قصد موت الميت، إلا إذا بلغ الحد الذي ذكره
وقالوا: هو العمر الطبيعي، واحتجوا بقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ
وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الأنعام ١٠٠]، وقالوا: إن الله تعالى ساوى بين الناس في
سنة أشياء: في الخلق والرزق، والموت والحياة، والتعبد والمجاعة. وهذا
مهم غلط عظيم، وخطأ من القول وحيم

أما قولهم: إن الله تعالى ساوى بين الناس في^(٣) الخلق، فليس
الذكر كالأنثى، ولا الكامل كالناقص، ولا الفصيح كالأعجم،
ولا الصبيح كالقبيح، ولا الأبيض كالأسود، ولا العربي كالزنجي،
ولا الشريف كالوضيع، ولا المالك كالمملوك؛ وهذا مشاهد بين
لا ينكره عاقل، ولا يُماري فيه إلا جاهل، وقد قال الله تعالى:
﴿أَلَمْ يَخْلُقْنَا رَحْمَةً وَرَبِّكَ فَتَنَّا فَتَنَّا نَبِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ
فَوْقَ بَعْضٍ فَرَجَاتٍ لِّيُعْلَمَ بِتَحْتَهُمْ بَعْضُهُمْ سَخِرَ لَهَا وَرَحْمَةً وَرَبُّكَ عَلِيمٌ
بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام ١٢٢]، فبين أنه رفع بعضهم فوق بعض درجات،

(١) في (ع)؛ والله لم يرد موته

(٢) زيادة في (ع)

(٣) زيادة في (ص، ع)

وقال تعالى: ﴿حُزِبَ اللَّهُ مَغْلًا غَيْثًا مَنُورًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ رِزْقِنَا حَسَنًا هُوَ يُطِيقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزلزال: ١٧٥]، وقال عز من قائل حاكياً عن امرأة عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةٌ عِمْرَانُ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لِلَّهِ مَا فِي بَطْنِي مُعَرِّزًا فَخَبَلْ يَتَىٰ إِيَّاكَ أَتَيْتَ السَّمِيعَ الْعَلِيمَ ۖ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنَّ الذَّكَرَ كَرِهَ الْأُنْثَىٰ﴾ [النساء: ١٢٩، ١٣٠]، وقال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤]. فصح أن الله تعالى ما ساوى^(١) بين الناس في الخلق. وكذلك لم يُساوِ بينهم في الرزق، بل رزق بعضهم أكثر من بعض، وذلك مشاهدٌ ظاهرٌ، وقُلْ ما يوحد أخوان لأبٍ وأمٍّ مستويان في الرزق، ولو كانت صنعتهما واحدة، واستطاعتهما واحدة^(٢)، فكيف يستوي جميع الناس^(٣) وبعضهم رزق في ذاته^(٤) لبعض مثل الولد للوالد، والمملوك للمالك، فإن الولد رزق للوالد، والمملوك رزق للمالك، فكيف يستوي الرزق والمرزوق، وقد رأينا أرضاً ينزل (الله)^(٥) عليها المطر في كل وقتٍ يحتاج الناس إليه، ويصرف عنها الآفات، ورأينا^(٦) أرضاً لا يكاد أهلها يعرفون المطر، ولا يزالون في عسرٍ وعسير، ورأينا أرضاً يكون فيها الزرع والثمر، فيصيبها الله بالريح وبالجراد والبرد^(٧)، وهذا مشاهدٌ بينٌ،

(١) في (ع، ص): ما سوى

(٢) زيادة في (ج، ت)

(٣) في (ط، ل، ع): بدائه وفي (م) لدائه

(٤) ساقط في (ع)

(٥) في (ل، م): وقد رأينا

(٦) في (ط، س، م): أو بالجراد أو بالبرد

فأين المساواة من الله؟ إلا أن يقولوا: ليس الغيث من الله، والريح والجراد والبرد؛ فإن قالوا ذلك جحدوا بعض خلق الله وبيئته ونعمته؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ [النحل ٧١]، وقال تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْدِي لِمَنْ يَشَاءُ إِبْرَاهِيمَ إِذَا نَادَى وَتَقَبَّلَ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝ أُولَئِكَ زَوْجُهُمْ ذُكْرًا وَإِنَّا نَافِلٌ لِّمَنْ يَشَاءُ عَظِيمًا إِنَّهُ عَلَيْهِمْ قَدِيرٌ﴾ [النور ٥٩، ٥٠].

وأيضاً فإن المواريث رزق من الله بالإجماع، وليست المواريث سواء؛ وقد جعل الله لبعض الورثة كل المال، ولبعضهم نصفه، وجعل لبعضهم ثلثه، ومنهم من جعل له الربع، ومنهم من جعل له السدس، ومنهم من جعل له الثمن، فأين المساواة من الله في المواريث؟ فهذا مهم غلط في الحساب وفي اعتقادهم!! وأعجب من هذا في المواريث: أنه لو مات امرأة (١) وترك زوجها وأمه، وإخوتها لأُمها، وأخاها لأبيها وأُمها، أنه يُقضى لزوجها من مالها بالنصف، ولأُمها بالسدس، وإخوتها لأُمها الثلث، ولا شيء لأخيها لأبيها وأُمها، فبطل ما قالوا من المساواة في الرزق.

وأما قولهم: (إن الله ساوى بين الدس في الموت والحياة) فإن الله لم يساو بينهم في الموت والحياة فيما زاد على مائة وعشرين سنة، وقد فرق بينهم في الموت والعمر فيما فوق مائة وعشرين، فمن الناس من عُمر مائة وثلاثين وأكثر من ذلك إلى ألف سنة؛ قال الله تعالى في نوح (عليه السلام): ﴿طَلَبْتُ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [الأنبياء ١٠٤]، وكما (٢)

(١) في (ش): فإنه لو مات امرأة

(٢) في (ص)، فكما.

كان الاختلاف موجوداً في الزائد على مائة وعشرين كذلك فيما دون المائة والعشرين.

وأما قولهم: (إنه لا يموت أحدٌ قبل هذا الحد الذي حدّوه بقضاء الله وفعله، بل بسبب عارض^(١) لم يُرده الله)، وهذا القول يتقصّر^(٢) عليهم من وجوه:

مهما أن الطبيعة لا تكون أكثر من العوارض والفساد، ولو كان الفساد غالباً على الطبيعة لكان الفساد عالماً للصالح، ولو كان ذلك كذلك لكان فعل الله معلوماً؛ ولأنه^(٣) لا يكاد يبلغ المائة والعشرين إلا القليل، مع أن من بلغ هذا الحد يكون عاجزاً صعباً، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ تَصَوَّرَ حِكْمَتَهُ فِي الظُّلُمِ أَفَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٨).

ومهما أن الله تعالى لم يهمل الخلق، ولا ضييع العباد^(٤)، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَخْلُقْكُمْ أَفَئِنَّكُمْ غَفُلُونَ صَبَّأً وَآدَمَ إِبْنَيْ آدَمَ لَا تَرْجِعُونَ﴾ (البقرة: ١١٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا فَلْيَكُ ظَنُّ الَّذِينَ يَفُكُّونَ لِلَّذِينَ صَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة: ١٢٧). وإذا كان^(٥) موت من يموت قبل هذا الحد بغير تعدٍ من أحدٍ ولم يكن من الله، فمن فاعل الموت الذي لم يُشاهد للميت قاتل؟ مثل من يناله مرضٌ فيموت منه، ولم يكن من الميت^(٦) استجلاب له،

(١) في (ص، ل): لسبب عارض

(٢) في (ت، م، م): يتقصّر

(٣) في (ه، د، ي): لأنه

(٤) في (ص): لا يهمل الخلق ولا يضيع العباد

(٥) في (ص): فإذا كان

(٦) في (ش): ولم يكن للميت.

ولا تضيق لنفسه، مثل من تأكله الحية في حرزه، ومثل من تُصيبه برقّة في منزله، ومثل موت النساء على أولاده^(١)، فإذا كان هؤلاء وأمثالهم لم ينجوا على أنفسهم، ولا جنى عليهم آدمي، ولا كان موتهم من قبل الله، فمن فاعل موتهم؟ فإذا لم يكن من الله بليّة يجزي الميت بها، ولم يكن من متعد عليه فيجب عليه القود، ولا من يخطر عليه فتجب الدية، فهل يكون إلا مهملاً مضيعاً مصابه في الدنيا والآخرة؟

وإن قالوا: إن كل من أصيب بالموت قبل هذا الحد فإن مصابه من قبل تعدّي من يتعدّ عليه، أو تفریطه في نفسه؟ قلنا: الطعل^(٢) إذا أصيب بمصيبة الموت، ولم يكن من أحد تعدّ عليه ولا تعدّي على نفسه؟!

وإن قالوا: مصابه بتعد وتفریط من وليه. قلنا: فلا يكون المتعدي عليه إلا ماثوماً، وإذا كان كذلك كان مصاباً بمصيبتين: إحداهما موت ولده، والأخرى: الإثم في تفریطه فيه وترك مسعه للموت عنه، وهذا ما لا يقول به أحد غير هذه لفرقة، وقد روي أن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ مات وهو ابن ستة عشر شهراً فإلى من ينسبون موته؟ وقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنُفْسٍ ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَتَلَوْا أَشْدَّكُمْ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ثُمَّ يَرِيكُمْ فِي الْمَمَاتِ فَبَدَلَ بَنَاتِكُمُ الْمَوْتِ وَكَرِهَ لَكُمْ طَوَافُ الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٣٤] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ كُنْ فِي مَآبِهَا مُمْتَلِكَةً إِيَّاهُ فَتَمُنُّ عَلَىٰ أَنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ثُمَّ يَرِيكُمْ فِي الْمَمَاتِ فَبَدَلَ بَنَاتِكُمُ الْمَوْتِ وَكَرِهَ لَكُمْ طَوَافُ الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٣٤] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ كُنْ فِي مَآبِهَا مُمْتَلِكَةً إِيَّاهُ فَتَمُنُّ عَلَىٰ أَنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ثُمَّ يَرِيكُمْ فِي الْمَمَاتِ فَبَدَلَ بَنَاتِكُمُ الْمَوْتِ وَكَرِهَ لَكُمْ طَوَافُ الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٣٤]

(١) في (ش) عن أولادها وفي (ب) عن ولدها وفي (ج) على ولده وفي (ص) على ولادتها. وفي (ل، م): عدد ولادتها

(٢) في (ب، ت، ص، ع): الطعل

الْآخَرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ ﴿٤٢﴾ [الزمر ٤٢].

وروي عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا أراد أن ينام جعل يده اليمنى تحت حده ثم قال: «اللهم باسمك وضعت حنبي وبك أرفعه، اللهم إن أمسكت روحي فاعمر لي ورحمني برحمتك، وإن أطلقته فاحفظني بما تحفظ به الصالحين»، فهل حاف النبي ﷺ أن يُمسك الله روحه قبل وقت إمساكه؟ أو جهل هذا الحد الذي حدّه المطرفية؟ فصَحَّ أنه ﷺ كان يتوقع الموت في ليله ونهاره. وقد روي عنه ^(١) أنه قال: «من كان يؤمل أن يعيش عداً فإنه يؤمل أن يعيش أبداً، ومن كان يؤمل أن يعيش أبداً يقسُ قبْه». وروي عنه ﷺ أنه قال: «أحوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل»، ومن طول الأمل أن يقول القائل: إن الله لا يريد له موتاً حتى يُعمر مائة وعشرين سنة، وقد قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿مَسِيعَ بَعْدَ ذَلِكَ وَمَنْ يَكْفُرْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۝ وَاعْتَدِ لِلَّهِ حَتَّى تَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [سورة ١٩٩: ٩٨] واليقين ههنا هو الموت. والأمة مجمعة على أن النبي ﷺ مات بمضاء الله وقدره، وهو ابن ثلاث وستين سنة وروي عنه ﷺ أنه قال: «معتك مايا أمتي ما بين الستين إلى السبعين»، وقد قال الله تعالى ﴿مَنْ قَتَلْنَا يَنْتَهِمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْئُومِينَ ۝ عَلَى أَنْ تُبَلَّغَ آتَاؤُكُمْ وَتُضَيِّعَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام ٦٠، ٦١].

ومن تقدير الله للموت بين الناس أنهم يُولدون ويموتون على مهل وهوب، ولا يكاد يجتمع موتُ ناسٍ كثيرٍ فيشتهر ذلك اشتهاً ظاهراً، وكذلك لا يكاد يجتمع ولادة ناسٍ كثيرٍ فيشتهر ذلك اشتهاً ظاهراً كثيراً.

(١) في (ع)؛ وروي عنه.

ولا يموت الناس معاً كصريم الررع بل يأخذهم الموت شيئاً شيئاً^(١) على مهل، وكذلك ولادة من يولد منهم، فلا هم باقون ولا هم منقطعون، فمثلهم كمثل قوم يدحسون داراً مفترقين ويخرجون منها مفترقين، والدار هي الدنيا، ومنهم من يقيم فيها كثيراً، ومنهم من يقيم فيها قليلاً، فهل هذا إلا بتقدير من الله تعالى^(٢).

واعلم أن اعتقاد هذه الفرقة يؤدي إلى جحдан النعمة والبلية، وضياع الشكر والصبر والأجر، وذلك في طمحل يختار الله له ما لديه ويخلصه من بلاء الدنيا والآخرة، ويُنعم عليه، ويستلي مموته والديه، فيجهلا ذلك القضا، ويُحانا بالصبر عليه والرضا ويسديا السخط منه والشكى، ولا يظنا أنه من الله نعمة على الطفل، وبلية لهما، فإذا كان ذلك كذلك كانا قد جحدا النعمة والبلية، وتركنا الشكر والصبر، أو ضيعا الأجر.

واعلم أن هذه الفرقة تكابر في أشياء من المسائل بغير حجة ولا برهان من كتاب ولا سنة.

وأما ما احتجوا به من قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الزمر ١٦)، فالمراد به الخشوع منهم كما قال تعالى: ﴿وَالنَّصْرُ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُ خَاسِرٍ ۝ لَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (الزمر ١٣)، والأطعالم من الناس لم يؤمنوا^(٣) ولا عملوا الصالحات^(٤) فلما لم يستثنهم من الخسر (ولم يكونوا ممن استثنى)^(٥) علمنا أن الآية

(١) في (س). شيئاً شيئاً

(٢) في (ب، ت). إلا بتقدير من الله تعالى وفي (ص). إلا بتقدير الله تعالى

(٣) في (أ): ولم يؤمنوا. وفي (ص): فلم يؤمنوا

(٤) في (ب، ص): ولا عملوا صالحاً

(٥) ساقط في (س، ل، م)

خاصة للمتعبدين من الناس، فكذلك الآية الأولى، فلا حجة لهم بهذه الآية.

وأما ما روي عن القاسم، والمؤيد بالله عليهما السلام في ذكر العمر الطبيعي فإن مرادهما غاية العمر، وأكثر ما يُعمر أهل العصر، لأنهما ذكرا المفقود، وليس عرضهما (نه) (١) العمر الذي لا يأذن الله بموت أحده قبله.

وقد قال محمد بن القاسم عليهما السلام - في كتاب الأحوال في مسائل علي بن جهشيار الطبري ردًا على من رعم أن القتل بقضاء الله :

ولقد قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَتَّىٰ إِتْلَاقَ مَعْنَىٰ رِزْقِهِمْ وَأَنْحَاكُمْ﴾ [١٧: ٣١]، فلو لم (٢) يجعل الله أجلًا وأوراقًا ثم ابتلاهم لم يكن ليقول : ﴿مَعْنَىٰ رِزْقِهِمْ وَأَنْحَاكُمْ﴾ وما كان الله يعذبهم الرزق وقد قضى عليهم الموت، إلا أنهم حين أطاعوا ربهم وانتهوا رزقوا هم وأولادهم (٣) إلى ما شاء الله من آجالهم، فمن شاء تبارك وتعالى أن يقدم أجله قدمه، ومن شاء أن يؤخر أجله أخره إلى أجله، إذا ترك آجالهم الاعتداء عليهم. وقد سئل قوم (٤) عن قول الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَذَبُوا مُزَجَّلًا﴾ [١٧: ١٤].

فقالوا: القتل هو الموت ولو الحمد لله نكر أن النفس لا تموت إلا بإذن الله، ولكن الأجل في ذلك أجلان: أجل العباد فيه مبتلون،

(١) ساعد في (ع، ل، م)

(٢) في (ص)؛ ولو لم

(٣) في (ل، م) رزقهم وأولادهم

(٤) في (أ)؛ وقد سأل قوم

وأجل إلى الله، فإن ترك العباد فيه، لا اعتداء على العبد، فإن شاء الله أن يقبضه في تلك الساعة فعل، وإن شاء أن يؤخره فعل، والأمر في ذلك إلى الله في الموت والحياة، إن شاء الله أن يصرف اعتداء العباد فعل، وإن شاء أن يتركهم واعتداءهم فعل، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الدعاء يرد القضاء، وإن المرء يزيد في العمر، وإن الحج يفي الفقر، وإن صدقة النهر تنفي ميتة السوء، وإن صدقة الليل تطفئ غضب الرب».

وروي عنه ﷺ أنه قال: «صلة الرّحم تزيد في العمر». وعن علي (عليه السلام) أنه قال: (وصلة الرّحم فإنها ثروة في المال، ومنسأة في الأجل، وتكثير في العدد) فصيح ما قلنا من أن الله تعالى يقبض روح من يشاء كما يشاء ومتى شاء صغيراً أو كبيراً، وأنه لا حد للعمر محدود. وبطل قول المطرفية في المساواة في الموت والحياة.

وأما قولهم: (إن الله ساوى بين الناس في التعمد)، فإن في الشاهد أن الله تعالى تعبد الأنبياء صلوات الله عليهم بتبليغ الرسالة، والقيام بصلاح الرعية، وتعبد الأئمة بإقامة الحدود، وتنفيذ الأحكام، والقيام مقام الأنبياء (عليهم السلام). فصيح أن الناس على فرقتين: رعاة ورعية، ولم يساو في التعبد بين الرعاة والرعية. وأيضاً فلم يتعبد المملوك بمثل ما تعبد المالك، فإن المملوك لا يجب عليه الحج إلا بإذن مولاه، ولا الجمعة، ولا الخروج في الجهاد ولا الهجرة إلا بإذن سيده، ولا زكاة عليه.

والمرأة أيضاً لم يتعبدها الله بمثل ما تعبده الرجال، فإنه^(١) لا يجب عليها الجهاد، ولا الجمعة، وصلاتها ناقصة عن صلاة الرجل، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال في النساء: «ما رأيت ناقصات عقل ودين أغلب لعقول ذوي الألباب مهن. قيل: وما نقصان عقولهن؟ قال: شهادة امرأتين بشهادة رجل، ونقصان دينهن أن إحداهن تمكث نصف عمرها لا تصلي» وفي بعض الأخبار «شطر عمرها»، وفي بعض الأخبار: «تمكث الليالي والأيام» فصح أن الله ما ساوى بين الناس في التعبد.

وأما قولهم: (إن الله ساوى بين الناس في المحازاة) فالجزاء من الله على وجهين: حزاء واحب للعبيد أرحمهم الله على نفسه، كقوله تعالى: «مَنْ يَمَلِكْ يَمَلِكْ فَرَّةَ خَيْرًا يَوْمَهُ وَمَنْ يَمَلِكْ يَمَلِكْ فَرَّةَ شَرًّا يَوْمَهُ» [الزمر ٨٧]، وكقوله: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ...» إلى قوله: «وَرَعَدًا عَلَيْهِمْ حَقًّا» [البقرة ١١١]، وكقوله: «وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرًا عَلَى اللَّهِ» [البقرة ١٩٠]، وقوله: «مَنْ يَمَلِكْ سَوْيًا يُشْرِيهِ» [البقرة ١٩٢]، وقوله تعالى: «وَقَعَ» بمعنى: وجب وهذا وأمثاله هو الجزاء الواجب، وليس الناس فيه بسواء بل يُحزى كلُّ بقدر عمله، والأعمال مختلفة. ونقول: إن الله ساوى بينهم في أنه يجري كلاً منهم على عمله^(٢) ولا يظلم أحداً منهم شيئاً.

(١) في (مش، ي): فإيا

(٢) في (ص): أنه يجري كلاً بعمله

والجزء الثاني هو الزيادة على الأجر^(١)، وليس بسواء بل قد زاد الله بعض الناس أكثر من بعض، وزاد أيضاً فضل بعض الأعمال على بعض في الأزمان^(٢) والمكان والحال.

أما الزمان فإن الله تعالى فضل الأعمال في شهر رمضان، وفي يوم الجمعة على سائر الزمان^(٣).

وأما المكان فإن الله فضل الكعبة، وبيت المقدس، ومسجد رسول الله ﷺ، وفضل الأعمال فيها على سائر المواضع.

وأما الحال فإن الله جعل جزاء الصدقة في غير الجهاد عشر أمثالها، وجعل الصدقة في الجهاد محزاء سبعة عشر ضعفاً، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَمْعَ سَابِلٍ فِي كُلِّ سُكْنَاءٍ مِائَةَ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

ففي فضل الأوقات^(٤) ما يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ وَمَا أَهْرَاقَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۚ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [الدخان: ١٣١]. وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة له: (أيها الناس إن الله لما خلق خلقه فصل بعضهم على بعض، فكان فيما فصل من الأيام يوم الجمعة، فجعله للمسلمين سنناً ورفعة، وكان فيما فصل من الشهور شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن).

(١) في (ش): هو الزيادة في الأجر

(٢) في (ل): للأزمان

(٣) في (ج، م): على سائر الأزمان

(٤) في (ش): ومن فصل الأوقات

وفي تفضيل بعض الناس على بعض^(١) ما يقول الله تعالى :
 ﴿وَلَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَزَعَ بِعَبْثِكُمْ فَرَقَ يَقْضِي تَرْجَاتِ يَهُودِكُمْ فِي
 مَا أَنَاكُمْ إِنَّ رُكُوتَ سَرِيعِ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ الرَّجِيمِ﴾ (الاسم ١٦٥) فينّ تعالى الحكم
 والعلّة، وقال تعالى : ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَئِنَّ آيَةَ أَكْثَرِ
 دَرَجَاتٍ وَأَكْثَرُ تَفْضِيلًا﴾ (الاسم ١٦١).

وروي عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي
 أَجَلٍ مِنْ حُلَا مِنْ الْأَمَمِ مِنْ قَبْلِكُمْ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ
 الشَّمْسِ، وَإِنَّمَا مِثْلُكُمْ وَمِثْلُ أَهْلِ كِتَابَيْنِ قَبْلَكُمْ كَمِثْلِ رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ
 رَجُلًا عَمَلًا فَقَالَ : مَنْ يَعْمَلُ إِلَى نِصْفِ الْيَوْمِ بِقَيْرَاطٍ؟ فَعَمِلْتُ
 الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ يَعْمَلُ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ بِقَيْرَاطٍ؟ فَعَمِلْتُ
 النَّصَارَى عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ اتَّبَعَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ
 الشَّمْسِ بِقَيْرَاطِينَ، (قال)^(٢) فغصبت اليهود والنصارى وقالوا : نحن
 أَكْثَرُ أَعْمَالًا وَأَقْلُ عَطَاءً».

وقال القاسم بن إبراهيم عليهما السلام في كتاب تثبيت الإمامة :
 (الحمد لله فاطر السماوات والأرض، مفصل بعض مطورات خلقه^(٣)
 على بعض، بلوى منه تعالى للمفضلين بشكره، واختباراً للمفضولين
 بما أراد في ذلك من أمره، ليزيد الشاكرين في الآخرة شكرهم من
 تفضيله، ولْيُذِيقَ المفضولين بسخطه إن كان منهم في ذلك من تنكيله،

(١) في (ص)، وفي تفصيل الناس بعضهم على بعض

(٢) سابق في (ع)

(٣) في (ب، ت) : بعض مطور حقه

ابتداءً في ذلك للماضين بفضله، وفعلًا فعله في المفضولين
عن عدليه^(١).

ومثل هذا موحود كثير في الكتاب ولسنة، وقد جعل الله اختلاف
الأشياء، وتفضيل بعضها على بعض من آياته، قال عز من قائل:
﴿وَلَى الْأَرْضُ قَطْعٌ مَّحَادِرَاتٌ وَبَنَاتٌ مِنْ أَهَابٍ وَزَرْعٌ وَفَيْحٌ وَسَوَاقٌ وَغَيْرُ سَوَاقٍ
يُسْتَقْنِ بِنَاءٍ وَكَيْدٍ وَفُحْلٌ يَتَحَمَّ عَسَى يَتَصَدَّقُ فِي الْأَكْثَرِ لِيُنْفِىَ ذَلِكَ الْأَهَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد ٤].

واعلم أن الزيادة من الله لبعض خلقه لا تدخل عليه جوراً
ولا ظلماً بل قد أعطى كل واحد من المكلفين في الدنيا من الاستطاعة
ما يبلغ به مراده في الدنيا والآخرة، وراد بعض المكلفين ما شاء في
الدنيا والآخرة، واقتنع كل بما أعطاه^(٢) في آخرته ودنياه.

(١) في (ص): عن عدالة.

(٢) في (ع، ب): وأقتنع كلا بما أعطاه.



مرکز تحقیقات و توسعه در مطالعات اسلامی

(٩) باب حقيقة معرفة الجزاء

اعلم أن الله لما ثبت أنه عدل حكيم عالم، وأنه لم يهمل الخلق، ولا ضيع التدبير^(١)، ورأينا الناس ظالماً ومظلوماً، ولا يكاد يوجد في الناس غيرهما، ولا يوجد أحد من المكلفين إلا مطيعاً أو عاصياً^(٢)، ورأينا العصاة يظلمون المطيعين ويقتلونهم، ورأينا المطيعين مقبدين لألستهم وأفواههم وأيديهم وفروجهم مما حرم الله عليهم^(٣)، ورأينا العاصين مطلقين لما قيد المطيعون، ورأيناهم في دنياهم أهل نعم وتنعم، وأهل ثروة في المال، وغنية في الدنيا وجمال، فلما رأينا الظالمين العاصين ماتوا ولم ينتصر منهم للمظلومين المطيعين، ولا عوقبوا لهم في الدنيا، ورأينا المطيعين المظلومين ماتوا ولم ينتصروا من الظالمين ولا عوقبوا لهم في الدنيا، علماً علماً عقلاً ضرورياً أن العدل الحكيم العالم جلّ وعلا لا يترك خلقه مهملاً، ولا يصيع لعامل عملاً، وأنه سيحدث داراً للحرّاء يُشيب فيها المطيعين المظلومين، ويعاقب فيها الظالمين العاصين، وأنه لا يُعجزه ذلك كما لم يعجزه خلق الدنيا وما فيها، والجزاء تمام العدل^(٤) ونظامه، ولولا ذلك لكان

(١) في (ش) وأنه لا يهمل ولا يصيع التدبير

(٢) في (أ، ح، ل)؛ وعاصياً

(٣) في (ع، ب) كما قد حرم الله عليهم وفي (ش) كما حرم الله عليهم

(٤) في (ح، ل، ب)؛ إتمام العدل

خلق الدنيا وما فيها عبثاً - تعالى الله عن ذلك.

ألا ترى أن إنساناً لو بنى داراً وأكملها، فلما تمت وكملت هدمها لغير معنى، ألا ترى أنه يكون عبثاً؟ فإن هدمها لفساد فيها، أو لأن يعمر^(١) خيراً منها أن ذلك يكون منه حسناً، فلو لم تكن دارٌ غير هذه الدار، يُثاب فيها الأبرار، ويعاقب فيها الفجار، لكان ذلك ضد العدل والحكمة، وكان عبثاً - تعالى الله عن ذلك - فصح أن الآخرة آتية لا شك فيها ولا ريب، ولا حلف ولا كذب.

واعلم أن للنشور بعد الموت دليلين مبينين، وشاهدين في الشاهد مُبشرين وهما: استيقاظ النائم بعد نوم من الماء، وحياة الأرض الميتة بالماء، فإن الإنسان إذا نام يصير مثل الميت لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر، ولا يدري ما يفعل به^(٢) ولا في أي موضع هو، ولا يبقى فيه من الحياة غير النفس، ثم يستيقظ فيرجع إليه روحه وعقله وذنه وسمعه وبصره، وكذلك^(٣) يبعث الله من يموت، قال الله تعالى^(٤): ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَازِلِهَا فَبَرِّئُكُمُ النَّفْسَ الَّتِي حَقَّتْهَا الْمَوْتُ وَكَرَّرِ الْآخَرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (زر ١٢)، فصح أن النوم مثل الموت.

وأيضاً فإن الأرض الميتة تنظر هامة لا شجر فيها ولا نبات، فينزل الله عليها الماء، فتبت به الأشجار والزرع وصنوف الثمار فيحييها الله بعد الموت، وتصير محضرة بعد الهلاك والقوت^(٥)،

(١) في (ع)؛ ولأن يعمر.

(٢) في (ب)، وكذلك.

(٣) في (ب، ص، ع) وقد كان الله تعالى

(٤) في (ش) والقوت

وقد قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُحْمَلُ فِي السَّمَاءِ
كُفَيْتَ بِشَاءٍ وَيَهْبَلُ كَيْفًا فَتَرَى الْوَلَدَ يَخْرُجُ مِنْ جِلْدِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ
مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَعْجِلُونَ ۝ وَإِنَّ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُسْأَلَ عَنْهُمْ مِنْ قَبْلِهِ
لَمُتْلِسِينَ ۝ فَاهْبِطْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ
لَشَخِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم ١٨-٥٠] ، وقال تعالى : ﴿وَتَرَى
الْأَرْضَ هَابِئَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْبَرَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ ذَرْعٍ نَبِيجٌ ۝
فَلْيَكُنْ لِلَّهِ حُكْمُ الْحَقِّ وَرَأَاهُ بِخَيِّ الْمَوْتَى وَأَدْنَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ
السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْقَى مَنْ لِي الشُّعُورِ﴾ [الحجج ٥-١٧] . ففي هذا
بيان وكفاية.

واعلم أن الأمة لم تختلف في أن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله
يبعث من في القبور ، ولم يختلفوا في أن الجنة والنار حق ، وكذلك أهل
الكتابين لم يختلفوا في ذلك وجحد الكفار البعث والشعور ،
والحساب ، والجنة والنار ، إلا فرقة من كفار العرب فإنهم يرون البعث
والشعور ، وقالوا : من نُحِرَ على قبره ^(١) ناقة من ماله أتى يوم القيامة
راكباً لها ، ومن لم نُحِرَ على قبره ناقة أتى ماشياً على رجلبيه ، وقال
في ذلك خراشة بن الأصم يوصي ابنه :

أبسي إمسأ أهلكن فإبني
أوصيك إن أخا الوصاة الأقرب
لا تترك أبساك يعثر خلفهم
تعباً يسير على اليدين وينكب

(١) في (ع) : من نُحِرَ على قبره

واستبق لي مما تركت مطية

في الساس أركبها إذا قيل اركبوا

فأما سائر الكفار من العرب والعجم فإنهم نفوا البعث. وقالوا: كيف يحيا من قد مات ودُفن ثم صار عظاماً ثم تراباً، ونسوا كونهم من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم خلقت المصغة عظاماً، ثم كسبت العظام^(١) لحماً، ثم أسأها الله خلقاً آخر، ذكراً أو أنثى، ثم أخرجهم طفلاً، أولم يعلموا^(٢) أن الذي خلقه من تراب يُعيدُه؟ ولو كان قد صار تراباً، وقد ذكر الله قولهم واحتج به عليهم فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّهِيمٌ ۝ وَضَرَبْنَا لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ لِخَلْقِ الْعِظَامِ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يَحْيَا الَّذِي أُنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ۝ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سجدة: ٧٧-٨٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ وَالْقُرْآنَ السَّجْدِ ۝ بَلَىٰ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُّثَلِّظُ مَنَظَرٍ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا خُيُومٌ مُّجْتَمِعٌ ۝ أَيُّهَا بَنِيَّ وَكُنَّا تَرَابًا فَلَوْلَكَ رَجَعُ بَعْدَ ۝ قَدْ جِئْنَا مَا نَقَصُ الْأَرْضُ مِنَّا شَيْئًا وَعِندَنَا كِتَابٌ حَظِيطٌ ۝ بَلَىٰ كَذَبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هُمْ فِي أَمْرٍ مُّبِينٍ ۝ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضَ مَنَدَدَهَا وَاللَّهُمَّا بِهَا رَوَاسِي وَأَنْشَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ ذِي نَبْعٍ نَّهْجٍ ۝ نَهْرًا وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عِدْدٍ يُسَبِّحُ ۝ وَزَلَّلْنَا

(١) ريادة في (ع، م، د)

(٢) في (ت): وليعلموا

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاتَّخِذْنَا بِهِ حَنَابٍ وَخَبَّ لَخَصِيدٍ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّهَا طَلْعٌ
 صَبِيحٌ ۝ رِّزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً بَيْنَا هَكَذَاكَ الْخُرُوجُ ۝ هَكَذَاكَ قَتَلَهُمْ قَوْمٌ نَجِيحٌ
 وَأَمْتَحَابُ الرُّسُلِ وَتَشُوذُ ۝ وَغَاةٌ وَلِرِزْقُونَ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝ وَأَمْتَحَابُ الْأَمْكَةِ وَتَقَوْمٌ نَجِيحٌ
 هَكَذَاكَ هَكَذَاكَ الرُّسُلُ فَحَقٌّ وَعِيدٌ ۝ أَفَمِنَّا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ لَمْ يَكُنْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ
 جَدِيدٍ ﴿١٠٠﴾ وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَن يَتَذَكَّرَ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ خَلْقٍ
 طَلْعَةٍ مِّنْ قَبْلُ يُتَنَسَّي ۝ ثُمَّ كَانَ طَلْعَةً فَخَلَقَ نَسَبِي ۝ فَجَعَلَ بَيْنَهُ الرُّجُومِينَ
 الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۝ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَائِرٍ عَلَىٰ أَن يُعْطِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ ﴿١٠٠-١٠١﴾. فهل
 ترى^(١) حجة أفلح من حجة الله، أو برهاناً أبهر من برهان الله؟

فصل

في الكلام فيما اختلفت فيه الأمة من عذاب القبر والنفخ في الصور والميزان
 والكتاب والصراط والشفاعة وعذاب أطفال المشركين

واعلم أن هذه الحملة قد اختلف فيها. فقال قوم: إن الإنسان يحيا
 بعد انصراف من يقبره، ويُقعد في قبره، ويُسأل عن فعله ثم يُمات.
 واستدلوا بما حكاه الله من قول أهل نزار: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أُنْعِمْنَا لِقَائِكَ وَلِقَائِ
 أَتَقِينَ مَا هَرَقْنَا بَلَدُونَنَا فَهِيَ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّنْ سَبِيلٍ﴾ [مهم ١١]. وبما روي عن
 أمير المؤمنين (عليه السلام) من قوله: (وأقعد في قبره)

وعندنا أنه ليس بين الدنيا والآخرة غير موتة واحدة؛ والدليل على
 ذلك قول الله تعالى: ﴿لَا يَتَذَكَّرُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ [الاحسان ٥٦]،
 وقوله حاكياً قول المتسائلين يوم القيامة: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ

(١) في (ب، ص، ط): فهل تكون

فقال تعالى: ﴿أَنهَآكُمُ الْعَاثِرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْعَاثِرَ﴾ [النعر ٢٠١]، ومن فن الزائر أنه لا يلبث إلا قليلاً، وليس هو كالحال. وقد حكى الله قول أهل النار: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْجَحِيمَ يَوْمَئِذٍ رُزْقًا ۝ يَمْشِقُونَ يَبْهَتُونَ لَئِن لَّبِثُمْ إِلَّا عَشْرًا ۝ نَحْنُ أَهْلُهُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَفْلَکُمْ طَرِيقَةُ إِنْ لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [١٠٢-١٠٤].

ومعنى قوله تعالى: ﴿رَفَعْنَا السُّجُرَّةَ يَوْمَئِذٍ رُزْقًا﴾ أي يدخل (١) سواد عيونهم (٢) في بياضها.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُنْفِخُ لِنُفِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا إِذْ يُنْفَخُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا إِلِيمَ وَالْإِيمَانُ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَاسِ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَشْفُ وَلَكِن كُنْتُمْ صَحْفًا لَا تَهْتَكُونَ﴾ [الزمر ٥٦].

فصل

في الكلام في الصور

وقد اختلف في قول الله تعالى: ﴿رُفِعَ فِي الصُّورِ﴾ [النعر ١٠١] فقبل: معناه: ونفخ في الصور. وروي عن ابن عباس أنه قال: الصور: قرن ينفخ فيه إسرافيل.

وعندنا أنه صوت يحدثه الله تعالى يفرع منه من في السماوات والأرض، وقد قال الله تعالى: ﴿رُفِعَ فِي الصُّورِ نَصِيقٌ مِّنْ فِي السَّمَاوَاتِ

(١) في (ب، ع، د): أنه يدخل.

(٢) في (ع): سواد أعينهم

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُعْجِبُ بِهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٠٨﴾
 وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَعْبَثُ الَّذِينَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّعْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (١٠٨)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْفُخُ الْبَازُ إِلَىٰ نَفْسٍ تُنْكِرُهَا عُنْفَىٰ
 أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَمَا هُمْ مِنْهَا نُخْرَجُونَ تُهَوِّطُ إِلَىٰ النَّارِ بِقَوْلِ
 الْكَافِرِينَ هَذَا يَوْمٌ غَيْرٌ﴾ (١٠٨-١٠٩)، وقال تعالى: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الضَّالِّينَ مِنْ
 مَكَانٍ قَرِيبٍ ۝ يَوْمَ يَنْسُفُونَ الصُّوَرَةَ بِالْحَقِّ فَبِلَاكٍ يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ (١٠٩، ١١٠)،
 فصيح أنه صوت يسمعه السامعون

فصل

في الكلام في الميزان

وقد اختلف في الميزان فبعض فيه ثلاثة أقوال^(١):

فمن الناس من حمل الآية على طهرها؛ أن الأعمال توزن.
 والآيات التي فيها ذكر الوزن قول الله تعالى: ﴿وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ
 الْقِيَامَةِ فَلَا تُخْلَفُ ۚ هَٰذَا وَجْهٌ مِنْ حَزْنِكُمْ آتَيْنَا بِهِ وَصْفَىٰ بِنَا
 حَاسِبِينَ﴾ (١١٧)، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾
 (المسود ١٠٢، ١٠٣)، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝ هُوَ فِي عَذَابٍ
 مُّهِينٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَا أَقْرَبُكَ مِنْ عَذَابِ
 هَٰذَا ۝ حَامِيَةٌ﴾ (القدر ١-١١)

(١) في (هـ، ج، د): ثلاثة أقوال

وعندنا وعند المعتزلة أن الأعمال لا توزن بالميزان المعقول ؛ لأن الأعمال أعراض ، والأعراض لا تقوم بأنفسها ، ولا يُوزن في الشاهد إلا الأجسام ، والميزان عندنا هو الحق والقسط قال الله تعالى : ﴿وَالْوِزْنَ يَوْتِيهِ الْحَقُّ﴾ [الأعراف ٨] ، وقال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي آتَى الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُخْتَصِمُ لَعَلَّ الشَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [النور ١٧] ، وقال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۚ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۚ وَأَنذَرُوا الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحم ٧-٩] فصح أن الميزان هو الحق ، والوزن هو الحكم بالحق ، وإنما جعل الله ذكر الميزان مثلاً فمثل الحكم بالحق كوزن الأجسام بالميزان المعروف.

واعلم أن معنى هذا المثل . أن من كانت له حسنة وسيئة أن الحسنة في المثل بعشر وزقات بالميزان ، والسيئة بوزقة واحدة ؛ فعلى هذا يكون الرُححان للعشر ، وهذا إذا كان الخاتمة^(١) من الأعمال صالحة.

ويدل على صحة ما ذكرنا قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [مرد ١١١] وهذا هو المراد بقوله تعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْقَالٍ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا يِثْقَالًا﴾ [مسم ١٦٠] وليس المراد به أنه إذا أطعم مسكيناً خبزة أنه يطعم عشر خبز ، ولا إذا كسى عارياً مستحقاً ثوباً أنه كسى^(٢) عشرة ثياب ، ولو كان ذلك كذلك لأدى ذلك^(٣) إلى الإنقطاع والفناء.

(١) في (ص) : إن كانت الخاتمة

(٢) في (ع ، ص) أنه يكسى

(٣) زيادة في (ط ، م ، ع)

واعلم أن هذا المثل بالوزن، والميزان يدل على أنه لا يكفّر من الناس من تكون أعماله حسنات كلها ولا سيئة له؛ لأن في السعد أنه لا يجعل في أحد كفتي الميزان شيء والأخرى معطلة لا شيء فيها، ولا يصح الوزن إلا أن يكون في كل واحدة من كفتي الميزان شيء، قليلاً كان أو كثيراً، ولا يعقل وزن شيء إلا بشيء، فثبت أن الإنسان المكلف لا يخلو من سيئة.

واعلم أن كل عامل^(١) مسؤول عن عمله -المطيع والعاصي- ومحاسب على فعله^(٢)، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابًا بِرَبِّهِ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الاسراء: ٨٧] يدل على أنه لا بد من الحساب والمساءلة^(٣)، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّهُ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [السكر: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَقُلُوبُهُمْ لَهُمْ مَتَّعُوهُمْ﴾ [صافات: ٢٤]، وهذا السؤال، سؤال تقرير وتوبيخ، وقول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَكُ عَنْ ذِيهِ إِدْنٌ وَلَا جَانٌ﴾ [الرحم: ٣٩] يريد أنه لا يسأل سؤال جهل واستعهم، بل سؤال تقرير وتوبيخ، ويؤيد ذلك قول الله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي سَكُّنٌ هِيَ قُعَايِلٌ عَنْ هَيْبَةٍ﴾ [السر: ١١١]، وقوله تعالى: ﴿سَكُّنٌ هِيَ بِمَا كَسَبَتْ رَجِيَةٌ ۝ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّجْرِ مِمَّنْ مَّا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُتَصَلِّينَ﴾ [الآيات: ٢٨-٤٣]، وأصحاب اليمين الذين استثناهم الله الأطفال؛ ويدل على ذلك سؤالهم لمجرمين عما أدخلهم النار؛

(١) في (ش)، أن كل عاقل عامل. وفي (ع): أن كل عاقل.

(٢) في (ص) - ومحاسب عليه.

(٣) في (ص)، والمساءلة.

لأنهم لم يكن معهم خير عما أذبحهم النار، وقد قال الله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۚ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۚ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۚ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۚ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النجم ٧-١١]، فكانت الناس على ثلاثة أفنان: فسبق وهو الذي يدخل الجنة بعمله، قال الله تعالى في آخر الآية: ﴿حِزَابًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النجم ٢١]، وفن وهم أهل النار، ومن وهم الأطفال؛ وهم يدخلون الجنة بغير عمل منهم بل تفضلاً من الله، تفضل عليهم بالجنة، وعوضاً منه على ما أصابهم من الضر والأمراض والموت.

وكذلك البهائم فإن الله يُشبهها ويعوضها بتعليكه الناس إياها وتسخيرها لهم، فيعوضها في الجنة؛ وكل تلك الوحوش، وجميع ما خلق الله من الحيوان، فإنه قد بالها الضر في هذه الدنيا من الجوع والعطش، والخوف والموت، وغير ذلك.

والدليل على ما قلنا من طريق العقل: أنه قد ثبت أن الله تعالى عدلٌ لحكيم^(١)، وأنه رحيم رؤوف كريم. وأن عفوه يُرجى عمن أذنب، فكيف من لم يُذنب؟ وهي تألم، وتجوع، وتصمأ، وتهزل، وقد رأينا الناس يكذّبون البهائم كذاً عنيفاً، ويستخدمونها حتى تبلغ الغاية من الهزال والموت^(٢). ومنها ما يذبحه الناس ويطحونه بالنار ويأكلونه، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «في كل كبدٍ حرّى أجرٌ».

وروي أيضاً الخبر المشهور: «تقربوا إلى الله بإكرام البهائم».

(١) زيادة في (ج، س، ي، م)

(٢) في (ص، ش، ع): من البهوان والموت

وروي النهي عن الإغراء بين لهائم وروي أن رسول الله ﷺ رأى حماراً موسوماً في وجهه فلص من اسمه. فدل ذلك على أنها تألم، وذلك بينٌ مشاهد^(١)، فصيح أن الله تعالى يعيضاها بما سخرها للناس وذلها لهم وملكهم إياها، ولو لم يعصها بذلك لكان ذلك ظلماً لها -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وقد صرح بنصر القرآن وبالإجماع أن جميع الحيوان يحيا يوم القيامة ويُحْشَر، قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ ذَاكَ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَاهِرٌ يَبْجُلُ بِمَنَاجِرِهِ إِلَّا أَمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَيْنَا رُجْعُهُمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام ٣٨].

فإذا كانت تُحْشَر بلا شك فلا بد لها بعد حشرها من أحد ثلاثة وحوش: إما أن تدخل النار أو الجنة، أو تُمَات وتُمنى.

فإن قيل: إنها تُمَات فلا شيء حُشِرَتْ ثم أُمِتَتْ وأُصِيت؟ فلو كان ذلك كذلك لكان عتاً إحبوها يوم القيامة وإماتتها فصيح أن الآخرة هي دار الحيوان، وأنه لا يذوق أحد موتاً بعد الحشر والنشور.

وإن قيل: تدخل النار فما ذبها الذي تدخل به النار؟ وهذا ما لا يُعقل^(٢) ولا يقول به أحد، ولم يبق^(٣) إلا إدخال الله لها الجنة، وفي رحمة الله ما يسعها -الذي وسعت رحمته كل شيء- وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُّجَابِلًا عَنْ هَيْبَتِهَا﴾ [الجم ١١] والبهائم من ذوات

(١) في (ص). بين في الشاهد

(٢) في (ع، ش). عما لا يعقل

(٣) في (ش): فلم بين

النفوس^(١)، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الجهاد أن تُقتل وتُعقر فرسك في سبيل الله» فبدد كان الرجل يأتي يوم القيامة يجادل عن نفسه فكذلك الفرس الذي يُعقر تحته تأتي يوم القيامة تُجادل عن نفسها. وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قتل عصفوراً عبثاً أوقف به يوم القيامة فيقول: يا رب إن هذا قتلني عبثاً» -أو قريباً من هذا- فإني جمعت المعنى ونسيت اللفظ.

فأما السباع والحيات والعقارب وما يؤدي الإنسان من الحيوان، فيجوز أن يجعلها الله من عذاب النار^(٢) ولا تكون النار تؤذيها -كخزنة النار- وروى في التفسير مثل هذا عن رسول الله ﷺ.

ومن مشايخ المعرلة من قال: الميزان هو الميزان المعقول بين الناس، وأنه يجعل مكان الحسنة في الميزان نوراً^(٣)، ويمكن السيئة ظلمة، وتوزن فيكون الحكم للراحح^(٤)، ومنهم من قال: لكل واحد ميزان ومنهم من قال: هو ميزان واحد. وقد ذكرنا ما يدل على فساد هذا القول من أن الأعراص لا يصح وزنها، ولا توزن إلا الأجسام^(٥).

(١) في (ب، ش): من ذوي النفوس و(ع): من ذوي النفوس

(٢) في (ص): من أهل النار

(٣) في (س، ش): نور

(٤) في (أ): فيكون العلة للراحح

(٥) في (ش، ي): وأنه لا يوزن إلا الأجسام

عَنِ مَالِهِ ۝ خَلَقَ عَنَى سُلْطَانِيهِ ﴿[١٨-٢٩]﴾، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْشَانٍ
الْزَمَانَةُ طَاهِرَةٌ فِي حَقِّهِ وَدُخْرِجَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا ۝ اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾
﴿كَلَّمَ بِتَقْسِيكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [١١٤، ١١٥]، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ
فَعْلُوهُ فِي الزَّيْرِ ۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُنْطَلَقٌ﴾ [٥٢، ٥٣]، فصَحَّ أَنَّ الْكِتَابَ
هُوَ الْكِتَابُ الْمَعْقُولُ.

ومعنى قول الله تعالى: ﴿الْزَمَانَةُ طَاهِرَةٌ فِي حَقِّهِ﴾ يريد: فَعْلُهُ، خَيْرُهُ
وَشَرُّهُ، وسعادته وشقاوته، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَهَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ
تَكُنُوا لِرَبِّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [١٨٠، ١٨١]، وقالوا طَاهِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [١٨٠، ١٨١] وحجة من قال: (الكتاب^(١) هو العلم)
قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى
يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٥١، ٥٢]، قالوا: المراد
به: لقد لبستم في علم الله. وقد يمكن أن يُجْعَلَ معنى الآية على هذا،
ويمكن أن يكون المراد به: لقد لبستم فيما وجدنا^(٢) في كتاب الله الذي
هو القرآن أنكم لبستم إلى يوم البعث^(٣)

واعلم أن للكتاب في كتاب الله أربعة معانٍ: فكتابٌ وهو العلم،
وكتابٌ وهو الكتاب المكتوب بالقلم - وقد ذكرنا ذلك - وكتابٌ
وهو المرض؛ قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [١٨٣، ١٨٤]، وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ
حُرْمٌ لَكُمْ﴾ [٢١٦، ٢١٧] يريد: فرض عليكم. وكتابٌ هو الحكم؛

(١) في (س، ل)، إن الكتاب.

(٢) في (أ): فما وجدنا

(٣) في (ل): أنكم لبستم إلى يوم القيامة فما وجدنا

قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [البقرة ٢٥١] يريد: حكم الله. وقد يمكن أن يُحمل الكتاب على معنى خامس وهو أن يمكن أن يكون كتب الله بمعنى: جعل الله، وذلك قول الله تعالى: ﴿أَوْفَيْتُكَ كِتَابَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَلْهَمْتُ يَرْوِجَ بَنِي﴾ [البقرة ١٢٢]، يقول: إنه قد أرسخ في قلوبهم الإيمان حتى صار مثل الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [البقرة ١٧].

فصل

في الكلام في الصراط

واختلفوا في الصراط، فعندنا وعند المعتزلة أن الصراط هو الطريق، والطريق طريقان: طريق الحق، وطريق الساطل. والصراط المستقيم هو طريق الحق.

وقالت الحشوية: هو أحد من سيف، وأدق من الشعرة، ولو كان كما قالوا لكان ذلك تكليف ما لا يطاق وأيضاً فإن التكليف قد سقط في الآخرة لقول رسول الله ﷺ: «الديار دار عمل ولا حساب، والآخرة دار حساب ولا عمل»

والذي يدل على صحة ما قلنا قول الله تعالى: ﴿إِذْ هَبْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صراط الذين أقمنا عليهم حسن المسير المشبوب عليهم ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [البقرة ١٧٠]، فلو كان صراطاً واحداً للمطيع والعاصي لما

أبدل وبين ، ولقال : اهكذا الصراط ، ولم يقل : المستقيم ، ولا قال^(١) :
 ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ، فلما قال : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ علم
 السامع أن ثم صراطاً غير مستقيم ، ثم زاد بياناً ، فقال : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ
 أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وهذا يُسمى بدل البيان ، فيس بياناً ثانياً أن اثم^(٢) لغير
 هؤلاء صراطاً

ومما يوضح ما ذكرنا في البدل أنك إذا قلت لرجل : (أدع الرجل
 زيد بن عمرو) أن هذا السدل يكون بياناً ، لأنك لو قلت : (أدع
 الرجل) ، لأشكل على المأمور من لرجل ؟ لأن الرجال كثير ، فلما
 قلت (زيد بن عمرو) بيّن له فهم قولك^(٣) فصح ما قلنا.

وقول الله تعالى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ دليل على
 أن الله قد أنعم عليهم فاستشاهم من الذين هداهم الصراط المستقيم ؛
 ولأنه من شرط الاستثناء أنه^(٤) لولا هو لدخل المستثنى في جملة من
 استثنى منه^(٥) ، فلو لم يُنعم على المغضوب عليهم والضالين لما
 استشاهم ولأجزأ قوله : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ولم يقل : ﴿غَيْرِ
 الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فصح ما قلنا.

وقال تعالى : ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي
 السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿الشورى ٥٢﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَمِيقَاتُ الَّذِينَ

(١) في (أ) : وقال.

(٢) زيادة في (أ)

(٣) في (أ) : وبينت له فهم قولك

(٤) في (س) - وأنه

(٥) في (س ، ي) : في جملة المستثنى منه

صَكَّرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمْرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَصَحَّتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُولُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتُ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ صِكْرُكُمْ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا نَفْسُ مَقُوتٍ الْمُعَصِّينَ ۝ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُصِّتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۝ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَهَدَىٰ وَأَوْزَانَا الْأَرْضِ قَبْرًا مِّنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنُفِثَ لَهَا لَهْرًا تَامِلًا ۝ وَكُرِئَ الْمَلَائِكَةُ حَامِلَاتٍ مِّنْ حَوْلِ الْمَرْمِزِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَكُنُوسٍ يَّهْتَمُّ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١-٧٥﴾ فَمِنْ أَنَّهُمْ يُسَاقُونَ زُمْرًا، وَلَيْسَ أَنَّ لِلنَّارِ أَبْوَابًا، وَلِلْجَنَّةِ أَبْوَابًا. وَقَدْ رَأَى اللَّهُ تَعَالَى فِي النَّارِ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ (نور ١١)، فَلَوْ كَانَ الصَّرَاطُ كَمَا قَالَتِ الْحَشَوِيَّةُ، لَمَا كَانُوا يُسَاقُونَ زُمْرًا، وَلَمَا كَانَ لِلْجَنَّةِ أَبْوَابٌ وَلِلنَّارِ أَبْوَابٌ، فَصَحَّ أَنَّ الصَّرَاطَ هُوَ الطَّرِيقُ^(١)

قال الشاعر:

دَعَسْنَا أَرْضَهُمْ بِالْخَيْلِ حَتَّى

تَرَكْنَاهُمْ أَدْلَ مِنْ الصَّرَاطِ

وَأَنَّ لِلْجَنَّةِ طَرِيقًا، وَلِلنَّارِ طَرِيقًا.

وقد اختلف في عدد أبواب الجنة، وقد روي عن رسول الله ﷺ:

أَنَّهَا ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، وَرَوَى عَنْهُ مَا يَدُلُّ (على) (٢) أَنَّهَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ.

وَرَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اجْتَنَبَ

(١) زياده في (ش)

(٢) في (ج). هو الصراط المستقيم

(٣) ساقط في (ص)

من الرجال أربعاً، وعمل من النساء أربعاً، فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء، من اجتنب من الرجال: الدماء، والأموال، والفروج، والأشربة، والمرأة، إذا حصنت فرجها، وصلت خمسها، وصامت شهرها، وأطاعت زوجها». وروي عن سلمان الرضي الله عنه^(١) قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى ثماني ركعات من الليل، والوتر، يُداوم عليهن حتى يلقي الله بهن فتح الله له اثني عشر باباً من الجنة يدخل من أي بابه شاء»^(٢). فدلّ على أن أبواب الجنة أكثر من ثمانية. ويُحمل الخبر الأول في الثمانية الأبواب أنها لجنس من الناس، والله أعلم.

فصل

في الكلام في الشفاعة

اختلفت الأمة في الشفاعة.

فعدنا وعند المعتزلة أن الشفاعة للتائبين، وقد تكون أيضاً في الدرجات، والزيادات.

وذهبت المجبرة إلى أن الشفاعة لأهل الكسائر، واستدلوا بما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «شفّعتني لأهل الكبائر من أمّتي».

(١) هو أبو عبد الله سلمان الفارسي الصحابي الحبيب الشهير أول مشاهد الخندق، أحد فصول الصحابة وأحد قبائهم، أحد من اشتاق إليه لحنه، ومن يرى تقديم الوصي أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام تروى بالمئات سنة خمس وثلاثين من الهجرة النبوية تحت

(٢) في (ع): يدخل من أيها شاء

ونحن نعارض قولهم^(١) بكتاب الله، ويقول رسول الله ﷺ. قال الله تعالى في الملائكة صلوات الله عليهم: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [البقرة: ٢٨٠]، وقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَيْمٍ وَلَا شَفِيعٍ إِلَّا طَعْنٌ﴾ [البقرة: ١٨]، وقال تعالى: ﴿فَمَا تَشْفَعُ لَهُ شَافِعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي هُنَّ عَنْ هُنَّ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ بَيْنَهُمَا شَفَاعَةٌ وَلَا يَأْخُذُ بَيْنَهُمَا غُلٌّ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۝ ثُمَّ مَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَنفَعُ هُنَّ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧-١٩] فصَحَّ أن الشفاعة لا تكون لأهل الكبائر.

وقد ورد في الأخبار عن رسول الله ﷺ، أن الشفاعة^(٢) للتائبين دون العصاة؛ من ذلك ما روي عنه ﷺ، روي عن محمد بن الحسين^(٣) بن علي بن الحسين عن أبيه عن علي (عليه السلام) قال: (رأينا رسول الله ﷺ فعلنا له خيرة^(٤))، وأهدت لنا أم أيمن قعباً من لبن، ورُبداً، وصحفة من تمر فأكل رسول الله ﷺ وأكلنا معه، ثم توضأ رسول الله ﷺ فمسح وجهه^(٥) ولحيته بيده، ثم استقبل القبلة ودعا الله جلّ ذكره بما شاء، ثم أكب إلى الأرض بدموع غزيرة مثل المطر، ثم أكب إلى الأرض ففعل ذلك ثلاث مرات، فهنا أن نسأله ﷺ، فوثب الحسين (عليه السلام) على رسول الله ﷺ فكى وضمه إليه وقال: «بأبي

(١) في (ص، ش): في قولهم

(٢) في (ع): أن شفاعته

(٣) في (س، ش) روى محمد بن الحسين.

(٤) في (ش، ص، ع): فعلنا له خيرة

(٥) في (أ): فمسح رأسه ووجهه

(٦) في (ش، ل): إلى رسول الله ﷺ

أنت؟^(١) وأمي ما يبكيك؟ فقال: يا أنت إني رأيتك تصنع ما لم تكن تصنع مثله، قال: يا بني^(٢)، إني سررتُ بكم سروراً عظيماً لم أستر بكم قبله^(٣)، وإن حبيبي جبريل - صلى الله عليه وسلم - أتاني فأخبرني بأنكم قتلى، وأن مصارعكم شتى، فأحزني ذلك، فدعوتُ الله لكم. فقال الحسين (عليه السلام): يا رسول الله صلى الله عليه وسلم من يزورنا على تشيئتنا وتواعد قبورنا؟ فقال (عليه السلام): طائفة من أمتي يريدون بذلك يرّي وصلّتي، إذا كان يوم القيامة زرتهم الموقف فأخذت بأعضادهم فأخيتهم^(٤) من أهوالها وشدائدها.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «من حفظ على أمتي» أربعين حديثاً في السنة كت له شفيعاً يوم القيامة.

وعن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «ثلاثة أنا شفيع لهم يوم القيامة: الضارب بسيفه أماناً ذريتي، والقاضي لهم حوائجهم»^(٥) عند اضطرارهم إليه^(٦)، والمحِب لهم بقلبه ولسانه». فصَحَّ أنه (صلى الله عليه وسلم) لا يشفع إلا للمحسنين.

ومما يؤيد ذلك ما روي عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: كان

(١) زيادة في (أ)

(٢) في (ش): فقال: يا بني

(٣) في (م): لقد سررت لكم سروراً لم أستر بكم قبله. وفي (ج): لقد سررت بكم سروراً لم أستر لكم قبله

(٤) في (س، ل، م): فأخيتهم.

(٥) في (ب، ج): من أمتي

(٦) في (ب، ج، ش): والقاضي حوائجهم

(٧) في (ش): اضطرارهم إليها

رسول الله ﷺ إذا دُعي إلى حذرة سأل عنها فإن أثني عليها بخير صلى عليها، وإن أثني عليها^(١) بعير ذلك قال: «شأنكم بها»، ولم يُصلِّ عليها. فلو كان يشمع في الآخرة لأهل الكبائر لجاز له أن يصلي عليهم، ويدعو لهم في الدنيا.

فصل

في الكلام في أطفال المشركين

اختلفت الأمة في أطفال المشركين، فعندنا وعند المعتزلة أنهم في الجنة، وأنهم كأطفال المسلمين إلا في الميراث والقبر، فإن آباءهم يرثونهم ويقبرونهم في مقابرهم.

وذهبت المجبرة إلى أنهم مُعَذَّبُونَ مع آبائهم في النار، واستدلوا بما روي عن خديجة (عليها السلام) أنها سألت النبي ﷺ فقالت: أين أطعمالي منك؟ قال: «في الجنة» فقالت: فأين أطعملي من غيرك؟ قال: في النار وإن شئت^(٢) «أسمعك ضغائنهم». وبما روي عنه ﷺ أنه قال: «الوائدة والموءودة في النار» ولم يصح الخبر عندنا. فإن صح^(٣) -أي خبر خديجة- فالمراد بذكره الكبار^(٤)، وقد تسمي العرب الغلام اشباب البالغ طفلاً قال الشاعر:

عَرَضْتُ لِعِصَامٍ وَالْخَيْلُ تَرْدِي

بِأَطْفَالِ الْحُرُوبِ مُشْمَرَاتٍ

(١) في (ي، ح، د): وإن أخير عنها

(٢) في (ع): ولو شئت

(٣) في (ص، ع) وإن صح فالمراد بذكرهما كبار وفي (أ) فإن صح -أي خبر خديجة- فالمراد بذكرهما الكبار وفي (ط): أما خبر خديجة رضي الله عنها، فإن صح فالمراد به الكبار

وأما الموءودة فإن صح الخبر فالمراد (به) ^(١) الكبيرة ؛ ومما يؤيد ذلك قول الله تعالى : ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [النمر ٩٠، ٨] فدل على أنها كبيرة ، لأن الصغيرة لا تُسأل ، ولا ذنب لها ، ولا حساب عليها. والموءودة : هي التي تُدفن في القبر حية ، وكانت الكفار تفعل ذلك ، والموتد هو المثلث ^(٢) قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُعْرَضُوا حِفْظُهُمَا وَلِكُلِّ أُولَىٰ الْقُرْبَىٰ﴾ [النمر ٢٥٥] المراد به ولا يُثقله ^(٣)

وأما قول الله تعالى - حاكياً ^(٤) عن نوح (عليه السلام) : ﴿وَلَا يَلْبِسُوا إِلَّا عَجَبًا صَعْتًا﴾ [سج ٢٧] ، فالمراد به أن عاقبتهم إذا سلموا أن يكونوا مثل آبائهم فجساراً كفاراً قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَرَأْنَا لِبَنِيهِمْ صَعْتًا مِنْ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [النمر ١٧٩] يريد : أن عاقبتهم إلى جهنم وقال تعالى في موسى (عليه السلام) : ﴿فَالْقَظْفَةُ أَلْ يَرْعَوْنَ لَكُمْ كَيْفَ هُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [النمر ٨] المراد به : أن عاقبتهم أن يكون لهم عدواً وحزناً ، ومثل ذلك موجود في لغة العرب ، قال بعض الحكماء :

لَسَدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخِرَابِ
فَكُلُّكُمْ بِصِيرٍ إِلَى ذَهَابِ

(١) سألني (ع)

(٢) في (أ) : والمؤود هو المثلث

(٣) في (ع) : ولا يقله حفظهما

(٤) في (ش ، م ، س) : فيما حكى

فصل

في الكلام في أزواج أهل الجنة

اعلم أن الله تعالى يزوّج عبيده من إمائهم يوم القيامة بمن يشاء وكيف يشاء. فأما من مات مؤمناً وله زوجة مؤمنة فلم تخلف بعده زوجاً فأحسب - والله أعلم - أنه زوجته يوم القيامة، وكذلك لو ماتت ولم يتزوّج أحدهما، ولا من يحرم عليه الجمع بينهما، فإن تزوّج أحدهما - بعدها - أو عمتها أو حالتها فروجته^(١) في الجنة الأخرى دون الأولى. وإن مات وتزوّجت بعده فهي للروح الآخر في الجنة؛ والدليل على ما قلنا ما روي عن الهادي إلى الحق (عليه السلام) في جوابه للبراري يرفعه إلى النبي ﷺ أنه سئل: «عن زوجة المؤمن هل تكون له زوجة في الجنة إذا كانت مؤمنة؟» فقال ﷺ: «نعم يجمع الله بين أهل البيت إذا كانوا مؤمنين في دار ثواب المتقين».

وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن الروحانية تنقطع بينهما، واستدلوا بما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كُلُّ نَسَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبِيَّ وَسَبِيَّ» فهذا الخبر محمول (عندنا)^(٢) على الشماعة دون الزوجية. وقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَنْصَلُّونَ﴾ [سورة النور ٣١] المراد به أنه لا ينفع النسب يوم القيامة، وقوله: ﴿وَلَا يَنْصَلُّونَ﴾ المراد به أن كل إنسان مشغول بنفسه في الموقف ويوم الحساب، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْرِ الْأُمَمُ مِنْ نَسَبِهِ ۖ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۖ وَصَلَاتِهِ

(١) في (س، ح، د): فإن زوجته

(٢) سابق في (١)

وَبِهِ ۝ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝ [سورة ٢١: ٢٧] ، فأما في الجنة فإنهم يتساءلون ، قال الله تعالى : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُتْفِقِينَ ۝ لَمَنِ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْ عَذَّبَ الشُّومِ ۝ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ۝ [الغور ٢٥-٢٨] .

وكذلك أيضاً أهل النار يتساءلون في النار : ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنْ الْيَمِينِ ۝ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كُنَّا لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ مُنْطَلِقٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ۝ [سورة ٢٨-٣٠] فصَحَّ أن المراد به : ولا يتساءلون في الموقف ، ولا أنساب بينهم نافعة لهم .

ويدل أيضاً على صحة ما قلنا أن الميت إذا مات فقد خرج من أحكام الدنيا ، وصار من أهل الآخرة ، وقد جاء أيضاً^(١) عن الصالحين من الصحابة وغيرهم من المؤمنين أن الرجل يغسل زوجته إذا ماتت إذا أراد ذلك ، والمرأة تغسل زوجها ؛ وقد روي عن عائشة أنها قالت : لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما غسل رسول الله ﷺ غير نسائه ، ولم يُكر ذلك عليها أحد . وروي عن النبي ﷺ أنه دخل^(٢) على عائشة وهي تقول : وَأَرَأَسَاء ، فقال ﷺ : «لا عليك لو مت قلبي لغسلتك وكفنتك وحنطتك ودفنتك»

وروي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) غسل فاطمة (عليها السلام) .

وروي أن أسماء بنت عميس غسلت زوجها أبا بكر ولم يُنكر أحد

(١) زيادة في (ص)

(٢) في (ش) : أنه لما دخل

من الصحابة ذلك فلو كانت الزوجية قد انقطعت بينهما لما جاز لواحد منهما^(١) أن يغسل صاحبه.

فإن ماتت المرأة وتزوج أختها فقد قدمنا القول أن الزوجية قد انقطعت بينه وبين الميتة، وأنها ليست له بزوجة في الجنة بل زوجته الأخرى. وعلى هذا لو ماتت امرأة رجل ثم تزوج أختها^(٢) قبل أن تغسل وتُدفن لم يحز له غسلها ههنا ولا الطر إلى الميتة. وكذلك^(٣) لو عقد بامرأة عقدة النكاح^(٤) ولم يدخل بها ثم مات وتزوج بابتها قبل أن تغسل وتدفن لم يحز له أن يطر إلى عورة الميتة. ويؤيد ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا ينظر الله إلى رجل يطر إلى فرج امرأة وابنتها» وهذا القول مطلق اجتهدكم وقباس على ما ذكرنا من الأخبار، والله أعلم.

ويمكن أيضاً أن يكون حكم تزويج الآخرة غير تزويج الدنيا؛ لأن أحكام الآخرة غير أحكام الدنيا، إلا في العدل فإن أحكام الله تستوي (في العدل)^(٥) في الدنيا والآخرة.

واعلم أن الله تعالى يُزوج أوليائه في الجنة من حور العين؛ وحور العين نساء يخلقهن الله تعالى من الجنة كيف شاء وكما شاء أحسن

(١) في (ل، هـ، م)؛ لما جاز لأحدهما

(٢) في (ش، ح، ع) ثم تزوج بأختها

(٣) في (ع)؛ وكذا.

(٤) في (س) عقد النكاح

(٥) ساقط في (ص)

خلق وأجمل صورة، اكمل^(١) قال الله تعالى: ﴿وَنُحَوِّذُ حِمَّتَ ۝ كَأَنَّمَا
الَّذِينَ يَكُونُونَ﴾ [الرأس ٢٢، ٢٣]، وقد تعالى: ﴿وَجِئْتَهُمْ قَاصِرَاتِ الطُّرُقِ
حِمَّتَ ۝ كَأَنَّهُنَّ يَصْنَعْنَ مَكُونًا﴾ [المعبد ١٨، ١٩]، وقال في تزويجه لأوليائه
بهن: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ حِمَّتَ﴾ [المدد ٥١]

وقد اختلف في الحنة هل قد خلقت أم لم تخلق في الدنيا.

فذهب قوم إلى أنها قد خلقت، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ
رَأَىٰ ذُرِّيَّةَ لَدُنِي ۝ عِنْدَ مِثْرَةٍ مَّقْصِي ۝ مِنْهَا حِنَّةَ الْمَأْوَىٰ﴾ [المع ١٣-١٥].

وعدنا أنها لم تخلق، وأن الله سيحدثها يوم القيامة، ويخلقها كيف
شاء وحيث شاء.

والدليل على ذلك من طريق العقل أنه لا يُعَدُّ الشيء ويدخره إلى
وقت طويل إلا من يعجز عن ابتداعه وقت الحاجة إليه، والله تعالى لا
يعجزه شيء ولا يموت شيء^(٢)، ومن الكتاب: قول الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ نُورًا جَلَالًا وَإِكْرَامًا﴾ [الرسم ٢٦، ٢٧]
فدل على زوال الدنيا، وما عليها. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى الْأَرْضُ هَوْرًا
الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ﴾ [الرسم ١٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّمَاءُ كُفَىٰ
السَّجَلِ لِلْكَتَبِ﴾ [الرسم ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَاتٍ
بِيمِينَةٍ﴾ [الرسم ٦٧]، وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْطَرَتْ﴾ [السطر ١]، وقال
تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ [السطر ١]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ
كَالْهَيْلِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِزِّ﴾ [سج ١٩، ٢٠] فصح أن السماوات تبدل،

(١) زسادة في (س، ل، م)

(٢) زسادة في (ع، ل، م)

وكذلك الأرض. فلو كانت الجنة قد خلقت لم تكن إلا في السماء أو في الأرض، وإذا كانت قد خلقت في السماء كيف تبدل^(١) السماء وتبقى الجنة التي فيها، وما فيها من الحور^(٢) والولدان؟ فصح ما قلنا.

فإن قيل: إن مذهبكم أن إرادة الله هي أمره، فهل قد أراد خلق الجنة أم لم يردده؟

قلنا. إن الخبر غير المحبر عنه فقد أراد الله الإخبار بالجنة ولم يرد حلمها، ولو أراد خلقها لكانت قد خلقت، قال تعالى: ﴿لَهُ الَّذِي يُتَوَكَّلُ عَلَيْهِ إِذَا أَقْبَضَ أَمْرًا فَإِنَّا بِأَمْرِكَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣) ١٨٨ وقد قدمنا الكلام في الإرادة في موضعه بما فيه كفاية فلا نعلق لمخالفتنا^(٤) بهذا

ومعنى قول الله. ﴿وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾ يريد بقدرته، ومثل ذلك موجود في لغة العرب، قال الشاعر وهو الشماح:

إذا ما رايسته رُفعت لمجد
تلقاها غزاة باليمن

يريد بالقوة

(١) في (ص). فكيف تبدل.

(٢) في (ش). من الحور العين.

(٣) في (ب). لمخالفتنا.

فصل

في الكلام في جزاء الأعمال وذكر الخواتم

اعلم أن جزاء العمل موحب، ولزيادة على الجزاء فضل من الله تعالى ورحمة، والزيادة ليس لها حد لأنها فضل من الله، وفضل الله لا حد له، وقد قدما الكلام [فيه] بما فيه كفاية، ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الأعمال عند الله سبعة: عملان موجدان، وعملان بأمثالهما، وعمل بعشرة أمثاله، وعمل بسبعمائة، وعمل لا يعلم ثوابه إلا الله تعالى فأما الموجدان: فمن لقي الله عز وجل بعد ولا يشرك^(١) به شيئاً من خلقه وجبت له الجنة، ومن لقي الله وقد أشرك به شيئاً^(٢) وجبت له النار، ومن عمل سيئة جزى بمثلها، ومن أراد أن يعمل حسنة ولم يعمل بها حُزِي مثلها، ومن عمل حسنة جزى عشرأ، ومن أنفق مالاً في سبيل الله صُوعمت له نفقته الدرهم بسبعمائة، والديار بسبعمائة، والصيام لله لا يعلم ثواب عامله إلا الله تبارك وتعالى».

واعلم أن الأعمال على خواتمها، فمن وافق موته عملاً صالحاً فقد فاز وطمع بالخير، ومن وافق موته عملاً سيئاً كان من المعاقبين النادمين الخاسرين؛ وعلى هذا لو أن عبداً كان على طريقة النحاة مطيعاً لربه ثم اعتمد معصية الله^(٣) ومات عليها أنه قد أبطل عمل نفسه،

(١) زيادة في (ع)

(٢) في (ص): لا يشرك

(٣) في (ص): على معصية الله

وأحبط حسناته، وكان كمن لم يصع الله^(١)، وكان من أهل النار، ولو أن عبداً كان عاصياً لربه مُضِيعاً للواجبات فاعلاً للمحرّمات ثم تاب من ظُلمه وأُتاب ثم مات على ذلك، كان عند الله من التائبين، وكان من الناجين الفائزين.

ووجه العدل في هذا أن الله تعالى قد أمر عبده بطاعته، وبهائه عن معصيته، ووعد من أطاعه - ثم ستقام على طاعته إلى أن يلقاه - الجنة، وأوعد من عصاه - واستقم على ذلك إلى أن يلقاه - النار، وضمن الثواب، وأحرب بما يبطل (به)^(٢) على العبد عمله، فإذا حالف أمر ربه وأبطل عمل نفسه كان هو بظالم لنفسه. ألا ترى أن الطبيب إذا أعطى العليل دواءً نافعاً له، وقال له: "تجنب كذا وكذا فإنه يفسد هذا الدواء"، فخالفه ولم يتجنب ما حواه عنه^(٣) أن العليل^(٤) هو الذي أفسد الدواء، ولم يكن على الطبيب في ذلك لائمة ولا حجة، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "يسألوا الله السداد، فإن الرجل قد يعمل الدهر الطويل على جادة من جواد الجنة فيبينما هو كذلك دؤوباً إذ برزت له^(٥) جادة من جواد النار يعمل عليها، ويتوجه إليها، ولا يزال دؤوباً دؤوباً حتى يُختم له بها فيكون من أهلها، وإن الرجل قد يعمل الدهر الطويل على جادة من جواد النار فيبينما هو كذلك دؤوباً

(١) في (ع)، كمن لا يطيع الله.

(٢) سقط في (س).

(٣) في (ع) ما بهاء عنه.

(٤) في (ص) فإن العليل.

(٥) في (ص) ش) إذا انبرت له.

إِذْ بَرَزْتَ لَهُ^(١) جَادَّةٌ مِنْ جَوَادِ الْجَنَّةِ فَيَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا وَيَعْمَلُ عَلَيْهَا وَلَا يَزَالُ دُؤُوبًا دُؤُوبًا حَتَّى يُخْتَمَ لَهُ بِهَا». فَصَحَّ مَا قُلْنَا وَمَا إِلَيْهِ دَهَبُنَا.

وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ السَّدَادَ، وَحَسَنَ لَاسْتِعْدَادَ لِيَوْمِ الْمَعَادِ، وَأَنْ يَهْدِيَنَا أَوْضَحَ الْجَوَادِ، وَأَنْ يُخْتَمَ لَنَا بِصَالِحِ أَعْمَالِنَا، وَلَا يُوَافِقُنَا بِسَيِّئِ أَعْمَالِنَا^(٢) إِنَّهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ.

(١) فِي (ص، ش) : إِذَا انْبَرَتْ لَهُ

(٢) فِي (ع) : بِسَيِّئِ أَعْمَالِ



مرکز تحقیقات کلامیه و فلسفه اسلامی

(١٠) باب حقيقة معرفة الكتاب

اعلم أن الله تعالى جعل كتبه حجة له على العباد، وداعياً إلى الحق والرشاد، وزاجراً عن الفبي ولعساد، ومرغباً في الجنة، ومُخَوِّفاً من النار، وجعله مؤكداً لحجة العقول، وشاهداً بصدق الرسول، وحاكماً بين الناس، ومبيناً للإلتباس، وجعل فيه جميع ما يُحتاج إليه من علم الأصول والفروع، ومعرفة لحلال والحرام، ومعرفة القصص والأحكام والموارث وعلم الشرع وقصص الأولين، وبيان ما يكون^(١) في يوم الدين، وجعله نوراً للمؤمنين، وضياءً للمهتدين، وجعله بالغاً موحزاً، وقريب المتناول معجزاً، وقدر سجد الله هدىً، وموعظة، وذكراً، وعزيراً، ومباركاً ونوراً، وعبر ذلك من الأسماء الحسنة، قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿رَبِّهِ لِكِتَابٍ غَزِيرٍ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ فَتَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [الصافات: ١٢، ١١]، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَشْكُرُوا أَنَاءَهُ وَيَذْكُرُوا أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [سورة: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا هَعْنُ ذُرِّيَّةَ الذَّكَرِ وَإِنَّا لَهُ لَنَاطِقُونَ﴾ [سورة: ١٩]، وقال: ﴿وَإِنَّا لَنَذْكُرُ لَكَ وَلَقَوْمَكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [المرسد: ١٤]، وقد تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَشْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا هَدًى بِهِ

(١) في (ع، ص): وتباً ما يكون.

مَنْ نَشَأَ مِنْ حَيَاتِهِ ﴿النورى ٥٢﴾ ، وقال تعالى : ﴿فَاقْبَلُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِى أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (سورة ٨) ، وقال تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلِ شَجَرَةٍ فِيهَا فُتُوحٌ لِّلْمُتَّقِينَ لِّلَّذِينَ هُمْ أَجْمَعُونَ لِّلْجَنَّةِ الرَّحْمَةِ كَمَا هِيَ كَوْكَبٌ كَرِيمٌ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَقْدِرُ اللهُ لِخُورِهِ مِنْ نَشَأَ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة ٢٤) ، ونور الله هو القرآن.

وقوله تعالى : ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ معناه : نورٌ مع نورٍ ، فالقرآن نورٌ والرسول نورٌ فصار القرآن نوراً على نورٍ . وقد سَمَى اللهُ نبيَّه سراجاً مبيراً فقال : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاحِجًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَّعَيْنَا إِلَى اللَّهِ يَاقِيهَ وَسِرَاجًا مُبِيرًا﴾ (الاحزاب ٤٠-٤١)

وقول الله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المراد به : الله مُنُورُ السماوات والأرض.

واعلم أن المثل في هذا الموضع أكبر من الممثل به ، وإنما مثل الله للناس بما يعرفون ، وقد تُعْمِلُ العربُ الشيءَ بأصغر منه ، قال الشاعر :

كَأَنَّ قُبَيْرًا فِي عَرَاتَيْنِ وَيْلَهُ

كَبِيرٍ أُنَاسٍ فِي بُجَادٍ مُزْمَلٍ

فمُثِّلَ الحَبِيلُ بِالْإِنْسَانِ انْقَاعِدَ ، وَالْجَبِيلُ أَكْبَرُ مِنَ الْإِنْسَانِ . وقد قيل : المَشْكَاةُ نُكْوَةٌ ، وَأَحْسَبُ أَنَّهَا الْمُحْرَابُ ،

ومثله قول الشاعر:

فرضتُ عليه الخوف حتى كأنما
جعلتُ عليه الأرض مشكاة رُهبانٍ
فدلّ على أن المشكاة الصومعة و المحراب ومثله^(١).

فصل

في الكلام في فضائل القرآن

اعلم أنه لما ثبت أن الله أعظم الأشياء كان كلامه أعظم الكلام^(٢)،
ومعنى قولنا: إن القرآن كلام الله المراد به أنه وحى الله وخلقه
ونزله، وقد سمّاه الله كلاماً حيث يقول: ﴿وَإِنْ لَخَدِّعَاتٌ مِّنَ الْمُتَشَكِّكِينَ
اسْتَعَارَكَ فَلْهِيَ حَتَّى يَسْتَعِجَّ كَلَامُ اللَّهِ﴾ (سورة ١٦)، وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
تَكْلِيمًا﴾ (سورة ١٦٤)، وليس المراد به أنه نطق بالكلام^(٣) كما ينطق ذو
اللسان واللهوات والآلة والأدوات، ولو كان ذلك كذلك لدخل عليه
التشبيه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وقد قدمنا الاحتجاج على
المشبهة (فيما تقدم بما فيه كفاية)^(٤).

واعلم أن حقيقة كلام الله أنه العلم والنعمة والرحمة، قال عزّ من
قائل: ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ السَّغِيرَاتِ لَكُنَّا رُؤُوسَ الْبُحْرِ قَبْلَ أَنْ تَقْدُ

(١) في (ج، س، م): ومثلها

(٢) في (ع): أعظم كلاماً

(٣) في (ص): ينطق بالكلام

(٤) ساقط في (أ)

كَلِمَاتُ رَجُلٍ (الكهف ١٠٩)، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ حَمِيصُ ابْنِ مَرْيَمَ وَجَّهَهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (آل عمران ٤٥).

فصَحَّ أَنْ الْكَلِمَةُ هَاهُنَا هِيَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ (عليه السلام)، وَهُوَ نِعْمَةٌ، وَرَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَالْكَلِمَاتُ أَيْضاً هِيَ الْعِلْمُ وَالنِّعْمَةُ وَالرَّحْمَةُ، فَصَحَّ أَنْ كَلَامَ اللَّهِ خَلْقُهُ وَفِعْلُهُ.

ومِمَّنْ ذَكَرَ فَضَائِلَ الْقُرْآنِ (قوله تعالى) : ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة ١٢٠] ، وقول الله تعالى : ﴿لِئَلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالنَّصْرِ لَنَا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لِكِتَابٍ غَيْرِ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْهَاطِلُ مِنْ شَيْءٍ يَنْتَهِي وَلَا مِنْ خَلْبِهِ نَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ إلى قوله : ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَرَحْمَةٌ وَلِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آفَاهِمٍ وَقُرْوَهِمْ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة ١١-١٤] ، وقوله تعالى : ﴿هَمَّ ۝ نَزَّلَ مِنَ الرُّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّمَا آتَاهُ قُرْآنًا غَيْرِهَا لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ عَنْهُ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [سورة ١-١٤] ، وقال تعالى : ﴿هَمَّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَاءْنَا قُرْآنًا غَيْرِهَا لَكُمْ تَحْلِيلُونَ ۝ وَإِنَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَنَبَأٍ لِّقُلِي حَكِيمٍ﴾ [الرعد ١-١١] ، وقال تعالى : ﴿هَمَّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا فِي قَبْلِكَ مَاءْرِسَكِ إِنَّا صَحَّاءُ مُبْدِينَ ۝ لِيَمَّا يَلْقَى كُلُّ أَمْرِ حَكِيمٍ ۝ أَمَّا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا صَحَّاءُ مُرْسِلَاتٍ ۝ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء ١-١٩]

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ يدلّ على أنه خلقه في قلب الملك الأعلى جملة واحدة، ثم أنزله على نبيه ﷺ مفصلاً شيئاً بعد شيء، وذلك مُجمَع عليه، فسماه الله نوراً وهُدًى وذكراً، وحكمة وموعظة، وبياناً ورحمة، ونعمة وشفاء، وبصائر وفرقاناً، ومعنى اسم الفرقان: أنه اليبس الذي يفرق بين الحق والباطل،

وَيُتَيْنَ الْحَقَّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِيُتَمِّنَ لَهُمُ الَّذِي
لَاخْتَلَفُوا فِيهِ وَلَهُنَّ وَرَثَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سجدة ٢٦].

وفي فضل القرآن ما روي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن
آبائه (عليهم السلام) عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ
إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ هُدْنَةٍ»^(١) عَلَى طَهْرٍ سَعَرٍ، وَإِنَّ السَّيْرَ بِكُمْ سَرِيعٌ، وَقَدْ
رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ كَيْفَ يُبْلِيَانِ كُلَّ حَدِيدٍ، وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ، وَيَأْتِيَانِ
بِكُلِّ مَوْعُودٍ، فَأَعِدُّوا الْجَهَارَ لِعَدِّ الْمُقَمِّمِ». فَقَامَ الْمُقَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ فَقَالَ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا دَارُ الْهُدْنَةِ؟ قَالَ ﷺ: «دَارُ بِلَاءٍ وَانْقِطَاعٍ، فَإِذَا
التَّبَسَّتْ عَلَيْكُمْ الْفِتْرُ كَقِطْعِ اللَّيْلِ امْظَلَمَ عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ شَافِعٌ
مُشَفِّعٌ، وَشَاهِدٌ مُصَدِّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ
خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ، وَهُوَ الدَّلِيلُ عَلَى حَيْرٍ سَبِيلٍ، وَكِتَابُ تَفْصِيلٍ،
وَبَيَانٌ وَتَحْصِيلٌ، وَالْفَصْلُ»^(٢) لَيْسَ بِالنَّهْلِ، لَا لِحَصَى عَجَائِبِهِ، وَلَا تَبْلَى
غَرَائِبِهِ، فِيهِ مَصَائِيحُ الْهُدَى، وَمَسَارَاتُ الْحِكْمَةِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ
لِمَنْ عَرَفَ الطَّرِيقَ، فَلْيُولِجْ رَجُلٌ بَصْرَهُ»^(٣)، وَلْيُبْلِغِ الطَّرِيقَةَ نَظْرَهُ، يَنْجُ
مِنْ غَطْلٍ، وَيَتَخَلَّصَ مِنْ تَشْبِيرٍ، وَبِإِنْ التَّفَكُّرَ حَيَاةَ قَلْبِهِ الْبَصِيرِ كَمَا
يَمْشِي الْمُسْتَتِيرُ فِي الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ بِحَسَنِ تَخَلُّصٍ وَقِلَّةِ تَرَبُّصٍ». وَعَنْ
النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَا حَامِلَ الْقُرْآنِ تَوَاضَعْ لِلَّهِ يَرْفَعَكَ اللَّهُ، وَلَا تَعَزَّزْ
فَيُذَلِّكَ اللَّهُ، وَتَزَيِّنْ لِلَّهِ فَيُزَيِّتُكَ اللَّهُ، وَلَا تَزَيِّنْ لِلنَّاسِ فَيُضَعِّكَ اللَّهُ،
[إِنَّا]»^(٤) اللَّهُ أَفْضَلُ لَكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ دُونَ اللَّهِ، مَنْ وَقَرَ الْقُرْآنَ فَقَدْ

(١) في (س، ط) في دار هُدْنَةٍ

(٢) في (ع): هُوَ الْمَصْلُ

(٣) في (هـ، د، ي) - فليُولِجِ الرجلُ بصره

(٤) زيادة في (ج، ل)

وَقَرَّ اللَّهُ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِحَقِّ لِقْرَانٍ فَقَدْ اسْتَخَفَّ بِحَقِّ اللَّهِ، وَحَرَمَةَ الْقُرْآنِ عِنْدَ اللَّهِ كَحَرَمَةِ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ، وَحَمَلَةَ الْقُرْآنِ يُدْعَوْنَ فِي التَّوْرَةِ الْمَخْصُوصِينَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ مُتَلَبِّسِينَ نُورِ اللَّهِ^(١)، الْمُعَلِّمِينَ كَلَامَ اللَّهِ، مِنْ وَالَاهُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهَ، وَمَنْ عَادَاهُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّهَ، يَدْفَعُ عَنْ مَسْتَمِعِ الْقُرْآنِ بِلَوَى الدُّبَا، وَيَدْفَعُ عَنْ تَالِي الْقُرْآنِ بِلَوَى الْآحِرَةِ.

وَعَنْ ابْنِ أَبِي أَوْسَى قَالَ: قَامَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: «عَمَلُ الْحَالِ الْمُرْتَجِلِ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْحَالُ الْمُرْتَجِلُ؟ قَالَ: «صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَصْرِبُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، وَمَنْ آخَرَهُ إِلَى أَوَّلِهِ كُلَّمَا حُلُّ أَرْتَحِلُ».

وَرَوَى عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنِ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ﷺ قَالَ: حَطَبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: الْحَقُّ طَرِيقُ الْحَيَّةِ، وَالْبَاطِلُ طَرِيقُ النَّارِ، وَعَلَى كُلِّ طَرِيقٍ دَاعٍ يَدْعُو إِلَى طَرِيقَتِهِ، فَمَنْ أَجَابَ دَاعِيَ الْحَقِّ أَذَاهُ إِلَى الْحَيَّةِ، وَمَنْ أَجَابَ دَاعِيَ الْبَاطِلِ أَذَاهُ إِلَى النَّارِ، أَلَا وَإِنْ دَاعِيَ الْحَقِّ كَتَبَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرَ مَا قَبْلَكُمْ، وَبِأَمَّا بَعْدُكُمْ، مَنْ عَمِلَ بِهِ أَجْرًا، وَمَنْ خَالَفَهُ دُحْرًا، أَلَا وَإِنْ الدَّاعِيَ إِلَى الْبَاطِلِ عَدُوَّكُمْ الَّذِي أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْحَيَّةِ يَرْعَ عَنْهُمَا لِبَسْهُمَا لِيَرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ، أَلَا فَاغْصُوا عَدُوَّكُمْ، وَأَطِيعُوا رَبَّكُمْ، وَمَنْ أَحَقُّ بِكُمْ مِنْ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ.

وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ بِخِلَافِ كَلَامِ النَّاسِ: أَنَّ كَلَامَ النَّاسِ

(١) في (ب)، المتلبسين بنور الله

إذا رُدَّدَ وأعيدَ مراراً سَمُجَ ومُلَّ، وإذا أُعيدَ القرآن ورُدَّدَ ازداد حلاوةً وعذوبةً وحسنًا ولذَّةً عند المؤمنين، وقد قال فيه بعض الحكماء:

يزداد في طول التلاوة جِدَّةُ

ومتى يُعَدَّ شَيْءٌ سِوَاهُ يُخْلَقُ

ومما يدل على كمال القرآن وأن فيه كل ما يحتاج إليه الإنسان من الهدى والحق والبرهان أن جميع الأمة تستمد منه وتحتج به، وأن من حسن نظره وتمييزه يجد فيه كل ما طلب؛ ويُؤيد ذلك قول الله تعالى:

﴿مَا فُرِطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الاسم ٣٨]

ومما يدل على أن في القرآن كل ما يحتاجه الإنسان من الهدى والحق والبرهان ما روي عن أبي هاشم الرماني قال: طلب زيد بن علي عليهما السلام من أخيه أبي جعفر كتاباً، فأعمل عنه أبو جعفر (عليه السلام) ثم ذكره، فأخرج إليه (عليه السلام) الكتاب، فقال له زيد بن علي عليهما السلام: قد وجدت ما أردته من في القرآن. فقال له أبو جعفر: فأسألك؟ قال زيد: نعم (١) إسال عما أحبت. قال أبو هاشم: فافتتح أبو جعفر الكتاب وجعل يسأله وزيد يجيبه بجواب علي (عليه السلام) كما في الكتاب. فقال له أبو جعفر: بأبي أنت وأمي يا أخي أنت والله نسيج وحدك، بركة الله على أم ولدتك، لقد أنجبت حين أتت بك شبيه آبائك صلوات الله عليهم.

فصح أن في القرآن كل ما يحتاج إليه الإنسان من الهدى والبرهان.

(١) زيادة في (ش، ص)

(٢) في (ص): فأخرج عليه. وفي (ع): فأخرج له

(٣) في (ب، ص، ع): فقال: نعم

فصل

فی الكلام فی معانی القرآن

اعلم أن القرآن على أفنان: فمنه المُحْكَم، ومنه المُتَشَابِه، ومنه النَّاسِخ، ومنه الْمُنْسُوخ، ومنه الْمُجْمَل، ومنه الْمَفْسَّر، ومنه مَا هُوَ فِي مَخْرَجِهِ عَامٌ وَفِي مَعْنَاهُ خَاصٌ، ومنه الْخَاصُّ، ومنه الْعَامُّ، ومنه مَا يَوْجِبُ الْعِلْمَ، ومنه مَا يَوْجِبُ الْعَمَلَ، ومنه (مَا هُوَ) مُحَذَفٌ أَجْوَابٌ، ومنه مَعْهُومُ الْخُطَابِ، ومنه الْقِصَصُ وَالْأَحْبَارُ وَالْأَمْثَالُ، ومنه الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، ومنه الْمَوَاعِظُ وَالزَّحَرُ، وَالتَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيبُ، وَفِيهِ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

فَالْمُحْكَمُ هُوَ الْجَلِيُّ الْبَيِّنُ الَّذِي يَكُونُ تَأْوِيلُهُ مُوَافِقاً لِتَرْجُمَتِهِ، وَهُوَ الْأَكْثَرُ وَالْمَعْمُولُ عَلَيْهِ وَالْأَحْسَنُ، وَهُوَ أَصْلُ الْكِتَابِ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ، وَالَّذِي وَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَيْهِ.

وَالْمُتَشَابِهُ هُوَ مَا كَانَ عَامِضاً، وَكَانَ تَأْوِيلُهُ بِخِلَافِ ظَاهِرِهِ، وَكَانَ مُشْكِلاً عَلَى مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ، وَلِمْتَشَابِهِ (هُوَ) ^(١) مَا كَانَ يَحْتَمِلُ الْوُجُوهَ، وَلَا يُعْرَفُ الْمُرَادُ بِظَاهِرِهِ. وَالْمُحْكَمُ مَا لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا، وَيُعْرَفُ الْمُرَادُ بِظَاهِرِهِ.

وَالْعِلَّةُ فِي الْمُتَشَابِهِ الْبَلِيَّةُ وَالْإِمْتِحَانُ لِأَهْلِ الْعُقُولِ السَّنِيَّةِ ^(٢)،

(١) رِيَادَةُ فِي (هـ، ل، م)

(٢) سَاقَطَ فِي (ع، ش، ب).

(٣) فِي (ش) الْبَيْتَةُ وَهِيَ حَطَا

وهو مردود إلى المحكم، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَقُمْ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران ٧] ،
 فبين الله تعالى أن الكتاب، منه المحكم والمتشابه^(١)، وأخبر أن المحكم هو الأصل المعمول عليه؛ لأن أم الشيء أصله، ولذلك سُميت والدة الإنسان اله^(٢) أمًا، وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقْبِلْ عَلَى الْقَوْمِ لِيَخْلُقُوا هُمُومًا﴾ [سورة هود ٦١] ،
 يعني مكة لأنها أصل القرى؛ لأن جميع القرى تفرعت منها، ويؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِمَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران ٩٦] ، فصح أن المحكم أصل الكتاب، وأنه المعمول عليه ثم دم من يتبع المتشابه فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران ٧] يريد بالفتنة المجادلة للحق ولأهله.

والاستدلال بالمتشابه^(٣) كقول الله تعالى: ﴿وَنُوحًا يَوْمَ عَلِيٍّ دَاخِرَةً ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [البقرة ٢٢٠، ٢٢١] ، وقوله: ﴿وَأَمِمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة ١٦] ، وقوله: ﴿وَلَنْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة ٢١٠] ، وقوله: ﴿وَجَاءَ رُكُوكُكَ وَالْمَلَكُ مَعًا﴾ [البقرة ٢٢] ، وقوله علا وعز: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه ٥] ، وقوله: ﴿وَيَقْبَلُ عَذَابَ رُكُوكُكَ فَوْتَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً﴾ [البقرة ١٧] ، وقوله: ﴿يَقْبَلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة ٩٢] ،

(١) في (ع، ل، م) والمتشابه منه.

(٢) زيادة في (س، ع، م).

(٣) في (ص): والاستدلال بمتشابهه.

وقوله: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد ١٦]، وأمثال ذلك، فهذه الآيات متشابهات، وقد اتبعتها المشبهة والمجسمة^(١).

وفي أصل الكتاب المحكم المجمع عليه ما يدل على أن تأويل هذه الآيات غير ظاهرها، وهو قوله تعالى: ﴿تَسْكُنُ فِيهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالَّذِينَ فِيهَا يُحْيِي وَتُمِيتُ﴾ [النور ١١]، وقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام ١٠٣]، وقد بينا هذا، وفسرناه في باب حقيقة معرفة التوحيد بما فيه كفاية

وتأويل قول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ المراد به: يظلل من الغمام، وقد قال الله تعالى -حاكياً عن فرعون: ﴿وَلَا صَلَاتُكُمْ فِي مَجْنُوعِ النَّعْلِ﴾ [عب ٧١] المراد به: على جدوع النخل، ومثل هذا موجود في لغة العرب وكذلك قوله: ﴿وَحَاءَ وَكَأَ﴾ المراد به: وحاء امر ربك، والملك، وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ المراد به: على الملك اقتدر.

وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعَتَيْنِ﴾ [ص ١١] المراد به: ثم اقتدر على السماء؛ والقول من الله هو الفعل، لا غير، والقول من السماء والأرض هو الإذعان لله والذلة له^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ لَوْ هُمْ يَفْقَهُونَ ثَمَانِيَةَ أَصْنَافٍ مِنْ الثَّانِيَةِ﴾ [ص ١٧] المراد به: والله أعلم: ويتولى ملك ربك يوم لقيامه ثمانية أصناف من الملائكة،

(١) في (ع، ب، د) وقد تبعها المشبهة وفي (ش)، وقد اتبعتها المشبهة

(٢) زيادة في (ع)

ولأنهم خزنة الجنة وخزنة النار، وقد قال الله تعالى في خزنة النار: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَنْهُمْ إِلَّا ذِيئَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَوِيَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَرَدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْكَبَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُحِيلُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَقْلُمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا طَوًى وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلنَّاسِ [سدر ٣٠، ٣١]، وصح^(١) أن الثمانية والتسعة عشر الأصناف^(٢) كما ذكرنا لقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَقْلُمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا طَوًى﴾ [السدر ٣١].

واعلم: أن من الكتاب ما لم يُطْلِع الله على علمه أحداً مثل قوله تعالى: ﴿الْم﴾، وقوله: ﴿الْمِص﴾، و﴿المر﴾، و﴿الر﴾، و﴿كليم﴾، و﴿طه﴾، و﴿يوسف﴾، و﴿حم﴾، و﴿حم صق﴾، وأمثال ذلك، فإن هذه الحروف لم يُطْلِع على علمها أحدٌ من الناس^(٣)، ولو أعلم الله بها شيء، لا أعلم بها النبي ﷺ أمته.

وقد مدح الله تعالى الراسخين في العلم فسماهم بالرسوخ، فقال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [ال عمران ٧]، وقال الله تعالى للملائكة صلوات الله عليهم: ﴿أَتَدْعُونَ بِلِسَانٍ هَؤُلَاءِ لِنَكُفُّكُمْ مَا دَقَّقْتُمْ ۚ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [السدر ٣٦، ٣٧]،

(١) في (س): لصح

(٢) المراد بالثمانية، والتسعة عشر - المذكورين في الآيتين - الأصناف، يعني ثمانية أصنافاً، وتسعة عشر صنفاً لا أن المراد أعداد الأعداد على معنى ثمانية ملائكة وتسعة عشر ملكاً، والله أعلم، وهذا على ما ظهر من كلام المؤلف رحمه الله.

(٣) في (س، ط، ع): لم يطلع الله على علمها أحداً

فصح أن في الكتاب ما أخفى الله على الناس تفسيره، تعجيزاً للعباد، وامتحاناً لأهل الاجتهاد.

واعلم أن تفسير غامض القرآن يخرج على ثلاثة وجوه:

فمنه ما فسره رسول الله ﷺ وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿وَكَلِّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] وأمثال ذلك، فإن هذا الأمر من الله تعالى ورد مجملاً، وفسره رسول الله ﷺ.

ومنه ما يستنبطه الأئمة، ويفسره الأئمة (العلماء) ^(١) الاتقياء، قال الله تعالى: ﴿وَكُذِّبُوا إِلَى الرُّسُولِ وَالَّذِي أُولِيَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَخْبِطُونَ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ٨٢]

ومنه ما يرجع فيه إلى أهل البعثة، وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿لَمَّا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] فهذا، للفظ لفظ التعصب، والله تعالى يجلّ من أن يتعجب؛ لأنه لا يتعجب من شيء إلا من يجهل وقوعه، أو كان عاجزاً عن فعل مثله؛ فهذا معناه. فما اضطربهم على النار، وليس بتعجب، قال الشاعر:

قلتُ لها أصْبِرْ هذا بنا ^(٢)

أمثال سظام بن قيس قليل ^(٣)

(١) ساقط في (ب، ع، د)

(٢) في (شر) - قلب لها. أصبرها دائماً

(٣) قوله: (أصبر): أفعل، كأكرم، ومعناه اضطرب هذا الشخص بما والتجأ إليها لعدم وجود أمثال بسظام تمت

فصل

في الكلام في النسخ والمنسوخ

اعلم أن في الكتاب ناسخاً ومنسوخاً؛ فالمنسوخ ما نُسخَ حكمه ولم يُنسخ حفظه وكتابته وتلاوته، والأمة مجمعة على ذلك، إلا فرقة ممن لا يعمل على قولها^(١) ومن المنسوخ ما نُسخ وجوبه وحُرم فعله، كالتوجه بالصلاة إلى بيت المقدس.

ومن المنسوخ ما نُسخ وجوبه وبقي جوازه، كصوم يوم عاشوراء ومن الدليل على أن في الكتاب^(٢) ناسخاً ومنسوخاً قول الله تعالى: ﴿مَا تَصَخَّ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِيَهَا نَآتٍ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ يَتْلَاهَا﴾^(٣) وفي هذه الآية تقديم وتأخير أراد: ما نسخ من آية نأت بخير منها، أو مثلها، أو نسيتها فلا تنسخها^(٤)، وقرئ هذا على حالها، وقد قال الله تعالى: ﴿يَتْلُوهُ مَا يَشَاءُ وَيُتْلَاهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٥)، وأم الكتاب هو أصله^(٦) وهو المحكم، وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه سمع رجلاً يعظ الناس ويقص عليهم، فقال له: هل علمت ناسخ القرآن ومنسوخه؟ قال: لا قال (عليه السلام): هلك وأهلك

وسبب النسخ والمنسوخ ضعف لإسلام في مبتدئه وقوته في منتهاه، وتخفيف من الله ورحمة للمؤمنين.

(١) في (أ): على قوله.

(٢) في (ع): في القرآن.

(٣) في (د، هـ): ولا تنسها

(٤) في (م، هـ، ي): هي أصله

(٥) في (ش): قال له.

فأول ما تُسَخَّ القبلَةُ، وذلك أن الكعبة كانت قبلَةَ النبي ﷺ قبل أن يهاجر إلى المدينة، وكانت قبلَةَ أبيه إبراهيم (عليه السلام) والأبياء (عليهم السلام) من قبله فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وكان أهلها لا يعرفون قبلَةَ إلا بيت المقدس، وكان الإسلام عرياً، فأمر الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَهُنَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، فصلى ﷺ إلى بيت المقدس - على ما روي - ستة عشر شهراً، وقيل: سبعة عشر، فلما تقوى الإسلام، وتوقع ﷺ (١) الوحي من ربه، وانتظر خبر جبريل صلى الله عليه وسلم يزل به، فأمر الله تعالى: ﴿قَدْ تَرَى قُلُوبَهُمْ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلْتُوَلُّهُمْ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤] أي نحو:

ومما نسخ قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ [النساء: ٨] نسختها آية الموارث

ومما نسخ قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُطْعَمُونَ قُلِ الْغَنَى﴾ [البقرة: ٢١٩] يريد: الرائد على كفايتهم نسختها آية الزكاة

ومما نسخ قول الله تعالى: ﴿حُكِّبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا حُكِّبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣]، فكانوا لا يأكلون بالليل بعد الرقاد، ولا يشربون، ولا يُحَامَعُونَ، فنسخ ذلك قول الله تعالى: ﴿أَجِزْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ

(١) في (ص، ع): توقع ﷺ

لَكُمْ وَكُلُّوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ لَحِيطُ الْأَبْيَضِ مِنَ الْحِيطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْقَمَرِ» (البقرة ١٨٧). معنى قوله : «وَابْتَغُوا مَا حَكَّابَ اللَّهُ لَكُمْ» يريد : ابتغوا الولد، وروى عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن تفسير الحيط الأبيض من الحيط الأسود فقال : «الليل والنهار».

ومما نسخ : نكاح المتعة، وهو قول الله تعالى : «فَمَا اسْتَعْتَمْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً» (النساء ١٠) نسخها قول الله تعالى : «وَالْيَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ بَلَغْنَ وَأُخْضُوا ثَلَاثَةً» (النساء ١١) وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه اعتمر فشكا إليه الناس العزبة، فقال : «استمتعوا من هذه النساء، واحملوا الأهل ببيكم ويسهن ثلاثة أيام» فلما كان اليوم الثالث أو الرابع من قوله خرج رسول الله ﷺ حتى وقف بين الركن والمقام، وأسد طهره إلى الكعبة ثم قال : «يا أيها الناس إني كنت قد أمرتكم بالاستمتاع، ألا وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليحل مسيلها، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا».

وروي أنه قال في آخر كلامه : «متاع النساء حرام، متعة النساء حرام» قال ذلك ثلاث مرات.

وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه مرّ بعبد الله بن العباس وهو يفتي بنكاح المتعة، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : «قد نهى رسول الله ﷺ عنها، وعن لحوم الحمر الأهلية».

والأمة مجمعة على تحريم المتعة، إلا الإمامية فإنهم يرونها.

ومما نسخ قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْ تَلْعَنُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُمْ غِنًى﴾ [البقرة: ٢٢٩] وهذا في المحتلعة. وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ إِحْسَانُ قِطَارًا فَلَا تَلْعَنُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَلْعَنُونَهُ يَوْمَآ وَآلْتُمَا مِثْلًا﴾ [البقرة: ٢٣٠] نسخه قول الله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَنْ حَقَّمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. وروى أن أول مختلعة في الإسلام حبيبة بنت سهل كانت عند ثابت بن قيس بن شمس، فأتى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، لا أنا ولا ثابت، فقد لها النبي ﷺ: «أَفْتَرُدِّينَ عَلَيْهِ مَا أَخَذْتَ مِنْهُ؟» قالت: نعم - وكان ثوب تزوجها على حديقة من محل - فقال ثابت: هل يطيب ذلك لي يا رسول الله؟ قال: «نعم»، وأمره رسول الله ﷺ بطلاقها.

ومما نسخ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لَأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْخُرُوجِ فَإِنْ خَرَجْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَقْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٠] كانت^(١) عدة المتوفى عنها زوجها سنة، وكانت لها الوصية، ولم يكن لها ميراث، فنسخت^(٢) العدة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَكْنَهَا بِأَنْفُسِهِمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]. وسبب العدة إظهار الحزن على صاحبها وتوقع الولد منه، وهو في هذه^(٣) مدة يتبين الحمل إن كان وقد قيل: إنه يكون في أربعين يوماً نظمة، وفي أربعين يوماً علقمة، وفي أربعين يوماً مضعة، فإذا بلغ أربعة أشهر وعشراً صار عظماً، ولم يخف

(١) في (ب، ص، ش، ع): كان. وفي (أ): حكمت

(٢) في (ج، ه، د): مسح قدر العدة

(٣) في (ص، ه): وهي في هذه المدة

كونه^(١) ولا يفسأ وجوده، ونسخت الوصية له بآية المواريث؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ الرِّغَمُ مِمَّا تَرَكَخُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّنُنُ﴾ [النساء: ١٢].

ومما نسخ قول الله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَأْتِيَنَّ الْعِلْمَ مِنْ بَنِيكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ أَزْوَجةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَنصِبُوا فِي الثُّبُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَخْلُ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [البقرة: ١٥٠] نسخه قول الله تعالى: ﴿الرَّايَةُ وَالزَّايِي فَلَاخِلُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِآيَةِ خُلَّةٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]. وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حدوهم واقلوهم»^(٢) قد جعل الله لهم سبيلاً: البكر بالبكر جلد مائة ونفي عام، والثيب بالثيب الرّحم».

ومما نسخ قول الله تعالى في أهل الذمّة: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَلَاخُكُم بِبَنِيهِمْ أَوْ أَهْرَاضَ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] نسخه قول الله تعالى: ﴿وَأَنْ لَحُكُم بِبَنِيهِمْ بِمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

ومما نسخ قول الله تعالى: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا إِذَا قَاتَيْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢] نسخه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنَ بِتَحْكُمِكُمْ بَعَثْنَا لِقَوْمِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ومما نسخ حج المشركين، وفي ذلك ما يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْلُوبُوا أَمْلَأَ اللَّهِ وَلَا الشُّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمْثَلَ ذَلِكَ الْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] نسخه الله بقوله: ﴿إِنَّمَا تَشْرِكُونَ بِمَنِّ فَلَا تَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَاهِهِمْ هَذَا﴾ [البقرة: ٢٣٨].

(١) في (س، ي، ل): ولا يفسأ كونه

(٢) في (ش، ج، ع): حدوهم، واقلوهم.

(٣) في (ش، ب): نسخ بقوله تعالى.

ومما نسخ قول الله تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ الْيَهُودُ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمْ عَلَيْهِمْ بِجُنَاحٍ﴾ [النساء: ١٠٤]، وقوله: ﴿أَلَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَبِّحٍ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقوله: ﴿فَاذْكُفْ عَنْهُمْ وَأَصْلَحْ﴾ [البقرة: ١٣٠]، فكانت هذه الآيات وما شاكلها برلت على النبي ﷺ قبل الهجرة، فلما هاجر أمره الله بالجهاد، ونسخ الآيات هذه بقوله تعالى: ﴿أَذِينَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّبِينٍ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ السَّوَابِغُ وَبِيعَ الصَّلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَعْبَرُنَّ اللَّهُ مَنْ يَعْبُرُهَا إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [البقرة: ١٩٠-١٩٩]، وقوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ رَأَوْا غَلظَ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٩٣]

ومما نسخ قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ [البقرة: ١٩٢] نسخها الله بقوله: ﴿اهْجِرُوا جُفَاءً وَقِتَالًا﴾ [البقرة: ١٩١].

واعلم أن سورة براءة نسخت كل عقد - كان بين المؤمنين والمخاريين - وذمة، وصلاح، وشرط، ونسخت الصلح الذي كان في الأشهر الحرم، وفي مكة لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْعَوْا فِي حَقِّهِ عَلَىٰ الْأَنفُسِ الَّتِي كُفِّرْتُمْ مِنْهُ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَاهَرُوا بِغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْصُرُوهُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْهِمْ لَعَنَّا قَاتِلُوا إِلَهُهُمْ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ مُلْكِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُغِيثُ الْمُضْطَرِّينَ﴾ [البقرة: ١٩١].

ومما نسخ قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْحَقُوا بِكُم مِّنَ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: ١٢٩]، ﴿وَأُولَٰئِكَ يَلْحَقُوا بِكُم مِّنَ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: ١٣٠]، ﴿وَأُولَٰئِكَ يَلْحَقُوا بِكُم مِّنَ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: ١٣١]، ﴿وَأُولَٰئِكَ يَلْحَقُوا بِكُم مِّنَ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، ﴿وَأُولَٰئِكَ يَلْحَقُوا بِكُم مِّنَ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، ﴿وَأُولَٰئِكَ يَلْحَقُوا بِكُم مِّنَ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: ١٣٤]، ﴿وَأُولَٰئِكَ يَلْحَقُوا بِكُم مِّنَ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: ١٣٥]، ﴿وَأُولَٰئِكَ يَلْحَقُوا بِكُم مِّنَ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، ﴿وَأُولَٰئِكَ يَلْحَقُوا بِكُم مِّنَ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: ١٣٧]، ﴿وَأُولَٰئِكَ يَلْحَقُوا بِكُم مِّنَ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، ﴿وَأُولَٰئِكَ يَلْحَقُوا بِكُم مِّنَ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: ١٣٩]، ﴿وَأُولَٰئِكَ يَلْحَقُوا بِكُم مِّنَ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: ١٤٠].

ومما نسخ فرض الوصية للوالدين و لأقربين ، وذلك قول الله تعالى :
 ﴿صَكَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ
 وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَتَّى عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة النساء ١٨٠] نسخه الله بأية المواريث.
 وعلى هذا يحمل قول رسول الله ﷺ في حجة الوداع : «ألا لا وصية
 لوارث» ، قد نسخ الله ذلك بأية المواريث» وهذا مما نسخ وحوه وبقي
 جواره ، يؤيد ذلك^(١) قول الله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّمَا أَوْتَيْنَاكُمْ
 مَقْرُوفًا﴾ [الأعراف ١٦].

ومما نسخ التغليب في النهي عن محالطة اليتامى في البفقة والأكل
 معهم ، وذلك قول الله تعالى : ﴿لِئَلَّا يَتَّبِعُوا أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا
 يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ثَأْرًا وَمَسْمُونًا سَهْرًا﴾ [النساء ١٠٤] روي أنه لما نزلت هذه
 الآية امتنع المسلمون^(٢) من قبول الوصاية في اليتامى وأن يكفلوهم ،
 ونحرحوا من محالطتهم ، فسبح الله هذا التغليب بقوله تعالى : ﴿وَتَسْأَلُونَكَ
 عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَلْيَفْرَأُواكُمُ وَاللَّهُ يَفْطِنُ الْفَاسِقِينَ
 الْمُصْلِحِ وَكَوْشَاءَ اللَّهِ لَاَعْصِمُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة النساء ٦] يقول : لو شاء
 لضيق عليكم. وقال تعالى : ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا
 فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء ٩] المراد به والله أعلم : أن من كان غنيا^(٣) عن
 المخالطة لهم والأكل معهم ، فليستعفف عن المخالطة لهم والأكل
 معهم ، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ، أي ومن كان فقيرا إلى ذلك

(١) في (أ، ص) ويؤيد ذلك

(٢) في (س، م، ع). امتنع المؤمنون.

(٣) في (ب، ت، ص، ع) أنه من كان غنيا

فَلْيُخَالِطَهُمْ، وَلْيَأْكُلْ مَعَهُمْ، وَلَا يَتَعَمَّدِ الظُّلَمَ لَهُمْ، وَالْآ^(١) النَّقْصَ لَهُمْ فِي مَالِهِمْ.

وقد اختلف في هذه الآية، فمر الناس من حملها على ظاهرها، وأجار للوصي الأكل من مال اليتيم إذا كان الوصي فقيراً، وأن يُنفق منه على نفسه ومن تلزمه نفقته. ومن الناس من قال: يتناول منه مثل ما يتناول المضارب من المضارب له^(٢) على سبيل الأجرة

وعندنا أن ذلك لا يجوز لقول الله تعالى: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْعُرْوَةِ﴾ ومن المعروف أن يُخرج الوصي لليتيم من ماله مثل ما يُخرج لثله من أولاده ثم يخلطه في نفقة أولاده؛ ويؤاسيه بأولاده^(٣)، ولا ينقصه في ماله ولا في نفقته، فهذا هو المعروف بأن يؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَتْلُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة النمل: ٢٨]

ومما نسخ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَلَمَّعْتُمُ الرُّسُولَ فَدْتُمُوهُنَّ يَدَيْ نَعْوَاصِكُمْ صَدَقَةٌ فَذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ لِّإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ تَطَّوَّرَ وَحِيمٌ﴾ [الاحزاب: ١٢]، وسبب نزول هذه الآية أن المسلمين أكثروا النحوى حتى أضرب ذلك برسول الله ﷺ، فأراد الله أن يخفف عنه، فأنزل هذه الآية، فامتنع كثير من الناس من لمساواة. وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (إن في كتاب الله لآية وفرضاً ما عمل بهما أحدٌ غيبي،

(١) زيادة في (ب، هـ، ج، ع، ص، م).

(٢) في (ب، ص، ط، ع). من مال المضاربة

(٣) في (ط، ن) - ويؤاسيه بأولاده.

ولا يعمل بهما أحدٌ بعدي : لما أنزل الله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا فُلِجْتُمُ الرُّسُولَ فَخُذُوا بِحَبْلِ يَدَيْهِ دَعْوَاكُمْ مَدَّةً فَبِذَلِكَ يُخَيَّرُ لَكُمْ وَأَظْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٢٠] كان معي دينار فصرفته ، فكنت كلما أردت أن أتأجي رسول الله ﷺ تصدقت بدينارهم ، فلم يفرغ الدينار حتى نسخت الآية الكريمة).

فنسختها الله بقوله : ﴿وَأَشَقُّنَا أَنْ نُفَلِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ دَعْوَاكُمْ مَدَّةً فَإِذَا لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٢٠] فأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خيرٌ بما تعملون﴾ [البقرة: ١٢٠].

ومما نسخ قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ أَفَمَنْ أَتَى عَلَى الْكَلْبِ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَهُوَ أَوْحَشُ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْدَعَ عَلَيْهِ وَزَلَّ الْقُرْآنُ نَزِيلًا﴾ [الزمل: ١-٣].

وروي أن أول هذه السورة نزل على النبي ﷺ بمكة ، وأنه أمر من الله تعالى بتأخير صلاة العشاء الآخرة ، فعمل به رسول الله ﷺ ، والمؤمنون إلى أن نزل آخر السورة في المدينة بعد ستة أشهر ، فنسخ الله ذلك بقوله : ﴿إِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ كِلَاهُمُ أَكْثَرُ فَهُوَ أَحَقُّ مِنْ تَلْفِ الْكَلْبِ وَهُوَ أَحَقُّ مِنْ الْكَلْبِ وَهُوَ أَحَقُّ مِنَ الْكَلْبِ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِيمٌ أَنْ لَنْ تُخْصَوْا فَبَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تَسْرِبُونَ الْقُرْآنَ...﴾ إلى آخر السورة [الزمل: ٢٠].

ومما نسخ قول الله تعالى : ﴿وَلَيْسَتِ الْعَرَبُ لِلَّذِينَ آمَنُوا سِتًّا حَتَّى إِذَا فَخَّرْتُمُوهُمْ كَأَنَّكُمْ كُنتُمْ عَلَيْهِمْ هَادِي السَّبِيلِ كَذَّبْتُمْ عَنْهُمْ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِكَ كَكِبَرِهِمْ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ عَلَىٰ ذَرِّيَّتِكُمْ أَشَدُّ بَصِيرَةً﴾ [البقرة: ١٨٠] ، نسختها الله بقوله : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَرْفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ لَا تَقْبَلُوا مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ الْكُفْرَ حَقِيقًا إِنَّهُ هُوَ الْفُورُ الرَّحِيمُ ۝﴾

وَأَيُّهَا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْخُذَ بِكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١٥١﴾ [الزمر: ١٥١] ، وهذا بشرط التوبة لقوله : ﴿وَأَيُّهَا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْخُذَ بِكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾. ومن شروط التوبة الخروج من حق آدميين.

وَمَا نُسَخِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَأْتُوا مِائَتِينَ﴾^(١٦٥)،
وَلَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَأْتُوا آلَافًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا أَيُّهَا قَوْمَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٦٥﴾،
فَسَخَّ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿الْآنَ خَلَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَحَلِمَ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ عَنْهَا لِأَن
يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَأْتُوا مِائَتَيْنِ وَلَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَأْتُوا أَلْفَيْنِ يَذُنِ اللَّهُ وَاللَّهُ
مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١٦٦)، فَهَذَا مَا جَاءَ فِي النَّاسِخِ وَالْمَسْخُوحِ.

ومن الكتاب مخمّن، ومنه مفسّر للمجمل، من ذلك^(١) قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: ١٧١)، فهذا مجمل ظاهره يوجب أن ذبيحة الباسي للتسمية، والصبي الذي لم يبلغ^(٢) لا تحور، ثم فسره الله بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْذَّمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْجَعَةُ وَالْمُزَكَّاةُ وَالْمُرْتَوِذَةُ وَالطَّرِيقَةُ وَمَا أَكَلَ السَّمْعُ إِلَّا مَا ذَكَّنْتُمْ وَمَا فَهِجَ عَلَى الْتَّسْمِيَةِ﴾ (البقرة: ١٧٢)، فيبين أن المراد بالآية الأولى أن النهي إنما ورد عن أكل ما أهل به لغير الله.

ومن الحمل أيضاً قول الله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أُخَوِّدُ لَكُمْ الْعِثَامَ وَطَقَامَ الدِّهْنِ
أَوْتُوا الْكِتَابَ جَلَّ لَكُمْ وَطَقَامُكُمْ جَلَّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمَرْمَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ
الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَوْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنَاتٍ حَقِيرٍ مُسَاهِفَاتٍ

(١) في (ث): ومن ذلك.

(٦) في (ع): الذي لا يبلغ

وَلَا تُعْجِزِي لَهْدَانِ وَمَنْ يَكْثُرْ بِالْإِيمَانِ قَدْ خِطَّ صَبْلُهُ وَلَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
 الْخَاسِرِينَ ﴿[البقرة: ١٧٧]﴾، ثم فسر الله هذا^(١) فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا الْمُشْرِكِينَ﴾
 حَتَّى يُزَيِّنَ ﴿[البقرة: ١٧٧]﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ فَجَسٌ﴾ [البقرة: ٢٨]، وقال
 تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَصِلُوا غَشْوَى وَعَشْرُكُمْ أَوْلَىاءَ تَلْفُونَ إِلَهُكُمْ بِالْهَوَىِّ
 وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [سورة: ١١]، فبين أن المراد بالآية الأولى:
 مَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ويُؤيد ذلك^(٢) قول الله تعالى: ﴿وَلَنْ مِنْ أَهْلِ
 الْكِتَابِ لَمَنْ يُزَيِّنْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ خَائِضِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ
 بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

ومن متشابه الكتاب قول الله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الْمَالَ وَالْأَهْلَ سَكْرَى
 حَتَّى تَعْلَمُوا مَا قُولُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وقوله: ﴿تَصِفُونَ بِنْتِ سَكْرٍ وَرِزْقًا
 حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ لِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ
 وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِذَا تَمَسَّ أَحَدُكُمُ مِنْهُمَا فَقُلْ إِنَّمَا هُوَ خَمْرٌ أَوْ مَيْسِرٌ ثُمَّ يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى تَحْرِيمَ
 الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ بِآيَةٍ مُحْكَمَةٍ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ
 وَالْمَيْسِرُ وَالْأَهْوَاءُ وَالْأَكْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَلَا تَجْنِبُوا لَعَلَّكُمْ
 تَلْحَقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فبين الله تعالى بهذه الآية تحريم الخمر والميسر.

وقد قال غيرنا: إن الآيات الأربعة تُوجب الترخيص، وقد نُسخ
 الترخيص بهذه الآية، وهي ناسخة له.

وعندنا أنه لم يكن في الخمر والميسر ترخيص؛ لأن الله تعالى لم
 يكن لينعم على عباده بالعقول، ويجعلها أكبر حجة عليهم ثم يحل

(١) في (ع) هذه

(٢) في (ص): يؤيد ذلك

لهم فعل شيء يفسد عليهم عقولهم ويحمل قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، على سكر النوم. ويمكن أيضاً أن يكون هذا النهي نزل في أول الإسلام في وقت ضعفه^(١)، فلما تمكس الإسلام نهى عنه قطعاً وعزماً لأن رسول الله ﷺ يوم دخل المدينة مهاجراً لو أمر أهل المدينة بكل المروض لثقل ذلك عليهم ولا تمتنع أكثرهم عن الدخول في الإسلام؛ ولتسهيله عليهم الدخول في الإسلام صلى إلى بيت المقدس، وكانت قبلته الكعبة؛ وقد روي مثل هذا التفسير عن ابن عباس.

وأما قوله: ﴿تَتَخَذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَزِفًا حَسَنًا﴾. فليس هذا بأمر ولا إباحة، وإنما هو إخبار من الله تعالى بتعللهم أنهم يتخذون مما أخرج لهم من الأرض حراماً وحلالاً، والبرق الحسن هو الحلال، مثل الربيب والحل وشبهه، ومثل ذلك كثير في الكتاب كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يقاتلون في سبيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يقاتلون في سبيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [البقرة: ١٧٦]، فهذا إخبار من الله؛ وليس هذا الإخبار يوجب الأمر والإباحة. وقد قيل: إن السكر لهو^(٢) حبس الشيء. ويقال: سكر النهر إذا سده، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَقْرُون ۖ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ هُمْ قَوْمٌ مُّسْتَخِرُونَ﴾ [الحجر: ١٥، ١٦]، فصَحَّ أن السكر هو المنع والحبس.

وأما قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ

(١) في (ص، ع، د): ووقت ضعفه

(٢) زيادة في (ص)

وَمَنَافِعِ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْثَرُ مِنْ هَهُمَا ﴿ فَإِنْ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَنْ يَهْمَا إِنْ تَمَّ حَكِيمٌ﴾ وَهَذَا تَحْرِيمٌ عَامٌّ، وَتَشْدِيدٌ، وَتَغْلِيظٌ، وَاللَّهُ لَا يَقْضِي مَا أَكَّدَ، وَلَا يُحِلُّ مَا حَرَّمَ.

وقوله: ﴿وَمَنَافِعِ لِلنَّاسِ﴾ ليس المراد به منافع للناس فيهما، ولا (في) ثم الخمر وإنما المراد بالمنافع هاهنا أن الجلد الذي يكون على فاعلهما هو المنافع للناس، لأن شارب الخمر إذا جُلِدَ أُرْجِرَ هو وغيره، فكان جلده نافعا للناس كما قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٧٩] وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنْ أَلَّهَ لَمْ يَجْعَلْ شِعَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ» فصيح ما قضا.

ومن غامض الكتاب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَهَرَّبُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [البقرة: ١١٠] وقد استدلَّت الباطنية - لعنهم الله - بهذه الآية على إبطال القرآن وإظهار عيبه، وقالوا: هو ينقض بعضه بعضاً، وإذا كان يتناقض كان باطلاً، وقالوا: قوله: ﴿وَلَا تَتَهَرَّبُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا﴾ يوجب ترك الصلاة، لأنه يزعمهم لا يمكنه أن يُصلي بغير جهر ولا مُخَافَةٍ.

فنقول: ليس هذا الأمر بمتناقض وإنما أمره أن لا يجهر بكل الصلاة، ولا يُخَافِتُ بكلها^(١)، وأمره بأن يتغني^(٢) بين ذلك سبيلاً، وقد ابتغى ﷺ بين ذلك سبيلاً، وهو أنه جهر بالقراءة في صلاة الليل

(١) زيادة في (ب، ج، ع، ص، م، ش، ط)

(٢) في (ص): ألا يجهر بصلاته كلها، ولا يخافِت بها كلها

(٣) في (ص، ع): أن يتغني

وصلاة الفجر، وخافت بها في صلاة الظهر والعصر، وجهراً^(١) بالأذان، والإقامة والتكبير، وقوله: (سمع الله لمن حمده)، والتسليم في جميع الصلوات، وذلك مروى عنه عليه السلام بالأخبار المتظاهرة، وهو إجماع الأمة، وقد أمرنا الله بأن نعلمه فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [احمد ١٧] فطس قول الساطنية.

ومن القرآن ما هو في مخرجه عام، وفي معناه خاص؛ وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ فَرَزْنَا مِنْكُمْ إِنبَاءَ مَنْ يَبْقَىٰ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ١٢٣]، فمخرج الآية يدل على أن الله تعالى اصطفى آل إبراهيم وآل عمران على العموم والكمال، والمعنى: (أيه خص) أي لا اصطفاء من آل إبراهيم وآل عمران من يستحق الإصطفاء لقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة ١٢٤].

ومن الكتاب العام لجميع العباد، مثل قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر ١٦].

ومنه العام لجميع الناس المتعبدين مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَقْوَىٰ﴾ [البقرة ٢١].

ومنه العام للمؤمنين مثل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [جمعة ٩]، فهذا الأمر عام للمؤمنين دون

(١) في (ب، ج، ت، ص، ع): وجهراً

(٢) في (ع): أن الله خص

الكافرين، وذلك لاستماع المؤمنين الأمر، وبعد الكافرين عن (استماع)^(١) الأمر والطاعة.

ومنه الخاص لبعض المؤمنين وهو مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة ٥٥]، وهذه الآية خاصة لعلي أمير المؤمنين^(٢) عليه السلام إذ لا يكون الولي إلا غير المولى عليه.

ومنه ما يوجب العلم مثل قول الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحج ١٨] وأشياء ذلك.

ومنه ما يوجب العمل مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة ١٧] وأشياء ذلك.

ومنه محذوف الجواب مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُلِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ صُكِّلَ بِهِ السَّمَوَاتُ لَإِنَّ اللَّهَ الْآمِرُ بِمَا يَشَاءُ﴾ [الزمر ٢١]، المراد به^(٣): لكان هذا القرآن، فحذف الجواب^(٤) لعلم السامع.

ومثل قول الله تعالى: ﴿أَلِهَاسِكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ إلى قوله: ﴿صَكَلَانِو تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَعْرِفَنَّهُ الْجَبِيمُ﴾ [الزمر ٦٠-٦١]، أراد: كلا لو تعلمون علم اليقين لما ألهاكم التكاثر، فحذف الجواب لعلم السامع.

(١) ساقط في (ص)

(٢) في (هـ، ي، ل). خاصة بأمير المؤمنين

(٣) في (ص): فإن المراد به

(٤) في (ط، س، م): فمحذوف الجواب

ومنه مفهوم الخطاب في مثل قوله تعالى: ﴿لَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ﴾ [البقرة: ٢٣] ،
فمفهوم من هذا الخطاب أنه لا يجوز للولد أن يفعل بالوالدين ما كان
فوق قوله: (أف)، كالضرب، ولشتم، والغضب، وأمثال ذلك.

ومثله قوله تعالى: ﴿أَمْزَناً مُّعْرِضَةً قَاسِقُوا إِلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٦] ، المراد به: أمرنا
مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها.

ومثله قوله تعالى: ﴿نَعْنَنَ لَمْ يَسْتَطِيعْ فِإِطْعَامَ يَتِيمَتَيْنِ﴾ [البقرة: ١٤] ، المراد
به: من قبل أن يتمامًا، كسيلة في العتق والصيام، إذ المعنى واحد.
ومثل هذا موجود في لغة العرب، قال الشاعر:

عفى الله عكم كل شاق برجلها
على نفسه يغطي الفتى ويصيب^(١)
أراد: كل شاق برجلها معلقة.

وأما القصص، والعرو والأمثال، والمواعظ والأخبار، وأمثال ذلك،
فذلك ظاهر لا يحتاج إلى تفسير.

ومن الكتاب آيات مكررة^(٢) مثة وذلك لاتساع الكلام، والإبلاغ
والبيان من الله تعالى لعباده. فهذا ما نذكر في معاني الكتاب، وفيما
ذكرنا دليل على ما لم نذكره.

(١) في (ص، ع): على نفسه يظن امرؤ ويصيب

(٢) في (س، ل، م): آيات مكررات.

فصل

في الكلام في الاختلاف في الكتاب

اعلم أن جميع الكفار قد احتملوا في الكتاب، ونفوا الكتاب^(١).

فقال كهار العرب : إنه شعرٌ. لما سمعوا فيه من الفصاحة والبلاغة والمعاني الحسنة.

وقال بعضهم . هو سحر^(٢). لما عجزوا أن يأتوا بمثله.

وقال أهل الكتابين : هو مأخوذ ومسترع من كتبهم ، وقالوا : السبي ﴿سَبِيءٌ﴾ مُعَلَّمٌ علَّمه بعضهم . وذلك لما وحدوا فيه من تصديق ما قبله من الكتب . ولما عرفوا فيه من الحق والقصص والأحكام والمعاني التي يحدونها في كتبهم ، وقد ذكر الله قولهم فقال الله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افترأه قل إن افترأه فلا تليكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه صكتي به شهيدا نبي ورسول وهو العزيز الرحيم ۝ قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين ۝ قل أرأيتم إن كان من عند الله وحيكم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مفه فآمن واستكبرتم إن الله لا يقبض القوم الظالمين﴾ [الأحزاب : ١٠].

والشاهد الذي آمن به من بني إسرائيل هو عبد الله بن سلام رحمه الله ، ولذلك قالت اليهود : إنه علم رسول الله ﴿صَلَّى﴾ القرآن ، فأنزل الله تعالى في ذلك آية ، وحجة باهرة ، حيث يقول تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَمْنَا أَنه

(١) زيادة في (ط ، م)

(٢) في (ي ، د ، هـ) : إنه سحر

يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِثُونَ إِلَيْهِ أُهْجِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ (النمل ١٠٣).

وأيضاً فإنهم يعلمون أن رسول الله ﷺ أتى بقرآن^(١) قبل أن يُسَلِّمَ عند الله بن سلام، وأنه لو كان تعلمه منه أو من غيره لتعلم الكتابة، وأنه ما كان يكتب ولا يسفي له، وأن صورة حروف^(٢) القرآن بخلاف صورة حروف^(٣) التوراة والإنجيل، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَدْرَأْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آمَنُوا أَتَاهُمُ الْكِتَابُ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ۝ وَمَا كُنْتَ تَشْرِي مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَنَّكَ أَتَّيِلُونَ﴾ (الشورى ١٢٧-١٢٨)، فما بقي لأهل الكتاب^(٤) من حجة.

وأما كفار العرب فإنهم قالوا: هو شعر، ومنهم من قال: هو سحر.

وقد علموا أن رسول الله ﷺ ما كان يقول الشعر، ولا ينسعي له، ولا كان ممن يتعلق بكتب السحر، وأنه كان أمياً لا يقرأ كتاباً، ولا يخطه، وقد احتج الله تعالى على جميع كفار العرب والعجم بحجة واحدة لم يجدوا لها جواباً بقوله: ﴿قُلْ لَئِنْ لَجَعْتُمْ إِلَى الْإِنسِ وَالْجِنِّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَكُنْ كَانَ يُخَافُكُمْ لِيُظْهِرَهُمْ لِبَنِي ظَهْرًا﴾ (الاسراء ٨٨)، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَكُنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَّهْتُوا بِهِ لِخُلَاقٍ كَثِيرٍ﴾ (الاسراء ٨٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَقَوْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ذِكْرٌ بِهِ

(١) في (ص) أني القرآن

(٢) في (ع، ص) - صور حروف

(٣) في (ع، ص) - صور حروف

(٤) في (ب، ص، ع): لأهل الكتاب

الرُّوحِ الْأَمِينِ ۝ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝ بِمَعَانٍ غَرِيْبٍ مُبِينٍ ۝ وَإِنَّهُ لَفِي زَكْرٍ الْأَوَّلِينَ ۝ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَقْلَمَهُ ظُلُمَاءُ النَّاسِ
إِسْرَائِيلَ ۝ [الشماء، ١٩٢-١٩٧].

وأما من خالف في القرآن من المسلمين فإنهم المجبرة، وهم فيه
فرقتان: فقالوا جميعاً: (القرآن قديم) ثم افترقوا

فقال فرقة: هو هذا المتلوة

وقالت فرقة: ليس هو به، لكنه عبارة عنه، وليس بحروف بل هو
معنى في النفس وهذا حكاية عنه.

وقالت فرقة: هو هذا المتلوة وهو قديم وقد قدمنا الاحتجاج عليهم
بما فيه كفاية.

وقالت المطرفية: القرآن صفة لقلب الملك ضرورية لا تفارق قلبه،
والضروري عندهم لا يفارق شحبه، وهو عرض حال في قلب الملك
موجود فيه. وقالوا. هذا الذي معا عبارة عنه وحكاية، وليس هو به،
وقد قدمنا الرد عليهم بما فيه كفاية عند ذكر الأعراض، إلا أن
قولهم: (هو عرض موجود في قلب الملك) ينقض عليهم اعتقادهم أن
العرض لا يحل في الجسم.

ومن الرد عليهم وعلى المجبرة: أن الله تعالى ما تعبد العباد إلا بهذا
المتلوة، ولا تحدى الكفار إلا بهذا المتلوة.



مرکز تحقیقات و توسعه در اسلام

(١١) باب حقيقة معرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

اعلم أنه لما ثبت أن الله ما خلق الخلق^(١) إلا لمصلحة، وما خلق المتعبد^(٢) إلا ليعبدوه، وأنه قد أعطاهم من الاستطاعة والعقل ما يلغون به المراد من التكليف العقلي^(٣).

والتكليف العقلي معرفة العبد بخالقه ونعمي صفات النقص عنه في ذاته وفي أفعاله، ومعرفة العممة والبلاد والحزاء، واستحسان الحسن والعمل به، واستقبح القبيح والتجنب له. وكان العقل يحكم بحصول الحاجة الداعية إلى التكليف الشرعي؛ لأن العقل لا يؤدي إلى معرفة كيفية العبادة كالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج، وأشياء ذلك. وكان التكليف الشرعي لا يحصل إلا برسول من عند الله تعالى، وكان إرسال الرسل من تمام الحجة وكمال النعمة.

ولما كان العقل الذي هو أكر حُجج الله على عبده بمجده العبد في نفسه لنفسه^(٤) ولم يكن العقل غير استحسانه للحسن، واستقباحه للقبيح، ونظيره وتمييزه لنفسه بنفسه^(٥) وجب^(٦) أن يكون الرسول

(١) في (ص) لم يخلق الخلق.

(٢) في (ب، ج، د)؛ نفسه في صه. وفي (ص)؛ بنفسه في صه.

(٣) في (س)؛ بنفسه لنفسه.

(٤) قوله: (وجب) هو جواب (لما) الأولى. تمت.

من الله تعالى إلى الناس من أنفسهم ، ولأنه لو كان من غيرهم لثقل ذلك عليهم ، ولما أنسوا إليه بجميع حوائجهم ، فتحكم العقل أن الكتاب والرسول من الله من تمام الحجة وكمال النعمة ، وقد قال الله تعالى : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُخْبِرِينَ وَأُنذِرِينَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا بِهِ وَمَا سَخَطَ بِهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا يَنْهَوْنَ هَؤُلَاءِ أَلَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمَّا اخْتَلَفُوا بِهِ مِنْ الْحَقِّ بِآيِهِ وَاللَّهُ يَقْدِرُ مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة النحل: ١٠٦] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُنْظِرِينَ حَتَّى بَعَثَ رَسُولًا﴾ [الأنعام: ١٥٠] ، وقال تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٨] .

قوله تعالى : ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يريد : من بعضهم ؛ قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْبِقُونَ فِي الْمِلَّةِ مِنْ بَيْنِكُمْ وَلَا تَفْرُقُونَ مِنْ بَيْنِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ نَسَبَهُمْ ۝ ثُمَّ أَخَذْتُمْ عَهْدَهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَتَفْرُقُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ بَيْنِهِمْ...﴾ [الآية: ٨١، ٨٢] ، فصح أنه أراد بقوله : ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ من بعضهم ومثل هذا قوله تعالى : ﴿لَهُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ بَيْنَهَا زَوْجَهَا﴾ [الأنعام: ١٨٩] ، يريد أنه خلق الناس بعضهم من بعض وزوج بعضهم ببعض^(١) . ولا يصلح رسول إلى شيء إلا من جنسه قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمُوتُونَ مَطْمَئِنَّتْ لَنُرْسِلَنَّ عَنْهُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًَا رَسُولًا﴾ [الأنعام: ٩٠] ، فثبت أن الرسول من الله إلى الناس لا يكون إلا منهم .

ولما صح أن الله تعالى متعالٍ عن مشابهة خلقه ، ولم يكن ليُشَافِه

(١) في (ش، م، س) : من بعض

أحداً ولا يُكلمه كما يُكلم ذو اللسان واللاهوت، ولم يكن العلم يصل منه إلى العبد إلا بالوحي^(١).

والوحي ينقسم على وجوه^(٢):

فمنها الإلهام؛ كما ألهم الله المسك الأعلى - صلى الله عليه - القرآن وغيره من الكتب.

ومن الإلهام ما ألهم الله لبه^(٣) الحيوان من استجلاب المنافع والنفار عن المضار كالإلهام النحل، وغيره لا يعقل ومما يعقل، فهذا وحي؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رُوحَهُ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل ٦٨].

ومن الوحي ما أراه الله تعالى - النبي ﷺ - في المنام قال الله تعالى - حاكياً عن إبراهيم صلى الله عليه - من قوله لابه إسماعيل - صلى الله عليه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَاصْطِرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات ١٠٢]، وقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِذْ نَادَىٰكَ رَبُّكَ قُلْ إِنَّمَا مَنَعَ قَوْلًا وَقَدْ أَرَأَيْتُمْ كُفْرًا تَفْسِلُكُمْ وَتَآخَرُكُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [الصافات ١٠٣].

ومن الوحي: الكلام الذي يحدثه الله في بعض ما خلق، مما لا ينطق، كالكلام الذي سمعه موسى صلى الله عليه وسلم من الشجرة ومن الوحي ما أتى به حبريل عليه السلام من الملك الأعلى إلى النبي.

(١) في (أ): إلا بالوحي.

(٢) في (ب): إلى وجوه.

(٣) زيادة في (س، ي، د).

المصطفى ، وقد حكى الله مثل ذلك فقال : ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذِينِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ۝ وَكَذَلِكَ أُوحِيَ إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ...﴾ الآية [الشورى: ٥١، ٥٢] ، فصَحَّ أن كلام الله هو الوحي ، و(أنه)^(١) ليس ينطق كما قالت المشبهة. وصح أن كلام الله يحدث مخلوق.

وأما قوله تعالى : ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أراد : أو كلاماً يسمعه العبد من غير ناطقٍ مشاهدٍ ، كما سمع موسى - صلى الله عليه - الكلام من الشجرة. وليس بين الله وبين خلقه حجاب ؛ لأنه لو كان بينه وبين خلقه حجاب لكان مشابهاً لخلقهم ، ولكان غائباً عن المحتجب منه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وقلم يروي عن الحارث عن علي أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه دخل السوق فإذا قهراً رجلاً مولى ظهره يقول : لا والذي احتجب بالسبع فصره علي (عليه السلام) على ظهره ثم قال : من الذي احتجب بالسبع ؟ قال : الله ، يا أمير المؤمنين. قال : أخطأت ثكلتك أمك إن الله عز وجل ليس بينه وبين خلقه حجاب ؛ لأنه معهم أينما كانوا ، قال : فما كفارة^(٢) ما قلت يا أمير المؤمنين ؟ قال : الله معك أينما كنت. قال : أطعم المساكين ؟ قال : لا إنما حلفت بغير ريك

فلما كان العلم من الله لا يصل إلى الناس إلا من الوحي ، وكان الوحي لا يصلح إلى كل إنسان لوجوده :

منها أنه لو كان يُوحى إلى كل إنسان في نفسه لكان ذلك سبباً لفساد

(١) ساقط في (ص).

(٢) في (ش، ص، ع) : ما كفارة

الناس، ولكان كلُّ ظالمٍ يدَّعي أنه أُذن له في الظلم، ولما تبين المطيعُ من العاصي.

ومنها أنه إذا لم يكن أمر الناس إلى واحدٍ افترقوا، وإذا افترقوا تباغضوا وتحاسدوا وفسدوا

ومنها: أن أعداء الله لا يستحقون أن يُوحى الله إليهم لكفرهم ومعصيتهم. فلما كان ذلك لا يصلح، حَكَمَ العقلُ بأن الله لا يُوحى إلا إلى من ارتضى من عباده، وأنه يُرسل الرسول إلى أمته ويقرن^(١) طاعته بطاعته، فإذا علم الله من الرسول الصدق والإخلاص، والقوة على إبلاغ الرسالة، والصبر والعزم؛ أوحى الله إليه، وأرسله إلى خلقه.

ولو أرسل من لا يُعرف بالصدق والصبر والطهارة لأدى إلى وجوه منها أن يكون^(٢) عند الناس من أهل التهمة والظنة، لما يعرف منه من خلاف الصدق، ولم يكن أحدٌ ليصدقه لما قد عرف منه.

ومنها أن الله تعالى لم يكن يُرسل لصلاح الناس من لم يُصلح نفسه. ومنها أنه لم يكن ليلغ ما أمر به إذا لم يكن صادقاً نقياً مخلصاً^(٣). فصح أن الله لا يُرسل إلا الصادق الصابر المخلص البر التقي النقي طيب الباطن والظاهر.

(١) في (ص)، وتقرن

(٢) في (ش): أنه يكون

(٣) في (ي، م) نقياً مخلصاً

ولما كان الرسول لا يُصدق إلا برهان يبين، وحجة واضحة أظهر الله على يدي الرسول من الدلائل والآيات والبراهين والمعجزات ما يعجز عنه غيره من الناس ليصح ما هو عليه من البناء والأساس.

وقد قص الله قصص الأنبياء (عليهم السلام)، وذكر معجزاتهم وما كان من اجتهدهم وإظهار براهينهم ودلائلهم، قال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَمَنْ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَهُدًى وَخَيْرٌ لِمَنْ يَخْلُقُ﴾ (البقرة ١٧٨).

فصل

في الكلام في نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

فأول ما نذكر من أمره (عليه السلام) أنه كان عارفاً لربه (١) مرضياً برأ تقياً طاهراً نقياً، وكان عالماً (٢) بالتكليف العقلي، ضالاً عن التكليف الشرعي، وكان يأخذ بعض ما يفعل من البر والتقوى من عقله، وأخذ بعضه من حده عبد المطلب، فيه روي عنه (عليه السلام) أنه قال: «يبحث عبد المطلب يوم القيامة أمة وحده» (٣)، قال: وكان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام و(كان) (٤) يقول: أما على دين إبراهيم».

(١) في (ي): عارفاً لربه

(٢) في (ش، ب): وكان عالماً

(٣) في (ش، ع، ص، ه): أمة واحدة

(٤) ساقط في (ش، ع، ب)

وقال ﷺ: «إِنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ سَنَ خُمُسًا مِنَ السُّنَنِ أَجْرَاهَا عَزَّ وَجَلَّ فِي الْإِسْلَامِ: حَرَّمَ سَاءَ الْأَبَاءِ عَلَى الْأَبْنَاءِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكْفُرُوا مَا نَكَّحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [سورة النساء: ٢٢] وَسَنَ الدِّينَةَ فِي الْقَبِيلِ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ فَجَرَتْ فِي الْإِسْلَامِ. وَكَانَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ ثُمَّ يَقِفُ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ فَيُحَمِّدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ (١) وَيُشْتِي عَلَيْهِ، وَكَانَتْ قَرِيشٌ تَطُوفُ (بِالْبَيْتِ) (٢) مَا شَاءَتْ قَلَّ أَوْ كَثُرَ، فَسَنَ عَبْدَ الْمَطْلَبِ سَبْعَةَ سَعَةٍ. وَوَحْدَ كَنْزًا فَأَخْرَجَ خُمُسَهُ فَتَصَدَّقَ بِهِ، فَجَرَى ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ وَلَمَّا حَصَرَ زَمْزَمَ سَمَّاهَا سَقِيَّةَ الْحَاجِّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قِرَاءَةً يَقُولُ: ﴿لَجَلَّتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الآية: سورة البقرة: ١٢٩]، وَرَوَى عَنْ سَفِيَّانَ بْنِ عِيْسَى قَالَ: قِيلَ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ: لِمَ سَمَيْتَ ابْنَ ابْنِكَ مُحَمَّدًا وَلَيْسَ هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ آبَائِكَ؟ قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ يُحَمِّدَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ، فَاطْرُقَ (٣) سَفِيَّانُ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ:

فَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجَلَّهُ

فَذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ

فَهَدَى اللَّهُ عَبْدَ الْمَطْلَبِ إِلَى اسْمِ النَّبِيِّ ﷺ، وَصَدَّقَ رَجَاءَهُ فِيهِ وَأَنْبَتَهُ نَبَاتًا حَسَنًا، وَجَعَلَهُ مِنْ أَشْرَفِ مَنْصِبٍ فِي الْعَرَبِ، وَأَكْرَمَ بَيْتٍ وَأَعْلَاهُمْ شَأْنًا، وَأَفْصَحَهُمْ لِسَانًا، وَأَقْوَاهُمْ سُلْطَانًا، وَأَعَزَّهُمْ مَكَانًا، وَأَمْصَاهُمْ حَسَامًا. وَقَدْ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كَنَانَةَ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ كَنَانَةَ قَرِيشًا،

(١) فِي (ج، هـ، د). ثُمَّ يَحْمَدُ اللَّهَ

(٢) زِيَادَةُ فِي (ص)

(٣) فِي (ش، ي، ص، ع): ثُمَّ اطْرُقَ

واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم». فلما اختاره الله واصطفاه، أرسله إلى الأبيض والأسود والأحمر.

وكان أول ما ظهر له^(١) من المعجزات نزول جبريل (عليه السلام) عليه (ﷺ)، وكان جبريل رسولاً من الله إلى محمد (ﷺ) قال الله: ﴿مَاجِلَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى الْأَيْمَنِ ثَلَاثَ وَرُبَاعَ هَذَا فِي الْخَلْقِ مَا يُشَاءُ لَئِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [طه ١٠]

والذي دلّ محمد (ﷺ) على أن جبريل -صلى الله عليه- رسول من الله (إليه)^(٢) ما أراه من المعجزة الخاصة لنفسه^(٣)؛ لأنه لو لم يره معجزة لنفسه لم يتحقق صدقه، كما أنه لا يتحقق^(٤) صدق النبي (ﷺ) إلا بمعجزة.

فأول ما نزل جبريل إلى النبي (ﷺ) ما روي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي (رضي الله عنه) قال: نزل إلى رسول الله (ﷺ) جبريل وعليه حبة من سندس بأعلى الودي وهو يرعى غنماً لأبي طالب، فأخرج (له)^(٥) درنوكاناً من درانيك الجنة فأجلسه عليه، ثم أحبره أنه رسول الله (إليه)^(٦) يأمره بما أراد^(٧) له أن يأمره به، فلما أراد جبريل -صلى الله عليه- أن يقوم أخذ رسول الله (ﷺ) بطرف ثوبه

(١) في (ص، ب)؛ ما أظهره الله له

(٢) ساقط في (ب)

(٣) في (ص)، الخاصة بنفسه

(٤) في (ح)؛ لم يتحقق

(٥) زيادة في (ب)

(٦) ساقط في (ب، ص، ط)

(٧) في (ب، ص، ط)؛ وأمره بما أراد

ثم قال له : ما اسمك ؟ فقال : جبريل ، فقام رسول الله ﷺ فلحق بالغنم فما مرّ بشجرة ولا مدرّة إلا وهي تسلم عليه تقول : السلام عليك يا رسول الله .

ومن معجزات جبريل - صلى الله عليه - وسلام الخاصة ليصدقه محمد ﷺ : ما روي أن النبي ﷺ رأى جبريل صافاً في الهواء قد سدّ الأفق^(١) . ورُوي أن جبريل جاءه ﷺ فأخرجه إلى البقيع وانتهى به إلى مقبرة فإذا جثوة في التراب ، فضربها برجله وقال : قم بإذن الله ، فانتفض التراب فإذا شخص قد صار حيّاً^(٢) وهو يقول : يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ، ثم ضربها فعادت إلى^(٣) ما كانت عليه ، وانتهى به إلى جثوة أخرى فضربها فقام صاحبها وهو يقول : الحمد لله ، ثم ضربها فعادت إلى ما كانت عليه ، فقال : يا محمد فعلى هذا نبعثون .

وأما معجزات محمد رسول الله ﷺ فكثيرة منها : ما روي بالأخبار المتواترة وإجماع الأمة .

فمن معجزاته ﷺ : مجيء الشجرة إليه ، ورجوعها إلى موضعها ، وإنشاء الساس بما في صدورهم ، وإعلامهم بما في ضمائرهم ، وذلك من إنباء الله بذلك ، وإعلامه إياه به ، ومثل ما كان منه في شاة أم معبد ، ومثل^(٤) ما كان منه من الفعل^(٥) في التمرات من عداء

(١) في (ص) : قد شق الأفق









(٢) في (هـ ، ي ، م) : قد قام حيّاً

(٣) في (ع ، ل ، ب) : على

(٤) زيادة في (ش ، م ، س) .

(٥) في (ش ، م ، س) : في العمل

جابر بن عبد الله، وذلك أنه أخذ كفاً من تمر فوصعه في وسط ثوب كبير ثم حركه ودعا فيه، فزاد ورثاً حتى امتلأ الثوب تمراً، ومثل ما كان منه في عشاء جابر بن عبد الله وهو صاع شعير وعناق صغيرة أكل منها ألف رجل، وما كان منه في الوشل الذي ورده هو والمسلمون في غزوة تبوك فوضع يده تحت الوشل فوشل فيها مئلاًها من الماء ثم ضربه ودعا فيه فانفجر مثل عنق البعير^(١).

ومن معجزاته : ما روي أن يهودياً قال لعلي أمير المؤمنين  إن موسى بن عمران  قد أعطي العصا فكان ثعباناً. قال: فقال له علي : قد كان ذلك، ومحمد  قد أعطي ما هو أفضل من هذا: إن رجلاً كان يطلب أبا جهل بن هشام لعنه الله بدين كان له عده فلم يقدر ، واستقل عنه وحلس يشرب، فقال له بعض المستهزئين: من يطلب؟ فقال: (أطلب) ^(٢) عمرو بن هشام (يعني أبا جهل) ولي عليه دين. فقلوا: ندلك على من يستخرج لك حقه؟ قال نعم، فدلوه على نسيء ، وكان أبو جهل يقول: ليت لمحمد إلي حاجة فأسحر به وأردّه، فأتى الرجل إلى النبي  فقال: يا محمد بلغني أن بينك وبين أبي الحكم ^(٣) حسياً، وأنا أستشفع بك إليه، فأتاه فقال له: «قم فأد لرجل حقه» فقام مسرعاً حتى أدى إليه حقه، فلما رجع إلى مجلسه قد له بعض أصحابه كل ذلك فرقاً من محمد؟ قال: ويحكم أعذروني إنه لما أقبل إلي رأيت عن يمينه

(١) في (هـ، م) مثل عنق البعير

(٢) ساقط في (ع، ب)

(٣) في (ص): وبين أبي جهل

رجالاً بأيديهم حراباً تلالاً، وعن يساره شعبانين تصطك أسنانهما، وتلمع النيران من أبصارهما، فلو امتعت لم آمن أن يعجبوا بالخراب بطني، ويتلعني الثعالبان، وهذا أكبر مما أعطي موسى - صلى الله عليه وسلم - عليه - ثعباناً بشعبان موسى، وراد الله محمدًا ﷺ ثعباناً وثمانية أملاك

ومن معجزاته ﷺ ما روي أنه لما كن في عروة تبوك ضلّت ناقته، فنادى الناس: «أن!» أقيموا فإن ناقة رسول الله ﷺ قد ضلّت، فاجتمع ناسٌ من المنافقين فقلوا: يحدث عن القيامة وما يكون في غل ولا يعلم مكان ناقته!! فاتاه جبريل - صلى الله عليه وسلم - فقال: أتري أولئك الخلوس إهم يقولون: يحدث عن القيامة؟ وما يكون في غل ولا يعلم مكان ناقته فإن ناقتك في شعب كذا وكذا، متعلق زمامها بشجرة. فنادى النبي ﷺ بالصلاة جامعة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن أناساً يزعمون أنني أحدثهم عن القيامة وما يكون في غل ولا أعلم مكان ناقتي، وإن ناقتي في شعب كذا وكذا متعلق زمامها بشجرة تجس، فبادر المسلمون إليها حتى أتوها»^(١)

ومن معجزاته ﷺ ما روي أنه كن يخطب على الجذع من قبل أن ينصب المنبر، فلما نصب وتحول السبي ﷺ حن الجذع كما يحن الفصيل فلم يسكن حتى صمّه إليه النبي ﷺ.^(٢)

(١) زيادة في (ع)

(٢) في (أ): من القيامة

(٣) في (ج): في مكان.

(٤) في (ب، ص، د): حتى أتوا بها

(٥) في (ص): حتى التزمه النبي ﷺ

ومن معجزاته ﴿١٨٦﴾: إذعان البعير الصائل، وإصغافه رأسه إليه، وسجوده بين يديه، فقبل له: سجد لك يا رسول الله حين رآك، فقال: «لا، لا تبلغوا بي ما لم أبلغ فلمعري ما سجد لي ولكن الله سخره لي».

ومن معجزاته ﴿١٨٧﴾ ما كان من الاستسقاء.

ومعجزاته ﴿١٨٨﴾ كثيرة، وأكبرها القرآن، فإنه من أكبر معجزاته ﴿١٨٩﴾. والدليل على أنه معجز أن الله تحدى به من جحد به أن يأتي بسورة من مثله فما قدروا، قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ صُكُّنَ فِي رَبِّ مِثْلًا نَحْنُ عَلَىٰ عِلْمٍ مَا تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ [الدحر، ١٢٣]، وقد تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْعَلْ لَّنَآ مِثْلَ بَشَرِ سُورَةِ مِثْلِ نَحْنُ تَأْتِ﴾ [الدحر، ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿لَّنَآ لَعْنُ لِمَن كَفَرَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الدحر، ١٨٨] فتحدى العرب مع فصاحتهم وبلاغتهم، وكانوا يتباهون بالبلاغة، ويتماخرون بالفصاحة، ويرون ذلك من أشرف المقاب وأفخر المآثر، فكفوا^(١) عن المعارضة فيه، وأمسكوا عن المحاورة، مع أنهم كانوا من أحرص الناس في توهين أمر النبي ﷺ، وفي إطفاء نوره، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَنزَارِهِمْ وَاللَّهُ يَخُودُهُ وَلَوْ كُنَّا كُفَرًا لَّكَانَ مِن كَمَارِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ أَنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَن هَٰذَا التَّحْدِي، وَعَجَزُوا أَن يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ^(٢) وعادوا إلى الحرب. وفي الشاهد أنه إذا تحدى إنسان بفعل شيء ولم يفعله، وعاد إلى غيره أنه قد أضعفه.

(١) ي (ط، ب، ع) - وكفوا.

(٢) ي (ص)، أن يأتوا مثله.

وأيضاً ففي القرآن من الإعلام بالعيب ما قد تبين منه شيء مثل قوله: ﴿إِذْ يُمَهِصُكُمْ اللَّهُ بِعَثَى الطَّائِفِينَ أَهْمًا لَكُمْ﴾ [الأنعام ٧] فكان ذلك. ومثل قوله: ﴿الْم ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ إِيَّا أَفْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَقِيَّةِ ظِلِّهِمْ سَخِرُون﴾ [الروم ١-٣]، فكان ذلك. ومثل قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ الْمَغْنَمِ﴾ [التوبة ٢٧]، فكان ذلك، وأمثال ذلك كثير.

ومن الدليل على أن القرآن من أكر معجرات النبي ﷺ قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُقَالُ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام ١٥١]

وفي القرآن أيضاً حلة أخرى وهو أنه سهل معجز، بليغ موجز، ولا يوحد في كلام المخلوقين، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ ۝ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝ وَلَتَقُولُنَّ نَبَأٌ بَشَقْ جَلْتِ﴾ [الأنعام ١٨٨-١٨٩]، ففي هذه الكلمات - من الإبلاغ والإيجاز والمعاني العجيبة والدلائل الغريبة - ما يدل على أنه ليس يقدر^(١) على مثله أحد من المخلوقين، فالحمد لله رب العالمين

(١) في (ت، ي، هـ): لا يقدر.

فصل

في الكلام في معنى الرسالة

اعلم أن الله لما خلق عباده، أعد لهم الجنة والنار والشواب والعقاب، فأعد لمن أطاعه الجنة، وأعد لمن عصاه النار ثم أرسل إليهم رسولا يدعوهم إلى الجنة ويحذرهم من النار^(١)، فمن اتبع الرسول دخل الجنة، ومن تخلف عنه دخل النار. وقد روي عن حابر بن عبد الله الأنصاري قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً فقال: «إني رأيت في المنام كأن حبريل عليه السلام عمد رأسي، وميكائيل عمد رجلي، فيقول أحدهما لصاحبه: إصرب له مثلاً، فقال: إسمع - سمعت أديك - واعقل - عقل قلبك - بما مثلك ومثل أمّتك كمثلك - ملك اتخذ داراً، ثم سى فيها بيتاً، ثم جعل فيه مائدة، ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فأنه عز وجل هو الملك، ولدّار الإسلام، والبيت الجنة» فكان كذلك رسول الله ﷺ أبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وأنذر وحذر، ورغب وعلم، وبصر وبين، وفسر، فهدى الله به إلى الإيمان، وأظهر ديه على الأديان، قال عز من قائل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَبِإِيمَانٍ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [سورة أهدى]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَلَاخِرِينَ مِنْهُمْ

(١) في (ص) - ويحذرهم النار

لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَلَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذَلِكَ نَسِئُ اللَّهِ يُرَاتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ (١-٢)، فُخِّمَ اللَّهُ بِهِ الرِّسْلَ، وَنَسِخَ بِمَلَكِهِ الْمَلَلِ^(١)، فَالْحَمْدُ
لِلَّهِ عَلَى فَضْلِهِ.

فصل

فِي الْكَلَامِ فِي اخْتِلَافِ النَّاسِ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْأُمَّةِ فِي مَا ذَكَرْنَا مِنْ نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّهُ
خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَبِمُعْجَزَاتِهِ^(٢)،
وَأَن كُلَّ مَا جَاءَ بِهِ ﷺ حَقٌّ، وَجَمِيعُ مَا نَطَقَ بِهِ ﷺ صَدَقَ، وَإِنَّمَا
وَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَا وَبَيْنَ الْكَفَّارِ، فَإِنَّ كُفَّارَ الْعَرَبِ وَكُفَّارَ الْعَجَمِ حَبَدُوا
مُحَمَّدًا ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ رُبٍّ.

وَقَالَتِ الْبِرَاهِمَةُ بِالتَّكْلِيفِ الْعَقْلِيِّ، وَنَفَوْا التَّكْلِيفَ الشَّرْعِيَّ،
وَجَحَدُوا الرِّسْلَ، وَعَلَتَهُمْ أَنَّ الصَّابِعَ عَالَمٌ حَكِيمٌ، وَالْعَالَمُ الْحَكِيمُ لَا
يُرْسِلُ الرِّسْلَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُعْصَى.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْرَأُ بِآدَمَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْرَأُ^(٣) بِوَلَدِهِ شَيْثَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.
وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْرَأُ بِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَالْحُجَّةُ عَلَى الَّذِينَ نَفَوْا جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ قَرِيبَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ أَقْرَأُوا

(١) فِي (ش): جَمِيعُ الْمَلَلِ

(٢) فِي (هـ، ل): وَمُعْجَزَاتِهِ

(٣) زِيَادَةٌ فِي (ص).

بالتكليف العقلي ، فكما كان في التكليف العقلي صلاح للعقلاء^(١) كذلك التكليف الشرعي ، ولما لم يكن التكليف الشرعي يحصل إلا بالإرسال^(٢) من الله تعالى وجب إرسال الرسل.

والحجة على الدين أقروا بآدم (عليه السلام) أقرب، وذلك أنه إذا كان في نبوءة آدم وشيث صلاح فكذلك سائر الرسل.

وأما قولهم: (إن العالم الحكيم لا يُرسل الرسل وهو يعلم أنه يعصى). فالحجة (عليهم السلام) أنه لما جاز أن يكلف الله عباده التكليف العقلي، وأراد منهم العمل بما كنفهم - وهو يعلم أن بعضهم يعمل بما كلفه ويستفيع به، وبعضهم لا يعمل بما أراد منه^(١) ولا يستفيع به - فكذلك التكليف الشرعي يجوز أن يُرسل الله الرسل إلى عباده وهو يعلم أن منهم من يطيع ويستفيع ومنهم من لا يستفيع ولا يطيع، ولولا إرسال الله الرسل لما تبين المطيع من العاصي، ولو عذب الله العاصي ولم يُرسل إليه رسولاً لقال: لو جاءني رسول لأطعت ولعملي ما أمرت به وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَا أَهْلُكُمْ لَكُنَّا مِنْ أَتَسَاءِلِينَ﴾ (١٣٤).

وأيضاً فإن الله تعالى ما خلق المتعبدين إلا للعبادة، وقد علم أن أكثرهم لا يعبدونه، فلم يمهله علمه بمعصية من يعصيه عن خلق المتعبدين، وتعبدهم لما علم أنه يلحق المطيعين من الصلاح والانتفاع؛

(١) في (حز) صلاح العقلاء.

(٢) في (٤٠) : إلا بالرسالة

(٣) زيادة في (مصر).

(٤) في (ش، ص): ما أراد منه وفي (س): ما أريد منه

ولأن تبلغ الحجة على العاصين فكذلك الإرسال من الله تعالى.

وأنكرت اليهود نسخ الشرائع مع جحدهم لمحمد ﷺ وقد عرفوه ووجدوه مكتوباً عندهم في التوراة كما قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يَجْتَنِبُ كَتُوبَنَا هُنَاكُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [العنكبوت ٢٩]. ورووا عن موسى (عليه السلام) أنه قال: (إن شريعتي لا تنسخ أبداً).

وأقروا بأن قبلة إبراهيم (عليه السلام) كانت الكعبة. وإذا جاز نسخ الكعبة لموسى (عليه السلام) إلى بيت المقدس، حاز نسخ بيت المقدس لمحمد ﷺ إلى الكعبة، فبطل قولهم: إن الشريعة لا تنسخ.

وأما ما رووا من قول موسى (عليه السلام): (إن شريعتي لا تنسخ أبداً). فإن شيوخ المعتزلة ذكروا أن العلماء من اليهود الذين يرجع إلى قولهم لم يذكروا أكثر من أن موسى (عليه السلام) قال لهم: (إن تمسكتم بشريعتي حييتم أبداً).

فصل

في الكلام في خطايا الأنبياء عليهم السلام

اعلم أن الأنبياء صلوات الله عليهم بشر من الناس، يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق - كما قال الله تعالى - وأنهم مركبون على الشهوات^(١) والكراهة، والغفلة والذكر والنسيان إلا في تبليغ ما أمروا به فإنهم معصومون عن النسيان والغفلة والسهو والكذب؛ لأن الله قد

(١) في (ش، ع، ب): على الشهوة.

اختارهم لتبليغ رسالته وأداء أمانته، ولا يجوز أن يُرسل من ينسى شيئاً من تبليغ الرسالة أو يسهو عنها أو يكذب، فهذه الجملة لا تجوز على الأنبياء بل هم معصومون عنها وكذلك تعمّد معصية الله، قال الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٧٤)، فأما في سائر أفعالهم غير تبليغ الرسالة، فإنه يجوز عليهم سسيان والعفلة، والخطأ في التأويل، والعجلة، وقد ذكر الله عنهم ذلك، وذكر توبتهم منه وندمهم وإقلاعهم واستغفارهم، فقال في النسيان والخطأ في آدم (عليه السلام): ﴿نَسِيتُ وَلَمْ أَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ (البقرة: ١١٠)

وقال - حاكياً قول موسى للخضر عليهما السلام: ﴿لَا تُؤَلِّحْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ (البقرة: ١٧٣) وقال الله تعالى لنبيّنا (عليه السلام): ﴿وَإِنَّمَا نُنَسِّئُكَ الشَّيْطَانَ فَلَا تَقْعُدْ بِقَدِّ الدَّعْكِيِّ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٦٨)

وقال تعالى في يونس (عليه السلام) وعجلته: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَخَبَ مُغَافِياً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَجِدَ لَهُ عَلَاقَةً﴾ (البقرة: ١٨٧). وقد قيل: إن سبب إبقائه أنه أرسله الله إلى قومه فكذبوه، فوعدهم^(١) بنقمة من الله تُصيبهم بعد ثلاثة أيام، وقال لهم: وعلامة ذلك أن وجوههم تُصبح غُبراً أوّل يوم من هذه الأيام، واليوم الثاني تُصبح حمراً، واليوم الثالث تُصبح وجوههم سوداً ويأتيهم العذاب، ثم إنه تنحى عنهم لئلا ياله ما نالهم^(٢)، فلما أصبحت وجوههم كما ذكر لهم (في^(٣) اليوم الأول واليوم الثاني،

(١) في (ب): فتوعدهم وفي (ل): فأوعدهم

(٢) في (ص): لئلا يصيبه ما نالهم وفي (ع): لئلا ياله ما نالهم وفي (م): لئلا يصيبه ما أصابهم

(٣) زيادة في (ب، ش، ص، ع)

صدقوا وحافوا العذاب، فأمنوا به وجأروا إلى الله بالدعاء والتوبة،
 فرفع الله عنهم العذاب^(١)، فمما كبر بعد ثلاثة أيام أتى يوسف (عليه السلام)
 لينظر كيف كانت مصيبتهم من الله تعالى، فأتى وهم سالمون، فاغتم
 لذلك، وأبقى خوفاً من أن يكذبوه واستعجل ولم ينتظر الوحي من
 ربه، فكان من أمره ما حكاه الله (تعالى)، وقد قال الله لنبينا ﷺ:
 ﴿فَأَمَّا صَبْرٌ لَكُمْ وَرَهَةٌ وَلَا تَكُنْ كَصَلِيبِ الْخُثُومِ إِذْ دَافَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۝ لَوْلَا أَن
 تَدَارَكَكَ رَحْمَةٌ مِن رَّبِّهِ لَبَدَّتْ بِالرِّمَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [سجدة: ٢٤، ٢٥]، فيبين أن فعله كان
 مكروهاً ومذموماً؛ ولأنه بهى نبيته ﷺ أن يكون مثله، وليس ينهاء
 إلا عن مذموم، فكان ذنبه لاستعجال، وترك الانتظار لوحي ربه
 وكذلك كانت معصية آدم (عليه السلام) استعجاله في أكل الشجرة قبل أن ينزل
 إليه وحي ربه. وقال تعالى في داود وتأييده الذي طعن أنه حائر له:
 ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُسُوفِ إِذْ تَسُوذُوا الْبُحَيْرَاتِ ۝ إِذْ تَخُولُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا
 لَا تَحِلُّ لَاحِظَتَانِ بَيْنَ بَعْضِنَا عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلْخُفْيَةِ بَيْنَ الْبَاقِ وَلَا تُطِيطْ وَاهِدُنَا إِلَىٰ
 سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۝ إِنَّ هَذَا لَخِيَلٌ بَينَ وَبَينَ وَتَسْتَعِينُ رَحْمَةً وَكُنْ رَحْمَةً وَاحِدَةً قَالُوا أَكَلَيْتُمَا
 وَغَرَدِي بِبِ الْبَطَاطِ ۝ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيَّتِكَ إِلَىٰ بِمَلَجِهِ وَلَنْ يَكْذِبَ مِنْ
 الْخُلَطَاءِ لَيْسَ بِتَحْلُمٍ عَلَىٰ بَعْضِ إِلَّا الَّذِينَ أَسْرُوا وَهَلُّوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ
 وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّهُ مَقْتُلٌ فَاسْتَشْفَىٰ وَكَرِهَ رَاحِكَا وَأَبَىٰ﴾ [مر: ٢١-٢٤]، فكان فعاله
 صلى الله عليه وسلم في ذلك مذموماً، فتأب منه وندم.

وقد روي عن نبيتنا محمد ﷺ أنه قال: «أعطيت ما لم يُعط
 أحد من الأنبياء قبلي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً،

(١) ي (ص، ب، ع)، فرفع الله العذاب عنهم

وذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْتُمْ قَجِحُوا مَاءً فَهَيَّئُوا صَبِيحًا طَيِّبًا﴾ (البقرة: ٤٣)، وأحلَّ لي المغنم ولم يُحلَّ للأسياء قلبي^(١) وذلك قوله تعالى: ﴿وَاظْلَمُوا أَدْمًا فَهَيَّئُوا مِنِّي شَيْءًا فَإِنَّ لِلَّهِ حُسْنَهُ وَلِرَسُولِهِ﴾ (البقرة: ٤١)، ونصرت بالرعب على مسيرة شهر، وفُضِّلْتُ على الأنبياء بثلاث: تأتي أمِّي يوم القيامة غراً مُححِلين معروفين من بين الأمم، ويأتي المؤذنون يوم القيامة أطول الناس أعناقاً ينادون بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والثالثة^(٢) ليس من نبيء إلا وهو يحاسب يوم القيامة بذنبي غيري، لقول الله تعالى: ﴿يَنْفِرُ لَكَ اللَّهُ مَا هَتَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ وَمَا تَلَمَّحْتُمْ﴾ (البقرة: ١٧).

فدل هذا الخبر على صحة ما قلنا في خطابنا الأنبياء. ودل أيضاً على أن محمداً رسول الله أفضل المرسلين، ويؤيد ذلك ما روي عنه عليه السلام أنه قال: «من صلى عليَّ صلاةً صلى الله عليه بها عشر صلواتٍ ومحا عنه عشر سيئات واستبق ملكاه الموكلان به أيهما يُبلغ رُوحِي منه السلام». وقال عليه السلام: «إكثروا من الصلاة عليَّ يوم الجمعة فإنه يوم تصاعف فيه الأعمال، واسألوا الله لي الدرجة الوسيطة من الجنة، قيل: يا رسول الله وما الدرجة الوسيطة من الجنة؟ قال: هي أعلا درجة من الجنة لا ينالها إلا سيء أرحو أن أكون أنا هو»، فصح أنه عليه السلام أفضل الأنبياء.

ومما يدل على أن النبيء يسهو وينسى ما روي عن رسول الله عليه السلام أنه صلى بجماعة الظهر خمس ركعات، فقال له بعض القوم: يا رسول الله هل زيد في الصلاة شيء؟ قال: «وما ذاك؟» قال: صليت

(١) في (ع) من قلبي.

(٢) في (ع، م، ن): الثالثة.

بنا خمس ركعات، فاستقبل القبلة وهو جالس، وسجد سجدتين، ليس فيهما قراءة ولا ركوع ثم سلم.

واعلم أنه لا يُقال: إن النبي، معصومٌ عن جميع الذنومات والمعاصي. لأنه^(١) لو كان كذلك لم يكن له ثوابٌ في لزومه لنفسه عن المحرمات، ولَمَّا كان محموداً في ترك اتباع الشهوات، ولَمَّا كان يوسف (عليه السلام) في لزومه لنفسه عن امرأة العزيز محموداً ومُثاباً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (سورة يوسف ٢١)، فصَحَّ أنه لزم نفسه (عنها)^(٢) لا عن عصية. ولا نقول إن الله عصمه منها بل نقول. إن الأنبياء (عليهم السلام) مُخَيَّرُونَ مُمَكَّنُونَ كغيرهم من الآدميين بل إنهم أقوى على نفوسهم وعلى لزومها من المحرمات^(٣) لَمَّا شاهدوا^(٤) من الدلائل والمعجزات والرسالة من الله لهم^(٥) والآيات.

وقد يمكن أن يصرف الله عنهم بالتوفيق والتسديد كثيراً من المحظورات كما قال الله -جاءكياً عن يوسف (عليه السلام): ﴿وَلَا أَصْرِفُ عَنْهُمْ سَكَنَهُمْ أَصْنَبُ إِلَهُمْ وَأَسْكَنُ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ فاستجاب له ربه فصَرَفَ عَنْهُ سَكَنَهُمْ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة يوسف ٢٢ ٢١).

واعلم أنا لا نقطع على من كان عصي الله معصيةً عمداً ثم تاب منها وأناب وأخلص واشتغل بإخلاصه وتوبته عند الخاص والعام،

(١) في (ب): ولأنه.

(٢) ساقط في (ث).

(٣) في (ع): وعلى لرومها من لزمها المحرمات.

(٤) في (ص): لما يشهدون.

(٥) في (ص، د): إليهم.

وظهر صدقه ووفاءه وطهارته ونقاؤه^(١) أنه لا يجوز أن يرسله الله إلى قوم، بل نقول: إنه قد يمكن ويجوز ذلك؛ لأنه قد خرج من جملة الظالمين، وأهل الظنة والمتهمين. ألا ترى أن الشاهد الفاسق إذا تاب من فسقه عند أداء الشهادة أنه لا يُقبل منه، ويكون من أهل الظنة، وإذا تاب قبل ذلك بزمان طويل أنه يُقبل شهادته، ولا يُطرح فيه كذب ولا شهادة زور.

والدليل على ما قلنا: ما ذكر من قصة أولاد يعقوب (عليه السلام) من عقوق أبيهم وظلم أخيهام، ثم تابوا من ذلك وسألوا أباهم أن يستغفر لهم فغفر الله لهم، ثم كانوا أنبياء بعد ذلك، وقد ذكرهم الله في جملة الأنبياء قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَمَا أُوتِيَ الشُّعْرَىٰ مِنْ رَبِّهِمْ لَا هُتَفَاتُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَبَيْنَ لَهُمْ مَوَازِينٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، وفي تفسير ابن عباس^(٢): أن الأسباط هم أولاد يعقوب، وأنهم أنبياء، وهو إجماع الأمة، ولم يخالف أيص اليهود في أن الأسباط هم أولاد يعقوب، وأنهم أنبياء.

والدليل على صحة ما ذكرنا قول الله تعالى لموسى (عليه السلام): ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَاجِرُ كَكَآهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُتَبَرِّجًا وَلَمْ يَحْتَسِبْ يَأْتِ مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَالُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ۚ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حِسْتًا بَقْدَ سُوءٍ فَإِنِّي ظَاهِرٌ فِيهِمْ﴾ [البقرة: ١١٠] فصَحَّ ما قلنا، وقبول الله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، فليس الثابت المحلص بظالم

(١) في (ص)، ونقاء.

وعما يؤيد ما قلنا في خطايا الأسياء (عليه السلام) : ما ذكره المرتضى (عليه السلام) في كتاب الشرح والبيان قال : إن الأسياء (عليه السلام) غير معصومين ، وأنهم يعفلون ويسهون ، وأن نيتهم مركبة على نية الأدميين .

وقال في قول الله تعالى : ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۝ ثُمَّ اجْبَأَ رَجُلًا ثَابِتًا عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (١٢٢، ١٢٣) : فلا تكون لثوبة إلا من بعد الخطيئة (١) .

وقال فيه : من قال إن آدم لم يعص ، ولم يظلم موسى نفسه ، وكذلك يونس ، فقد أكذب كتاب الله تعالى

(٢) في (ع) : عن ابن عباس .

(١) في (ح ، ت) : إلا من بعد خطيئته .



مرکز تحقیقات و توسعه در اسلام

(١٢) باب حقيقة معرفة الإمام

اعلم أنه لما كانت النبوة لا تحصل لأحد بعد رسول الله ﷺ، وأن الله قد ختم به الرسل كما قال تعالى: ﴿وَكُنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الاحزاب: ٥٦]، وقال رسول الله ﷺ: «لا نبي بعدي». وكان الناس محتاجين إلى من يقوم (في) مقام النبي ﷺ لينفذ الأحكام، ويحل الحلال، ويحرم الحرام، ويكفل الضعفاء والأيتام، وينصف المظلومين^(١) من الظالم، ويدعو إلى عز الإسلام وبراء المكارم، ويدفع كل خائن وغاشم، ويدعو إلى الجهاد في سبيل رب العالمين، ويعز المؤمنين، ويذل الفاسقين؛ وحكم العقل بوجوب قيام إمام من المؤمنين لصالح الإسلام والمسلمين، وحكم العقل بأنه إن لم يقم إمام أن الإسلام يضعف، وأن الكفر يتقوى، وأن الفساد يلحق جميع الناس، فوجب قيام الإمام بعد النبي ﷺ. وكذلك القول إذا مات الإمام، أو قتل أنه يجب قيام إمام بعده، إلى آخر الدھر.

وحكم العقل أيضاً بأن الإمام بعد النبي ﷺ يكون مختاراً ولا يكون في الأمة من هو أفضل منه، وأن يكون جامعاً للخصال المحمودة ولا يكون في الأمة من هو أجمع منه للمحامد.

(١) زيادة في (ب، ي).

(٢) في (ع): المظلوم.

فمن الخلال^(١) المحموده: أن يكون أقرب الناس إلى النبي ﷺ، وأن يكون أسبقهم إلى طاعته، وأن يكون أكثرهم بذلاً وعناءً معه، وأن يكون أعلم الناس بالكتاب والسنة، وأن يكون أسخاهم بماله ونفسه.

والأمة مجمعة على أن هذه الخلال^(٢) كلها في علي أمير المؤمنين (عليه السلام) وقائد الفر المحتلين دون غيره من الأمة.

ومما يؤيد ما قلنا من الكتاب في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيام الإمام ووجوب دعوته إلى الله - قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَهَدَىٰ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سجدة ١٢٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (آل عمران ١١٠) وقال تعالى: ﴿مَكُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ (آية آفة ١٢٥)، وقال تعالى: ﴿مَكُنْكُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾ (آل عمران ١١٠)، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَمْسَلُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَهَاتِلُوا إِلَى اللَّهِ حَتَّىٰ تُلَىٰ إِلَيْهِ أَمْرُ اللَّهِ﴾ (سجدة ١٩)، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَيَسْتَلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا لَّهُمْ مُلْكٌ أَوْ مَعَنَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ قَالُوا مَرْئِي إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأنعام ١٥٩-١٦٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرَّةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَا هَارُونَ إِبْنِي إِسْرَءِيلَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَهْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَنَا مَسْبُورًا وَصَحَّاءُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (سجدة ٢٤، ٢٣)، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ

(١) في (ص). فمن الحصال

(٢) في (ص): الحصال

الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَخَّذُوا مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝ وَلِيَمْنَحَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَتَعْلَى الْكَافِرِينَ ۝ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتَلَكَّسُوا بِالْجَنَّةِ وَلَكُمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الْكَافِرِينَ ۝ [ال عمران ١١٠-١١٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [نساء ١٧٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَتَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة ١٤٣] ، ومعنى قوله : ﴿ وَسَطًا ﴾ أي خياراً ، قال الشاعر

هم وسط يوصي الأناس بحكمهم

إذا نزلنا إلهي الليالي بمعظم

وقال تعالى بذي النورين : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِسْرَافِيلَ عَلَى لِسَانِ قَاوُودَ وَجِئَ الْبَرُّ مَرْتَمَ قَلْبِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُكْرِمَاتِ اللَّهِ لِيُفْسَدُوا بِهَا مَا عَصَوْا فَقُلُوا إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة ١٧٨-١٧٩] ، وقال رسول الله ﷺ : « لتأمرن بالمعروف وتنهعن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا حياركم فلا يستجاب لهم » ، وروي أنه قال : « مروا بالمعروف ، وانهاوا عن المنكر ولو حوا » ، وروي عنه ﷺ أنه قال : « لا يحل لغيري ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنصرف »^(١) .

وروي عنه ﷺ أنه قال : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » فثبت ما ذكرنا من وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،

(١) في نسخة : أو تنفل

من طريق العقل والكتاب والسنة، وهو إجماع الأمة. وكذلك^(١) وجب تقديم الأفضل لقول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَقْدِرُ إِلَى الْحَقِّ لَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ آمَنَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ﴾ [سورة ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَعْرِضُونَ إِلَهُينَ يَخْلُفُونَ وَالَّذِينَ لَا يَخْلُفُونَ إِنَّمَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ لَكُمْ أَوْ تَوَلَّوْا الْآلِهَةَ﴾ [سورة ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَهْدِي اللَّهُ مَنِ يَشَاءُ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة ٢٨]

فصل

في الكلام في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وقد ذكرنا فيما تقدم أن الأمة مجمعة على أنه^(٢) ما جمع الخلال المحمودة بعد النبي ﷺ وغيره. [سورة ٢٨]

فأول الخلال المحمودة: القربة من رسول الله ﷺ، فإنه أخو رسول الله ﷺ وابن عمه وزوج ابنته، وأبو سبطيه.

ومنها: السبق بالإيمان، والأمة مجمعة (على)^(٣) أنه أول رجل آمن برسول الله ﷺ، وهي مجمعة على أنه ما عبد صنماً، ولا أشرك بالله، وغيره - من أجللاء الصحابة - آمن بعد الشرك.

ومنها: أنه أكثر الناس عماءً وجهاداً مع رسول الله ﷺ، ومن عبائه ويدله لنفسه^(٤) دون رسول الله ﷺ. أنه فناء بنفسه ليلة رقد على فراشه.

(١) في (ش) ولندك

(٢) في (ع، ب)، على أن

(٣) ساقط في (ع، ش)

(٤) في (م، ي، د): أنه يدل نفسه

ومنها: شجاعته (عليه السلام) التي خُصَّ بها، فإنه نازل الأقران، وقتل الشجعان، وأباد صناديد العرب، ومرتج عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كثيراً من الكرب، فقوي الإسلام بجهاد، وضعف الكفر بصبره واجتهاده.

ومنها: علمه الغزير وفقهه الكثير حتى قال عمر فيه مع مكانه في الفقه: (لولا عليٌّ لهلك عمر). وقال: (لا أبقاني الله لمعظلة لا أرى فيها أبا الحسن).

ومنها: كرمه المعروف وسماحه الموصوف، فإنه كان يؤثر غيره في القوت على نفسه ولا يدخر طعاماً لعهده من أمسه.

ومنها: رده في الدنيا مع قدرته على بلوغ كثير من الأشياء، فرصي من قوته بأذنيه، ومن لباسه بأحشيه، وفيه ما يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَآتَوْنَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝ وَمَنْ يَعْزِلْهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ الْعَائِلُونَ﴾ [النساء ٥٩].

وبإجماع الأمة أنه لم يُزَكَّ أحدٌ ركباً غير علي (عليه السلام)، فزلت هذه الآية فيه، فثبت أنه الولي بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فإن قيل: فما أنكرتم أن تكون هذه الآية عامة لجميع المؤمنين؟

قلنا: لا يجوز ذلك لأن الله تعالى ذكر الولي والمولى عليه، فخاطب المولى عليه بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ﴾ فصَحَّ أن الولي غير المولى عليه، فثبت أن الآية خاصة لعلي (عليه السلام) ^(١)

(١) في (ب): علي (عليه السلام)

إِذْ لَمْ يَدَّعِيهَا غَيْرُهُ ، وَلَا تَصَدَّقَ رُكْعاً سِوَاهُ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ ، قُثِّبَتْ أَنَّهُ أَوَّلَى بِالْإِمَامَةِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَّاهُ فِي وَلَايَةِ الْمُؤْمِنِينَ مُحَلِّلاً رَسُولَ اللَّهِ ﷺ .

وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا كَانَ مِنْ قِصَّةِ الْمَبَاهِلَةِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا وَرَدَتْ بَصْرَى بِحِرَانِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى آيَةَ الْمَبَاهِلَةِ ، قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ قُلْنَا تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَبَنَاتَنَا وَبَنَاتَكُمْ وَأَهْلَنَا وَأَهْلَكُمْ ثُمَّ نَكْفِئَ كَتِفَ اللَّهِ إِلَى الْكَافِبِينَ ﴾ [الصف: ١٦٥] . فَدَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَاحْسَنَ وَالحُسَيْنَ ، فَأَحْبَمَتْ نَصَارَى حِرَانٍ وَلَمْ يَبْأَهْلُوا ، فَصَحَّ أَنَّهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَرُويَ أَيْضاً فِي الْأَحْصَارِ الْمُتَظَاهِرَةِ : أَنَّهُ لَمَّا بَرَزَتْ الْبَرَاءَةُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَشْرِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى قُرَيْشٍ أَبَا نَكْرٍ فَأَنَاءَ حَبْرِيْلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : (إِنَّهُ لَا يَلْفُهَا إِلَّا أَنْتَ أَوْ مَنْ هُوَ مِنْكَ) يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَبِي بَكْرٍ يُرَدُّ وَيَلْفُهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى قُرَيْشٍ ، وَقَرَأَهَا عَلَيْهِمْ بِمَكَّةَ فَصَحَّ أَنَّهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَرُويَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ اسْتَخْلَفَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) عَلَى الْمَدِينَةِ وَمَا هُنَاكَ (١) ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنْ مُحَمَّدٌ قَدْ شَتَّى ابْنُ عَمِّهِ وَمَلَّهَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا (عليه السلام) ، فَشَدَّ رَحْلَهُ ، وَخَرَجَ مِنْ سَاعَتِهِ ، فَهَبَطَ حَبْرِيْلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَعْلَمَهُ بِقَوْلِ الْمُنَافِقِينَ ،

(١) فِي (ص) وَمَا هَاكَ

وخروج علي (عليه السلام) للحاق، فأمر رسول الله (ﷺ) منادياً فنادى بالتعريس في مكانكم، فاجتمع الناس إليه يسألونه عن التعريس في غير وقت التعريس، فأخبرهم بما أتى به جبريل صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل، وأخبرهم أن الله تعالى أمره أن يستخلفه في المدينة قال: هركب بعض أصحاب النبي (ﷺ) ليتفقوه، فما زالوا من مواضعهم إلا قليلاً، وطلع عليهم علي (عليه السلام) مقلداً فتلقاه رسول الله (ﷺ) وحوله الناس، فقال له رسول الله (ﷺ) وقد تلقاه ماشياً والناس حوله: «ما أقبل بك يا علي بن أبي طالب»، وهو يعاقبه، فقص عليه القصة، فقال رسول الله (ﷺ): «يا علي، ما حيفتك إلا بأمر الله سبحانه، وما كان يصلح هناك عيري وغيرك، أما ترضى أن تكون خليعتي كما استخلف موسى هارون، أما والله (إنك مني) بمرلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي» فلما أقبل رسول الله (ﷺ) قسم للناس^(١) فدفع إلى علي سهمين، فأنكر ذلك قوم. فقال رسول الله (ﷺ): «أيها الناس، هل أحدٌ أصدق مني؟ قالوا: لا يا رسول الله، فقال: أيها الناس، أما رأيتم صاحب الفرس الأبلق أمام عسكرينا في الميمنة مرة، وفي اليسرة مرة؟ قالوا: رأينا يا رسول الله فمن هو؟^(٢) قال: ذلكم جبريل -صلى الله عليه- فقال لي. يا محمد إن إلي سهماً مما فتح الله عليك، وقد جعلته لابن عمك علي بن أبي طالب (عليه السلام) فتسلمه إليه»^(٣)، قال أنس بن مالك: فكنت ممن بشر علياً (عليه السلام) بقول رسول الله (ﷺ).

(١) في (ع): قسم للناس

(٢) في (ط، ه): من هو.

وروي عنه عليه السلام أنه قال يوم عدير حم: «أيها الناس أئتت أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»^(١).

(٣) في (ع، ب): فسلمه إليه.

(١) قال مولانا العلامة الحجة محمد آل الرسول محمد الدين بن محمد المزيدي حفظه الله تعالى وأيده في مؤلفه كتاب (لوامع الأنوار) ما لفظه: «إن الإمام الحجة المصنوع بإالله عبد الله بن حمزة عليهم السلام في الشافعي هذا حديث عديم، ظهر ظهور الشمس، وأشهر أشهر الصلوات الخمس ومن كلامه عليه السلام رجع الحديث مفعلاً إلى مائة من أصحاب رسول الله عليه السلام، منهم: العشرة، ومن حديث فيها واحد، ومعه واحد، وفيه ريبات مائة، في أول الحديث وآخره. وسلك فيه اثنتي عشرة طريقاً، يعني بهذا صاحب المناقب قال الإمام عليه السلام - بمقصودها يؤدي إلى غير ما أدى إليه صاحبه، من أسماء الرجال المتصلين بالنبي عليه السلام - وقد ذكر محمد بن حريز الطبري صاحب تاريخ خير يوم العدير وطريقه من حمس وسبعين طريقاً، والفرد له كتاباً سماه كتاب الولاية وذكر أبو العباس أحمد بن محمد بن عمدة خير يوم العدير، والفرد له كتاباً وطريقه من مائة وحمس طرق، ولا شك في بلوغه حد التواتر، ولم يعلم خلافاً عن يثتد به من الأمة انتهى.

وكلام الأمة آل محمد صلوات الله عليه وعينهم في هذا المقام الشريف وغيره معلوم في جميع مؤلفاتهم في هذا الشأن وقد روى السيد لإمام الحسين بن الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في الهدية عن ثمانية وثلاثين صحابياً بأسمائهم، غير الحملة، كلها من غير طريق أهل البيت عليهم السلام، وقال الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير: إن خير العديري يروي ثمانية وثلاث وخمسين طريقاً انتهى.

وأما غيرهم، فقد أجمع على تواتره حفظ جميع بطوائف، وقامت به وبأمثاله صحة الله على كل موافق ومخالف وقد قال المهدي بهرسي طريقه، فقطعت بوقوعه انتهى وعده السوطي في الأحاديث المتواترة، وقال العربي في كنهه (سر العالمين): لكن أسفرت الحجة وجهها، وأجمع الجماهير على صحة يوم العدير، وذكر الحديث، واعترف ابن حجر في صواعقه: أنه روى ثلاثون صحابياً وذكر ابن حجر المسقلاني في تحريجه أحاديث الكشاف عن سعة وعشرين صحابياً، ثم قال: وآخرون، كل منهم يذكر أسماء أفرادهم غير الحملة: مثل اثني عشر، ثلاثة عشر، جمع من أصحابه ثلاثين رجلاً وقال القليلي فيه في الأبحاث المسندة: فإن كان هذا معموماً ولا سيما في الدنيا معلوم انتهى من (لوامع الأنوار) ص (٣٩٠) ج ١

وروي عن جابر بن عبد الله قال: جاء علي (عليه السلام) إلى النبي (صلى الله عليه وآله) يوم أحد، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إذهب، فقال: والله^(١) لا أذهب وأدعك، قال: فقال جبريل: هذه والله المواساة يا محمد، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا جبريل إنه مني وأنا منه، فقال جبريل صلى الله عليه وآله: وأنا منكما».

وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال لعلي (عليه السلام): «أنت أخي في الدنيا والآخرة».

وروي عن علي (عليه السلام) أنه كان يقول: (أنا عبد الله وأخو رسول الله). وروي أنه (عليه السلام) قال لعلي (عليه السلام): «لا يُحُكُّ إلا مؤمن ولا يعضك إلا منافق». وروي أنه (عليه السلام) قال: «من آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله^(٢)».

وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال في علي (عليه السلام) يوم حير: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرار^(٣) غير فرأى»، ثم دعا بعلي (عليه السلام)^(٤) وهو أرمم فتعس في عينيه فبرئ، وأعطاه الراية ففتح الله على يديه، ودعا له رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: «اللهم انصره وانصر به فإنه عبدك وأخو رسولك، اللهم أدر الحق معه ما دار»، وروي عنه (عليه السلام) أنه قال: «إن الجنة تشتاق إلى علي وعمار وسلمان». وروي عنه (عليه السلام) أنه قال: «من أحب أن يتمسك بقضيب الياقوت

(١) في (ض) لا والله

(٢) زيادة في (أ).

(٣) في (ص): كرراً.

(٤) في (ع): ثم دعا علياً (عليه السلام).

الأحمر الذي عرسه الله تعالى في جنة عدن، فليتمسك بحبِّ عليٍّ (عليه السلام). وروى عنه (عليه السلام) أنه قال: «علي سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ، وَقَائِدُ الْفِرِّ الْمُحْلِينَ» وهذا كثير.

وقد روي عن ابن عباس: أنه مرَّ بناس وهم يتناولون عليًّا (عليه السلام)، فوقف فقال: أيكم سبَّ الله؟ فقالوا: ما مَّا أَحَدٌ سَبَّ الله؟ قال: فأأيكم سبَّ رسول الله؟ قالوا: ولا كان هذا. قال: فأأيكم السَّابُّ عليًّا؟^(١) قالوا: قد كان ذلك. قال: فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي، وَمَنْ سَبَّنِي فَقَدْ سَبَّ الله، وَمَنْ سَبَّ الله فَهُوَ فِي النَّارِ».

وعن ابن عباس أيضاً: أنه سأل رجل من أهل الشام من حمص عن عليٍّ (عليه السلام)، وكان أهل حمص يلعنون عليًّا، فقال له ابن عباس: له القراءة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو أول الناس إيماناً، قال الشامي: هم لا يجحدون ذلك، ولكنه أحدث أحداثاً، وهو أنه قتل قوماً مسلمين، فقال له ابن عباس: مثل عليٍّ (عليه السلام) كمثِّل العبد الصالح الذي لقبه موسى (عليه السلام) فقصَّ له قصته، ثم قال: وأخبرك أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) تزوج زينب بنت جحش بعد ما طلقها زيد بن حارثة فأولم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكانت وليمته الخيس^(٢)، فكان^(٣) يدعو كل

(١) في (ص، ع): وهم يتناولون عن عليٍّ (عليه السلام)

(٢) في (أ): يب الله

(٣) في (ش): فأأيكم السَّابُّ لعلي

(٤) (الخيس) هو الطعام المتحد من النمر و لإقط واسمن، وقد يجعل عوص الإقط اللقيق

والعقيت. عت بهانة

(٥) في (ب)، وكان.

عشرة على قطعة ثم كانوا إذا فرغوا استأنسوا الحديث، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْطَعُوا ثُبُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ خَاظِرٍ إِلَّا هُوَ﴾ (الأحزاب ٥٦)، قال: فلما نزلت هذه الآية كانوا إذا أكلوا قالوا: الحمد لله المنعم المطعم ثم مضوا ولم ينتظروا الحرق ليمسحوا بها أيديهم. قال: فمكث رسول الله ﷺ عندها أسبوعاً ثم تحول إلى بيت أم سلمة ابنة أبي أمية، فلبث عندها ليلتين^(١)، فلما كان من الغد وقد تعالى النهار أتى علي بن أبي طالب عليه السلام فدق عليه الباب دقاً خفياً، فعرفه رسول الله ﷺ، وأكرت أم سلمة، قال^(٢) النبي ﷺ: «قومي يا أم سلمة فافتحي له»^(٣) الباب، قالت: من هذا الذي بلغ من حطره أن أقوم فأفتح له الباب؟ قال رسول الله ﷺ: إن طاعتي طاعة الله، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله؛ قومي^(٤) فافتحي الباب، فإن بالباب رجلاً ليس بالحرق ولا بالزرق ولا بالعجل في أمره، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فلما فتحت أم سلمة الباب أخذ بعصا دتي الباب، فلما يزل^(٥) قائماً حتى حمى عليه الوطي ثم فتح ودخل، فقال رسول الله ﷺ: يا أم سلمة هل تعرفين الرجل؟ قالت: نعم يا رسول الله هو علي بن أبي طالب وهنياً له، فقال النبي ﷺ: لحمه لحمي، ودمه دمي، وهو مني بمرة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي، يا أم سلمة هذا علي سيد المسلمين، وأمير المؤمنين،

(١) في (ش، ع، ب)، فلبث عندها ليلتين

(٢) في (ص) فقال

(٣) زيادة في (ص)

(٤) في (ب، ص، ط): فقومي

(٥) في (ب، ع، د): فلم يزل

والوصي من بعدي، والخليفة على الأخيار من أمتي، أخي في الدنيا، ورفيقي في الآخرة، يكون معي في السَّامِ الأعلى^(١)، إسمعي واشهدي يا أم سلمة أنه يقتل الناكثين، واقاسطين، والمارقين»، قال الشامي: وما الناكثون^(٢)؟ قال ابن عباس: الذين أقرؤوا بالمدينة، وأنكروا بالبصرة؛ كطلحة والرير ومن تبعهما وأما القاسطون فمعاوية وأصحابه، وأما^(٣) المارقون فأهل النهران؛ ذو الثدية وأصحابه. قال الشامي: فرجست عني، فرح الله عنك وروي عن أنس أن رسول الله ﷺ أتى بطائر مشوي فقال: «اللهم اثنني بأحب الناس إليك^(٤)»، فكان ذلك عني بن أبي طالب. والأخبار فيه كثيرة، وهذه الأخبار متظاهرة مشهورة متواترة تتلقاها الأمة بالقول، ولا ينكرها ذوو العلم والعقول.

فثبت أنه (عليه السلام) أحق الناس بمقام رسول الله ﷺ وأنه ظليم حقه، وجحد من قدم عليه غيره سقه.

(١) في (ش): في السناء الأعلى

(٢) في نسخة: ومن الناكثون؟

(٣) زيادة في (ص، م، ت).

(٤) في (ش): بأحب خلقك إليك

فصل

في الكلام في اختلاف الأمة في إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام
فقال الشيعية جميعاً: الإمام علي بن أبي طالب^(١) بعد
رسول الله ﷺ، وحجتهم ما قد ذكرنا من العقل والكتاب والسنة.
وقالت المعتزلة والمرجئة وأصحاب الحديث - وهم أهل الظاهر:
الإمام أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي.
وجحدت الخوارج إمامة علي^(٢).

واستدل من قدم على علي غيره بحجج لهم:
مها - أنهم قالوا: أبو بكر صاحب رسول الله ﷺ في الغار، وقد
ذكره الله في كتابه فقال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّا بِى الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنِ إِنَّ
اللَّهَ مَعَنَا﴾ [البقرة: ١٠].

ومنها: أنهم قالوا: إنه المولى في نصرة
ومنها: ما رووا عن النبي ﷺ أنه قال: «إن وليتم أبا بكر
وجدتموه قوياً في دينه ضعيفاً في بدنه، وإن وليتم عمر وجدتموه قوياً في
دينه قوياً في بدنه، وإن وليتم عثمان وجدتموه هادياً مهدياً، وإن وليتم
عليّاً - ولا أراكم تفعلون - أكنتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم».
وبما رووا^(٣) من قوله ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم

(١) في (ش، ي): الإمامة في علي بن أبي طالب (عليه السلام)

(٢) في (ص، هـ): ولا رووا

اهتديتم... وأكبر حججهم -بزعمهم- إجماع الأمة عليهم، وسكوت علي (عليه السلام). وما روي من قول أبي بكر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث، والأكثر منهم والأعم يقولون: إن مقام أبي بكر كان بالشورى، وينظر من المسلمين

وقالت شردمة منهم وهي لأقل: بل كان ذلك بوصاية من رسول الله ﷺ.

والرد عليهم -في قولهم واحتججهم بالفار- فإنه لم يذكر في العار مدح، لكنه ذكر بنهي، لأن قول النبي ﷺ له: «لا تحزن» دليل على أنه كان قد طهر منه الخزن والخبث^(١) وأيضاً فإن السكينة التي برزت على رسول الله ﷺ لم تنزل على أبي بكر قال الله تعالى: «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَيْهِ وَأَيْدِيَهُمْ يَتَوَدَّعُونَ قُلُوبُهُمْ» ولم يقل فيه كما قال في المؤمنين: «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى...» الآية (الحج ١٢٦). فصح أن صحته^(٢) لا توجب له ما ادعوه^(٣). وأيضاً فإن كانت له بذلك فصيلة، نصير أمير المؤمنين ومرقده على فراش رسول الله ﷺ أفضل

وأما قولهم: (إنه المولى في الصلاة) فإنه روي أن رسول الله ﷺ: خرج متكثراً على كتف علي (عليه السلام)، والثاني احتلف فيه، فقيل: عبد الله بن العباس، حتى نحى أبا بكر، وصلى^(٤) بالناس قاعداً،

(١) في (أ): الخوف والخبز

(٢) في (أ): أن صحابه

(٣) في (ص): ما ادعاه

(٤) في (ج، هـ، ي): صلى بالناس قاعداً

قلوبهم يُنحّيه لكان ذلك فضلاً. وأيضاً فقد يجوز أن يُصلي الرجل بأفضل منه، وقد روي أن رسول الله ﷺ وتلى ابن أم مكتوم على الصلاة بالمدينة.

وأما ما روي من قول رسول الله ﷺ: «إِن وَلَيْتُمْ أَبَا بَكْرٍ وَجَدْتُمُوهُ قَوِيًّا فِي دِينِهِ صَعِيفًا فِي بَدَنِهِ، وَإِن وَلَيْتُمْ عُمَرَ وَجَدْتُمُوهُ قَوِيًّا فِي دِينِهِ قَوِيًّا فِي بَدَنِهِ، وَإِن وَلَيْتُمْ عُثْمَانَ وَجَدْتُمُوهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا، وَإِن وَلَيْتُمْ عَلِيًّا - وَمَا أَرَاكُمْ تَفْعَلُونَ»^(١)، أكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم» ففي هذا الخبر وجوه:

منها^(٢): أنه لم يصح لنا.

ومنها: أنه ليس بأمر لهم ولكنه إخبار منه بما يكون بعده من فعالهم؛ ويدل على ذلك قوله في علي عليه السلام: «وما أراكم تفعلون».

ومنها: أن هذه الصفات فيهم تدل على أن الآخر أفضل ممن ذكر قبله، وذلك. أن القوي في دينه وفي بدنه أفضل من القوي في دينه الضعيف في بدنه لهذا الأمر، فكان على هذا يجب أن يُقدم عمر على أبي بكر، والهادي المهدي يكون أفضل^(٣) من القوي في دينه وبدنه^(٤)، فعلى هذا يجب أن يُقدم عثمان على عمر وأبي بكر وقوله: «إِن وَلَيْتُمْ عَلِيًّا - وَمَا أَرَاكُمْ تَفْعَلُونَ - أكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم»

(١) في (ص): ولا أراكم تفعلون

(٢) في (أ): منها

(٣) في (ش): يكون أقوى وأفضل.

(٤) في (م، د): في دينه وبدنه

وهذه الصفة هي أفضل من صفات المتقدمين، قال الله تعالى: ﴿وَكُونُوا أَهْلَ الْكِتَابِ أَمْنُوا وَأَقِيمُوا...﴾ إلى قوله: ﴿لَا تَكُونُوا مِنْ قَوْمِهِمْ وَمَنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [البقرة: ١٦٥، ١٦٦]، فوجب على هذا تقديم علي (عليه السلام) على جميعهم. وقد روي أنه لم يُذكر في الخبر عثمان، وأنه قال بعد ذكر عمر: «وإن وليتم علياً وجدعوهم هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم».

وأما ما روي من قوله (عليه السلام): «أصحابي كالنحوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، فهذا الخبر إن صح فإن مخرجه عام ومعناه خاص، والمراد به: أنه أراد بهم أن يقتدى بأصحابه المؤمنين الصالحين في شرائع الدين، ويؤخذ منهم العلم، ويقبل منهم الخبر إذا كان موافقاً للكتاب. ولو كان هذا الخبر يؤخذ بظاهره لجاز أن يكون سلمان خليفة وإماماً، لو طلب ذلك، وكذلك عمار وأبو ذر وسائر الصحابة، فسقط تعلقهم بهذا.

وأما ما روي من قول أبي بكر: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث»، فإنه روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالأخبار المتواترة أنه قال: «ما روي لكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فهو مني، وأنا قلته، وما لم يوافقه فليس مني ولم أقله»، وقد وجدنا في كتاب الله ما يخالف خبر أبي بكر وهو ما قص الله تعالى من وراثة أولاد الأنبياء (عليهم السلام) لأبائهم، وذكر وراثتهم لهم، فقال تعالى: ﴿وَوَيْثَ سُلَيْمَانَ دَاوُودَ﴾ [سورة: ١١]، وقال تعالى حاكياً عن زكريا: ﴿وَأَتَى خِفَّتِ الْمَوَالِي مِنْ دُونِي وَكَانَتْ أُمَّرَأَى خَائِراً تَهْتَبُ إِلَيَّ مِنْ لَدُنْكَ وَيَتَا ۝ يَرْفَعِي وَيُثَبِّتُ

مِنْ آلِ يَتْمَرٍ وَكَثْرَةِ زَيْدٍ وَحَيْثُ) (م.م. ١٠٠)، فصَحَّ أَنَّ الْخَيْرَ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ لَا يَصَحُّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَأَمَّا احْتِجَاجُهُمْ بِإِحْمَاعِ الْأَمَّةِ، وَسَكَوتِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنْ حَقِّهِ فَلَيْسَ ذَلِكَ لَهُمْ بِحُجَّةٍ مِنْ وَجْهِ:

منها: أَنَّ أَكْبَارَ الصَّحَابَةِ وَعُلَمَاءَ الْأَمَّةِ لَمْ تُجْمَعِ عَلَى ذَلِكَ بَلْ أُنْكِرُوهُ وَاجْتَنَبُوهُ، فَإِنَّهُ رُوِيَ عَنِ الزَّيْبِ لَمَّا امْتَنَعَ مِنَ الْبَيْعَةِ لِأَبِي بَكْرٍ حُمِلَ عَلَيْهِ وَانْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى كَسْرِ سَيْفِهِ^(١) وَرُوِيَ أَنَّ عِمَارَ بْنَ يَاسِرٍ ضُرِبَ، وَأَنَّ سُلَيْمَانَ اسْتُخِفَّ بِهِ إِذْ لَمْ يُيَايِعَا لِأَبِي بَكْرٍ. وَرُوِيَ أَنَّ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) هَجَمُوا بَيْتَهَا، لَمَّا تَأَخَّرَ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنِ الْبَيْعَةِ، وَأَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ لَمَّا أَظْهَرَ الْكَرَاهَةَ لِلْبَيْعَةِ اضْطُرَّ إِلَى مَفَارِقَةِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ رُمِيَ بِهِمْ فِي أَيَّامِ عُمَرَ وَمَاتَ. وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَوَلِيَ أَبُو بَكْرٍ الْأَمْرَ وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَرَّقَ الْمَنْبِرَ خَطِيبًا، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلَ مَسَرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ عَمْرٌ قَعْدٌ عَنْ بَيْعَتِهِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا: سِتَّةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَسِتَّةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ: خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ، وَأَبُو ذَرٍّ، وَعِمَارُ، وَالْمُقْدَادُ، وَسُلَيْمَانُ، وَأَبِي بَكْرٍ كَعْبُ.

وَكَانَ مِنَ الْأَنْصَارِ: قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ الْخَزْرَجِيُّ، وَأَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ الْتَيْهَانَ، وَسَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَأَبُو بَرْدَةَ الْأَسْلَمِيُّ، وَخُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ، وَأَبُو أَبِي الْأَنْصَارِيِّ. وَفِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ: فَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ: عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ نَعَّاصٍ، وَالْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ،

(١) فِي (م): إِلَى أَنْ كَسَرَ سَيْفَهُ

وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وبريدة الأسلمي. وكان من الأنصار: حزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري، وأبي بن كعب، فقال بعضهم لبعض: قوموا إلى هذا الرجل فأنزلوه عن منبر رسول الله ﷺ، فقال بعضهم: إن هذا الرجل اتفقت عليه هذه الأمة، ولكن انطلقوا بنا إلى صاحب هذا الأمر حتى نشاورة ونستطلع رأيه، فانطلق القوم حتى أتوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقالوا له: يا أمير المؤمنين ك في مسجد رسول الله ﷺ ورأينا هذا الرجل قد صعد منبر رسول الله ﷺ فأردنا أن ننزله عن منبر رسول الله، وكرهنا أن نزله درنك، ونحن نعلم أن الحق لك. فقال علي (عليه السلام) (أما إياكم لو فعلتم ما كنتم إلا حرباً لهم، وما كنتم إلا كالكلب في العين أو كالمذبح في الزاد، وقد اتفقت هذه الأمة التاركة قول نبيها، الدين باعوا آخرتهم بديانهم. وقد شاورت في ذلك أهل بيتي فأبوا إلا السكوت لما يعمون من وغر صدور القوم وبغضهم لأهل بيت محمد ﷺ، ولكن انصقوا إليه فأخبروه بما سمعتم من قول بيتكم محمد ﷺ ولا تتركوه في شبهة من أمره، ليكون ذلك أوكد في الحجة وأبلغ في العقوبة إذا لقي الله وقد عصاه وخالف أمر نبيه). فانطلق القوم في يوم جمعة في وقت صلاة الظهر حتى جثوا حول منبر رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر فصعد المنبر، فقال المهاجرون والأنصار: قوموا فتكلموا بما سمعتم من قول بيتكم محمد ﷺ. فقال الأنصار للمهاجرين: بل أنتم قوموا، فتقدموا فإن الله قدمكم علينا في كتابه

فقال: «لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ» (الطه: ١١٧)، فكان أول من تكلم خالد بن سعيد، فقام قائماً على قدميه فقال: معاشر المسلمين أنشدكم بالله وبحق رسول الله ﷺ تشهدون بأن رسول الله ﷺ قال لي: «هذا خالد صديق قومه»؟ قالوا: بلى والله نشهد بذلك. قال: معاشر الناس فأنا أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «علي قائد البرة، وقاتل الكفرة، وهو أحق بالأمر من بعدي». ثم جلس. وقام من بعده أبوذر الغفاري فقال: يا معاشر المسلمين أنشدكم بالله وبحق رسول الله ﷺ تشهدون بأن رسول الله ﷺ قال: «رحمك الله يا أبا ذر تموت وحدك، وتدفن وحدك، وتحشر وحدك، وتحاسب وحدك، وتدخل الجنة وحدك، يكرمك الله بك سبعة مائة بلون عسلك ودرمك» قالوا: أشهد والله بذلك. قال: فأنا أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي أخي وابن عمي وأبو سبطي والحجة من بعدي». ثم جلس.

وقام سلمان الفارسي وقال: يا معاشر المسلمين فأنشدكم بالله^(١) وبحق رسول الله ﷺ تشهدون بأن رسول الله ﷺ قال: «سلمان منا أهل البيت»؟ قالوا: بلى والله شهد بذلك، فقال^(٢): فأنا أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «علي إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وهو الأمير من بعدي» ثم جلس.

(١) في (ع): يا معاشر الناس

(٢) في (هـ، د): أنشدتكم الله

(٣) في (ت): قال

ثم قام^(١) من بعده المقداد بن الأسود الكندي فقال: معشر المسلمين، أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، الفائز من تولاه، والكافر من عاداه» ثم جلس

وقام من بعده عمار بن ياسر فقال: معشر المسلمين^(٢) فأنشدتكم بالله^(٣) وبحق رسول الله ﷺ أستم تشهدون أن النبي ﷺ قال: «يا آل ياسر أشيروا [فإن] موعدكم الجنة»، وقال: «عمار مع الحق والحق مع عمار، حيثما دار عمار دار الحق معه»، وقال: «يا عمار تقتلك الفئة الناعية، يكون آخر زادك من الدنيا قعباً من لبن»؟ قالوا: بلى والله شهد بذلك، ثم أقبل إلى أبي بكر^(٤) فقال: يا أبا بكر ارجع عن صلعتك، واقبر شركك، وإلزم مبركك، وإليك على خطيبتك، ورد الأمر على من^(٥) جعله الله له ورسولته، ولا تركزن إلى الدنيا، ولا يفرك^(٦) من قریش أو عادها، فمض قليل فرحل عن دنياك ثم تصير إلى ربك فيسألك عما جنته يداك، وما ربك بظلام للعبيد. ثم جلس.

وقام من بعده أبي بن كعب فقال: يا معشر المسلمين أستم تشهدون بأن النبي ﷺ رقى منبر يوم غدیر خم، وقام علي إلى جانبه وخط يده اليمنى وشالاً أيديهما حتى رؤي بياض أباطيهما

(١) في (م): وقام

(٢) في (ب). يا معشر المسلمين. وفي (ع): يا معشر المسلمين

(٣) في (ع، ب). ناشدكنكم الله

(٤) في (ص). إلى من

(٥) في (ش، ب): لا يفرك

ثم قال: «معاشر الناس من كنت نبيته فهذا علي وليه ألا من كنت مولاه فعلي مولاه^(١)، اللهم وال من ولاء، وعاد من عاداء، وانصر من نصره، واخذل من حذله» ثم جلس.

وقام من بعده قيس بن سعد بن عبادة فقال: يا أبا بكر، أأنت تشهد بأن النبي ﷺ يوم كُنّا بين يديه فأقبل عليك بوجهه فقال: «يا أبا بكر من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله، ومن أبغض الله كان حقيقاً على الله أن يكبه على منخره في نار جهنم؟» فقال: بلى أشهد بذلك. ثم قال: يا معاشر المسلمين أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا حرب لمن حارب علياً وسلم لمن سالم علياً» ثم جلس.

وقام من بعده أبو الهيثم بن أثيران فقال: يا معاشر المسلمين أأنت تشهدون بأن النبي ﷺ قال: «هذا ابن أثيران ما كذبتني منذ آمن بي، ولا نافقتني منذ صدقني؟» قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: فأنا أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «علي سفينه من ركبها نجا ومن تخلف عنها عرق»، أو قال: «في النار هوى» ثم جلس.

وقام من بعده سهل بن حنيف فقال: معاشر المسلمين أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي باب حطة من دخلها كان آمناً» ثم جلس.

(١) في (ب): فهذا علي مولاه

وقام من بعده أبو بردة الأسلمي^(١) فقال: معاشر المسلمين أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «عليّ أحيى وأبى عمي ووارث علمي، وحامل رأيي يوم القيمة، والخليفة من بعدي، المؤمن من تابعه، والكافر من خالفه» ثم جلس.

وقام من بعده خزيمة بن ثابت ذو الشهاداتين وقال: يا معاشر المسلمين أستم تشهدون بأن النبي ﷺ قبل شهادتي وحدي ولم يزد معي غيري^(٢) قالوا: بلى شهد بذلك قال: أشهد أني^(٣) سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «لا إله إلا الله ربكم، ومحمداً نبيكم، والإسلام دينكم، والقرآن إمامكم، وعلياً هاديكم، فوالى الله من والاه وعادى من عاداه» ثم جلس.

وقام من بعده أبو أيوب الأنصاري فقال: يا أبا بكر ألت تذكّر هذه الآية يوم أزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ فقامت أنت وصاحبك فقلتما بين كتفيه وقلتما: أصححت والله مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة؟ فقال: بلى قد كان ذلك. فقال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «عليّ عين الله في خلقه، وولايته الصراط المستقيم، والحجة على الأمة بعدي» ثم جلس.

فلما أن سمع أبو بكر ذلك نزل عن المنبر ودخل منزله، فمكث لا يخرج إلى الناس ثلاثة أيام، فلما أن كان اليوم الرابع أتى^(٤) عمر

(١) في (ج): أبو بردة الأسلمي.

(٢) في (ب): ولم يزد معي أحداً.

(٣) في (ب): أشهد بأنني.

(٤) في (ج): في اليوم الرابع أثناء.

وعثمان وعبد الرحمن بن عوف، وسالم مولى أبي حذيفة،
والأشعث بن قيس، وأبو موسى الأشعري، وقفد مولى عمر، مع
كل رجل منهم عشرة رجال، شاهرين أسياهم، حتى أخرجوه من
منزله، وعلا المنبر فخطب، وجعلوا يدورون في المدينة وهم يقولون:
والله لئن عاد أحد إلى مثل ما تكلم به بالأمس لنعلونه بأسيا فناء،
فأمسك القوم عند ذلك ولم يردوا جواباً.

فأين الإجماع من الأمة؟ وهؤلاء كبار الصحابة^(١) وعلماء الأمة
أنكروا ذلك. فإما إجماع من لا يعتمد به من الجهال لومين الرعية^(٢)
فليس إجماعهم بحجة، لأن الله تعالى ذكر أمم الأنبياء بالتكذيب قال
تعالى: ﴿كَانَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَأَمْحَاكِ الرُّسُلِ وَثُودٌ ۝ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا
وَلَمْ نَكُنْ لَكُمْ ءَالًا ۝ وَحَكِي قَوْلِهِمْ نُوْحٍ ۝﴾ وقال نوح ربه لا تنز
على الأرض من الكافرين فكلوا ۝ إِنَّكَ لَن تَذَرَهُمْ بَعْدَ إِعْمَادِكَ وَلَا يَلْبَثُوا إِلَّا فُجُورًا
كَلَّا ۝﴾ [سورة ١٢٧، ١٢٨] وقد أخبرنا الله تعالى أنه ما آمن للرسول^(٣) إلا
الأقل من أمهم فقال تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [سورة ١٠١]، وقال:
﴿فَضَرَبُوا بِئْتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة ١٢٩]، وقال تعالى: ﴿اهْتَفِلُوا إِنَّ دَاوُدَ شَكَرًا
وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة ١١٢]، وقال - فيما حكاه عن داود عليه السلام: ﴿وَأَنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيْسَ بِتَحْتَهُمْ عَلَى تَمَاضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَقِيلُوا
الْمُتَالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [سورة ١٢١]، وقال تعالى: ﴿وَالْحُسْبَىٰ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ
لَكُفْرٌ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [سورة ١٢٣] ولا يستثنى من الشيء

(١) في (ل) كبار الصحابة

(٢) زيادة في (ي)

(٣) في (ع): بالرسول

إلا الأقل. وأخبرنا: أن أكثر الناس لم يؤمنوا ولم يعقلوا فقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الحديد ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١) [الأعراف ١٨٧]، وقال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) فصَحَّ أن إجماع من أجمع من الأمة على إمامة أبي بكر لا يُؤخذ به، وإنما يُؤخذ بإجماع العلماء والصحابة، والإجماع وقع في علي (عليه السلام)؛ لأنهم مجمعون معاً أنه مستحقٌ بمقام، وأنه وصيُّ رسول الله ﷺ في ديونه وأموره الخاصة، ونحو غير مجمعين معهم في أصحابهم وأئمتهم، فمن أولى بحجة الإجماع منهم.

وأما سكوت أمير المؤمنين (عليه السلام) عن حقه، فإنه اجتهد مع رسول الله ﷺ في جمع المؤمنين وتآلمهم^(٣)، وخشي إن نازع في حقه أن يُفترق ما جمع رسول الله ﷺ، وكان لو نازع القوم وعارضهم لشق عصا الإسلام، وكان عهد الناس بالشرك قريباً، وكان المشركون والكفار، والمنافقون والماسقون، يريدون ذلك ليشتغل المسلمون بعضهم ببعض، وكان في ذلك فساد الإسلام، فرأى تغطية المسلمين على ما هم عليه أولى، وهو أهون العُسرين. فهذا سبب وقوفه وسكوته عن حقه، وقلة أيضاً بصيحة أعوانه وأنصاره؛ وليس ذلك بعجيب، قد أخرج^(٤) رسول الله ﷺ من بيته، وتبع فاخْتِياً في الغار للثقية، فلم يُعب بذلك؛ فكذلك أمير المؤمنين (عليه السلام)، وله برسول الله

(١) في جمع السج - (ولكن أكثر الناس لا يعقلون) وليس في القرآن الكريم آية هكذا تمت

(٢) في جمع السج - (ولكن أكثر الناس لا يعقلون) وليس في القرآن الكريم آية هكذا

(٣) في (ش) وتآلمهم

(٤) في (ض) وقد أخرج

أسوة حسنة، مع أنه (عليه السلام) لم يسكت عن حقه. روي عنه (عليه السلام) أنه قال لولده الحسن (عليه السلام): (يا بني ما زال أبوك مدفوعاً عن حقه، مُستأثراً عليه، مُتدُقِبِضَ رسول الله ﷺ حتى يوم الناس^(١))، وسيعلم الذين ظلموا أي مقلبي ينقلبون^(٢) فنسب^(٣) من دفعه عن حقه ظالماً^(٤)، وقد تهدد الله الظالمين بالعذاب.

وقال أيضاً في حُطبة له: (أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرُحَى، يتحدر عني السيل ولا يرقأ إليّ الطير، فسدت دويها ثوباً وطويت عنها كشحاً...) إلى آخر كلامه فلم يسكت (عليه السلام)، وإي وقف لما علم الأنصار.

ومن ظلم أبي بكر الظاهر أنه منع فاطمة (عليها السلام) حقها من ميراث أبيها في فداء العوالي وغير ذلك، ولم يرص بظلمه لها حتى زاد فنسب ذلك^(١) إلى رسول الله ﷺ، ولم يكن رسول الله ﷺ ليحرّم على ابنته وسائر ورثته الميراث منه، وهو يعلم أن الصدقة محرمة عليهم، والذور والكفارات. وإذا منعوا آل رسول الله ﷺ الميراث - وقد أيضاً منعوهم الأخماس - فهل هذا إلا أكبر الظلم؟

والقول في تقديم عمر وعثمان علي (عليه السلام) كالقول في تقديم أبي بكر.

(١) في (ص). - حتى يقوم الناس

(٢) في (ت): سمى

(٣) في (ج). إلى الظلم

(٤) في (ب، ص، ع): نسب ذلك

وأما قيام أمير المؤمنين (عليه السلام) عسى معاوية بن أبي سفيان فإنه لما قتل المسلمون عثمان، واضطروا إلى عبي (عليه السلام) وأجروا إليه^(١) من خوف معاوية لعنه الله، ولحاجتهم إلى القائم، فامتنع من القيام بهم لما علم منهم من قلة الوفاء والصدق، ولم يثق بهم لما تقدم منهم من تقديم أبي بكر وعمر وعثمان عليه، فكره ذلك، فما رالوا يطلبونه القيام، ويُعدونه الصبر معه والوفاء له، فلما وجست عليه الحجة بوجود الأنصار، قام وبايعه^(٢) المسلمون، فما لبث الزبير بن العوام وطلحة ومن والاهما^(٣) إلا قليلاً ثم نكثوا البيعة، وخرجوا بعائشة إلى البصرة لحرب علي (عليه السلام) وموجب ذلك أنهم أرادوا الدنيا، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يريد الآخرة، فاختلفت نيّاتهم وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَهْبَأْتُمْ أَصْهُكُمْ أَتَكْبِرْتُمْ هَرَقًا فَكَتَبْنَا لَهُمْ فِي قُلُوبِنا﴾ [المدثر: ٨٧]، فجمعوا علي أمير المؤمنين الأعداء، وحاربوه حرباً شديداً. وروي^(٤) عنه (عليه السلام) أنه قال: (بُليتُ بأربعة لم يبلَ بهم أحدٌ: بعائشة بنت أبي بكر أطوع الناس في الناس، وبطلحة بن عبيد الله أنطق الناس في الناس، وبالزبير بن العوام أشجع الناس بالناس، وبيعلى بن منه^(٥) التميمي الذي يعين علي بأصواع الذهب والفضة). ثم حرح أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الكوفة ودعا^(٦) أصحاب عائشة

(١) في (ب، ت)، ولجأوا إليه.

(٢) في (ش)، ومن تابعه.

(٣) في (ب، ص، ط)، ومن وادهما.

(٤) في (ع، ب)، روي.

(٥) في (ث)، يعلى بن منه يقال: يعلى من منه باعتبار أبيه، ويعلى بن منه باعتبار أمه. قلت.

(٦) في (ص)، فدعا.

إلى كتاب الله وسنة رسول الله فأبوا أن يُجيبوا، وسألهم الرجوع إليه فلم يرجعوا، فلمَّا أبوا إلا اقتال والفساد (في الأرض)^(١) حاربهم ووضع فيهم السيف فقتلهم، وعُقر بعير عائشة، فأمر أمير المؤمنين (عليه السلام) ولده الحسن ومحمد بن أبي بكر أن يمنعا حرم رسول الله ﷺ^(٢) ففعلوا، وأمر معهما عمار بن ياسر، والأشتر النخعي، وسعد^(٣) بن قيس الهمداني، ونصره الله عليهم، وقتل طلحة بن عبيد الله، وفر الزبير بن العوام، فبات عند عُمير بن جرموز فقتله، فأنكر ذلك عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بشروا قاتل ابن صفية بالنار» ثم عاد إلى المدينة، فأقام بها مدة، ثم خرج إلى الكوفة في قتال معاوية، فدعاه إلى كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ فأبى أن يجيبه، فكان بينهما من الحرب ما قد اشتهر وظهر على الناس، إلى أن كان آخر أيام صفين، وأشق معاوية من علي (عليه السلام)، ووقع أكثر القتل في أصحاب معاوية، قيل: إنه قُتل منهم خمسة وسبعون ألفاً، ومن أصحاب علي خمسة وعشرون ألفاً، ثم إن معاوية -لعه الله- أمر عمرو بن العاص -أخزاه الله- فجعل المصاحف على الرماح، وأمر من يحملها أن يقول^(٤): بيننا وبينكم كتاب الله وسنة رسوله، فكفَّت^(٥) أصحاب علي (عليه السلام)،

(١) ساقط في (ب، ت، ل)

(٢) في (ب، ص، د): حرمة رسول الله ﷺ

(٣) في (ص): وسعيد

(٤) في (ص، م): وسنة بيته

(٥) في (ع، ص): أن يقولوا

(٦) في (ع، م، د): مكف

فقال لهم عليّ: «إنها كلمة حق يراد بها باطل» فلم يقدموا عليهم بعد ذلك، فأقبل على أمير المؤمنين (عليه السلام) أصحابه وسألوه المحاكمة فقال: أنا أحكمُ عبد الله بن العباس^(١). فأبوا إلا أبو موسى الأشعري لعنه الله. وحكم معاوية عمرو بن العاص لعنهما الله، فخدع أبا موسى الأشعري وقال: إن علياً ومعاوية قد سفكا دماء المسلمين، وشقا العصا، وأهلكا الناس، وأنا أرى أن تخلع صاحبك عن الأمر، وأخلع صاحبي. فساعده أبو موسى إلى ذلك، وقدمه عمرو فقال للناس: إنه قد خلع علياً عن الأمر، وقال عمرو: قد ولي^(٢) معاوية الأمر، فقال أبو موسى له: خدعتني. فأحازها عليه. فافتقرت أصحاب علي (عليه السلام)، فاستقام معه المخلصون لله، وتفر عنه أكثر الناس، فاختلفت الناس في الحكمين على خمس مقالات^(٣)

فقال الحوارج: الحكمان قد كفرَا وكفّر علي (عليه السلام)^(٤) حين حكمهما، وعلتهم قول الله: «وَمَنْ لَّمْ يَخُذْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاتَّخِذْ لِمَا كَفَرُوا» [١١]، وفي تكبير علي (عليه السلام) بتركه القتال، وقد قال الله تعالى: «فَاتَّخِذُوا إِلَهِي حَقِّي قَبْلَ أَنْ أَمُرَ اللَّهُ» [١٢] وترك القتال كفر. وقالت الإمامية: إن علياً (عليه السلام) حكم للثقية، والثقية تسعة إما يخاف^(٥) على نفسه، واعتلوا أن رسول الله ﷺ قد كان للثقية يكتنم الدين في أول أمره.

(١) في (ص) عبد الله بن العباس وأصحابه وفي (ع): عبيد الله بن العباس وهو خطأ

(٢) في (س): قد وليت. وفي (م): قد ولي.

(٣) في (ع): وكفروا علياً (عليه السلام)

(٤) في (ب، ع، د): لما خاف.

وقالت الزيدية، والمرجئة، وإبراهيم النظام، ويشربون المعتزلة: إن علياً (عليه السلام) كان مُصيباً في تحكيمه الحكمين، وأنه إنما حَكَم حين خاف على عسكره الفساد، وكان الأمر عنده بيناً واضحاً، فنظر للمسلمين لِيَتَابِعَهُمْ، وإنما أمرهما أن يحكما بكتاب الله، فخالفا، فهما اللذان اخطئنا وأصاب هو، واعتلوا في ذلك أن رسول الله ﷺ وأدغ أهل مكة، وردّ أبا الجندل بن سهيل بن عمرو وتحول في قيده^(١).

وقالت الحشوية: نحن لا نتكلم في هذا، ونردّ أمره إلى الله تبارك وتعالى، والله أعلم به حقاً كان أو بطلاً.

وقال أبو بكر الأصم: نفس حروجه كان خطأ، وتحكيمه خطأ، إلا أن أبا موسى أصاب حين حله^(٢) حتى يجتمع المسلمون على إمام^(٣).
وقال سائر المعتزلة: إن كل مجتهد مصيب، وعليّ قد اجتهد، ولسا^(٤) نتهمه.

فهذا ما قيل في الحكومة، والصحيح عندنا أنه غلبَ على أمره وألجئ إلى قبولها، كما غلبَ على الأمر في أيام أبي بكر وصاحبيه وألجئ إلى القعود. ثم كان من قتله أهل النهروان^(٥) ما قد اشتهر لتكبيرهم له وخلافهم عليه. ثم قتله اللعين ابن ملجم - لعة الله - عليه ليلة الأحد لإحدى وعشرين ليلة من شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين

(١) في (ب، ص، ع): يحول في قيده

(٢) في (ع): علي إمام واحد

(٣) في (ع، ص، هـ): فلسا.

(٤) في (ب، ت، ل، ع، ص، م): لأهل النهروان.

مُنْذُ قُبُضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ سِتَّةُ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ. وَخَرَجَ (عَلَيْهِ) لَتَهْجُدَهُ لِمَصَادِفَةِ لَيْلَةٍ قَدَرِ.

وَأَجْمَعَتْ شِيعَتُهُ (عَلَيْهِ) عَلَى الْقَوْلِ: بِأَنَّ مُخَالَفَهُ مِنْ أَهْلِ السَّارِ^(١)، وَكَذَلِكَ قَالَ أَكْثَرُ الْمُعْتَزِلَةِ، وَمَنْ شِيعَتُهُ مِنْ حَكَمَ عَلَى مُخَالَفِهِ بِالْكَفْرِ. وَاخْتَلَمُوا فِي الْقَوْلِ فِيمَنْ تَقَدَّمَ أَوْ قَدَّمَ عَلَيْهِ.

فَقَالَ أَبُو الْجَارُودِ، وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ مِنَ الزَّيْدِيَّةِ: عَلِيٌّ وَصِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْإِمَامُ بَعْدَهُ بِلَا فُضْلٍ، وَأَنَّ الْأُمَّةَ قَدْ كَفَرَتْ فِي تَرْكِهَا بَيْعَتَهُ. ثُمَّ الْإِمَامُ بَعْدَهُ الْحُسَيْنُ بِالنَّصِّ، ثُمَّ هِيَ بَيْنَهُمْ شُورَى، فَمَنْ حَرَجَ مِنْ أَوْلَادِهِمَا مُسْتَحَقٌّ لِلْإِمَامَةِ فَهُوَ الْإِمَامُ. وَكَذَلِكَ قَالَتِ الصَّالِحَةُ (أَصْحَابُ) الْحُسَيْنِ بْنِ صَالِحٍ^(٢) بَنِي حَمِيٍّ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ فِي الْإِمَامَةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ غَيْرُ مُخْطِئَيْنِ، بِسَبَبِ سَكُوتِ^(٣) عَلِيٍّ (عَلَيْهِ) عَنْ حَقِّهِ، وَكَذَلِكَ عُثْمَانُ إِلَى أَنْ تَرَأَى مِنْهُ الْمُسْلِمُونَ، وَتَوَقَّفَ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ التَّمَارِ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ مِنَ الرِّيدِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ تَرَوُا مِنْ عُثْمَانَ بَعْدَ مَا عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ، وَشَهِدُوا عَلَى مَنْ خَالَفَ عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ.

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ جَرِيرٍ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ فِي عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَالْحُسَيْنِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ خَطَأٌ، لَا يَسْتَحِقُّانِ عَلَيْهِ إِسْمَ الْفَسَقِ مِنْ قَبْلِ التَّأْوِيلِ، وَتَرَأَوْا مِنْ عُثْمَانَ، وَشَهِدُوا عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ.

(١) فِي (ص، ي، د)، وَأَجْمَعَتْ شِيعَتُهُ (عَلَيْهِ) عَلَى أَنْ يَحْلُمَهُ فِي الدَّرِ

(٢) فِي (ش، ص): لَسْكُوتِ

وقالت الإمامية في علي والحسن والحسين مثل قولنا، وأثبتوا النص، وقالوا: لا يكون الإمام إلا مخصوصاً عليه من نبيٍّ أو وصيٍّ أو إمام، وسذكر الرد عليهم في موضعه، إن شاء الله تعالى.

وعندنا أن من تقدّم على أمير المؤمنين (عليه السلام)، أو قدّم عليه غيره بعد رسول الله (ﷺ) فقد ظلمه، وجحد حقه^(١)، وفسق، وهو كافر بعمّة، فاسق ظالم، وقد تهدّد الله لظالمين بالنار والخزي واليوار، وقد صحّ أنهم ظلموه حقه، وأكروه سبقه، غير جاهلين ولا شاكين، وكذلك من قدّم على الحسن، والحسين، والصالح من أولادهما (عليهم السلام).

فصل

في الكلام في إمامة الحسن والحسين عليهما السلام

وقد قدّمنا الكلام من العقل^(٢) ولإجماع أنه يجب أن يُقدّم في الإمامة الأفضل من الأمة، والأفضل من جمع وجوهاً من المحامد لا يجمعها غيره^(٣).

منها: القراءةُ إلى رسول الله (ﷺ) المشهورة بالنص.

ومنها: العلم، والدين، والورع، واليقين، والزهد، والكرم، وطيب المولد، وحسن الشيم.

(١) في (ج، ل، د): وجحد حقه.

(٢) في (ب، ص): في العقل.

(٣) في (ع): ولا يجمعها غيره.

والأمة مجمعة على أنه ما كان في عصرهما - بعد أبيهما - أجمع لهذه
المحامد منهما، فأما القرابة ولأنهما من ذرية رسول الله ﷺ ونسله،
ولأنهما ابنا ابنته وولدا ابن عمه.

والذي يدل على أن البت من الذرية قول الله تعالى في
إبراهيم ﷺ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن
ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ هَدَيْنَا
الضَّالِّينَ ۝ وَذَكَرْنَا وَآخِشِي وَغِيثِي وَالْهَاشِمِيَّ كُلٌّ مِّنَ الْمُطَهَّرِينَ ۝
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَكَوْنًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِن آبَائِهِمْ
وَنُزُلَاتِهِمْ وَإِبْرَاهِيمَ وَالْحَبَشَةَ هَدَيْنَا لَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام ٨١-٨٧]، فيبين
أن عيسى (عليه السلام) من ذرية إبراهيم (عليه السلام) بحسب أمه والحسن والحسين
إلى محمد ﷺ أقرب من عيسى إلى إبراهيم صلى الله عليهما، فصح
أنهما من ذريته ونسله.

ويؤيد ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كل بني أشي
ينتسبون إلى أبيهم غير ابني فاطمة فأنا أبوهما وعصيتهما» فصح أنهما
أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ، ولم يُنازعهما أحد في ادعاء الأمر من
بني هاشم، وفي الإشارة ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال:
قال رسول الله ﷺ في الحسن والحسين: «من أحبهما في الجنة ومن
أبغضهما في النار». وعن أبي هريرة قال: نظر رسول الله ﷺ إلى علي
وفاطمة والحسن والحسين فقال: «أنا حرب لمن حاربهم، مسلم لمن
سالمهم» وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «جاءني ملك من
الملائكة لم يهبط إلى الأرض قبل ليلتي هذه، فاستأذن ربه عز وجل

أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ فَبَشِّرْنِي (أو فأخبرني) أَنَّ الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا». وروي عن رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين إمامان وأبوهما خير منهما» فصَحَّ أنهما أولى الناس بمقام رسول الله ﷺ بعد أبيهما، وأن النص في إمامة علي، والحسن، والحسين، دون غيرهم. وثبت أيضاً أن الحسن الإمام - في عصر أخيه - القائم، لكرهه، وتقدمه، ودعوته، وتسليم (أخيه) الأمر إليه

وكان من دعوته (عليه السلام) أنه لما قُبل والدُه أمير المؤمنين، وغسَّله، وكفَّسه، وقرَّه، وصُربت عنقُ ابنِ ملجم - لعنه الله، صعد المسير فخطب الناس ونعى علياً (عليه السلام)، فقال في خطبته: (إن رجلاً من أعداء الله، المارقة عن دينه اغتال أمير المؤمنين - كرم الله وجهه ومشواه في الجنة - في مسجده، وهو خارج لتنهجده في ليلة يرجو فيها مصادفة ليلة القدر، فقتله، فيا الله من قتيل، فأكرم به وبروحه من روح عرجت إلى الله بالسر والتقوى والإيمان، ولهدى والإحسان، لقد أطلقاً به نور الله في أرضه، وهدم ركناً من أركان الإسلام، لا يُشاد مثله، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله محتسب مصيبتنا في أمير المؤمنين، ورحمه الله) يوم ولدَ ويوم قُتلَ ويوم بُعثَ حياً. ثم بكى حتى اختلجت أضلاعه ثم قال: (وقد أوصى بالإمامة إلى ابن رسول الله ﷺ وابنه

(١) في (س، ج، ل)، وروي عنه ﷺ

(٢) زيادة في (ع)

(٣) في (ش، م، ص)، ورحمة الله

وسليله، وشبهه^(١) في حلقه، لأن يحمر الله به ما قد وهى، ويسد به ما
ثلم، ويجمع الشمل، ويطفئ نار العنة^(٢)، فبايعوه ترشدوا).

فبايعه الشيعة كلهم، وهرب قومٌ فلاحقوا بمعاوية، وأرسل معاوية
إلى الدين بايعوه، فلم يزل يعمل فيهم بالكذب حتى حذلوه، ودخل
عليه قومٌ منهم فطعموه بخنجر، وأردوا قتله وقتل أخيه وأهل بيتهما،
وكان قد خرج من المدينة في حرب معاوية، فكتب إليه معاوية لعنه الله
يسأله الرجوع إلى المدينة والمهادنة، ويلزم كما لزم أبوه في عصر أبي
بكر وعمر وعثمان، وعلى أنه يحكم في أمة محمد ﷺ بالكتاب
والسنة، وعلى أنه يدفع الخمس إليه لذي أوجبه الله لبني هاشم، كما
كان يدفع إلى أبيه في وقت أبي بكر وعمر وعثمان، ففعل ذلك،
وهادته لما عدم الأنصار، ورحم المدينة هو وأخوه ومن كان معهما^(٣)،
فما زال معاوية لعنه الله يعمل فيه حتى قتله بالسم

ثم مات معاوية، وولى أمره ولده يزيد لعنه الله، وهو أول من
أطهر المسق وشرب الخمر في الإسلام، ثم إن قوماً من أهل الكوفة
استدعوا الحسين بن علي عليهما سلام وبايعوه ووعدوه بالنصر،
فخرج إليهم ووالي البلد عبيد الله بن زياد من قبل يزيد بن معاوية
لعنهم الله، فحاربه حتى قتله بكر بلاء - وأهل بيته، ووجه بحرمه
وبرأسه إلى يزيد بن معاوية، وردّه يزيد إلى المدينة فجاهدا عليهما
السلام، ولم يتركها الله عليهما حجة، وفعل بهما كما فعل بالأنبياء
والأئمة من قبلهما.

(١) في (ج، ت) وشبهه.

(٢) في (ش، ص، ع): نيران العنة.

(٣) في (ش): هو وإخوته ومن كان معهم.

فصل

في الكلام في الأئمة من بعدهما

وقد قدّمنا الكلام في إجماع الأمة على أن الإمام (هو) الجامع للمحامد؛ منها: القرابة إلى رسول الله ﷺ، ودلّلنا على أن الحسن والحسين أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ، فكما كانا أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ كذلك أولادهما.

ومن طريق النظر أن الإمامة لو كانت في جميع الناس لأدّى ذلك إلى الفساد والالتباس، ولتوضع شيء في غير أهله، وردّ الفرع إلى غير أصله، ولعسر على الناس طلب الإمام، وكان في ذلك فساد الإسلام، وكثرت^(١) المذعون للمقام وكان ذلك سبباً لتعطيل الأحكام. وأيضاً فقد جرت سنة الله في الأولين بتقديم درية النبيين صلوات الله عليهم أجمعين. فصحّ أن الإمامة في ولد الحسن والحسين محصورة، وعلى غيرهم محظورة. والذي يدل على ما ذهبنا إليه قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا التَّوَكُّلَ عَلَىٰ ثِقَتَيْنِ﴾ [الشورى: ٢٣]، وقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سبا: ٥٩]، وقد وصّى بمودة ذوي القربى^(٢) وهي أجر الرسالة، فصحّ أن ذوي القربى هم أولو الأمر.

وقد دلّلنا على أن أولاد الحسن والحسين أقرب ذوي القربى،

(١) في (ش، ص، ب) - وكما كانا أقرب الناس إليه ﷺ

(٢) في (ص، ش): ولكثر

(٣) في (ب، ص، د) أولي القربى

فثبت أنهم ولاة الأمر، وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِنِ اللَّهُ فُلُكًا هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [سورة ١٢٢]، فصَحَّ أن أهل الصفوة الذين أورثهم الله كتابه هم الذين أمر الله بمودتهم: وهم: علي والحسن والحسين وأولادهما.

وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ فإنه أراد أنه مهم في النسب، وقد ظلم نفسه وأخرجها من الطاعة لربه إذ لم يحل به وبين ما أراد الله منه إلا نفسه، وهو العاصي لربه المضيع لحقه.

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ يريد أن مهم من لم يبلغ^(١) درجة الإمامة، وهو من حدّ العالم الذي لم يَدْخُ الإمامة إلى حدّ المتعلّم المطيع لربه، وكل هؤلاء مقتصد عن درجة الشّيخ، وليس اقتصادهم بسواء، منهم من لم يجمعه من القيام إلا عدم الأنصار، ومنهم من هو دون ذلك.

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِنِ اللَّهُ﴾ يريد الإمام الذي دعا الناس إلى طاعة ربه، وبإين الطالين، وعادى الفاسقين، فذلك هو السّابق، ويبين ذلك ما يتلو هذه الآية من قوله: ﴿جَنَاتٌ حَتَّى يَدْخُلُوهَا يُحْمَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِيرَ مِنْ فِضَّةٍ وَكُلُورًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [سورة ٢٢]، فوعد الحسنين السابقين، والمقتصدين، وأوعد الظالمين فقال: ﴿وَالَّذِينَ صَكَكُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا تَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَمُوتُوا وَلَا يُحْيَىٰ عَنْهُمْ مِنْ خَلْقًا...﴾ إلى قوله: ﴿فَلْيُوقُوا فَنَّا لِلظَّالِمِينَ حَرِيرٌ﴾ [سورة ٢٦-٢٧]، فبين أنهم الذين عني بقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ وذكر الكفر هاهنا هو يجمع كفر الجحندان وكفر النعمة،

(١) ي (ح): من لا يبلغ

ثم قال بعد ذلك: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ كَفَرَ بِإِلَهِهِ إِنَّهُ يُنَادِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٠] ﴿كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا نَسْتَأْذِنُ وَلَا يَرْزُقُ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨١] ﴿كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [البقرة: ٢٨٢] فبين ما قلنا.

وذهبت المطرفية: إلى أن الظالم هو الذي ظلم نفسه درجة السبق، ولو كان مطيعاً لله متعلماً تقياً، وهذا التفسير خلاف الكتاب والسنة. ولو كان ذلك يُسمى ظمناً، لكان يستحق النار؛ لأن الله تعالى قد أوعد الظالمين بالنار فقال تعالى: ﴿مَنْ لِي الظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقال تعالى: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْعَبِينَ مِمَّا كَفَرُوا وَلَهُمْ وَقَعٌ بِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٨٣] وقال: ﴿وَمَا ظَلَمُوا وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وعن الحسكاني بإسناده عن زيد بن علي عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ أَنْبِيَائِهِمْ...﴾ الآية [البقرة: ٢٨٥] قال: (الظالم: المختلط مما بالناس، والمقتصد: الفائز^(١))، والسابق: الشاهر سيفه يدعو إلى سبيل ربه) وعنه أيضاً بإسناده عن علي (عليه السلام) قال: سألت النبي ﷺ عن تفسير هذه الآية فقال: «هم ذريتك وولدك، إذا كان يوم القيامة خرجوا من قبورهم على ثلاثة أصناف: الظالم لنفسه يعني الميت بغير توبة^(٢)، ومهم مقتصد استوت حسناته وسيئاته من ذريتك، ومنهم سابق بالخيرات: من زادت حسناته على سيئاته من ذريتك»، فسقط قولهم وصح قولنا. فهذا ما جاء في الكتاب من ذكر أهل البيت (عليهم السلام).

(١) في (ب، ص، ع). الفائز العابد وفي (ش): والمقتصد: العابد.

(٢) في (ع، ط، ش): من غير توبة.

ومن سنة رسول الله ﷺ ما مورده، فإنه روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تركت فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الخوض».

وروي عنه ﷺ أنه قال: «اتقوا الله في عترتي» (قال ذلك ثلاث مرات). وعترته هم أهل بيته، وعجرة الرجل هم ذريته وأهل بيته، قال الشاعر:

كان أباهم ذارماً وكانهم

لشقيقة من سل قيس بن عاصم

إذا عترة القوم الشريف تماخرت

لصلب ابن مخرن حتى سعد وذارم

وجدت لنا في خدام عترتها

إذا لم تحسد بسداً يسبوا في الأراقم

فصح أن العترة هم أهل البيت (س).

وروي عنه ﷺ أنه قال: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سمينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى».

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما بال أقوام من أمتي إذا ذكر عندهم آل إبراهيم استبشرت قلوبهم وتهلت وجوههم، وإذا ذكر عندهم أهل بيتي اشمازت قلوبهم، وكلحت وجوههم، والذي بعثني بالحق نبياً لو أن الرجل (١) منهم لقي به بعمل سبعين نبياً ثم لم يلقه بولاية أولي الأمر من أهل بيتي ما قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً».

(١) في (س) - لو أن رجلاً

وأيضاً فإن أهل البيت (عليهم السلام) يجمعون على أن الإمامة محصورة في ولد الحسن والحسين، وأنها محظورة على غيرهم، وإجماعهم حجة.

وذهبت بعض المعتزلة إلى أن لإمامة في جميع الناس جائزة. وكذلك قالت الخوارج، إلا النجدة منهم، فإنهم قالوا: لسنا نحتاج إلى إمام، إنما علينا أن نقيم كتاب الله فيما بيننا.

وقد قدمنا الرد على المعتزلة والخوارج في قولهم: الإمامة في كل الناس، بما قدمنا من الكتاب والسنة والعقل.

والرد على النجدة من كتاب الله، قوله تعالى: ﴿وَلَعَنَ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَأْمُورٍ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، ولا يصح الدخلاء إلى الخير، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا للإمام^(١)، وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتِخَلَّوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَلُوا بِكُمْ وَيَكْذِبُوا عَنَّا أَنْ يَكُونَ ثَمَرًا لَهُمْ الْجَهَادُ إِلَّا مَعَ الْإِمَامِ وَقَدْ رُوي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ مَاتَ لَا يَعْرِفُ»^(٢) إمام عصره مات ميتة جاهلية» وتفسير ذلك: أن تعرفه فإن كان عادلاً اتبعته، وإن كان جائراً اجتنبته.

وروي عن معاذ بن جبل قس: قال رسول الله ﷺ: «إن الجنة لا تحل لعاصٍ، ومن لقي الله ناكثاً بيعته لقي الله وهو أجدم، ومن خرج من الجماعة قيد شبر متعمداً فقد خلع ريقه الدين»^(٣) من عنقه،

(١) ن (أ) - إلا الإمام

(٢) ن (ي، د) - ولم يعرف

(٣) ن (ج) - ريقه الإسلام

ومن مات ليس إمام جماعة^(١) - ولا لإمام جماعة في عنقه طاعة -
أما لله ميتة جاهلية».

والعقل يحكم أن الأمة لا تستغني عن الإمام، ويسبب فقده وعدمه
ومعصية الناس له فساد الدين وفساد الناس، والأمة مجمعة على أن
قيام الإمام واجب، وأنه لا غنى للناس عنه، وأيضاً فإن أهل
البيت (عليهم السلام) مجتمعون على أن الإمامة محصورة في ولد الحسن والحسين،
محظورة على غيرهم، وإجماعهم حجة.

والدليل على أن إجماعهم حجة قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ بَيْنَ الْقَرَّتَيْنِ﴾ [سورة ١٢٢]، فلما أوجب الله مودتهم وجب ترك
مخالفتهم، لأن مخالفتهم خلاف المودة، والعقل يحكم بذلك، وقال
تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَلَّ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ
مِنْ حَرَجٍ مِّثْلَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ...﴾ الآية [سورة ١٧٨]، وهو
تعالى لا يختار شهداء إلا العدول الذين لا يجمعون على خطأ، وليس
لأحد أن يقول: (إن)^(٢) هذا عام في ولد إبراهيم؛ لأن من سوى أهل
البيت (عليهم السلام) خرج من حكم هذه الآية بالإجماع، فبقيت الآية
متأولة لهم.

وقالت المرجئة والحشوية، وسائر المجبرة: الإمامة في قریش^(٣)

(١) في (ع، ح)، ليس بإمام جماعة

(٢) ساقط في (ع).

(٣) في (أ) الإمامة من قریش

من صُلِّحَ منهم للإمامة. وقد قدمنا الاحتجاج^(١) عليهم وعلى المعتزلة والخوارج ما فيه كفاية، وقد قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَتَىكَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رُسُلًا﴾ [الأنعام: ١١٠، ١١١] فسمي رسوله ذكراً، ثم قال: ﴿فَاتَّبَعُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ۚ إِنَّكُمْ لَهُمْ لَأَقِلُّونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وقال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعيترتي أهل بيتي». وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمته^(٢)، وأحسوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي» فصَحَّ أن لأهل بيته ﷺ مزية ليست بغيرهم؛ ولأنهم مجمع عليهم، وغيرهم مختلف فيه.

واختلفت الأمة في الإمامة وفي عقدها^(٣) فعند الزيدية أن الإمامة تحصل للإمام ونحوه من تعرف^(٤) منه القرابة بأن يكون من ولد الحسن والحسين، ويكون عالماً بما يحتاج إليه من أصول الدين وفروعه، ويكون جيد التمييز، عارفاً لمحكم الكتاب ولتشابهه، عارفاً بجملة من الأخبار عن النبي المختار ﷺ، ويكون عارفاً بجملة من الوفاق والخلاف، ويكون ورعاً عفيفاً، طيب المولد والمشأ، ويكون مستقيماً اللسان، معروفاً بالكرم والإحسان، غير مهين ولا حبان، فإذا تم فيه ما ذكرنا، ودعا الناس إلى طاعة الله وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجبت بيعته ولزمت طاعته.

(١) في (ث)، من الاحتجاج

(٢) في (ش): من نعمه

(٣) في (ع): يُعرف.

والإمامة عند جميع الشيعة الزيدية والإمامية حكمٌ من الله تعالى وأمرٌ؛ وهي نعمةٌ وبليةٌ، ومن لعد الاتِّصاف، وهو الشُّكْرُ على النعمة، والصبر على البلية، وكذلك النبوة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَتْهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، فصَحَّ أن النبوة والإمامة، أمرٌ من الله تعالى، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا نَبِيَّ إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّوَّةَ﴾ [البقرة: ١٧١]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَتَذَكَّرُونَ أَتَمَرًا لِّمَا مَسَّرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ قَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ ثَنُكًا عَظِيمًا﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقال تعالى حاكياً عن موسى (عليه السلام): ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يَلُوكَ لَكُمْ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، فصَحَّ أن النبوة والإمامة (أمرٌ) من الله تعالى نعمةٌ وبليةٌ.

ودهبت المطرفية إلى أن السَّوءة والإمامة فعل النبي والإمام، وقد قدَّما الاحتجاج عليهم، وعلى من قال بقولهم في الإمامة بما فيه كفاية.

وقد نص القاسم بن إبراهيم ولهادي إلى الحق عليهما السلام على أن الإمامة من فعل الله تعالى، فقال القاسم (عليه السلام) في كتاب (تثبيت الإمامة) بعد (أن) ذكر الأسياء (عليهم السلام) قال: ثم أبان الإمامة من بعدهم، ودلَّ الأمة فيهم على رشدهم، بدليلين مُبينين، وعلمين مُضئيين، لا يحتملان لسر تعليط، ولا زيف شهة تخليط، لا يطبق

(١) ساقط في (ب، هـ)

(٢) ساقط في (ب، ت، ص، ع)

خلقهما^(١) متقن، ولا يُحس مخلقهما محسن، ولي ذلك منهما وفيهما، ومُظهر دلالة صنعه عليهما الله رب العالمين، وخالق جميع المحدثين، وهما: ما لا يدفعه عن الله دافع، ولا يتحل صنعه مع الله صانع؛ من القراءة إلى رسول الله ﷺ، وما جعل من احتمال كمال الحكمة في من الإمامة فيه وحُد الحكمة وحقيقة تأويلها: ذرُ حقائق الأحكام كلها، فاسمع لقول الله تعالى فيما ذكرنا من مكان قرابة المرسلين، وما جعل الله من وراثة النبوة من أبناء لنبيين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي فُرْقَتَيْهِمَا الشُّبُهَةَ وَالْكِتَابَ فَبَيِّنْتَهُمْ فَبَيَّنَّا فُرْقَتَهُمْ فَبَيَّنَّا فُرْقَتَهُمْ فَبَيَّنَّا فُرْقَتَهُمْ﴾ [المائدة: ٢٦]. وقال الهادي إلى الحق (عليه السلام) في كتاب الأحكام: (تثبت الإمامة للإمام، وتجب له على جميع الأمام بتثبيت الله لها فيه، وجعله إياها له وذلك قائما بكون من الله إليه إذا كانت الشروط المتقدمة التي ذكرنا فيه، فمن كان من أولئك كذلك، فقد حكم الله سبحانه له بذلك، رضي بذلك الخلق أم سخطوا) إلى آخر الباب. فإنه جعل لذلك باباً مفرداً. وقد علقت لمطرفة في قولها، وخالفوا أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، ووافقوا مخالفين أهل البيت.

وقالت المعتزلة والمجبرة وأخوارج: تثبت الإمامة للإمام بالشورى. واختلفوا في كمية من تثبت به. فقال قوم: تثبت بالإجماع. وقال قوم: تثبت بالخبر المتواتر وقال قوم: تثبت بالخبر الذي يُصطر إلى قبوله.

وقال أبو الهذيل: تثبت بعشرين رجلاً، واستدل بقول الله تعالى:

﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ حِشْرٌ صَابِرُونَ﴾ [الأنفال: ١٥]

(١) في (أ): لا يطبق خلقهما.

وقال قوم: تثبت بائس كما أنه يُقتل القاتلُ بشهادتهما. وقال قوم: تثبتُ بواحدٍ.

وقد قدمنا الاحتجاج عليهم أنها لا تثبت إلا بحكم الله. ولم يُخالفوا^(١) في التوبة.

وذهبت الإمامية إلى أن الإمامة لا تجب إلا بالنص، وسنورد قولهم والاحتجاج عليهم - إن شاء الله - في موضعه

فصل

في الكلام في إمامة زيد بن علي عليهما السلام ومن قام بعده من
الأنحة عليهم السلام

فإنه لما قُتل الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، وجرى عليهم ما جرى في كربلاء، ضعفوا لذلك، ولم يسم من القتل إلا أولاد صغار، منهم علي بن الحسين (عليه السلام)، ومنهم زيد بن الحسن، والحسن بن الحسن، وأقاموا مدة طويلة لم يقم منهم أحد، وبلغ علي بن الحسين السعي، وانتهى في الدين والعلم والورع والزهد واليقين، وسُمي (عليه السلام) زين العابدين. وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال للحسين بن علي عليهما السلام: «يولد لك بعدى غلامٌ يُسمى سيد العابدين».

وروي في الخبر: «يُنَادَى يوم القيامة: يُقَمُّ سيد العابدين، فيقوم علي بن الحسين عليهما السلام».

(١) في (ش، ع، ب): ولم يخالفوا

وكان من أمر زيد بن علي عليهما السلام: أنه لما عَلِمَ أن الحجة قد وجبت عليه لله دعا إلى طاعة الله، وإلى الجهاد في سبيل الله، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان في وقت هشام بن عبد الملك، فأجابه قومٌ، وأتأَمُّوا إليه بعد مُدَّةٍ، ثم إنه خرج في قتال هشام، وقد خرج في لقائه يوسف بن عمرو الثقفي فإنه بلغنا عن زيد بن علي عليهما السلام أنه كَتَبَ كتابه، فلما خففت راياته رفع يديه إلى السماء ثم قال: (الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله ما يسرني أني لقيتُ^(١) محمداً ﷺ ولم أمر^(٢) في) "أمته بالمعروف، ولم أنهم عن المنكر، والله ما أسالي إذا أقمت كتاب الله عز وجل، ومُسَنَّة رسول الله ﷺ أن^(٣) أَحْجَتُ لي نارٌ ثم قُلُوبُ فيها ثم صرْتُ فيما بعد ذلك إلى رحمة الله، والله لا يَصْطِرني أحدٌ^(٤) إلا كان في الرفيق الأعلى مع محمداً ﷺ، ونحن بنوه بآلِ معاشر، لعقهاء وآلِ أهل الحجا أنا حجة الله عليكم، ثم هذه يدي مع أيديكم، على أن نقيم حدود الله، ونعمل بكتاب الله، ونقسم بكم بالسوية، فاسألوني عن معالِم دينكم فإن لم أنبئكم عما سألتكم عنه فولوا من شتتم ممن علمتم أنه أعلم مني، والله لقد علمتُ علم أبي عبي بن الحسين، وعلم جدِّي الحسين بن علي، وعلم علي بن أبي طالب وصي رسول الله ﷺ وعيبة علمه، وإنني لأعلم أهل بيتي، والله ما كذبتُ كذبةً مُنْذُ عرفتُ بميني

(١) في (ث): أن لقيت

(٢) ساقط في (ع، ب)

(٣) في (ع): أنه

(٤) في (ش، هـ، ب): لا نصرني أحد

من شمالي، ولا انتهكت مُحَرَّمًا مُنْذُ عَرَفْتُ أَنَّ اللَّهَ يُؤَاخِذُنِي بِهِ، هَلُمُّوا فَاسْأَلُونِي) ثُمَّ سَارَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْكُنَاسَةِ فَحَمَلَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ كَانُوا بِهَا، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْجَبَانَةِ، وَيُوسُفُ بْنُ عَمْرٍو مَعَ أَصْحَابِهِ عَلَى التَّلُّ فُشِدَ بِالْجَمْعِ عَلَى زَيْدٍ وَأَصْحَابِهِ

قَالَ رَاوِي الْحَدِيثِ وَهُوَ أَبُو مَعْمَرٍ: فَرَأَيْتُهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَشُدُّ عَلَيْهِمْ كَأَنَّهُ اللَّيْثُ حَتَّى قَتَلْنَا مِنْهُمْ^(١) أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِي رَجُلٍ، مَا بَيْنَ الْخَيْرَةِ وَالْكُوفَةِ، وَتَفَرَّقْنَا فَرِيقَيْنِ، وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَشَدَّ خَوْفًا

قَالَ أَبُو مَعْمَرٍ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ حَاصَتْ مِنَّا حَيْصَةٌ (مِنْهُمْ)^(٢)، وَاتَّبَعْتَهُمْ فَرَسًا فَقَتَلْنَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَتِي رَجُلٍ، فَلَمَّا حَنَّ اللَّيْلُ - لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ - كَثُرَ قَيْنَا الْخِرَاجَ، كَمَا نَهَسْتَانِ فِيهَا الْفُشْلُ، وَجَعَلَ زَيْدٌ يَدْعُو وَيَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنْ هَؤُلَاءِ يَقَاتِلُونَ عَمْدُوكَ، وَعَدُو رَسُولِكَ عَنْ دِيكَ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لِعِبَادِكَ فَأَحْزَمِهِمْ أَفْضَلَ مَا جَزَيْتَ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ)، ثُمَّ قَالَ: احْشَرُوا هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالِدُعَاءِ وَالتَّهَجُّدِ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ، وَأَبْ أَعْلَمُ وَاللَّهُ مَا أَمْسَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ عَصَابَةٌ أَنْصَحَ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَلِلْإِسْلَامِ مِنْكُمْ. فَكَانَ^(٣) غَايَةَ أَمْرِهِ أَنَّهُ قَتَلَهُ يُوسُفُ بْنُ عَمْرٍو - لَعَنَهُ اللَّهُ - وَصَلَبَهُ فِي الْكُوفَةِ، فَأَقَامَ عَلَى الْخَشَةِ سِتِينَ ثُمَّ أَحْرَقَهُ، وَنَسَفَ رَمَادَهُ^(٤) فِي السَّحَرِ، لَعَنَ اللَّهُ قَاتِلَهُ وَبَاغِيَهُ وَخَادِلَهُ.

(١) فِي (ش، م، ل): حَتَّى قُتِلَ مِنْهُمْ

(٢) سَاقَطَ فِي (ش)

(٣) فِي (ع، ص): وَكَانَ

(٤) فِي (ش): وَاسْمُ رَمَادِهِ

ثم قام من بعده ولده يحيى بن زيد عليهما السلام في ولاية يزيد بن عبد الملك، فخرج له عسكره فقتل هو وشيعته بخراسان بموضع يقال له: (جوزجان). ثم انتقم الله من بني أمية بعده ودمرهم، فقطع دابرهم -لعنهم الله- وكانت ولايتهم^(١) ألف شهر.

وقيل: إن بني أمية -لعنهم الله- هم الشجرة الملعونة في القرآن.

ثم آل الأمر بعدهم^(٢) إلى بني العباس، ثم قام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن (عليه السلام) وهو النفس الزكية فدعا الناس إلى طاعة الله، فخرج إليه أبو الدوانيق عسكره^(٣) فقتل (عليه السلام) وجماعة من أهل بيته وأصحابه رحمهم الله، وسال دمه إلى أحجار الزيت في جانب من المدينة كما جاء في الخبر، فإنه روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه خرج ذات يوم فوقف في موضع من المدينة ثم قال لأصحابه: «ألا إنه سيقتل في هذا الموضع رجل من ولدي اسمه كاسمي»، واسم أبيه كاسم أبي، حتى يسيل دمه إلى أحجار الزيت على قاتله ثلث عذاب أهل النار.

وقد روي عن الهادي إلى الحق (عليه السلام) أنه قال: بين محمد بن عبد الله النفس الزكية، وبين المهدي (عليه السلام) خمسة عشر إماماً، والمهدي آخر الأئمة (عليه السلام).

ثم قام من بعده أخوه إبراهيم بن عبد الله (عليه السلام) فدعا الناس إلى طاعة الله، بناحية البصرة، فخرج إليه أبو الدوانيق عسكره^(٤)،

(١) في (ش) - فكان ولايتهم - وفي (س) - فكانت ولايتهم

(٢) في (ع) - من بعدهم

(٣) في (ع)، فخرج له أبو الدوانيق عسكره - وفي (س) - فخرج إليه أبو الدوانيق بعسكره.

(٤) في (ع) - فخرج له أبو الدوانيق عسكره - وفي (س)، فخرج إليه أبو الدوانيق بعسكره

فحاربه^(١) حتى قُتلَ (عليه السلام) بموضع يُقال له: بِأَحْمَرًا.

ثم قام الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن (عليه السلام) فدعا إلى طاعة الله، فبايعه قومٌ ثم خرج يُريد الحجَّ هو ومن معه، فلما صار بفخ في جانب مكة^(٢) خرج إليه أمير مكة بعسكره ومن أجابه من الحاج^(٣)، فحاربوه حتى قتلوه وجماعة من أهل بيته وأصحابه رحمهم الله، والذي جهد في قتله موسى بن محمد بن أبي الدوانيق لعنه الله.

ثم قام من بعده يحيى بن عبد الله - أخو النفس الزكية (عليه السلام) - فبايعه قومٌ وخرج إلى ناحية طبرستان، فلم يزل هارون بن محمد - لعنه الله - يتعمّل فيه، حتى وقع في يده، وكان قد عقد له العقود، وحمل الموائيق المغلطة، فلم ينظر في أدلك وقتلها.

ثم قام محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) بسواد الكوفة، فدعا إلى طاعة الله - وكان ذلك في عصر المأمون - فدركه الموت بعد أربعة أشهر من مقامه فمات (عليه السلام).

وكان المأمون مُحِبًّا لآل بيت رسول الله ﷺ، وكان يُناظر فقهاء العامة على فضل أمير المؤمنين (عليه السلام) ويُفضّله على أبي بكر وعمر وعثمان، ويقول: إنه أولى منهم بمقام رسول الله ﷺ.

(١) في (ص، ش). فحاربوه

(٢) في (ح، ج، ل): من جانب مكة

(٣) في (ش، ص، ب): ومن أجابه من الحاج

ومن حَبَّه لآل رسول الله ﷺ رُوي عنه^(١): أنه لما مات محمد بن جعفر الصادق عليهما السلام ركب ليَشْهده - وكان موته عنده - فلقبهم^(٢) وقد خرجوا به، فلما نظر السرير، نزل ودخل تحت العمود حتى وُضِع، وتقدَّم وصلى عليه^(٣)، ولم يزل حتى بُني عليه، ثم قام على القبر، فقال له عبيد الله بن الحسين ودعا به: يا أمير المؤمنين إنك لقد^(٤) تعبتَ فلو ركبْتَ، قال المأمون^(٥): هذه رحمةٌ مَجْفُوءَةٌ مِنْذُ مائتي سنةٍ قال إسماعيل بن محمد بن جعفر: قلت لأخي - وهو إلى جنبي: لو كَلَمناه في دَيْنِه فلا نجدُه في وقتِنا أقرب من وقتنا هذا، فابتدا هو فقال: كم ترك أبو جعفر من الدبر؟ قلنا: خمسة وعشرين ألف دينار، قال: قد قضى الله عنه، وثرَجُلٌ له إسماعيل بن محمد بن جعفر، قال الشيخ بن الشيخ فأمَرَ له بِخَمْسَةِ عَشْرِينَ أَلْفًا بِدِينِ أَبِيهِ، فصكَّ له بها إلى الأهواز، يُعْطَى بِهَا الْأَرْضُ، فَعَلَّجَ الْأَرْضَ بِبَاعِهِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ.

وروي أنه كان أمر إلى القاسم بن إبراهيم (عليه السلام) بِمَالٍ كَثِيرٍ فَرَدَّه وَلَمْ يَقْبَلْهُ اخْتِيَاراً مِنْهُ لِلْمَقْرَ عَلَى الْغِنَى، وَزُهْداً مِنْهُ (عليه السلام) فِي الدُّنْيَا وَفِي أَهْلِهَا. فَلَمْ يَفْعَلْ فَعَالَ المأمون بن هارون من بني العباس سُوءاً. ورُوي أنه رد فديكاً والعوالي على بني فاطمة، ومثل ذلك فعل

(١) في (ج): أنه روي عنه. وفي (س) ما روي عنه

(٢) في (س، ج، د): لقبهم

(٣) في (ش): فصلى عليه.

(٤) زيادة في (ع، ص)

(٥) في (ج): فقال المأمون

عمر بن عبد العزيز من بني أمية، فإنه رُوي أنه ردَّ فديكاً على محمد بن علي الباقر عليهما السلام، وفي عمر بن عبد العزيز يقول كثير عزة:

وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلِيًّا وَلَمْ تَخَفْ

بِرِّيَا وَلَمْ تَسْعَ سَجِيَّةَ مُجْرِمٍ

وَقُلْتَ فَصَدَّقْتَ الَّذِي قُلْتَ بِالْهَدْيِ

فَعَلْتَ فَأَضْحَى رَاضِيًا كُلُّ مُسْلِمٍ

ثم قام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) فدعا إلى طاعة الله، وكان خروجه مغربي مصر فأحاده منهم كثير، وبايعوه وأقام معهم مدة قليلة ثم سألوه عن أبي بكر وعمر فقال: كانت لنا أمٌ صديقة ابنة صديقة ماتت^(١) وهي غضبانة عليهما، ونحن غاضبون لغضبها، لقول رسول الله (ﷺ): «إِنَّ اللَّهَ يَغْضِبُ لَغَضِبِ فَاطِمَةَ» فغضبوا عليه، فلما رأى منهم الكراهة له والإدبار عنه لحق بحبال الرس فأقام بها مدة وأظهر دين جدّه رسول الله (ﷺ)، وأظهر علم أهل البيت (عليهم السلام) - ولم يُظهر قبله أحدٌ لأهل ولاية بني أمية وبني العباس - كما ظهرت علوم العامة، وسندكر من ذلك طرفاً في موضعه إن شاء الله تعالى. فلما زال (عليه السلام) يُعَلِّمُ النَّاسَ، ويشتر العلم حتى توفي هنالك (عليه السلام) ثم لزم مجلسه ولده محمد بن القاسم (عليه السلام).

ثم قام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)،

(١) في (ل، م). ابنة صديق فماتت

فخرج إلى اليمن وكان قد استدعاه بعض أهل اليمن،
فدعا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإلى طاعة الله والجهاد في
سبيله، فأجابه قوم من أهل اليمن وحالفه أكثرهم، فعارب الظالمين
وحاربوه، وأخافهم وأخافوه، وباينهم وباينوه، ثم وصل إليه قوم من
أهل طبرستان، أهل علم ودين فنصروه، وأظهر من علم أهل
البيت (عليهم السلام) ما لم يُظهره غيره (من الأئمة) (١)، وجاهد جهاداً شديداً،
وبلغ في أعداء الله وأعدائه ما لم يكن يلعبه غيره من الأئمة (عليهم السلام)،
وهي ولاية بني العباس من اليمن، حتى بلغ بعضهم العراق يطلب
النصرة عليه من هنالك، وبلغ له شعراً إلى العراق يتهددهم فيه
يقول فيه:

فليس تمكنني المنيّة قبلي

إنّ المنية قد تعول وتصرع

فعلني أن أوطئ أسناني عوة

مدن العراق ومن بها يترفع

حتى أجارهم بما قد قنموا

مثلاً بمنزل والأنوف تجدع

فأظهر الأحكام، وأعزّ الإسلام، وكمل الأيتام، وعدل في الرعية،
وقسم بالسوية، وأحيا الدين، وأعزّ المؤمنين، وأذلّ الفاسقين، وأخرج
أكثر أهل اليمن من قول (٢) المجبرة المشبهين، ثم توفي بصعدة (عليه السلام)
ورحمه الله يوم ولدَ ويوم يموتُ ويوم يُبعث حياً.

(١) سقط ي (ط، ي)

(٢) ي (ي، د)، من أقوال

ثم قام ولده محمد بن يحيى المرتضى (عليه السلام) فبايعه شيعة أبيه، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر مدة ثم ناله مرض، فقام أخوه أحمد بن يحيى الناصر (عليه السلام) فدعا إلى طاعة الله، وإلى الجهاد في سبيله، فجاهد القرامطة والظالمين حتى أدلهم وكف حذهم وأوهن عراهم، وطردهم من كثير من البلاد ونضاهم، وأكد شريعة أبيه في اليمن، وأظهر فيه كل الفرائض والسنن. وتوفي هو وأخوه عليهما السلام بصعدة

وكانت ولاية الهادي إلى الحق (عليه السلام) خمس عشرة سنة، وتوفي (عليه السلام) يوم الأحد لعشرين يوماً من ذي الحجة سنة ثمان وتسعين ومائتين (٢٩٨هـ) وكانت ولاية المرتضى (عليه السلام) ستين، وتوفي في المحرم سنة عشر وثلاثمائة سنة (٣١٠هـ) وكان في مدة حياته في ولاية أخيه بصعدة، يعصده ويعينه ويقويه ويقول بإمامته.

وبلغا أنه لما قتل قتلة من القرامطة يقال: إنه قتل منهم ألفي قتيل أبرد إلى أخيه يبشره بذلك، فرد عليه المرتضى (عليه السلام) الجواب يقول فيه:

ورد السبريد مبشراً برميالة

من بعد قتلك للعدي بثلاث^(١)

فوددت أني كنت حاضراً وقعة

أودت بكل منافق نكبات

حتى أجول على الحصان بصعدة

ولدى النزال بالمهتد جائي

(١) في (م)، من بعد قتلك للعدي بثلاث.

دون الإمام بن الإمام أخ النهي

أبني الرضا الخالقي وغيثائي

وكانت ولاية أحمد بن يحيى الناصر ثلاثاً وعشرين سنة.

وقام الحسن بن علي الناصر (عليه السلام) - من ولد الحسين بن علي (عليه السلام) - في عصر الهادي إلى الحق (عليه السلام) وجاهد في الديلم فدعا إلى طاعة الله، وجاهد في سبيل الله^(١)، وكان أهل الديلم من قبله مشركين، فردّهم مؤمنين.

روى عنه (عليه السلام) أن أصناف الرعية ازدحموا في مجلسه حين دخل أمل، فخطب خطبة قال فيها (أيها الناس إني دخلت بلاد الديلم وهم مشركون يعبدون الشجر والحجر، لم يعرفوا خالقاً، ولا يدينون ديناً، فلم أزل أدعوهم إلى الإسلام وأتلف بهم حتى دخلوا فيه أرسالاً، وأقبلوا إليه إقبالاً، وظهر فيهم الحق، وعرفوا العدل والتوحيد، فهدى الله بي منهم زهاء مائتي ألف من رجل إلى امرأة، فهم الآن يتكلمون بالعدل والتوحيد مستبصرين، ويتناطرون مجتهدين، ويدعون إلى الله بحسين، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون حدود الصلوات مكتوبات والفرائض المفروضات، وفيهم من لو وجد ألف دينار ملقى على الطريق لم يأخذ ذلك لنفسه، وينصه على رأس عود يُنشده ويعرفه، ثم قاموا بنصرتي، وناصوا آباءهم وأبناءهم وأكابرهم الخرب، فهم من هَوَايَ وأتباع رأيي في نصرة الحق وأهله، لا يؤلّي أحد منهم من عدوّه،

(١) في (ص): وإلى الجهاد في سبيله.

ولا يعرف غير الإقدام، فلو لقيت منهم ألف جريح، لم تلق منهم جريحاً في قفاء وطهره، وإنما جراحاتهم في وجوههم وأحداقهم، يرون الفرار من الزحف كُفْراً، والقتل شهادةً وغُماً). ثم قال في آخر خطته: (وأنتم معاشر الرعية فليس عليكم دوني حجاب، ولا على بابي بواب، وليس على رأسي حق من الرِّبَانِيَّةِ، ولا أحدٌ من أعوان الظلمة، كبيركم أخي، وشابكم ولدي، ولا آس إلا بأهل العلم مكم، ولا أستريح إلا إلى مفروصتكم، فاسألوني عن جميع أمر ديكُم وما يُعييكم من العلم وتفسير القرآن، فإننا نحن تراجمته، وأولى الخلق به، وهو الذي قَرَنَ بنا وقرنا به، قال رسول الله ﷺ: «إني محلف فيكم ما إن تمسكتُم به لن تضلوا من بعدي أبداً، كتاب الله وعِزَّتِي أهل بيتي» الله وليُّ توفيقكم^(١)، أرشدكم، وحسبي الله وحده عليه توكلت وإليه أنيب. ثم توفي هنالك^(٢)).

ثم قام في ناحيته أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الداعي^(٣) فدعا إلى طاعة الله وإلى الجهاد في سبيل الله.

ثم قام بعده المؤيد بالله أحمد بن الحسين بن هارون^(٤) فدعا إلى طاعة الله وإلى الجهاد في سبيل الله.

وقام من بعده أخوه السيد أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون^(٥) فدعا إلى طاعة الله.

وقام من بعده أبو الحسن الحسيني الحقيقي بالديلمان.

(١) في (ل): والله ولي توفيقكم

ثم قام من بعده الناصر الأخير الحسن من أولاد الناصر الأكبر.
ثم من بعده يحيى بن الحسن الحقيبي - من بني الحسن - قام بعد أبيه
من بني الحسن.

ثم القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم (عليه السلام)
فدعا في اليمن إلى طاعة الله، وجاهد في سبيل الله.

ثم قام بعده ولده الحسين بن القاسم، فدعا إلى طاعة الله وإلى
الجهاد في سبيل الله، ثم بدا منه بعد ذلك أنه هو المهدي، قال: الذي
تُمَلَأُ به الأرض عدلاً كما مُلِئت جوراً وقيل: إنه قال: هو أفضل من
رسول الله، وكلامه أنه من كلام الله، وكان قد طلق زوجته له
واقضت عدتها، وتزوجها رجل، فلما علم بنكاحه لها أخرجها منه
بغير طلاق، وتشبه برسول الله (صلى الله عليه وآله)، واحتج بقول الله تعالى: ﴿وَمَا
مَكَانَ لَكُمْ أَنْ تُدْفِنُوا رَسُولَ اللَّهِ فَلَا أَنْ تُكَبِّرُوا أَرْوَاحَهُ مِنْ بَدْنِهِ أَبَدًا إِنْ فَلَيْكُمْ
مَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (الحجرات: ٥٢).

وقال في كتاب كتبه إلى محسن بن محمد بن المختار بن الناصر بن يحيى
الهادي (عليه السلام)، وكان من فصلاء أهل البيت وعلمائهم، وقد سأله عن
مسائل، وأنكر عليه كلامه الذي تكلم به، فردّ عليه كلاماً فظيلاً،
وسبّه سباً شنيعاً، ثم قال في كلامه: (وما عسى أن تكون مسائلك في
علمنا، وأدواتك في بحرنا، وما فضل علمنا على جميع العلوم إلا
كفضل الشمس على جميع النجوم، وكل معجزة^(١) من الله الواحد
الحي القيوم، وما الفرق بيني وبين لأئمة الأخيار إلا كفرق ما بين

(١) في (س): وكل معجز

الليل والنهار، وشتان - يا جاهل - بين النجوم والشمس، وهل يوجد لنا نظير من الجن والإنس؟ وقد علم الله مقتي للفجار، ولكن يجوز ويحسن عند الاضطرار، ثم أغرق في كلامه وأفرط وقال: (ما يكون علم لجميع^(١) الأنبياء - وعد^(٢)) من علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى أبيه القاسم بن علي (عليه السلام) - إلا كعشر العشير من علمه، ثم قال: فأحضروا التوراة والإنجيل والفرقان، وكل علم أوحده الرحمن^(٣) وبرئه فإنكم تحدون قولي أقوى من ذلك حججاً، وأبين بياناً، وأوضح بوراً، وأعظم برهاناً، فما عسى أن تكون مسائلك). وذكر كثيراً من جنس هذا

هرّد عليه محسن بن محمد جواب عاقل عالم، يذم فيه السب، والكلام المعور، وأورد عليه^(٤) من كلام الله حججاً مثل قول الله: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْمُخْرِجِينَ مِنَ الْقَرْيَةِ﴾ [البقرة: ١٦٨]، وكقوله: ﴿وَإِذَا حَاطَبْتُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [البقرة: ٦٣]، وكقوله: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْفِتْنَةَ وَالْمَافِدِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ومثل قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاصْلَحُوا﴾ [البقرة: ١٧٩]، وكقوله: ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا وَتَصْغُرُوا وَتَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ ظَهِيرٌ رَجِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١]، وأورد أيضاً أبياتاً من أشعار العرب، منها قول الشاعر:

وَيُسْتَمُوا قَتْرَى الْأَلْوَانِ مُشْرِقَةً

لَا عَفْوَ ذَلٍّ وَلَكِنْ عَفْوُ أَحْلَامٍ

(١) زيادة في (س)

(٢) في (ش)، وعد

(٣) في (ع، ل، ب) أوحده الرحمن

(٤) زيادة في (ع)، وفي (م). وأورد من كلام الله عليه حججاً.

واحتج عليه في ادعائه أن كلامه أبلغ من كلام الله، بآيات من كتاب الله منها: أن الله تعالى قد تحدى الجن والإنس بأن يأتوا بسورة من مثله، فما فعلوا ولا قدروا وذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَيْنَهُمْ لَاجِبٌ ظَاهِرٌ﴾ [الاسم: ٨٨]، ويقول: ﴿لَوْ آذَنَّا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَمَلٍ لَرَأَيْنَاهُ فَاشِثًا مُصَدِّقًا مِنْ حَقِّقَةِ اللَّهِ﴾ [اسم: ١٢١] وأمثال ذلك.

وأورد في ذم الإفتحار قوله تعالى: ﴿مَلَا تَزْكُوا أَهْسَكُمُ هُوَ أَظْلَمُ مِنْ الْقَيْنِ﴾ [اسم: ١٢٢]، وبما أشبه ذلك.

ولمحن بنفي عنه هذا الكلام، ونقول: هو مكذوب عليه، ولا يصح إهداء^(١) عنه، وهذا ادعاء أمر باطل، وكفساده ظاهر، وإنما أردنا أن نبين القول فيه، لأن قوماً من بني إحقته وشيعته قد صاروا يرون قوله هذا ديناً، وقد صاروا فرقة يَظَاهِرُونَ عليه، وَيُحْيُونَ ويموتون عليه، ويسنون من لم يقل به إلى الكفر، ويقولون: لم يُقتل ولم يمِت ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ويقولون: إنه يعلم العيب، وذلك لجهلهم، وقلّة معرفتهم لكتاب الله وسُنّة رسول الله ﷺ.

ومن جهلهم أنهم قالوا: هو يحكم بحكم آل داود، فإذا سألهم سائل عن حكم آل داود كيف كان؟ قالوا: يعرف المحق من المبطّل من الخصمين قبل أن يتكلما. ولم يعلموا أن داود (عليه السلام) سئل عن نفسه

(١) زيادة في (ش، ي).

فلم يعلم وذلك قول الله تعالى : ﴿وَهَلْ آتَاكَ مَا الْخَصَمِ إِذْ تُسَوِّدُوا
الْبُحْرَابَ ۝ إِذْ تَخَلَّوْا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ يَفَى بَعْضُنَا عَلَى
بَعْضٍ فَلَكُمْ يَوْمَنا بِالْحَقِّ وَلَا تَحْطِطُوا لَنَا إِلَى سَوَاءِ الصُّرَاطِ ۝ إِنَّ هَذَا لَمِثْلُ
نَسِيعٍ وَتَسْتَوْنَ نَجَّةً وَلَى نَجَّةً وَلَجِئَةٌ قَالِ أَكْفَلِيْهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۝ قَالَ لَقَدْ
ظَلَمْتَ بِسُؤَالِ نَجَاتِكَ إِلَى بَعْضِهِ ۝﴾ إلى قوله : ﴿وَلَمَّا دَاوُدُ آتَاهُ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ
وَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [مر ٢١-٢١]

واعلم أن قولهم هذا غلطٌ بَيِّنٌ من وجوه :

مها أن الله تعالى يقول : ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ
إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُنْفَخُونَ﴾ [الأنعام ١٠٤] ، وقولهم : (إنه يعلم الغيب) ،
تكذيبٌ لكتاب الله ، وقال تعالى : ﴿وَمَا تَكْذِبُ هُنَّ مِمَّا تَكْذِيبُ غَدًا وَمَا تَكْذِبُ
هُنَّ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الأنعام ١٥٤] ، وقوله : ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ
مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة ٢٥٥] ، وقولهم : (إن كلامه أبلغ من كلام الله
وأقوى حججاً) ، تكذيبٌ أيضاً لكتاب الله ، لأن الله تعالى يقول : ﴿قُلْ
لَئِنْ لَجِجْتُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِوَحْيٍ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِوَحْيٍ وَلَوْ
كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الأنعام ١٨٨] ، وقال تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ بِقَوْلِ اللَّهِ وَلَوْ
تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي هَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَهْلَكُمُ الْيَوْمَ
فَتُحَرَّقُونَ عَذَابَ النَّارِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ
تَسْكِبُونَ﴾ [الأنعام ٩٣] .

وأما قولهم : إنه أفضل من ملائكة والأنبياء (عليهم السلام) فهذا ضربٌ

من الجنون، وغلط من ادعاء الربوبية، وذلك أنه قد أتى في كتاب الله أن الملائكة موكّلون بأمر الله، قال عز من قائل: ﴿وَالسَّابِقَاتِ سَبَّحًا﴾ فالسَّابِقَاتِ سَبَّحًا ﴿فَالْمُكْرَرَاتِ أَمْرًا﴾ [الدّحدّ ١٠-١٢]، وقال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [الدّحدّ ١١]، وقال تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [الدّحدّ ١٨]، فإن كان من يموت فملك الموت موكّل عليه، والوكيل أفضل من الموكّل عليه، وإن كان لا يذوق الموت فهو ربّ - تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً، وأيضاً فإن الملائكة - صلوات الله عليهم - هم خزنة الحنة وخزنة النار، والخازن يكون أفضل ممن يخزّن عليه، فبطل قولهم: هو فوق الملكوتية.

وأما قولهم: هو أفضل^(١) من رسول الله ﷺ ولم يعلموا ما استحق الإمامة^(٢) إلا بفصل رسول الله ﷺ، وكذلك علم رسول الله ﷺ، والقراءة من رسول الله ﷺ، ولو كان أفضل من رسول الله ﷺ لجعل في مكان رسول الله ﷺ، ولأمر عليه الكتاب والمعجزات، وهذا القول خروج عن الحدود المضروبة^(٣)، والله تعالى يقول: ﴿مَلَأْتُ زَهْرًا أُنْثَكُمْ هُوَ أَهْلُهُمْ بِمَنْ أَمَرْتُ﴾ [الدّحدّ ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الدّحدّ ١٦]، وقال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبِ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَا وَكَافَرُوا أَن يَحْمِلُونَهَا يَوْمَ تَكُونُ الْفِتْنَةُ وَلَا تَحْسَبِ النَّفْسَ الْكَافِرَةَ مِنَ الْفِتْنَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدّحدّ ١٨٨].

وأما قولهم: (هو أفضل من رسول الله ﷺ)؛ لأنه يملك الأرض

(١) في (س، ج، د)، إنه أفضل

(٢) في (أ): ولم يعلموا إنما استحق الإمامة (ب) ولم يعلموا أنه إنما استحق الإمامة

(٣) في (ع): من الحدود المضروبة.

كلها، ولم يملك رسول الله ﷺ كل الأرض، فليس ملك الأرض
يوجب فضلاً على رسول الله ﷺ، وقد ملك آل داود ما لا يملكه^(١)
أحد من بعدهم، ولا ملكه أحد من قبل، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَمْنَا
سُلَيْمَانَ وَالْأَمْنَانَ عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ آدَابَ﴾ قال رب اهبط لي وهب لي ملكاً
لا ينبغي لأحد من بعدي إني أدركت الوهاب^(٢) لَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَهْبِئُ بِأَمْرِهِ رُجَاءَ
حِثِّ أَصَابٍ^(٣) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَهَوَّاءٍ^(٤) وَالْخَرِيسَ مُفْرَسَاتٍ فِي
الْأَمْتَادِ^(٥) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (مر ٢١-٢٢)، فصيح أنه
لا يُعطى أحد بعده ملكاً في الدنيا وقدراراً مثل ما أعطي سليمان (عليه السلام).
ومع ذلك أن سليمان لم يدع أنه أفضل الأنبياء لما أعطي^(٦) من ملك
الدنيا ما لم يُعطوا مع ملك الآخرة^(٧)، وقد عُرض على رسول الله ﷺ
ملك الدنيا، فكره ذلك وقال: «الدنيا دَامَ من لا دار له، ومال من لا
مال له، ويجمعها من لا عقل له» فلو كان الحسين بن القاسم قد
ملك الدنيا بأسرها ثم افتخر بملكها وأدعى ما ادعى لكان ذلك قبيحاً
منه، فكيف ولم يكن من ذلك شيء؟

وأيضاً فإن المؤمن لا يكون مؤمناً حقاً حتى يكون مُستعظماً
لسيئاته، مُستصغراً لحسناته، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ
مُتَعَفِّفُونَ﴾ (إن عذاب ربهم عَزِيزٌ مُعْتَمِدٌ) (مر ٢٧، ٢٨)، وبأقل قليل مما تكلم به
تسقط إمامته، اللهم إلا أن يكون الكلام مكذوباً عليه.

ومن قام من أهل البيت (عليهم السلام): أبو الفتح الناصر بن الحسين

(١) في (ع). ما لا يملك

(٢) في (ش): بما أعطي

(٣) في (ط): بما أعطي من ملك الدنيا والآخرة ما لم يعطوا

الحسنى أتى من الديلم إلى اليمن، ودعا إلى طاعة الله، وأجابه قوم من أهل اليمن، وجاهد في سبيل الله، واستشهد في نواحي مذحج^(١).
ومن قام ودعا أيضاً يحيى بن أحمد بن المؤيد بالله قدس الله روحه، دعا في أرض الديلم وجيلان، وحارب الباطنية لعنهم الله بحضرموت.

فهؤلاء الذين سمينا من أهل بيت^(عليهم السلام) الذين اشتهر عندنا أمرهم، وثبت عدا قيامهم، وظهرت دعوتهم. وفي خلال هؤلاء الذين سمينا^(٢) فضلاء من أهل البيت^(عليهم السلام) لم يمنعهم من القيام إلا عدم الأعوان، فإنهم بلعوا في العلم والرهدة، والعبادة والتقوى ما لا مزيد عليه؛ مثل علي بن الحسين^(عليه السلام)، ومثل ولده محمد بن علي الباقر، وإماما سمي الباقر لأنه بقى العلم. وروي أن جابر بن عبد الله عمّر حتى لحقه فأقرأه السلام عن رسول الله^(ﷺ)، وقال: أمرني رسول الله^(ﷺ) أن أقرئك عنه السلام.

ومثل عبد الله بن الحسن بن الحسن فإنه روي أنه مكث يصلي صلاة الفجر بوضوء المغرب ستين سنة.

ومثل أحمد بن عيسى بن زيد^(عليه السلام)، ومثل جعفر بن محمد الصادق^(عليه السلام)، ومثل موسى بن عبد الله، وعلي بن موسى، ومثل أولاد القاسم بن إبراهيم: محمد وحسين والحسن أولاد القاسم^(عليهم السلام)، ومثل علي بن العباس، ومثل أبي العباس أحمد بن إبراهيم.

فهؤلاء وأمثالهم لم يمنعهم من القيام إلا عدم الأنصار وخوف الأشرار، واستظهار أهل الدولتين، الأموية والعباسية.

(١) في (ب، ع، د): بنواحي مذحج

(٢) في (م، هـ، د): الذين سمياهم

فصل

في الكلام في فرق الشيعة

اختلفت الشيعة على ثلاث فرق، ففرقة هم الريدية، وقد ذكرناهم بما فيه كفاية

وفرقة هم الكبسانية فإنهم قلوا: إن الإمام بعد الحسين بن علي أحوه محمد بن الحنفية (عليه السلام)

ثم اختلفوا فيما بينهم، فقال لسيد الحميري ومن قال بقوله: هو بحال رضى أسد عن يمينه ويمؤ عن شماله، يأتيه رزقه بكرة وعشية^(١)، ثم يظهر فيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وقال حيان السراج^(٢) ومن قال بقوله: هو بحال رضى ميت، وأن الله يبعثه فيملاها عدلاً كما ملئت جوراً.

وقال الصف الثالث - أبو مسلم وأصحابه: إنه مات وقد أوصى إلى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد. وقلوا: هي في ولده بالوصاية^(٣).

وفرقة هم الإمامية - ويسميهـم أهل العراق الروافض والغلاة - فإنهم قالوا: لا تصح الإمامة إلا بالنصر، ولا تقبل الأخبار إلا من إمام ممن نصوا عليه^(٤)، ولا يجوز عندهم الاجتهاد إلا له، ووصفوه بصفة الله،

(١) في (ص): وعشياً

(٢) في (ي): حيان السراج

(٣) في (ب، ص): بالوصاية.

(٤) في (ص، ل): ممن نص عليه

بأن قالوا: هو يعلم الغيب. ورووا عن بعض أئمتهم أنه قال: كلامي كلام أبي، وكلام أبي كلام جدي، وكلام جدي كلام رسول الله ﷺ، فلا يمتنع الرجل منهم -إذ سمع أحد أئمتهم يتكلم بكلام- أن يقول: سمعت رسول الله ﷺ؛ ولهذا امتنعت العلماء من قبول الأخبار منهم.

فمن أئمتهم^(١) الذين أجمعوا عليهم أنهم يقولون: أوصى الحسين بن علي عليهما السلام إلى عبي بن الحسين، وأوصى علي بن الحسين إلى محمد بن علي، وأوصى محمد بن علي إلى جعفر بن محمد.

واختلفوا في جعفر، ويمين بعده، فقالت الباروسية: إن جعفر بن محمد حي لم يميت، وهو المهدي، ونُسبوا إلى رئيس لهم يقال له: ناروس، من أهل البصرة.

وقالت القطحية: بإمامة عبد الله بن جعفر، وكان أقطع الرأس، فلذلك سُموا القطحية.

وقالت الشمطية: بإمامة محمد بن جعفر، ونُسبوا إلى يحيى (بن)^(٢) الأشمط وكان رئيساً لهم، وقيل: إن القطحية نُسبوا إلى رئيس لهم، يقال له عبد الله بن فطيح، وقد انقضت هذه الفرق.

وفرقة منهم وهم الإسماعيلية، وهم المباركية والخطابية.

فقالت المباركية بإمامة محمد بن إسماعيل.

(١) في (م). ومن أئمتهم.

(٢) زيادة في (ع).

وقالت الخطابية باللاهية جعفر - تعالى الله علواً كبيراً - ونُسبوا إلى رئيس لهم يقال له: أبو الخطاب لعنه الله.

ومنهم الواقفة المبطورة، وهم الذين قالوا بإمامة موسى بن جعفر، وأنه حي لم يموت.

ومنهم القطعية، وهم فرقة يقولون بإمامة علي بن موسى الرضى الذي سمّاه يحيى بن خالد في حسن هارون ببغداد في غصبه ورطبه فمات.

ومنهم فرقة يقال لهم الحمارية، قالوا بإمامة الحسن بن جعفر فاحتلفوا فيه^(١)، فمنهم من قال مات، ولم يكن إماماً، وكانوا مخطئين في إمامته، وذلك أنهم (كانوا)^(٢) قالوا: هو المهدي، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً^(٣)، ورووا في ذلك من أخبارهم الكاذبة، فلما مات وصحّ موته بت فضيحتهم، ولهذا سُميت هذه الفرقة الحمارية.

وقال قوم منهم: قد مات، ولكنه يحيا وهو المهدي، وقال قوم: ليس له ولدٌ وقال قوم منهم: له ولدٌ وُلدَ بعده، وهو محمد بن الحسن الذي هو بزعمهم أحد أئمتهم.

وانتسبت الباطنية إلى الإسماعيلية، وهم فرقة أبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام، وقالوا: لكل طاهر باطنٌ، وجحدوا الرب والبعث والحساب

(١) في (ش): واختلفوا فيه

(٢) ساقط في (ع)

(٣) زيادة في (ش، م، ل)

والجنة والنار، واستحلوا المحرمات من الأمهات والبنات والأخوات، وغير ذلك. وقالوا: الحيوان مثل النمل يأتى شيء ويذهب شيء، والأرواح تستقل في الحيوان، وتنسخ بزعمهم روح الإنسان إلى إنسان أو إلى كلب أو خنزير أو حمار، وجحدوا الملائكة والأنبياء (عليهم السلام)، وقالوا: كان قبل آدم آدم إلى ما لا نهاية له، ونفوا الجن، ولبسوا على الناس، واتبعوا^(١) منشابه الكتاب، ففتنوا به أهل الحيرة والإرباب، وقالوا في رسالة لهم يُسمونها (البلاغ الأكبر): فأمر^(٢) صاحبها فيها أن لا يطلع عليها أحد إلا بعد الأيمن المغلظة، والمواثيق المشددة، على كتمان السر، فإذا فعل ذلك لبس عليه، ولم يزل يُخلّصه من شبهة إلى شبهة إلى حد، قال: فإذا بلغ هذا الحد فاحلل له عقاله وأبح له ما ياله.

والرد على هؤلاء وعلى أهل الكفر وأحد؛ وقد قدمنا الرد عليهم فيما تقدم.

وأيضاً فإنهم لا يستقيمون للمساورة بل يحدون هذا القول، ويُقرون بطلانه، وبأنه كفر وجحد. وكفى بذلك عليهم حجة أن يظنوا شيئاً ثم يحدوه ويظهروا غيره عليه.

وأما قولهم في كتمان الدين وإبطل المذهب؛ فإنه لا يُبطن ويُسر إلا ما كان معيلاً قبيحاً، وفي الشاهد أن الإنسان إذا فعل فعلاً حسناً^(٣)

(١) في (أ): واتبعوا

(٢) في (ش): وأمر

(٣) في (ب، ط، ل): فعلاً حسناً

أحب أن يظهر فعالة، ويشيع، ويذكر به، وإذا فعل فعلاً قبيحاً^(١) كتمه، وودَّ أن أحداً لا يعلم به. وأبصاً فإن وجه الإنسان أفضل من جسده وأحسنه فإنه يظهر، ولو كانت عورته أقبح جسده فأمر سترها^(٢) وتغطيتها، وقد أمر الله تعالى بإظهار دينه وتبيينه للناس، وذمَّ قوماً كتموا ما أنزل الله، فقال تعالى: ﴿لِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَاطِنٍ مَا يَتَّخِذُ النَّاسُ إِلَى الْكُفَّارِ أَوْلِيَاءَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّائِعُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ قَالُوا وَآمَنُوا وَاتَّبَعُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَنَّا السَّائِغُونَ﴾ [النور: ١٥٩، ١٦٠].

ومن الرد على الإمامية في قولهم بالبصر، وأن الأخبار لا تُقبل إلا من إمام مصوص عليه فإبهم قطعوا عنهم أسباب الخير بهذين القولين، وتكلفوا بسهما الكذب

ومما يبين كذبهم في القولين: أنهم يقولون بإمامة إمام في حياته، ويزعمون أنه المهدي، وأنه لا يموت حتى يظهر أمره ثم يموت، فيتبين كذبهم، فيزيدون كذبة أخرى أكبر من الأولى، أن يُبرءوا^(٣) نفوسهم من الكذب، فيقولون: هو يحيا بعد الموت، ويملا الأرض عدلاً، فهم لا يسلمون من الكذب؛ إن كان حياً قالوا: هو المهدي وليس يموت، وإن مات ولم يعاينوا موته جحدوا موته، وقالوا: هو غائب لم يموت، فإن صح عندهم موته قالوا: هو يحيا ويُبعث في الدنيا بعد ما مات.

(١) في (ب، ص): فعلاً قبيحاً

(٢) في (ل): أمر بسترها

(٣) في (ل، هـ، ي): بأن يُبرءوا

وأما قولهم: إن إمامهم يعلم العيب. فهذا كذبٌ منهم وكفرٌ وتكذيبٌ بكتاب الله^(١)، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَمَتَعُونَ﴾ [سورة الحديد: ٢٦]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَدُّكَ عَلِيمٌ السَّاعِدِ وَكَرُّنَ الْحَيْثُ وَيَعْلَمُ مَا بِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي هَسَّ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي هَسَّ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ١٢٤] فطل قولهم.

وأما قولهم: بأن إمامهم قال: (حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث حدي حديث رسول الله ﷺ) وقولهم هو عامٌ في جميع الكلام وهذا بطلانه ظاهرٌ من أمور:

مها: أنهم يعلمون أن النبي ﷺ لم يطق بهذا الحديث الذي يقول فيه: (حديثي حديث أبي) ويعلمون أن إمامهم هذا لو قال لخدمته: إسقني ماءً أو اعطني ثوبي، أو خذ هذا الثوب، أو يأمر، أو ينهى، أو يستخر، أن ذلك الحديث لم يطق به رسول الله ﷺ. وكذلك لو دعا زوجته إلى فراشه، فهذا ما لا يتكلم به عاقل. فاما الخبر الخاص الذي يرويه عن أبيه عن حده عن رسول الله ﷺ فإنه ما كان منه موافقاً لكتاب الله صديق، وما كان مخالفاً لكتاب الله لم يصدق.

ومما يبطل قولهم في النص: قول الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْغَيْرِ وَالْأَمْرِ بِالتَّغْيِثِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ

(١) في (ج): لكتاب الله

لَهُمُ الْمُفْلِحُونَ» [السر ١٠٤]، وقوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [السر ٤٣]، وقد سَمَى الله تعالى رسوله ذكراً، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّغَيْبٍ...﴾ [الآية [السر ٣٢]، وقال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا الْأَمْرَ مِنْكُمْ﴾ [السر ٥٩]، وقال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم ما من تمسكن به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، وقال ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى».

فهذه الآيات والأخبار لم تخص ولد الحسين دون ولد الحسن، بل كلهم داخل في الأمر لا فرق بينهم فيه؛ وأيضاً فإن ولد الحسين لم يدعوا ذلك دون ولد الحسن، بل هم مَقْرُونُ أبهم في الأمر سواء، وقد روي عن عيسى بن المتوكل بن هارون قال: حدثني أبي المتوكل بن هارون قال: لقيت يحيى بن زيد بعد مقتل أبيه (عليه السلام) وهو متوجه إلى خراسان فسلمت عليه فقال: من أين أقبلت؟ فقلت: من الحج، قال: فسألني عن أهله ونبي عمه، فأخبرته بحزنهم على أبيه، فقال: قد كان عمي أبو جعفر (عليه السلام) أشار عليه بترك الخروج، وعرفه إلى ما صار إليه أمره فهل لقيت ابن عمي جعفرًا، فقلت: نعم، فقال: فهل سمعته يذكر من أمري شيئاً، قلت: جعلت فداك إنك تقتل قتلة أبيك وتصلب، فقال: ﴿يَسْأَلُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيَكْتُمُونَ﴾ [الآية [السر ٣٩]، إن الله سبحانه وتعالى يا متوكل آيد هذا الدين بنا،

وجعل العلم والسيف فجعلهما لنا، وخص بني عمنا بالعلم وحده، فقلت له: جعلت فداك إني رأيت الناس إلى ابن عمك وإلى أبيه أميل منهم إليك، فقال: إن ابن عمي وأباه دعوهم إلى الحياة ونحن دعوناهم إلى الموت، فقلت له: يا بن رسول الله أهم أعلم أم أنتم؟ قال: فأطرق إلى الأرض ملياً ثم رفع رأسه فقال: كلنا له علم غير أنهم يعلمون كل ما نعلم، ولا نعلم كل ما يعلمون، ثم قال: أكتسبت من ابن عمي شيئاً؟ قلت: نعم، قال: أرنيه، فأخرجت له دعاء أملاء عليّ أبو عبد الله، أخبرني أن أباه محمداً - رحمه الله - أملاء عليه وكان يدعو به ويسميه الكامل، فنظر فيه حتى أتى إلى آخره، فقال: أتأذن لي في نسجه؟ فقلت: يا بن رسول الله أتستأذني فيما (هو) "منكم صار إليّ، فقال: لأخرجن إليك صحيفة كان أبي رحمه الله يسميها الكاملة مما حفظها عن أبيه، ولقد أوصاني أبي رضي الله عنه بصونها ومنعها من غير أهلها، فقال المتوكل: فقممت إليه فقبلت رأسه وقلت: يا بن رسول الله والله إني لأدينن الله بحبكم وطاعتكم، وأرجو أن يسعدني الله بولايتكم، فرمى بالصحيفة التي دفعها إليه إلى غلام كان بقربه، وقال: اكتب هذا الدعاء بخط حسن يمين، واعرضه عليّ فإنني كنت أطلبه من جعفر فمعه^(١)، قال المتوكل: فندمت على ما فعلت، ولم أدر ما أصنع، ولم يكن أبو عبد الله أمرني أن أدفعه إلى أحد، ثم دعا بعيّة فاستخرج منها صحيفة مقلدة مختومة فنظر

(١) ساقط في (ع، ب)

(٢) في (س، ل، م): فمعه

إلى الخاتم فبكى، وقبله وفضّه، وفتح القفل، ونشر الصحيفة فقبلها ووضعها على عيبيه وأمرها على وجهه، ثم قال: يا متوكل لولا ما ذكرت لي من قول ابن عمي أنني أقتل وأصلب ما دفعتها إليك ولكنك بها صنيئاً، ولكنني أعلم أن قوله سيصح، وخفت أن يقع مثل هذا العلم والدعاء إلى بني أمية، فيكتسوه ويدخلوه في خزائنهم، فدونك هذه الصحيفة فاكتبها وترتبها بها، فإذا قصي الله جلّ ثناؤه من أمري ما هو قاضٍ فهي أمانة في عنقك حتى توصلها إلى ابني عمي، محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن (عليهم السلام) فإنهما القائمان بعدي. قال المتوكل: فأخذت الصحيفة، فلما قتل رحمه الله صرت إلى المدينة^(١) فلقيت أبا عبد الله محمّده بالخديج فبكى فقال^(٢): رحم الله ابن عمي وألحقه بأبيه وأجدابه، والله يا متوكل ما معني من دفع لهذا^(٣) الدعاء إليه إلا الذي خافه^(٤) على صحيفة أبيه فأين الصحيفة؟ فقلت: هاهي ههه، ففتحها فقال: هذا والله خط عمي زيد وإملاء جدي علي بن الحسين (عليه السلام)، ثم قال: قم يا إسماعيل فأتني بالدعاء الذي أمرتك بحفظه وصونه، فقم إسماعيل فأخرج صحيفة كأنها الصحيفة التي دفعها إليّ يحیی، فقبلها أبو عبد الله ووضعها على عيبيه، فقال: هذا خط أبي وإملاء جدي عليهما السلام،

(١) في (ص) صرت إلى المدينة

(٢) في (ص، م، ع): وقال

(٣) زيادة في (ص)

(٤) في (ص). إلا الذي أخافه هو وفي (ط): إلا الذي خافه هو

فقلت: يا بن رسول الله إن رأيت^(١) أن أعارض بها ما كتبت من هذه الصحيفة، فأذن لي في ذلك^(٢)، فعرضت بصحيفة زيد صحيفة محمد عليهما السلام فلم أجد ما يغادر منها^(٣) حرفاً، ثم استأذن أبا عبد الله في دفعها إلى ابني عبد الله بن الحسن فقال: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) فلما نهضت قل: مكانك. ثم وجه ابنه إلى محمد وإبراهيم ابني عبد الله فجاء فقال: هذا ميراث ابن عمكما من أبيه قد خصكما دون إخوته ونحن مشترطون عليكما فيه شرطاً، قالوا: قل يرحمك الله، فقولك المقبول. قال: لا تخرجا هذه الصحيفة من المدينة قالوا: ولم ذاك^(٤) يغفر الله لك؟ قال: إن ابن عمكما يخاف عليها أمراً أخافه أما عليكما. قال: إنما يخاف عليها حين علم أنه يُقتل، قال أبو عبد الله: وأنتم فلا تأمنوا فواشئني أعلم أنكما ستخرجان كما خرج، وستقتلان كما قُتل، فقاما وهما يقولان: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وروي أيضاً: أنه اجتمع القاسم بن إبراهيم، وأحمد بن عيسى بن زيد بن علي، وموسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، وعلي بن موسى الرضى في دار محمد بن منصور المرادي بالكوفة، فتحدث معهم محمد بن منصور، وذكر ما قد لحق الإسلام من الأموية والعباسية،

(١) في (ع، ص). إي رأيت.

(٢) في (ي): فأذن لي في ذلك

(٣) في (ع): مهما

(٤) في (ب، ص): ولم ذلك.

وسألهم أن يُبايعوا الرجل فأجمع أمرهم على أن يبايعوا^(١) القاسم بن إبراهيم عليهما السلام، فبايعوه في دار محمد بن منصور.

فصح أن بني الحسين لم يدعوا نهم أولى بالأمر من ولد الحسن، وأنهم لا يقولون بالنص؛ لأن هؤلاء الذين سمينا^(٢) من ولد الحسين: يحيى بن زيد، وجعفر بن محمد، وأحمد بن عيسى، وعلي بن موسى، فضلاء ولد الحسين وعلمائهم، وانظروا إليهم في عصرهم، فلم يروا النص، ولا أنكروا قيام من قام من ولد الحسن عليهم جميعاً السلام. وولد الحسين - أهل العلم منهم والدين - لا يكرون ذلك إلى يومنا هذا. فبطل قول الإمامية في النص، وإذا بطل (خبر)^(٣) النص بطل جميع ما خالفونا فيه.

وأما قولهم: إن الأخبار لا تُقبل إلا من أئمتهم، فإن أكثر أخبار الشرع رواها الحسن بن علي الناصر عن محمد بن منصور عن أحمد بن عيسى عن حسين بن علوان عن أبي خالد عن زيد بن علي (عليه السلام). فلو كانت لا تُقبل إلا من إمام منصوب عليه، لَمَّا قبلها أحمد بن عيسى عن الحسين بن علوان، ولا عن أبي خالد، ولا قبلها الناصر عن محمد بن منصور، فبطل قول الإمامية. وأيضاً فلو كان الأمر كما قالوا لم يُقبل منهم ما يروون عن أئمتهم.

(١) في (ص، ش، ع). على أنهم يبايعون

(٢) في (ع، م). الذين سمينا

(٣) ساقط في (ع)

وأما قولهم: إنه لا يجتهد^(١) إلا إمام منصوص عليه، فقد جاء عن النبي ﷺ ما يسقط قولهم، وذلك أنه لما أمر معاذاً إلى اليمن قال: بِمَ تحكم؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي لا آلو اجتهداً^(٢)، فقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما وفق له رسول الله» ولو كان القول كما قالوا، لكان أكر حُجج الله قد سقط وهو العقل^(٣)، ولو سقطت حجة العقل لما انتفع بالكتاب والسنة، فسقط ما قالوا وثبت قولنا، فالحمد لله الذي أبلى حجتنا، وثبت أقدامنا على الصراط المستقيم.



(١) في (ص): بأنه لا يجتهد

(٢) في (أ): لا آلو جهداً

(٣) في (س، هـ، ل): قد سقطت وهو العقل وفي (ط، ي): قد سقطت وهي العقل



مرکز تحقیقات و توسعه در اسلام

(١٣) باب حقيقة معرفة الاختلاف

وقد ذكرنا جميع مسائل الاختلاف في الأصول، وذكرنا جميع من خالف فيها، وأوردنا على جميع المحققين من الحجج والبراهين ما فيه كفاية، وذكرنا ذلك في مواضعه، ليسهل تدوله، ويقرب أخذه، فلا معنى لإعادة ذلك. وإنما غرضنا في هذا الباب (حيثذا^(١)) إيضاح سبب الاختلاف^(٢) وتبيين المارقة الدجية، فأول ما نذكر من ذلك سبب الاختلاف.

واعلم أن سبب الاختلاف بين الأمة البلية^(٣)، وذلك أن طرق العلم ثلاث وهي: العقل، والكتاب، والرسول. وقد جعل الله عقول المتعبدین مختلفة للبلية، فمن هالك وقع الاختلاف في المسائل المعقولة على قدر اختلاف العقول. وقد جعل الله تعالى الكتاب مُحْكَمًا ومُتَشَابِهًا، وناسخًا ومنسوخًا، وعمًّا وخاصًا؛ فمن أحل ذلك وقع الاختلاف في المسائل التي طريقها الكتاب. ولما كان في المسلمين الصادق والمنافق؛ وكان السكوت من الله ورسوله ﷺ عن المنافق وتغطيته بليّة، فمن قَلَّ المنافقين وقع لدخُل في الأخبار، ووقع فيها

(١) زيادة في (م)

(٢) في (ج): وإنما غرضنا في هذا الباب حيثما الاختلاف.

(٣) في (ص): بين الأمة المبلية

أيضاً الفساد من طرقٍ أخرى، وهي أن يحس يروي الأخبار الناسي والذاكر، والغائب والحاضر. وفي الأخبار أيضاً التشابه والمنسوخ، ومنها أيضاً ما دُلَّس على الرواة، ومنها ما روي مُرسلاً ولم يشتهر اشتهاً كثيراً، ولا تواترت به الأخبار.

فمن التشابه: ما روي عن النبي ﷺ من قوله: «لا يتططح فيها عزان»^(١). ومن ذلك ما روي عنه من قوله: «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه». ومن ذلك ما روي عنه من قوله في الإبل: إنها خلقت من الشياطين.

ومثل ما روي عنه ﷺ من قوله لسودة بنت زمعة^(٢) في الشاة الميتة: «هلاً انتفعتم بإهابها» وهذا الخبر كحديث مشابة، والمراد به هلاً ذكئتموها^(٣) فانتفعتم بإهابها؛ لأنه يمكن^(٤) أن تكون عجفة لا يتفع بلحمها. وقال غيرنا: الخبر منسوخ، نسخته ما روي عنه ﷺ أنه كتب قبل موته شهر قال: «لا تستفعوا من الميتة بشيء».

والمنسوخ مثل ما روي من المسح على الخفين، نسخته آية الغسل في [سورة المائدة].

وأما المراسيل في الأخبار فكثير، وما دُلَّس على الرواة أكثر، وقد روي عن بعض الملحدين أن السلطان أمر بقتله، فقال: افعلوا

(١) في (ش، ع، ب) لا يتططح فيه عزان

(٢) في (ش، ص، ع)؛ لسودة بنت زمعة

(٣) في (ص)؛ ومراده: هلاً ذكئتموها

(٤) في (ث). ولأنه يمكن

ما شتم فقد حلت لكم^(١) الحرام وحرمت عليكم الحلال، ودست في مذهبكم أربعة آلاف حديث. وروى عن عمر أنه كان ينكر على أبي هريرة كثرة الرواية عن النبي ﷺ، وقال له: لتقلن الرواية عن رسول الله ﷺ أو لأنفيك إلى جبال دوس.

فهذه الأمور التي ذكرناها هي سبب الاختلاف. وقد جعل الله سبب الاختلاف بليّة لعباده؛ لأن يرجعوا إلى أولي الأمر منهم وهم أهل بيت نبيهم ﷺ. وقد قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى ١١] أراد بقوله: ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أن يردوا ما اختلفوا فيه إلى من أمرهم الله^(٢) برده إليهم حيث يقول تعالى: ﴿وَكُلُّكُمْ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّ الَّذِينَ يُسْتَبْطِئُ مِنْهُمْ﴾ [النساء ٨٣]، وقد ذكر الله تعالى الاختلاف فقال عز من قائل: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَمَنْ فَتَنَّا اللَّهُ التَّمِيْمَ مَشْرِينَ وَمُذْرِبِينَ وَأَنْزَلْنَا مِنْهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا يَنْهَوْنَ فَبُذِلَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَنْ رَجَعَ إِلَى اللَّهِ فَكَانَ حَقًّا﴾ [البقرة ١١٨، ١١٩] يريد: أنه خلقهم للرحمة، ولئلا يخالف أهل الحق أهل الباطل. وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: سألت النبي ﷺ لِمَ أُنْزِلَتْ: ﴿الْم ۝ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأنعام ١-٣]؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا علي ويا فاطمة،

(١) في (ع، ب): هنيكم وهو خطأ

(٢) في (ص): إلى من أمر الله

إن الله قد جعل الفتنة على الذين يقولون: آمنا ليعلم الذين صدقوا في قولهم، ويعلم الكاذبين في إيمانهم، فهذا وعد واقع واحب، ثم أنزلت ^(١) «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَقُولُونَ السُّرَّاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا مَا يَحْكُمُونَ» (سكوت ١١)، (ثم) ^(٢) قال رسول الله ﷺ: «يا علي ويا فاطمة؛ قد علم الرب أن أقواماً من بعدي عند الفتنة سيعملون السيئات، ويحسبون أنهم سابقون» فقال علي (عليه السلام): فكيف يحسبون أنهم سابقون يا رسول الله ومن ورثهم الموت؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا علي إنهم لم يسبقوا قضاء الله الذي قضى فيهم الموت». ثم أنزل ^(٣) «مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ» (سكوت ١٥)، لأنه يعني أن من رجا لقاء الله أن يستعد لأجل الله، فإن يكن تائباً تابعا لطاعته، مُجتنباً لخلاف الله ومعصيته، يعلم أن الله ^(٤) يعلم ما يعمل، ويسمع ما يقول؛ ولذلك قال سبحانه: «وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (سكوت ١٥)، ثم أنزل سبحانه: «وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ لِلَّهِ لَنَفْيٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ» (سكوت ١٦)، فقال رسول الله ﷺ: قد قضى الله على المؤمنين عند الفتنة بعدي الجهاد، فقال علي يا رسول الله علي من يجاهد الدين يقولون آمنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «تجاهدوهم على الإحداث في الدين». فقال علي: يا رسول الله إني تقول تجاهدوهم كأني سابقى بعدك إلى محبي الفتنة، فأعود بالله والرسول أن أؤخر بعدك، فادع إلي ربك ^(٥) أن يتولاني قبل ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «ما كنت حقيقاً أن تأمرني أن أدعو الله

(١) في (ع)، ثم أنزل

(٢) ساقط في (س، ل، ه، م)

(٣) في (ح) وأن يعلم أن الله

(٤) في (ش): فادع ربك وفي (ط) فادع بي ربك

لك أن يُقدم أجلك قبل ما أجل الله وقضى^(١) والله يقول سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَيْتَابًا مُّؤْتَلًّا﴾ [المزمل: ١٤٥]، فقال علي: يا رسول الله، فما هذا الأحداث التي نجاهدكم عليها؟ قال: «ما خالف القرآن وخالف سنتي؛ إذا عملوا في الدين بغير الدين. وإنما الدين أمر الرب ونهيه». فقال علي: يا رسول الله، فإياك قلت لي يوم أحلوا - إذ استشهد من المؤمنين من استشهد. فأخرت عني الشهادة، فرأيت وجدي وأسفي - إن الشهادة من ورائك. فقال رسول الله ﷺ: «فإن ذلك إن شاء الله كذلك، وكيف ترى صبرك إذا حضبت هذه من هدا؟» - وأهوى يده إلى لحية ورأسه - فقال علي: ليس ذلك حيثنر يا رسول الله من مواطن الصبر، ولكنه من مواطن البشر والشكر^(٢). فقال رسول الله ﷺ: «فاعدد قبل خصومتك، فإنك مُخاصم». فقال علي: يا رسول الله فأرشدني إلى العليج عند الخصومة. فقال رسول الله ﷺ: «إنثر الهدى، واعطفه على الهوى من بعدي، إذا عطف قومك الهوى على الهدى وآثروه، واعطف القرآن على الرأي إذا عطف قومك الرأي على القرآن وحرفوا الكلم عن مواضعه بالأهواء العارضة والآمال الطامحة، ولا فائدة الباكثة، والغش المطوي، والإفك المردى، والغفلة عن ذكر الموت والمعاد، فلا يكونن^(٣) خصومك أولى بالقرآن منك، فإن من الفلح في الدنيا أن يخالف خصمك سنة رسول الله، وأن يخالف القرآن بعمله^(٤) يقول الحق

(١) في (ع). قبل أجل الله وقضائه

(٢) في (هـ، ل): البشرى والشكر

(٣) في (ع، ش): فلا يكون

(٤) في (ص): بعمله.

ويعمل الباطل، وعند ذلك يُعلمي لهم ليزدادوا إثماً، ويضلوا ضلالاً كبيراً؛ وعند ذلك لا يدين الناس بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يكون فيهم^(١) شهداء لله بالحق، وعند ذلك يتفاحرون بأموالهم وأنسابهم، ويزكون أنفسهم، ويتمنون رحمة ربهم، ويستحلون الحرام والمعاصي^(٢) بالشبهات والأسماء الكاذبة، فيستحلون الربا بالبيع، والخمر بالنبيذ، والنجس بالزكاة، والسحت بالهدية، ويظهرون الباطل، ويتعاونون على أمرهم، ويتولون الجهلاء، ويفتنون العلماء من أولي الألباب، ويتخذونهم سُخْرِيًا فقال علي: يا رسول الله أفبمزلة ردّة إذا فعلوا ذلك، أم بمزلة فتنة؟ فقال رسول الله ﷺ: «بل بمزلة فتنة، لو كانوا بمزلة ردّة أناهم رسول من بعدي يدعوهم إلى الرجعة من بعد الردّة، ولكنها فتنة^(٣) يستفدهم الله منها - إذا تأخرت أجال السعداء - بأولياء من أولياء الله، فيهديهم بهم، ويهدي بهم، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله» فقال علي: من آل محمد الهداة أم من غيرهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «بل بنا يختم الله كما فتح بنا، وبنا يستقذون من الفتنة، كما بنا أنقذوا من الشرك بعد عداوة الشرك فصاروا إخواناً في دينهم»

وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبريل صلى الله عليه وسلم فقال: إن أمتك مختلفة من بعدك، فقلت: فأين المخرج يا جبريل؟ فقال: «كتاب الله به يُقسم

(١) في (ب، ع، د، ص، ش): ولا يكون فيه

(٢) في (ع): المحرمات والمعاصي

(٣) في (ل، م): لكنها فتنة.

كل جبار عنيد، من اعتصم به نجا، ومن تركه هوى، قولٌ فصل،
وليس هو بالهزل، لا تخلفه الألسن، ولا يثقل على طول الرد، ولا
تفنى عجائبه، فيه أثر من إكأن^(١) قبلكم، وخبر من هو كائن^(٢)
بعدكم. وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (حفظت ونسيتم)،
ثم قال: (ألا وإن بليتكم قد عادت كهبتها يوم بعث الله نبيتكم،
والذي بعثه بالحق نبيثا^(٣) تَتَلَبَّلُنْ بِلَبْلَةٍ، وَلَتَغْرِبْلُنْ غَرْبَةً، وَلَتُسَاطُنْ
سَوَاطِ الْقَدَرِ^(٤) حتى يعود أسفلكم أعلاككم، وأعلاككم أسفلكم،
وَلَيَسْتَقُنْ سَاقُونَ كَانُوا قَصُورًا، وَلَيَقْصُرُنْ سَاقُونَ كَانُوا سَبِقُوا، والله
ما كتمت وسمة، ولا كذبت كذبة، ولقد نبئت بهذا المقام^(٥)
في هذا اليوم).

وروي عنه (عليه السلام) أنه سأل ابن الكوي عن السنة والبدعة، وعن
الجماعة والفرقة. فقال: يابن الكوي: حفظت المسألة فافهم الجواب:
(السنة والله سنة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، والبدعة ما خالفها، والجماعة والله أهل
الحق وإن قلوا، والفرقة والله متابعة أهل الباطل وإن كثروا).

(١) زيادة في (ص).

(٢) في (ص)، ما هو كائن.

(٣) زيادة في (ع).

(٤) قوله (عليه السلام) (تَتَلَبَّلُنْ بِلَبْلَةٍ) الـلَبْلَةُ الهم والحرب، وليلة الصدر وماوسه، ومنه الحديث:
(إنما عذابها في الليل والموت) يعني هذه الأمة.وفوه (ولتغربن غربة) أي: يذهب خيركم، ويبقى أرباككم، والمغربل المنقى لآله نقي
بالغربال، وهو المنخل وقد يطلق الغربال على الفل يشبه به في الاستفارةوقوله (ولتساطر سوط القدر) يقال ساط سطر بالسوط وهي الخشبة التي يترك بها ما في
القدر ليحتلط، ومن قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في حق فاطمة الزهراء عليها السلام:

(مسوط لحما بدمي ولحمي) أي عروج ومحوط تحت نهاية

(٥) في (ش، م، س): بهذا المقال

فصل

في الكلام في الفرقة الناجية

فإنه روي عن رسول الله ﷺ أنه قال في خطبة الوداع: «أيها الناس إنني امرؤ مقبوض، وقد نعت إبي نفسي، ألا وإنه سيكذب علي كما كذب على الأنبياء من قبلي، فما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فهو مني وأنا قلته، وما خالفه فليس مني ولم أقله»، ثم قال ﷺ: «أمة أخي موسى افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وافترت أمة أخي عيسى على اثنين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي من بعدي على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا فرقة واحدة». فلما سُمع ذلك منه صَاح به المسلمون ذرعاً وضحوا بالبكاء وأقبلوا عليه قالوا: يا رسول الله كيف لنا بعدك بطريق السجاة، وكيف لنا بمعرفة الفرق الناجية حتى نعلم عليها؟ فقال ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير يبأي أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الخوض».

والأمة مجمعة على صحة هذا الخبر، وكل فرقة من فرق الإسلام تتلقاه بالقبول، وتزعم أنها هي الناجية.

والأمة أيضاً مجمعة على أن إجماع الأمة حجة لقول رسول الله ﷺ: «لن تجتمع أمتي على ضلالة».

والأمة أيضاً مجمعة على أن الأخذ بالمحكم من كتاب الله أولى

من الأخذ بالمتشابه وهي أيضاً مجمعة^(١) أن في الكتاب مُحكماً ومتشابهاً، وناسخاً ومنسوخاً، فلما كان ذلك كذلك ثبت أن من اجتمعت فيهم هذه الأشياء من الفرق فهم الفرقة الناجية.

وصح أن الزيدية قد اجتمعت فيهم هذه الأشياء، وذلك أنهم تمسكوا بالكتاب، وبالعترة، وهم الذين وقع عليهم الإجماع أنهم آل رسول الله ﷺ، وفي التمسك بالكتاب ما يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَسَكَّنُونَ بِالْكِتَابِ وَآفَاءُوا الصَّلَاةِ إِنَّا لَا نَضْعِفُ لُحْمَ الْمُتَصَلِّحِينَ﴾ [الأمراء ١٧٠]. والزيدية هم الذين اتبعوا المحكم وتركوا المتشابه، وعملوا بالناسخ وتركوا المنسوخ، وقد بين الله تعالى ذلك فقال عز من قائل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ جَنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الأمراء ١٧٠]، فبين أنه لا يؤخذ إلا بالمحكم وذم الذين أخذوا بالمتشابه، وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأمراء ٥٥]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الأمراء ١١٨]. فدل هذا على أن القرآن كله حسن، وعلى أن بعضه أحسن من بعض، وعلى أن الله أمر باتباع الأحسن، والأحسن هو المحكم، والمجمع على أنه أحسن من المتشابه. والمحكم هو الذي لا يخالف تأويله تنزيهه

ومن الدليل على أن الزيدية هم المرقفة الناجية: أنهم أخذوا

(١) في (ب، ي): وهي مجمعة أيضاً

بالأحسن من كتاب الله - وهو المحكم - كما أمرهم الله، وتركوا المتشابه، وتمسكوا بعترة رسول الله ﷺ كما أمرهم الله ورسوله، وأخذوا بالإجماع وتركوا المختلف فيه، فثبت أنهم على الحق ومن خالفهم على الباطل.

واعلم أنك لا تعرف الفرقة الناجية حتى تعرف الفرق الهالكة، ولن تعرف المحكم من الكتاب حتى تعرف المتشابه، والناسخ والمنسوخ، ولن تعرف الإجماع حتى تعرف الاختلاف؛ ولهذا عددنا معرفة الاختلاف أصلاً من الأصول التي سمينا في كتابنا هذا، ومما يؤيد ما قلنا: ما روي عن زيد بن علي عليهما السلام أنه قال في حطبة له: (أما بعد يا قارئ القرآن فإنك لن تتلو القرآن حق تلاوته حتى تعرف الذي يقصّه^(١))، ولن تعرف الهدى حتى تعرف الضلالة، ولن تعرف التقي حتى تعرف الذي تعدّي، فإذا عرفت البدعة في الدين والتكليف، وعرفت الفرية على الله والتحريف، عرفت كيف هذا (من هذا).

واعلم أن الأمة افتقرت في بدء الأمر عند وفاة رسول الله ﷺ لفرقتين: فرقة^(٢) بايعت أبا بكر طائعين، ورأوا إمامته وإمامة عمر وعثمان وفرقة توقفوا مع علي أمير المؤمنين (عليه السلام).

فلما قام علي وبايعه الناس انفرقت الأمة على أربع فرق:

فرقة نصحوها لله وله، وأطاعوه، وقالوا بقوله، وبايعوه،

(١) في (ص): الذي يقصيه

(٢) في (ع): فرقة

وهم الشيعة. وإنما سُمُّوا الشيعة لأنهم والوه ونصروه. والشيعة هم الأولياء، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَمُنُّ مِنْهُمْ إِلَّا عَشِيرَةُ إِبْرَاهِيمَ﴾ ٥ إِذْ جَاءَ رُكْنَهُ بِقَلْبِهِ سَلِيمٌ ﴿١٨٤﴾ وقال تعالى في قصة موسى (عليه السلام): ﴿فَوَجَدَا فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتُلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَقَدْ بَرَأَ مِنْ هَذَا قَوْمٌ﴾ ١٠، فصح أن الشيعة هم الأولياء.

وفرقة - وهم المرجئة - وهم الذين قلدوا أبا بكر وعمر علي علي (عليه السلام) وأرجئوا عبا وعثمان ومعاوية. وهم الذين قال فيهم السيد الحميري:

رفيقي لا ترجيا واعلميا
 بان الهدى ما ترجيسان
 فارجاء ذي الشكر بعد اليقين
 ضعف البصيرة بعد البيان
 ضلال أزالتهما عكما
 فثبت لعمركما الخصلتان
 أرجا علي إمام الهدى
 وعثمان، ما اعتدل المرجئان
 ويرجا ابن هند وأحزابه
 يقسود الإمامة بالنهروان

وافترقت المرجئة فرقتين: فرقة يقل لهم أصحاب الحديث، وفرقة يُقال لهم أصحاب الرأي.

وأصحاب الحديث هم أصحاب الظاهر، وهم الذين يقولون: نتبع ما روي لنا، ولا نقيس ولا نجتهد، ويقولون: القرآن مخلوق، ويسمون أيضاً الخشوية لحشورهم لأخبار المتناقضة والقول المتناقض، وقد قال فيهم بعض من نكر عليهم. يروي الأحاديث، ويروي نقضها.

ومنهم المشبهة، وسُموا بذلك بقولهم بالتشبيه.

ومهم الشكاك. وسُموا بذلك لأنهم لم يثبتوا الشهادة على من يشهد الشهادتين أن يكون مؤمناً حتى يقولوا للمؤمن: نرحو أن يكون مؤمناً.

وفرقه من المرجئة - وهم أصحاب الرأي - وسُموا بذلك لأنهم يرون القياس والرأي والاجتهاد في الآفة.

ومهم الجهمية، نُسبوا إلى جهم بن صفوان، ويُقال لهم مرجئة خراسان وروى أن جهماً كان يكفر أهل التشبيه، ويظهر القول بخلق القرآن، وكان يقول بالخبر وقد ذكرنا قومه فيما تقدم.

ومهم الغيلانية، نُسبوا إلى غيلان بن مروان، ويُقال لهم مرجئة أهل الشام، وكان يخالف جهماً وأبا حنيفة في أشياء، منها أنه كان يقول: الإمامة تصلح في غير قريش ويقول بخلق القرآن.

ومنهم الماضرية، نُسبوا إلى قيس بن عمرو الماضري، ويُقال لهم مرجئة أهل العراق، وكان يقول: الإمامة في قريش. ويقول بخلق القرآن.

ومنهم الشُّمرية، نُسبوا إلى أبي شمر، وكان يقول: الإمامة^(١) في كل الناس، فهذه فرق المرجئة.

وفرقه وهم الخوارج، وهم الذين خرجوا على علي (عليه السلام)، وحاربوه. ومنهم الأباضية، نُسبوا إلى عبد الله بن أباض.

ومنهم الأزارقة، نُسبوا إلى باقع بن الأرق، وكان رئيس الخوارج بالبصرة والأهواز.

ومنهم النجدات، نُسبوا إلى مجدة بن عامر الحففي، وهم المارقون، وسُموا بذلك لأنهم مرقوا من الإسلام، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «يكون فيكم قوم»^(٢) تحتفرون صلاتكم مع صلاتهم، وأعمالكم مع أعمالهم، يقرؤون القرآن لا يحاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية تنظر في النصل فلا ترى شيئاً، وكان سبب خروج هذه الفرقة من الدين أنه لما كان من أمر الحكمين في صفين ما كان، اجتمع قوم من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) منهم عبد الله بن الكوى، وعروة بن جرير، ويزيد بن عاصم المخارقى، وجماعة معهم، فاعتزلوا، وبايعوا عبد الله بن وهب الراسبي وتراءوا من الحكمين، وكفروا علياً (عليه السلام) فهذه لفرق المتقدمة.

ثم تفرقت كل فرقة منهم فرقاً كثيرة، وقد ذكرنا فرق الشيعة فيما تقدم بما فيه كفاية.

(١) في (أ، ش). وكان يقول بالإمامة

(٢) في (ص): يكون فيكم أنواء.

فأما المعتزلة فكان سبب اعتزالهم أن شيخ المعتزلة واصل بن عطاء كان يرى رأي أهل البيت (عليهم السلام)، وكان يُظهر القول بالعدل والتوحيد ومحبة أهل البيت (عليهم السلام) في البصرة في وقت غلبة الخوارج، وكان تربى مع أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية رحمه الله، وكان محمد بن الحنفية يراه مثل الولد، وكان يأخذ العلم عن أبي هاشم، ويأخذه أبو هاشم عن أبيه محمد بن علي (عليه السلام) ويأخذه محمد عن أبيه علي (عليه السلام). وكان يختلف هو والحسن البصري في مسألة المنزلة بين المنزلتين. فقال الحسن بن أبي الحسن البصري: الفاسق منافق. وقال واصل: الفاسق ليس بمؤمن ولا بكافر بل له^(١) منزلة بين المنزلتين.

وكان عمرو بن عبيد يقول بقول الحسن، ثم رجع إلى قول واصل بن عطاء، وبرجوعه واعتزاله عن قول الحسن سُميت المعتزلة معتزلة، مع ما تقدم من اعتزال واصل بن عطاء للخوارج، وإظهاره للتشيع، فبسبب ذلك سُميت المعتزلة معتزلة.

ثم اختلفت المعتزلة فرقتين: فرقة لزمّت بقول واصل بن عطاء في تفضيل أمير المؤمنين (عليه السلام) وتقديمه على أبي بكر وعمر وعثمان، والقول بإمامة الحسن والحسين، ورشد علي، ومحمد وإبراهيم ابني عبد الله (عليهم السلام)، وهم مشايخ العداديين، مثل جعفر بن حرب، وجعفر بن مُبَشَّر، وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، والمرشد، ومن قال بقولهم وهؤلاء يُسمون شيعة المعتزلة، ومعتزلة الشيعة.

(١) في (ب، ص) بل هو

وسموا الزيدية معتزلة الشيعة، وصوبوا الزيدية في جميع أقوالهم،
وذكروا أن الفرقة الناجية هم شيعة المعتزلة ومعتزلة الشيعة،
يعنون الزيدية.

وفرقة وهم المعتزلة البصريين فإنهم خالفوا في الإمامة^(١) وفي
الإرادة، ووافقونا في العدل والتوحيد، وصدق الوعد والوعد،
والبوءة، وغير ذلك من الأصول. فأما الإمامة فإنهم خالفونا فيها
خلافاً كثيراً، وذلك أنهم يقولون: الإمام أبو بكر، ثم عمر، ثم
عثمان، ثم علي (عليه السلام)، ثم الإمامة حائزة في كل الناس، وهذا قول
فريق منهم.

ومهم من قال: الإمامة **لِقُرَيْشٍ**، وقالوا: إذا اجتمع قرشي^٢
ونبطي^٣ ولّي القرشي على النبطي.

وقال ضرار: إذا اجتمع قرشي ونبطي ولّي النبطي لأنه أقل عشيرة
وأهون شوكة، وعلته أنه إذا عصى لله كان أسهل لخلعه.

ومنهم من توقف في تفضيل علي (عليه السلام) على أبي بكر وعمر،
وهم: أبو علي، وأبو هاشم، وقالوا: إن صحّ خبر الطائر المشوي
فعلي أفضل من أبي بكر، وإذا كان أفضل منه كان أولى بالمقام منه،
وعلتهما: أن راوي خبر الطائر المشوي أنس بن مالك، ومن مذهبهما
أنهما لا يقبلان الخبر إلا من اثنين كالشهادة

وخبر الطائر المشوي: ما روي عن أنس بن مالك أنه أتني

(١) في (ب، ح، ع) وهم معتزلة البصريين فإنهم خالفونا في الإمامة

إلى النبي ﷺ بطائر مشوي ووضع بين يديه فقال: «اللهم اثنني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا لطائش فلم يحضر غير علي (عليه السلام)، وعلى ما روي أنه ردّ من بابه مرة بعد أخرى.

ودكرت شيعة المعتزلة الذين قلوا بفصل علي (عليه السلام) أن الخبر ذكره أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الثوري بمحضر من أصحاب الثوري فلم يردّ أحد منهم عليه، وشهدوا له بصحة ذلك، ولم يكن ذلك الوقت وقت عصية معه، ولا ميل إليه فهذه فرق المعتزلة^(١)

ومن الدليل على أن الريدية هم المارقة الناحية أنهم لم يفارقوا الكتاب ولا السنة ولا الإجماع ولا العقل، بل لزموا بهذه الخصال الأربع، وقد قدمنا الكلام في الكتاب والسنة بما فيه كفاية.

وأما الإجماع فإن الأئمة مجمعة على أن الله تعالى واحد قديم، لا قديم معه غيره، وأنه لا مثل له في وجوه من الوجوه، وقد أنى في الكتاب والسنة ما قلنا به قال الله تعالى: «تَبَسَّ كَتَبْلِهِ شَيْءٌ» (النسوري ١١)، وقال: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ» (الحمد ٢)، وقال: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» (الإسلام ١-٤).

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله لا يشل له بوجه من الوجوه في صفة من صفات العظمة».

ثم قال مخالفونا: الله قديم بقدّم، وعالم بعلم، وقادر بقدرة قديمة،

(١) في (ث) ١، فهذه فرقة المعتزلة

وقالوا: القرآن غير مخلوق وهو قديم، فأثبتوا مع الله قديماً سواه^(١) فخالفوا الإجماع ونقضوا ما كانوا قد أجمعوا عليه، واستقمنا نحن على الإجماع.

وأجمعت الأمة على أن الله ليس كمثله شيء ثم نقضت المشبهة قولهم هذا فقالوا: له وجهٌ وبدان، وجنبٌ وعينان، وجوارحٌ ولسان، وهو يرى يوم القيامة بالأعيان، وهو يستقر في المكان - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، فخرجوا عن قولهم الأول: (ليس كمثله شيء)، واستقمنا نحن على الإجماع

وأجمعت الأمة على أن معنى (سبحان الله) تنزيه الله^(٢) من كل صفة نقص في ذاته وفي أفعاله، وأجمعوا على أنه عدلٌ لا يجرُّ، وأنه لا يفعل القبيح، ولا يأمر بفعله، ولا يريد به، ولا يحبّه، ولا يرضاه، ثم نقضت المجبرة هذا القول بأن قدنوا: الله فاعل كل حسنٍ وقبيح، وقالوا: إن الله أجبرهم^(٣) على أفعالهم، وقالوا: إن الله أمر الكافر بالإيمان، وسلبه الاستطاعة على الإيمان. فنقضوا قولهم الأول، ونسبوا إلى الله فعل القبيح، ونزّهوا أنفسهم^(٤)، وخرجوا من الإجماع وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَفُودٌ لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الرعد: ٢٠]، واستقمنا نحن على الإجماع.

(١) في (ب). قدماء سواه.

(٢) في (ع، ص): تنزيه لله.

(٣) في: (ب، ش، ع). إن الله أجبرهم.

(٤) في (ص، هـ): ونزّهوا أنفسهم.

وأجمعت الأمة على أن الله صادق الوعد، ثم نقضت المرجئة هذا الإجماع بأن قالوا: يجوز أن يخلف الوعيد. فنقضوا قولهم في صدق الوعد؛ لأن وعيده للظالمين هو وعده للمظلومين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَقِّ الثَّابِتِ وَلَنَقُضَنَّ أَيْمَانَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ (سورة آل عمران: ١٥١)، فإذا أخلف^(١) وعيده للظالمين فقد أحلف^(٢) وعده للمظلومين - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. واستقمنا^(٣) نحن على الإجماع

وكذلك أخذنا في الإمامة بالإجماع، فإن الخوارج وبعض المعتزلة قالوا: الإمامة في كل الناس. وعلي والحسن والحسين وذريتهما من الناس.

وأما قول ضرار: يؤلى النبطي علي القرشي، فإن الله تعالى قد جعل النبي ﷺ من أشرف بيت في العرب، فكما كان ﷺ من أشرف بيت في العرب وجب أن يكون الإمام من أشرف بيت في العرب، وأشرف بيت في العرب بيت النبي ﷺ.

وقالت المجبرة وبعض المعتزلة: الإمامة في قريش. وعلي والحسن والحسين (عليهم السلام) من قريش، فثبت له الإجماع.

وأما قول الإمامية في النص والغلو، فإنه خلاف لجميع الأمة.

والدليل على أن الإجماع حجة قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُخَافِ الرُّسُلَ﴾ من بعد ما تبين له الهدى وتبع حذر سبل الشريعة حوله ما تؤلى وصليه جهنم

(١) في (ض): فإذا خلف

(٢) في (ص): فقد خلف

(٣) في (س): استقمنا.

وَسَأَمْتُ مَكِينًا ﴿١١٥﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِئَلَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَكُونَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا يَفْخَافُوا وَلَا يَعْزُبُوا وَأَتَشِيرُوا بِالْحَقِّ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ مَعَكُمْ أُولِيَاءُ كُنتُمْ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَلِىَ الْآخِرَةِ وَكُنتُمْ فِيهَا مَا تَحْمِي أَهْلَكُمْ وَكُنتُمْ فِيهَا مَا تَذُكَّرُونَ ۝ تَزَالُ مِنْ ظُلُومٍ رَجِيمٍ﴾ (سجدة ١١٥-١٢٠)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِئَلَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَعْزُبُونَ﴾ (البقرة ١٢٨)، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ» فَصَحَّ أَنَّ الزَيْدِيَّةَ هُمُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَّةُ.

ومن طريق العقل : أن جميع العرق لا يجدون علينا طعناً ولا تشنيعاً في مقالتنا.

ومما يدل على صحة ما ذهبنا إليه ما يجمع به مخالفونا من كثرتهم وقلتنا، وهذا من الدلائل الواضحة^(١) على صحة مذهبنا وذلك أن الله تعالى قد أخبرنا في القرآن أن أكثر الناس لا يؤمنون، وأخبرنا أنه لا يؤمن إلا أقل الناس، وأخبرنا أن لأمم قبلنا كذبوا الرسل، فقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نوحٍ وَأَمْحَابُ الرُّسُلِ وَثمودَ ۝ وَعَادَ وَفِرْعَوْنَ وَأَخْوَانُ لوطٍ ۝ وَأَمْحَابُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَوْمُ نُوحٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعْدُ اللَّهِ﴾ [١٢-١٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يَكْفُرُوكَ قَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ وَاللَّهُ يَرْجِعُ الْأُمُورَ﴾ [سورة ١٢]، وقال تعالى: ﴿لِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة ١٠١]، وقال: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَتَّقُونَ﴾ [سورة ١٥٧]، وقال: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) [سورة ١١٧]،

(۶) زیادہ فی (ط، م، ہ)

(٢) في جمع السح: (ولكن أكثر الناس لا يفقهون) وقد أشربا قيم تقدم بأنه لا يوجد في القرآن الكريم آية هكذا.

وقال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣]، وقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِغُيُوبِهِمْ﴾ [سورة النور: ١٠٢]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَلِيلٌ قَلْبَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولَئِكَ﴾ [الصافات: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَلَنْ نُطِيعَ أَكْثَرَهُمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِيزْتُهُمْ تَقَاتٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [احمد: ٢٦]، وهذا في القرآن كثير.

ثم ذكر الله المؤمنين المحلصين بالقلّة، فقال تعالى: ﴿وَاهْتَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [اب: ١٣]، ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [مائدة: ٤٠]، وقال: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقال: ﴿قَلِيلًا مِمَّا قَدَّحْتُمْ﴾ [الأنعام: ٣]

وذكر ما كان من أصحاب موسى عند باب حطة، وقولهم لموسى: ﴿فَانْهَبْ آتَتْ وَرُكَّتْ هَاطِلًا إِيَّا هَاطِلًا فَاغْتُورَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وذكر قول موسى (عليه السلام): ﴿رَبِّ إِيَّا لَا أَتْلِكَ إِلَّا هَسْبِي وَآيِي﴾ [البقرة: ٢٥]، وذكر من قوم موسى رجلين وهم ألوف فقال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا الدَّمَارُ فَهُمْ أَلْبَابٌ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِدْبِكُمْ ثَاقِبُونَ﴾ [البقرة: ٢٣]، وقد قيل: إنهما يوشع بن نون، وكالب بن نفثا^(١) القناري من أرض قنار. وقيل: إنه لمؤمن الذي كان يكتُم إيمانه. فصَحَّ أن القليل معدوم، وأن الكثير من لفرق مدموم.

وبسبب^(٢) قلة الفرقة الناحية تطهر أعداء الله عليهم. وقد ذكرنا ما

(١) في (ب، ش) وكالب بن نفثا وفي (ج) وكسب بن نفثا وفي (هـ) وكاليت بن نفثا

(٢) في (ع، ش): وسبب.

فعل بنو أمية وهنو العباس بأولاد رسول الله ﷺ ؛ وذلك أن معاوية لعنه الله لما غلب على الأمر جعل سب أمير المؤمنين (عليه السلام) سيرة وسجية، حتى كتب إلى واليه من جهته يقول له: أقتل من كان على دين علي، واضرب عنق جحر بن عدي، لأنه لم يتبرأ من علي (عليه السلام) وأنكر سبه.

وكانوا يلعنون علياً على المابر، ويدعونه أبا تراب، حتى ولي عمر بن عبد العزيز فمنع ذلك، فقل في ذلك كثير عزة:

طبت بيتاً وطاب أهلك أهلاً

أهل بيت النبي والإسلام

لعن الله من يلعن علياً

وبنيه من سوقة وإمام

تأمن الطير والوحوش ولا يأمن

من أهل البيت عند المقام^(١)

وسم الحسن على يدي جعدة بنت الأشعث بن قيس، حتى روي أنه قال: سقيت السم مراراً وما سقيت مثل هذه المرة، ولقد مشيت طائفة من كبدي.

وفعل بالحسين بن علي عليهما السلام ما فعل، وخبره مشهور.

وروي أنه لما قتل كتب عبيد الله بن زياد أن توطأ الخيل على طهره،

(١) في (هـ، ل): أهل بيت النبي عند المقام

وحز رأسه^(١) وأمر به إلى يزيد بن معاوية - لعنه الله سبحانه -
وسيق حريمه وأهله على الأتخاب إلى دمشق.

وقُتل زيد بن علي^(عليه السلام) وصلب، ثم قُتل ولده يحيى بن زيد^(عليه السلام)
وهُرس في المهراس

وقُتل محمد وإبراهيم ويحيى أولاد عبد الله بن الحسن^(عليه السلام) وغيرهم
من أهل بيت النبي^(صلى الله عليه وآله)، ولهم أسوة حسنة بمن سبقهم من
الأنبياء^(عليهم السلام) والصالحين، وقد قل الله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا
لَا تَهْوَىٰ أَهْوَاؤُهُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفِرَانًا مِّنْكُمْ فِرَاقًا وَفِرَاقًا تَقْسُونَ﴾ (سورة الاحقاف: ١٨٧)، وقال تعالى: ﴿وَمَكَائِيلَ مِنْ رَبِّهِ قَالَتْ مَتَىٰ رُحُونُكُمْ حِينَ تَقُومُونَ وَمِنْهُمْ لِمَا آمَنَتْهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا
كَفَرُوا وَمَا اسْتَكْبَرُوا﴾ (سورة الاحقاف: ١٨٨)، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَمْسَحُوا الْكُفْرَ
وَالنَّارَ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُودٌ ۝ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة الاحقاف: ١٨٩)، وكذلك أهل
البيت^(عليهم السلام) ولذلك قلت هذه العرقة الناحية، ولم يشتهر علمهم
لأجل ذلك، كما اشتهر علم الفقهاء كأبي حنيفة والشافعي من
العامّة، ومالك، ومحمد بن الحسن، وأبي يوسف في أكثر الأمصار.
وقد روي عن أصحاب أبي حنيفة أنهم كانوا إذا تكلموا في المسائل
فأرادوا أن يحكموا قول علي^(عليه السلام) قالوا: قال الشيخ، ولم يفصحوا
باسمه خوفاً من السلطان، فكيف يظهر علمهم والأمر كذلك مع طول
المدة؟ فإن دولة بني أمية انقضت في سنة اثنين وثلاثين ومائة هجرية،

(١) في (ع): وجز رأسه

فصار الأمر إلى بني العباس فساروا طريقة بني أمية في قتل أهل البيت (عليهم السلام) فبأنهم قتلوهم بضروب من القتل، فما رالت تلك حالتهم^(١) حتى ضعفت دولتهم بظهور الجليل والديلم.

وأيضاً فإن فقهاء العامة الذين سمّوا كانوا يرون ولاية آل رسول الله ﷺ فرضاً، ويشهدون لهم بالتفضيل، ويقولون: إن مودّتهم هي أجر الرسالة وقد روي أن سب موت أبي حنيفة: أن أبا جعفر - الثاني من خلفاء بني العباس - كتب إليه كتاباً، وإلى الأعمش كتاباً على لسان إبراهيم بن عبد الله، فلما رأى أبو حنيفة الكتاب الذي كتبه إليه أخذه وقبله وقراه، ولما رأى الأعمش الكتاب الذي كتبه إليه رمى به وكذلك الشافعي كان يظهر محبة أهل البيت (عليهم السلام) وهو القائل فيهم:

يا راكباً قف بالمحصب من منى
واهتف بقاطن أهله والناهض
سحراً إذا جاش الحجيج إلى منى
سبلاً كملتظم الفرات الفائض
قف ثم ناد بسانى لمحمد
ووصيه وبنيه لست بباغض
إن كان رفضاً حب آل محمد
فليشهد القلان أني رافضى

(١) في (ش): تلك حالهم

وروي أن محمد بن الحسن غضب عليه هارون في ميله إلى أهل البيت فرماه بالدَّوَاة فشجَّ رأسه فصاح لنا الإجماع، وصحَّ أن الزيدية هم الفرقة الناجية.

وقد شذ من الزيدية فرقتان في عصرنا هذا:

إحدهما: الْمُطَرِّفِيَّةُ الدينَ قَالُوا: لَيْسَ يُسْمَعُ الْقُرْآنُ، وَلَا يُسْمَعُ الْكَلَامُ، وَأَنَّهُ صَعَةٌ صَرُورِيَّةٌ لِقَبْلِ الْمَلِكِ لَا تَفَارِقُهُ، فَأَنْكَرُوا نَزُولَ الْقُرْآنِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ سَحَاهُ لَا يَقْصِدُ كَثِيرًا مِمَّا يَحْدُثُ مِنَ الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ، بَلْ ذَلِكَ يَحْصُلُ بِحَالَاتِ الْأَجْسَامِ، فَأَنْكَرُوا تَدْبِيرَ اللَّهِ سَحَاهُ لِحَلْقِهِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ وَقَالُوا: إِنْ فَعَلَ الْعَدُوُّ لَا يَعْدُوهُ، وَلَا يُوَحِّدُ مِنَ الظُّلْمِ فَعِلَ فِي الْمَظْلُومِ، فَتَسَبَّوْا أَكْثَرَ الظُّلْمِ إِلَى اللَّهِ سَحَاهُ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْجَهَالَاتِ الْقَبِيحَةِ، وَهَذَا الْقَوْلُ مُخَالِفٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ^(١)، فَخَرَجُوا مِنَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ بِخُرُوجِهِمْ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْعَقْلِ وَالْإِجْمَاعِ.

والفرقة الأخرى: الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنِ الْقَاسِمِ أَفْضَلُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَلَامُهُ أَهَمُّ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ، وَهَؤُلَاءِ خَرَجُوا مِنَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ بِخُرُوجِهِمْ عَنِ الْعَقْلِ وَالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ.

وَمِنْ أَهْلِ مَقَالَتِنَا فِي عَصَرِنَا: قَوْمٌ تَوَانَوْا وَسَهَّلُوا فِي الْعَمَلِ، وَغَفَلُوا عَنِ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَرَكِبُوا عَصِيَّ إِصَابَةِ الطَّرِيقِ، فَضَيَّعُوا الدِّينَ، وَتَخَلَّفُوا عَنِ طَرِيقِ الْمُؤْمِنِينَ^(٢)، فَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ النَّائِمِ عَلَى الطَّرِيقِ

(١) فِي (ج، س، م)؛ مُخَالِفٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْعَقْلِ

(٢) فِي (ش، ب)، عَنْ طَرِيقِ الْمُؤْمِنِينَ.

ومثل مخالفهم كمن يمشي مجتهداً في غير الطريق، فكلا الفريقين لا يبلغ المراد، إلا أن يستيقظ النائم، ويرجع الضال عن الطريق إلى الطريق. نسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى من طاعته حتى يصدق قولنا بعملنا، ونسأله أن يتحاور عن خطيئنا وزللنا، وأن يلعننا صالح آمالنا ويختتم لنا بخير أعمالنا.

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وخير آل



مرکز تحقیقات و توسعه در مطالعات اسلامی

الفهارس العامة

فهرس الآيات

| الآية | رقمها | الصفحة |
|--|--------|----------|
| الفاتحة | | |
| الحمد لله رب العالمين | ٢ | ٧٥ |
| اعلم ان الصراط المستقيم | ٧٠٦ | ٣٦٤ |
| البقرة | | |
| الم، ذلك الكتاب لا ريب فيه | ٣-١ | ٣٢٧ |
| ان الذين كفروا سوء عذابهم انصرتهم ثم لم تغفرهم | ٧٠٦ | ٢٣٧ |
| في قلوبهم مرض | ١٠ | ١٢١ |
| ما فيها من سوء عذابهم انهم انهم انهم | ٢١ | ٤٠٦ |
| وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا | ٢٣ | ٤٢٤ |
| نصر به كثيرا ويهدي به كثيرا | ٢٧، ٢٦ | ٢٣٧ |
| انهم يسمون باسماء هؤلاء | ٣٢، ٣١ | ٣٩١ |
| واقيموا الصلاة واتوا الزكاة | ٤٣ | ٤٠٧، ٣٩٢ |
| وانفقوا يومنا لا تجزي نفس عن نفس شيئا | ٤٨ | ٣٦٨ |
| رود قلتم يا موسى ان نؤمن لك حتى ترى الله جهرة | ٥٥ | ١٨٤ |
| كلوا من طيبات ما رزقكم | ٥٧ | ٢٦٣ |

الطهارس العامة

| | | |
|----------|--------|---|
| ٤٧٣ | ٥٧ | وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ |
| ٢٦٣ | ٦٠ | كُنُوا وَتَرْتُوا |
| ٢٥٦ | ٦٢ | وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى نَرِ بَصُرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ |
| ٢٨٦ | ٦٧ | أَنبَحْنَا هَرُونَ |
| ١٣١ | ٦٩-٦٧ | وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْبَلُوا بُرْقًا |
| ٢٢٧ | ٨١ | بِهِ مِنْ كَبِّ سَيِّئَةٍ وَأَحَاطَتْ بِهِ عَطِيقَتُهُ |
| ٤١٤ | ٨٥، ٨١ | وَإِذْ أَحَدًا مِنْكُمْ لَا يَسْمَعُونَ دَعَاءَكُمْ |
| ٥٣٢، ٤٦٢ | ٨٧ | أَهْلَكْنَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ أَتُكْفَرُونَ |
| ٢٨٧ | ١٠٤ | بِأَنفُسِهِمْ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَهْمٍ |
| ٣٩٣ ١٧٦ | ١٠٦ | مَا يَسْمَعُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ |
| ٤٩٢ | ١٠٩ | فَاعْبُدُوا وَأَصْلَحُوا |
| ٦٦ | ١١١ | وَقَالُوا لَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَنْفُسُ |
| ٢٩٤ | ١١٥ | وَلَهُ الْفَتْحُ وَالْأَمْرُ |
| ١٨ | ١١٧ | لَهُ الْفَتْحُ وَالْأَمْرُ |
| ١٣٤ ٤٣ | ١٢٤ | لَا يَأْتِي عَهْدِي إِلَّا بِالْحَقِّ |
| ٤٧٨ | ١٢٤ | وَإِذْ أَنْتَلَى إِبرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاسْتَجَبَ |
| ٣ ٨ | ١٢٦ | وَرَزَقَ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرِ |
| ٤٢٤ | ١٣٦ | فَقُلُوا إِنَّمَا بَدَّلْنَا مَا كُنَّا نَعْبُدُ مِنْ قَبْلُ |
| ٤٧٥ | ١٤٢ | فَمَنْ حَسِبَ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ لِقَاءَ رَبِّهِ |
| ٤٣٩ | ١٤٣ | وَأَنَّهُ لَآتٍ بِجَنَّةٍ فَمَنْ قَدْ سَطَا |
| ٣٩٤ | ١٤٤ | فَمَنْ رَزَقَ مِنْهُ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ |
| ٢٧ | ١٥٢ | وَمَنْ كُنْ مِنْكُمْ |
| ٢٧٧ | ١٥٣ | بِأَنفُسِهِمْ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَهْمٍ |
| ٣ | ١٥٥ | وَلَقَدْ كُنْتُمْ مِنْ أَفْوَاجٍ |

| الصفحة | رقمها | الأبجدية |
|--------|-------|----------|
|--------|-------|----------|

| | | |
|--------------------|----------|---|
| ٥٠٢ | ١٦٠، ١٥٩ | إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَاكَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ |
| ١٢٢ | ١٧١ | وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِينَ يَنْعَمُ حَالًا لَا يَسْمَعُ |
| ٢٧١ | ١٧٢ | بِأَنَّهُ الَّذِينَ شَاءُوا كَتَمُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَفَقَ كُمْ |
| ٢٩٢ | ١٧٥ | عَمَّا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ |
| ٢١٧ | ١٧٧ | وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ |
| ٤٠٥ | ١٧٩ | وَلَكُمْ فِي الْمَصَاصِ حَيَاءٌ |
| ٣٩٩ | ١٨٠ | كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَصَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ |
| ٣٩٤، ٣٦٣ | ١٨٢ | دَبَّ عَيْنُكُمُ الْمَيِّتُ |
| ٢٨١، ٢٣٥ | ١٨٥ | سَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ |
| ٢٩٢ | ١٨٥ | فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ |
| ٢٧١ | ١٨٥ | وَنُكِّرُوا اللَّهَ عَنِّي مَا هَذَا كُمْ |
| ٢٦٩، ٢٢٣، ١٩٤، ١٩١ | ١٨٥ | يُرِيدُ اللَّهُ مَكْرَهُ الْقِيَامِ |
| ٣٩٤ | ١٨٥ | أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَّامِ الرَّفْعَ إِلَى سَاعَتِكُمْ |
| ٣١١ | ١٩١ | وَالْعَمَلُ أَشَدُّ مِنَ الْقَمَلِ |
| ٢٦٩ | ١٩٥ | وَلَا تَقْفُوا دُبُرَكُمْ إِلَى الْهَلَكَةِ |
| ٣٨٩ | ٢١ | هَلْ يَطْرُقُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنْ غَمِيمٍ |
| ٢٧٢ | ٢١٦ | وَمَنْ يُدَلِّ بِمَعْقَةِ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ |
| ٥١٣، ٤١٤ | ٢١٣ | كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً |
| ٢٨٠ | ٢١٦ | كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ |
| ٣٦٣ | ٢١٦ | كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ |
| ٤٠٤، ٤٠٣ | ٢١٩ | يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ |
| ٣٩٤ | ٢١٩ | يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُحْفَظُونَ |
| ٤٠٠ | ٢٢ | وَاللَّهُ يَعْصِمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمَصْلَحِ |
| ٣٩٩ | ٢٢٠ | وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ |
| ٤٠٣ | ٢٢١ | وَلَا تَكْنُحُوا الْمُتَضَرِّعَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِرَ |

| رقمها | الصفحة | الآية |
|----------|----------|---|
| ٢٦٣ | ٢٢٢ | فَإِذَا تَطَهَّرْتَ فَأَتَوْهُ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكَ اللَّهُ |
| ٣٩٦ | ٢٢٩ | يَا أُنْ بَحَايَ إِلَّا بِقِيَمَا حُدُودِ اللَّهِ |
| ٣٩٦ | ٢٢٩ | وَلَا يَجِزْ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا |
| ٣٩٦ | ٢٣٤ | وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَتَّقُونَ أَرْوَاحًا يَرَبُّصْنَ |
| | | بَأَنفُسِهِنَّ تُرْتَمَى أَشْهُرٌ وَعَشْرًا |
| ٣٩٦ | ٢٤٠ | وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَتَّقُونَ أَرْوَاحًا وَصَّةً لَأَرْوَاحِهِمْ |
| ٩٦ | ٢٤٧ | عَلِ إِنْ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ |
| ٥٣٠, ٤٥٩ | ٢٤٩ | فَشَرِبُوا مِنْهُ لَا قَلِيلًا مِنْهُمْ |
| ٣٧١ | ٢٥٥ | وَلَا يَتُودُّهُ حَفَظُهُمَا |
| ١٧٨, ١٥٦ | ٢٥٥ | وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ |
| ١٩٤ | ٢٥٥ | وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ |
| ٣٩٨ | ٢٥٦ | لَا أَكْرَاهُ فِي الدِّينِ |
| ١٦٨ | ٢٥٨ | رَبِّي الدِّينَ بِحَقِّي وَبِحَقِّ |
| ١٥٣ | ٢٦١ | رَبِّي كَعَبِ نَعْمِي الْمَوْتِ |
| ٣٤٥, ٣١ | ٢٦١ | عَنِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ |
| ٣٠٢ | ٢٦٤ | يَأْتِيهَا الدِّينَ أَمْوَالٌ لَا تُغْلَبُوا حُدُودَكُمْ بِالْقِسْ وَالْأَذَى |
| ٣٠٢ | ٢٦٦ | أَبُودُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ حِجَّةٌ مِنْ مَعْلٍ وَأَقْصَابِ |
| ٢٩٤ | ٢٧٩, ٢٧٨ | بِهَا الدِّينَ أَمْوَالٌ تُقَوِّ اللَّهُ وَدَرُوا بِهَا مِنْ رَبِّ |
| ١٨١ | ٢٨٠ | فَطَرَهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ |
| ٣٩٧ | ٢٨٢ | وَأَشْهَدُوا إِذَا مَا بَعَثَ |
| ٢٣٢ | ٢٨٢ | بِأَيِّهَا الدِّينَ أَمْوَالٌ إِذَا مَا بَعَثَ بَدْعٍ |
| ٣٩٧ | ٢٨٣ | فَإِنْ أَمْسَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا |
| ٢٧٥ | ٢٨٥ | أَمْسَ الرِّسُولُ بِنَا أَرْبَ إِيَّاهُ مِنْ رَبِّ |
| ٣٢٢ | ٢٨٦ | رَبِّهَا وَلَا تُحْمَلُوا بِهَا لَا طَاقَةَ لَهَا بِهِ |
| ٢٦٩, ٢٢٣ | ٢٨٦ | لَا يَكْتَفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَاسْتَعَهَا |

| رقمها | المصنف | الكتاب |
|-------|--------|--------|
|-------|--------|--------|

آل عمران

| | | |
|--------------------|---------|---|
| ٣٨٩ | ٧ | عَالِمًا الْبَيْتَ فِي قُلُوبِهِمْ رَتِّعَ |
| ٥١٩, ٣٨٩, ١٧٥ | ٧ | هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْ آيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ |
| ٣٩١ | ٧ | وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ |
| ٣٢٤ | ١١ | رَبِّهِمْ يَفْهَمُونَ حَبِيبُ السَّهَابِ مِنَ السَّمَاءِ |
| ١٥٨ | ١٨ | شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ |
| ٢١ | ٢٦ | قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ |
| ٤٠٦ | ٣٤, ٣٣ | إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا |
| ٣٣٦ | ٣٦, ٣٥ | يَذُكَّرُ عَنْهُمْ عَصَى إِبْرَاهِيمَ الَّذِي مَدَّ يَدَهُ فِي بَيْتِ هَاطِلَ |
| ٣٨٤ | ١٥ | إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ |
| ١٢٢, ١١ | ٥٢ | مِمَّا أَحْسَنَ عِيسَى مِنْهُمْ الْكَفَرِ |
| ٤٤٢ | ٦١ | مَنْ تَعَالَى تَدْعُ أَسْمَاءُ وَآيَاتُكُمْ |
| ٢٣٧ | ٨٦ | كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا نَعْدُ بِهِمْ |
| ١٨٣ | ٩٢ | لَنْ تَنَالُوا اللَّهَ حَتَّى تَقْصُرُوا مِمَّا نَحْنُ بِكُمْ |
| ٣٨٩ | ٩٦ | إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ |
| ٣٩٢, ٢٢٢ | ٩٧ | وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ |
| ٢٧٧ | ١٠٢ | تَقَرُّوهُ لِيُذَكِّرَ النَّاسَ |
| ٥٠٣, ٤٧٥, ٤٣٨, ٢٨٢ | ١٠٤ | وَلَنْ تَكُونَ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ |
| ١٢٩ | ١٠٩ | وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ |
| ٤٣٨ | ١١ | كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَرَجْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ |
| ٢٣٢ | ١١٠ | مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ |
| ٤٩٢, ٢٩٤ | ١٣٤ | وَالْكَافِرِينَ الْعَبِيدَ |
| ٤٣٨ | ١٤٢-١٤٠ | وَبَيْنَ الْأَيْمَانِ يَذُكَّرُ عَنْهُمْ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|-------|---------------|
| وليمحص الله الذين آمنوا ويمحو الكافرين | ١٤١ | ٣١٦ |
| م حَسْبُكَ أَنْ تَخْلُقَ أَفْجَاهَهُ وَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ الَّذِينَ | ١٤٢ | ٣١٧ |
| جَاهِدُوا مِنْكُمْ وَبَعَثَ الْفَرَارِ | | |
| وَمَا مَحْجَتُهُ لِأَرْسُولِهِ هَذَا حَسْبُكَ مِنْ هَذِهِ الرُّسُلِ | ١٤٤ | ٣٣٤ |
| وَمَا كَانَ يَعْصِي أَنْ يَحُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ | ١٤٥ | ٣٣٠, ٣٣٣, ٣٣٤ |
| | | ٣٤٢, ٥١٥ |
| وَكُلٌّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مَعَهُ سَوَاءٌ كَثُرَ | ١٤٦ | ٥٣٢ |
| يَسْأَلُ فِي قُبُورِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّسُلَ | ١٥١ | ٢٣٩ |
| فَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ | ١٥٤ | ٣٣٤ |
| سَدَّ مِنْ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ | ١٦١ | ٤١١, ٣٥٨ |
| أَنَّهُمْ | | |
| كُلٌّ يَعْصِي دَانِعَهُ الْمَوَدَّ | ١٨٥ | ٣٢٨ |
| لَا تَحْصِي الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَنَا أَوْ أَمْرًا نَحْنُ كَاتِبُونَ | ١٨٦ | ٤٩٥ |
| إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلَابِ اللَّيْلِ | ١٩٠ | ١٦٢ |
| وَالنَّهَارِ | | |
| الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عِندَ مَا وَقَعُوا وَعَلَى حَوْبِهِمْ | ١٩١ | ٢٧٧ |
| بِمَا مَنَعَهَا يَهْدِي لِلْإِمَامِ | ١٩٣ | ١٢٤, ١١٠, ١٧ |
| وَسَتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَيْ لَا أَصْبَحُ عَمَلٌ مِنْكُمْ | ١٩٥ | ٢٩٩ |
| وَبِمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَمَا أُرْسِلْتُ إِلَّا | ١٩٩ | ٤٠٣ |
| النساء | | |
| وَمَنْ كَانَ عَابًا مَبْتَغِيًا | ٦ | ٣٩٩ |
| وَبِمَا حَصَرَ الْمُنَافِقُ قُلُوبَهُمْ | ٨ | ٣٩٤ |
| إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُلُونَ آمُوالَ الْيَتَامَى ظُلُمًا | ١٠ | ٣٩٩, ٢٣٠ |
| وَبِهِمُ الرِّبَاحُ مِمَّا تَرَكْتُمْ | ١٢ | ٣٩٧ |
| وَمِنْ بَعْضِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَبَعْدَ حُدُودِهِ | ١٤ | ٢٢٧ |

الآية

| | | |
|---------|----|--|
| ٣٩٧ | ١٥ | واللّٰهٖ ما بين الفاحشه من سائلكم |
| ٤٠١ | ١٨ | وبسب النّوثة لئدين يعملون السيئات حتى إذا حصروا أحدهم الموت |
| ٣٩٦ | ٢ | و يسئم إحداهن بظنّها |
| ٤١٩ | ٢٢ | ولا تكفّوا ما تكبح أباؤكم من النّساء |
| ٣٩٥ | ٢١ | فما يستعصم به منهنّ |
| ١٩١ | ٢٦ | يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنّ الدين من قديمكم |
| ١٩١ | ٢٧ | والله يريد أن يتوب عنكم |
| ٣٩٦ | ٢٨ | وخلق الإنسان ضعيفا |
| ٣٣٦ | ٣١ | الرّحان قوامون على النّساء بما فصل الله بعنهنّ على بعض |
| ٤٣٢ | ٤٣ | فمن يحدو ماء فسموه صعيد طيب |
| ٤ ١ ٤ ٢ | ٤٣ | لا تفرّوا الصّلاة وآتوا الزّكاة |
| ٢٢٩ ٢٢٤ | ٤٨ | إن الله لا يعزّ أن تشركوا به |
| ٢٨٤ | ٥٥ | فكيف يقرّون على الله الكذب |
| ٤٧٨ ٢٧٩ | ٥٤ | أم يحسدون النّاس على ما آتاهم الله من فضله |
| ٥ ٤ ٤٧١ | ٥٩ | أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول |
| ٢٤ | ٧٦ | إن كيد النّافذين كان ضعيفا |
| ٤ ٤ | ٧٦ | الذين آمنوا يعملون في سبيل الله |
| ٢٩٥ | ٧٩ | ما أصابك من حسبة فمن الله |
| ٧٤ | ٨ | من يطع الرّسول فقد أطاع الله |
| ٤ | ٨٢ | فلا ياتركوا العزّاء ولو كان من عند غير الله |
| | | لو جدوا فيه أحلاقا كثير |
| ٥١٣ ٣٩٢ | ٨٣ | ولو دّوه إلى الرّسول وإلى رُؤس الأمر منهم |
| ٢٤ | ٨٣ | ولو فصل الله عنكم ورحمة |

القاموس العامة

| | | |
|----------|--------|---|
| ٢٨١ | ٨٦ | وإذا حَسِبَ نَجْوَهُ فَقِيلَ: لَا تُخَسِّسْ مِنْهَا قَوْلَهُ |
| ٣٣٢, ٢٢٦ | ٩٣ | وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُعْتَدًا |
| ٩٧ | ٩٤ | يَعْمَلُونَ عَمَلًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا |
| ٣١٦ | ٩٤ | وَلَا يَقُولُوا: لِمَنْ أَلْمِزْنَا السَّلَامَ مِنْ قَوْلِ |
| ٢٩٩ | ٩٧-١٠٠ | رَبِّ الدُّنْيَا تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي آلِهِمْ |
| ٣٤٤ | ١٠٠ | وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ |
| ٢٨٣ | ١٠٨ | يَسْتَحْفِظُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفِظُونَ مِنْ رَبِّهِمْ |
| ٢١١ | ١١٢ | وَمَنْ يَكْتَسِبْ حَفِيفَةً أَوْ ثِقَلًا ثُمَّ يَرُدَّهَا عَلَى رَأْسِهِ |
| ٢٨١, ١٢٨ | ١١٤ | لَا حَبِيرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ بَحْوَاهُمْ |
| ٥٢٨ ٧٤ | ١١٥ | وَمَنْ يُضَاهِ الرُّسُولَ مِنْ بَعْدِهِ سَيَلَّ بِهِ الْهَدِيدُ |
| ٣١٤ | ١٢٣ | مَنْ يَعْمَلْ سُوًّا فَاعْمَلْ |
| ٢٢٨ | ١٢٥ | وَقُلْ: قَوْمِ، إِنِّي مَعَكُمْ هَذَا هَذَا |
| ٢٤٥ | ١٣٧ | إِنَّ الدُّنْيَا سَوَاءٌ لَكُمْ كَعَمَلِ نَمْلِ أَمْوَالِهِمْ |
| ١٩٢ | ١٤٨ | لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْمُجْتَهِدِينَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ |
| ١٣٢ | ١٥١ | إِنَّ الدُّنْيَا يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ |
| ١١ | ١٥٣ | فَعَلُوا أَرْمًا لِلَّهِ جَهَنَّمَ |
| ١٨١ | ١٥٣ | سَأَلْتُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ يُرْسِلَ فِيهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ |
| ٣٣١ | ١٥٧ | وَمَا صُنُوعُهُ وَمَا صُنُوعُهُ وَكَانَ سَبَّحَهُمْ |
| ٣٨٣, ١٠٧ | ١٦٤ | وَقُلْ: اللَّهُ مُوسَى سَكِينًا |
| ١٧٨ ١٥٥ | ١٦٦ | أَمْرُهُ عَمَلُهُ |
| ١٨٥ | ١٧٣ | فَيُوقِئُهُمْ أَجْوَدَ مِنْهُمْ وَيُرِيهِمْ مِنْ عَمَلِهِ |

المائدة

| | | |
|-----|---|--|
| ٢٦٣ | ٢ | وَأَدْ حَسِبَ قَاصِدًا |
| ٢٧٧ | ٢ | وَمَعَارِفًا عَلَى الْبَرِّ وَالْقَوَى |
| ٣٩٧ | ٢ | يَا أَيُّهَا الدُّنْيَا أَمْوَالُهَا لَا تُحَلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ |

الأبجدية

| | | |
|-----------|-------|---|
| ٢٦٥ | ٣ | اليوم اكملت لكم دينكم |
| ٤٠٢ | ٣ | حرمت عليكم الميتة |
| ٤ ٢ | ٥ | اليوم اهل لكم الطيبات |
| ٢٨١ | ٨ | ما فيها الدين اموا كونوا مؤمنين له شهد ، بالعبادة |
| ٢٧٥ | ١٢ | ولقد اخذ الله ميثاق مني بسر تيل |
| ٣٩٨ | ١٣ | فانف عنهم واصبح |
| ٤٧٨ | ٢٠ | اذكرو نعمه الله عليكم اذ جعل فيكم نبياء |
| ٥٣ | ٢٣ | قل رحل من الدين بحافون نعم الله عليهما |
| ٥٣٠ | ٢٤ | فادع ب انك ورثك فدانلا انا هاهنا فاعنون |
| ٥٣٠ | ٢٥ | رب يني لا اطلب الا نفسي واحي |
| ٢٣٤ , ٢٩٢ | ٣٢ | من هل نفا نصر نفسي اذ صاد في الارض |
| ٢ ١ | ٣٩ | من باب من بعد طمسه واصبح |
| ٢٩٧ | ٤٢ | من جاعون وحكم بينهم اذ اعرض عنهم |
| ٤٦٤ | ٤٤ | ومن لم يحكم بما امر الله فاولئك هم الكافرون |
| ٢٨٢ , ١١١ | ٤٧ | ومن لم يحكم بما امر الله فاولئك هم الفاسقون |
| ٢٩٧ | ٤٩ | وان حكم بينهم بما امر الله |
| ٢٣٦ | ٥١ | ان الله لا يهدي القوم العالين |
| ٤٠٧ | ٥٥ | بما وليكم الله ورسوله والدين مؤ |
| ٤٤١ | ٥٦,٥٥ | بما وليكم الله ورسوله |
| ١٧٢ | ٦٤ | من بداه منسوط |
| ٤٥٢ | ٦٦,٦٥ | ولو ان اهل الكتاب اموا وامنوا |
| ١٩٦ | ٧٣ | لعد كفر الدين فاولوا ان الله ثالث ثلاثة |
| ٤٣٩ | ٧٩,٧٨ | لكن الدين كفر من بني اسرائيل على ساد داود |
| ٢٩٤ | ٧٩ | كافوا لا يساهون عن شكر نعموه |
| ٤ ٣ | ٩٠ | يا ايها الذين مؤ ايما الخمر والميسر |
| ٢٦٨ | ٩٠ | ايما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|-------|----------------|
| الأنعام | | |
| فَلْأَنْتُمْ شَرُّ الْكَافِرِينَ | ١٩ | ١٤٦ |
| مَا فَخَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ | ٣٨ | ٣٨٧ |
| وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ | ٣٨ | ٣٦ |
| وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ الْفَرِيدُونَ فِي مَا تَعْبُدُونَ عَنْهُمْ | ٦٨ | ٢٤٣ |
| وَأَسْبَغْتُ الشَّيْطَانَ وَلَا يَغْدُو بَعْدَ الذِّكْرِ | ٦٨ | ٤٣٠ |
| انصوم الظالمين | | |
| وَكَذَلِكَ نُفِيتُ عَنْهُمْ مَذَكُورَ السَّمْعِ | ٧٩ ٧٥ | ١٥١ |
| وَوَهَبْنَا لَهُ سَحَابًا وَمَغْرُوبًا كَثِيرًا | ٨٧ ٨٤ | ٤٦٨ |
| يَذْكُرُونَ مَا أَتَوْا عَلَيْهِ عَنِ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ | ٩١ | ١٢٧ |
| سَمِعَ أُمَّ الْقُرَى وَمِنْ حَوْلِهَا | ٩٢ | ٣٨٩ |
| وَمِنْ أَهْلِهَا مَنْ أَقْرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا | ٩٣ | ٤٩٤ |
| وَأَمَّا حَتِّمُوا فَرْدِي | ٩٤ | ٣١٩ |
| وَجَعَلُوا لَهُ سَمَكًا الْحَرَّ | ١٠٣ | ١٦٦ |
| لَا تَذْكُرْكُمُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يَذْكُرُ الْأَنْصَارَ | ١٠٣ | ٣٩ ١٨٦ ١٨٠ ١٧١ |
| وَيَقْلِبُ أَيْدِيَهُمْ وَأَنْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يَنْصَرُوا بِهِ | ١ | ٢٣٧ |
| وَمِمَّا كَسَمْتُمْ رَبُّكَ صَدَقًا وَعَدًا | ١١٥ | ٢٧٥ |
| وَأَنْ تَطْعَمَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ نَصْرُكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ | ١١٦ | ٥٣ |
| وَأَنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ | ١٢١ | ٢١٢ |
| وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ | ١٢١ | ٤٢ |
| إِنَّهُ أَنْعَمَ حَبِيبٌ يَجْعَلُ مَالَهُ | ١٢٤ | ٢١ |
| مِمَّنْ يَرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ سَبِيلَ صِدْقِهِ بِإِسْلَامٍ | ١٢٥ | ٢٣٨ ٢١٩ |
| سَيَعْلَمُونَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا | ٤٨ | ٢٨٤ |
| وَأَسَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا | ٤٨ | ١١١ |
| مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُ مِنْ بَيِّنَاتٍ | ٦ | ٣٥٧ ٣١ |
| وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ | ١١٥ | ٢٤٦ |

الأمسية

الأعراف

| | | |
|---------------|----------|--|
| ٥٣٠ | ٣ | فليلاً ما تدكروا |
| ٣٥٧ | ٨ | والورث يومئذ الحق |
| ٧١ | ١٢ | أما حيرته حلقت من نار وحقته من طير |
| ٢٧٩ | ١٣ | ما يكون لك أن سكره |
| ٢١١, ٢١٢ | ١٦ | بما أغويتني |
| ٢١٢ | ٢٣ | ربنا طعمنا أنفسنا |
| ٢٩٥ | ٢٣ | ربنا طعمنا أنفسنا |
| ٢١٢ | ٢٧ | يسر آدم لا يفشكم السبط |
| ٣٣١, ٣٣٣ | ٣١ | ويكل أنه أحل |
| ٢٢٤ | ٤٤ | والذي أصحاب الجنة أصحاب النار |
| ٢٣٣ | ٥٥ | حسن السماوات والأرض في ستة أيام |
| ١٢٢ | ٨٠, ١٠٧ | فألقى عصاه فإذا هي ثياب مبرور |
| ٢١ | ١٧ | فإذا هي ثياب ما مأكول |
| ١٨٣ | ١٤٣ | رب أرسى أطلال بيتك |
| ١٨٤ | ١٥٥ | أنهكذا بما فعل السفهاء منا |
| ٤٢٩ | ١٥٧ | البيبي الأممي الذي يجدونه مكتوباً عندهم |
| ٤٣٨ | ١٦٤, ١٥٩ | ومن قوم موسى أمه يهنئون بالحق وبه يعدلون |
| ٣١٤ | ١٦٨ | وهبتهم بالخصيات والسيات |
| ٥١٩ | ١٧ | والذين يستكبرون بالكتاب وأقاموا الصلاة |
| ٣٧١ | ١٧٩ | ولقد درأنا لجهنم كثيراً من الحق واليس |
| ١٥٧ | ١٨ | ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها |
| ١٥ | ١٨٥ | أنتم يظفروا في ملكوت السماوات والأرض |
| ١٧٨ | ١٨٥ | فأبى حديث بعده يؤمنون |
| ٤٦٠ | ١٨٧ | ولكن أكثر الناس لا يعلمون |
| ٤١٤ | ١٨٩ | هو الذي حللكنم من نفس واحدة |
| ٢٨٦, ١٧٨, ١٠٣ | ٢٤ | وإذا فرغ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا |

الأنفال

| | | |
|----------|-------|--|
| ٢٨٠, ٢٣٢ | ٢ | يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا دُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ |
| ٤٢٥ | ٧ | إِذْ يَدْعُوكُمُ اللَّهُ لِأَحَدٍ عَلَى الطَّائِفِ إِنَّهَا لَكُمْ |
| ٢٥٩ | ١١ | إِذْ يَعْشِقُكُمْ الْوَلَدُ مِنْكُمْ |
| ٢٨٧ | ٢١ | وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ |
| ٢٩٤ | ٢٢-٢٣ | وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ |
| ١٢٩ | ٢٨ | أَيُّهَا أُولَئِكَمْ وَأُولَئِكَمْ فَتَى |
| ٣ ٦ | ٢٨ | فَلْيَدْعُوا كَمَا دُعُوا بِسْمِ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ |
| ٤٣٢ | ٤١ | وَالْمُؤْمِنُونَ أَلَمَّا عَسَوْا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لَهُمْ حُصُونًا |
| ٤١٥ | ٤٣ | إِذْ يَرْمِيهِمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِعَ لَيْلًا |
| ٤٧٩, ٤٠٢ | ٦٥ | إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَادِقُونَ |
| ٤٠٢ | ٦٦ | إِلَّا أَنْ يَخْلُفَ اللَّهُ عَنْكُمْ |
| ٣٩٨ | ٧٢ | وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا |
| ٢٣٢ | ٧٤ | وَالَّذِينَ هُمْ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ |
| ٣٩٨ | ٧٥ | وَأُولَئِكَ الْأَرْبَعُ أَصْنَافُ الَّذِينَ هُمْ |

التوبة

| | | |
|----------|----|---|
| ٢١١ | ١ | بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ |
| | | الْمُشْرِكِينَ |
| ٣٩٨ | ٤ | إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ |
| ٣٩٨ | ٥ | فَأَقِلُّوا الْعَاهِدَ الَّذِينَ هُمْ وَجَدْتُمْوَهُمْ |
| ٣٨٣ | ٦ | وَمَنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ |
| ١٠٩ | ٦ | وَمَنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ |
| ٤١٩ | ١٩ | أَجْعَلْتُمْ سَعْيَهُ الْخَبْرَ وَغَمَارَهُ الْمَسْحَدَ الْحَرَامَ |
| ٤٠٣, ٣٩٧ | ٢٨ | بِمَا الْمُشْرِكُونَ سَعَوْا |

الأنبياء

| | | |
|----------|-----|---|
| ٣٩٨ | ٢٩ | قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ |
| ٤٤٩ | ٤٠ | إِذْ هَمَّ بِالنَّارِ |
| ٤٥٠ | ٤٠ | فَأَرْسَلَ اللَّهُ مَكِّيَّتَهُ عَلَيْهِ |
| ٣٩٨ | ٤١ | انْمُرُوا صَخْرًا وَنَقَالًا |
| ٢٣٠ | ٤٩ | وَأَنَّهُمْ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ |
| ٣١١ | ٥٢ | قُلْ هَلْ تَرْتَابُونَ هَذَا إِلَّا رِجْدَى الْخُسْفِيِّ |
| ١٢٨ | ٦٠ | إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ |
| ٣٩٨ | ٧٣ | بِأَنَّهُمَا النَّبِيُّ جَاهِدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ |
| ١٧٣ | ٧٧ | فَأَغْرَقَهُمْ نَارًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ |
| ٢٤٤, ٣٣١ | ١١١ | إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ |
| ٣ ٢ | ١١٢ | الْبَائِسِينَ الْعَائِدُونَ الْمُحَافِلُونَ |
| ٤٥٥ | ١١٧ | لَقَدْ قَاتَى اللَّهُ هَاشِمًا وَآلَهُ |
| ٢٩٣ | ١٢٢ | عَنَّا لَا تَفِرُّ مِنْ كُلِّ قَوْمٍ طَائِفَةٌ لِيُبْغِضُوا فِي الْغَيْبِ |
| ٢٩٨ | ١٢٢ | وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيُعْرَوا كَافَةً |
| ٢٣٢ | ١٢٨ | حَرِّمْنَا عَلَيْكُمُ الْمُوتَ بِرُءُوسِهِمْ وَرُءُوسَهُمْ |

يونس

| | | |
|---------|-----|---|
| ٢٥٥, ٦٦ | ٨١٧ | إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا |
| ١٨٥ | ٢٦ | لَنَدْبِ أَحْسَنَ الْخُسْفِيِّ وَرِيَادَةِ |
| ٢٤٠ | ٣٢ | مُتَدَا مَعْدَ الْحَيِّ إِلَّا الصَّلَاةَ |
| ٤٤٠ | ٣٥ | أَفَسَ يَهْدِي إِلَى الْحَيِّ أَحَقُّ أَنْ يَسْبَحَ |
| ١٧٨ | ٣٨ | أَمْ يَقُولُونَ اقْرَأْ |

هود

| | | |
|----------|----|--|
| ٩١ | ٧ | وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ |
| ٤٢٤ | ١٣ | أَمْ يَقُولُونَ اقْرَأْ قُلْ قَاتِلُوا مَعْشَرَ سَوْرِ جِلَّةٍ مُعْتَرِيَاتِ |
| ٥٢٩, ٤٦٠ | ١٧ | وَنَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ |
| ٥٣٠, ٤٥٩ | ٤٠ | وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ |

الطه من العامة

| | | |
|-----|----------|---|
| ١٨٤ | ٤٧-٤٥ | وَبَدَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنِّي فَغُلِي |
| ٢٢٥ | ١٠٨ ١ ٣ | وَلَيْكَ يَوْمَ مَخْنُوعٌ لَهُ النَّاسُ |
| ٣٥٧ | ١١٤ | إِنَّ الْفَحَّاتَ يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ |
| ٥١٣ | ١١٩، ١١٨ | وَلَا يَرُ الْوَلَدَ مُخْتَلِفِينَ |

يوسف

| | | |
|-----|--------|---|
| ٤٣٣ | ٢٤ | وَلَقَدْ حَبَّبَ بِهِ وَجْهَهُ يَهْيَا |
| ٤٣٣ | ٣٤، ٣٣ | وَالْأَمْرُ فَا عَلَىٰ كَيْدِهِمْ أَصْبَأُ إِلَيْهِمْ |
| ١٥٥ | ٧٦ | وَمِنْ كُلِّ دِي عِلْمٍ عَلِيمٍ |
| ٢٦١ | ٨٤ | وَمَوْلَىٰ عَتَمٍ وَقَالَ يَا أَسْمَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ |
| ٣٢٣ | ٨٦ | نَمَّا أَشْكُرُ نَمِي وَخَرْنِي يَا إِلَهَ |
| ١٢٨ | ٩٤ | إِنِّي لِأَحَدُ رَمَحِ يُوسُفَ |
| ٥٣٠ | ١ ٢ | وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمَعْلُومٍ |



وَلَقَدْ حَبَّبَ بِهِ وَجْهَهُ يَهْيَا

الزمر

| | | |
|----------|----|---|
| ٢٢٩ | ٦ | وَأَنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ لِّبَنِي عَلَىٰ عَتَمِهِمْ |
| ٣٤٧ | ٤ | وَمِنَ الْأَرْضِ مَطْعٌ مَّخْجُورَاتٍ |
| ٤ ٧ | ٣٩ | وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا سِيرَتَ بِهِ الْعَمَالُ |
| ٥٠٤، ٣٩٣ | ٣٩ | يَمُحُّ اللَّهُ مَا بَنَاءُ وَيُثَبِّتُ |

إبراهيم

| | | |
|----------|--------|---|
| ٢٧٢ | ٧ | وَبَدَىٰ نَادِي رَبِّكُمْ لَيْسَ شُكْرُكُمْ لِأَرْبَابِكُمْ |
| ٢٤١ | ٢٢ | وَقَالَ السَّعْدَانُ لَمَّا فَصِيَ الْأَمْرُ |
| ٢٧٢، ٢٣١ | ٢٨ | أَلَمْ تَرَىٰ إِلَىٰ الْإِدْيِ بَدَلُو مَعْمَةَ اللَّهِ تَكْفُرًا |
| ٢٤ | ٣٦، ٣٥ | فَالْإِبْرَاهِيمَ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ |
| ٢٩٥ | ٤١ | الْمَجْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ |
| ٣٧٥ | ٤٨ | يَوْمَ تَنْدُرُ لَأَرْضٍ غَيْرِ الْأَرْضِ |

الفصل الأول في بيان أهمية العلم

الحجرات

| | | |
|-----|--------|--|
| ٢٨١ | ٩ | إِنَّا نَحْنُ مُرْسِلُو الدُّكْرِ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ |
| ٤٠٤ | ١٥، ١٦ | وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ |
| ٢٤٠ | ٤٢ | إِن عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ |
| ٣٦٦ | ٤٤ | لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ |
| ٣٤ | ٩٩، ٩٨ | فَتَحْ بِحَمْدِي رِثْتَ وَتَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ |

النحل

| | | |
|----------|-------|--|
| ٢٥٦ | ١٨-٣ | خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ |
| ٢٦٢ | ٩ | وَعَنِ اللَّهِ فَصْنُ السَّبِيلِ |
| ١٩٢ | ٤ | بِمَا مَرَّبْنَا لَشَيْءٍ إِذَا أَرَادُوا أَن يَقُولُوا لَهُ كُنْ فَيَكُونُ |
| ٥٠٤، ٤٧٧ | ٤٣ | عَادُوا أَعْلَى الدُّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ |
| ٢٩٥، ٢٥٨ | ٥٢ | وَمَا مَكَّنَّمْ مِنْ نَعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ |
| ٣٨٥ | ٦٤ | وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ الْكِتَابَ إِلَّا لَنُبَيِّنَ لَهُمْ أَلْوَعِيَّاتِهِمْ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ |
| ٤٠٣ | ٦٧ | تَعْدُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرَرَقًا فَصَا |
| ٤١٥ | ٦٨ | وَأَوْحَىٰ رُسُلًا إِلَى النَّحْلِ |
| ٣٣٧ | ٧١ | وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنَ الرِّزْقِ |
| ٢٧٢ | ٧٢ | أَعْمَالًا طَلِبَ يُؤْمِنُونَ |
| ٣٣٦ | ٧٥ | صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا خَبِيثًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ |
| ٢٦٢ | ٧٨ | وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ ظُلُومٍ أَنْتَهَانَكُمْ لَا يَقْنُتُونَ لَشَيْءٍ |
| ٢٦ | ٧٨ | وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ |
| ٢٥٦ | ٨٣-٨٠ | وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا |
| ٢٧٢ | ٨٣ | يَقْرَأُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُكْفَرُونَ بِهَا |
| ٢٠١ | ٩٠ | إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ |
| ٣٨٩ | ٩٣ | يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ |

| رقبها | الصفحة | الأبجدية |
|----------|---------|--|
| ٢٤٤ | ٩٨ | فَدَّ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ |
| ٢٤١ | ٩٨ - ١٠ | فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ |
| ٤١ | ١٠٣ | رَبِّعَدَ تَعْلَمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنْ مَا يَعْلَمُهُ بَسْرٌ |
| ٢١١ | ١٠٥ | بِمَا يَقْرِي الْكَذِبَ الدِّينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِأَهْلِ اللَّهِ |
| ٢٩٩ | ١١ | ثُمَّ إِنَّ رَبَّنَا لَنَدِينُ هَاجِرًا مِنْ بَعْدِ مَا هُنَا |
| ٣٦٠, ٣٥٨ | ١١١ | يَوْمَ نَأْتِي كُلَّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا |
| ٢١٠ | ١١٢ | وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِمَنْ كَانَتْ أُمَّةٌ مَظْمُونَةٌ |
| ٢٧١ | ١١٤ | فَكُنُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا |
| ٢٦٧ | ١١٨ | وَمَا طَلَبْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ |
| ٢٧٤ | ١٢٣-١٢ | إِنَّ بَرَاءَهُمْ كَانَ أُمَّةً قَاتِلًا لَهٗ حَبِيبًا |

الإسراء

| | | |
|-------------------|--------|---|
| ٢٧٤ | ٢ | دَرَمَ مِنْ حِمْلٍ مَعَ نَوْحٍ |
| ٣٦٣ | ١٢, ١٣ | وَكُنْ إِنْسَانًا أَلْفَاةً طَائِفَةً فِي عَقْفِهِ |
| ٤١٤ | ١٥ | وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا |
| ٤٠٨ | ١٦ | أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا |
| ٣١٨ | ٢ | كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عِطَاءِ رَبِّكَ |
| ٣٤٦ | ٢١ | نَظَرُ كَيْفَ نَصَبْنَا نَعْتَهُمْ |
| ٤٠٨ | ٢٣ | فَلَا تَنْفَعُ نُهُمَا كَيْفَ |
| ٢١٤ | ٢٣ | وَمَعَى رَبِّكَ أَلا يُبَدِّلُوا إِلَّا بِإِذْنِهِ |
| ٣٤٣, ٣١٨ | ٣١ | وَلَا يَقْتُلُوا أَوْلَادَهُمْ حَشَشَهُ أَمْلَاقِي |
| ٢٩٥ | ٣٦ | إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ |
| ٩١ | ٣٧ | إِنَّكَ مِنْ نَجْدِ الْأَرْضِ وَمِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ قَاتِلًا |
| ١٦٤ | ٤٢ | لَوْ كَانَ مَعَهُ نَهْجٌ كَمَا يَقُولُونَ |
| ١٤٣, ١٤٢ | ٨٥ | وَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ |
| ٤٩٤, ٤٩٣, ٤٢٤, ٤١ | ٨٨ | فَرَأَى مِنْ اجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِ وَالْحَمْدُ عَلَى مَا بَأْسَ رَسُولِ |
| | | هَذَا الْقُرْآنِ |

| الرقم | الصفحة | الآية |
|-------|--------|--|
| ١٧٨ | ٨٨ | لَنْ يَحْتَسِبَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ هَدًى الْقُرْآنُ لَا يَأْتُونَ بِشَيْءٍ |
| ٤١٤ | ٩٥ | فَلَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمُوتُونَ مَوْتًا |
| ١٥٧ | ١١ | قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ |
| ٤٠٥ | ١١ | وَلَا يَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُهَا |
| ٢٨٢ | ١١١ | وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا |

الكهف

| | | |
|----------|----------|---|
| ٣ ٢ | ١٠٤، ١ ٣ | قُلْ مَنْ يَمْلِكُ بِأَنْفُسِكُمْ أَمْثَلًا |
| ٣٨٣ | ١ ٩ | قُلْ لَوْ كُنَّا الْبَحْرُ مَدَادًا لَكُنَّاسٌ رَبِّي |
| ١٧٤، ١٧٣ | ١١ | مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ |
| ٣٦٢ | ١٩ | بِأَوَّلِهَا مَا لِهَذِهِ الْكُتُبِ لَا يَمُوتُ صَمِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ |
| ٣٤٣ | ٣٠ | وَمَا أَسْمَاهُ إِلَّا الشَّعْطَانُ أَنْ أَدْكُرَهُ |
| ٢٠٤ | ٨٢ ٦٤ | فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا صَحْصًا |
| ٤٣٠ | ٧٣ | لَا تَوَاعِدُنِي بِمَا سَمِعْتُ |
| ١٢٨ | ٧٩ | أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ |

مريم

| | | |
|-----|-----|---|
| ٤٥٢ | ٦٠٥ | وَبَيْنَ يَدَيْهَا الْمَوَالِي مِنْ ذُرِّيَّتِي |
| ٢٣٩ | ٨٣ | أَمَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَلْمِزُهُمْ إِذَا |
| ١٢٢ | ٩٨ | هَلْ نَحْسِبُ مِنْهُمْ أَحَدًا |

طه

| | | |
|-----|-------|---|
| ٣٨٩ | ٥ | الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى |
| ١ ٣ | ١٤ | إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي |
| ٣١٥ | ١٥ | أَنَّ السَّاعَةَ آيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا |
| ٢٩ | ١٨، ٧ | وَمَا نَتَّ بِبَيْبِطٍ بِأَمْرِي |

الإنجيل

| | | |
|----------|----------|---|
| ٣٩٠ | ٧١ | وَلَا صَلَبْتَكُمْ فِي حُدُودِ الْخَل |
| ٢١١ | ٧٣ | إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنا لِيَعْمَرَ لَكَ حَتَّى |
| ٢٤٠ | ٧٩ | وَأَصْلُ فَرْعُونَ مَوْتُهُ وَمَا هَدَى |
| ٣٠٦, ٢٢٩ | ٨٢ | وَيَسَى لَعْنَارُ لَمْ تَأْبَ وَأَسَى وَعَمِلَ صَالِحًا نَمَّ اِهْتَدَى |
| ٢٤٠ | ٨٥ | وَأَصْلُهُمُ السَّامِرِيُّ |
| ٣٥٥ | ١٠٢-١٠٤ | يَوْمَ يَفْتَحُ فِي الصُّورِ |
| ١٢٢ | ١٠٨ | وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ |
| ٣٥٦ | ١٠٨ | يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ |
| ٤٣٠ | ١١٥ | دَسَى وَلَمْ يَحْدِلْهُ عِزًّا |
| ٤٣٥ | ١٢٢, ١٢٤ | وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى |
| ٤٢٨ | ١٣٤ | وَلَوْ أَنَّا أَهْنَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ رَبِّهِ |

الأنبياء

| | | |
|----------|-----|---|
| ١٧٥ | ٢ | مَا نَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ |
| ٢٩٦ | ٢ | نَسْجُونَ النَّاسَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ |
| ١٦٤ | ٢٢ | لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا |
| ٣٦٨ | ٢٨ | وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى |
| ٣١١ | ٣٥ | كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ |
| ٢٦٢ | ٣٧ | خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ |
| ١٢٢ | ٤٥ | وَلَا تَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُدْعَوْنَ |
| ٣٥٦ | ٤٧ | وَبَصَّحَ الْغُورِينَ الْقَيْطُ لِيَوْمِ الْعِيَامِ |
| ١٢٤, ١٠٢ | ٦٠ | قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ |
| ٤٣٠ | ٨٧ | وَدَّ الْبُؤْسُ أَنَّهُ دَغِبَ مُعَاذِ |
| ١٢٣ | ١٠٢ | لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا |
| ٣٧٥ | ١٠٤ | يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجْنِ لَكُنَّ |

الآيات الواردة في سورة النمل

المعج

| | | |
|---------------|--------|--|
| ٣٥١ | ٧-٥ | وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اعْبَرَتْ وَرَبِّ |
| ٢١١ | ١٠-٨ | وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى |
| ٢٨٥ | ١٩ | هَٰذَا خِطْمَانٍ اخْصِنُوا فِي رَبِّهِمْ |
| ٢٨٥ | ٣٠ | وَحَسِّنُوا قَوْلَ الرُّورِ |
| ٢٧٧ | ٣٠ | وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ لَهُ عَذَابُ |
| ٢٧٧ | ٣٢ | وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُتُوبِ |
| ١٨٣ | ٣٧ | لَنْ يَدُلَّ اللَّهُ لِحُرْمَتِهَا |
| ٣٩٨ | ١٠، ٣٩ | أَدْرُ لِّلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ |
| ٢٦٥ | ١ | وَيُؤَلِّقُ اللَّهُ النَّاسَ فِي أَنْفُسِهِمْ نَفْسًا |
| ٢٣٢ | ١٠ | وَيَسْخَرُونَ اللَّهُ مِنْ صَعْرَةٍ |
| ٢٨٨، ٢٦٠، ٥٨ | ١٦ | أَعْلَمُ بِمِيقَاتِهَا مِنَ الْأَرْضِ مَتَى يَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ |
| ٢٤٣ | ٥١-٥٢ | وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ |
| ٢٤٥ | ٧٢ | تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الشُّكْرَ |
| ١٦٨ | ٧٣ | وَأَنْ يَسْتَقْبِلَهُمُ الدَّيَّانُ شَقِيحًا لَا يَسْقُدُونَ مِنْهُ |
| ٤٧٦، ٤٣٩، ٢٧٤ | ٧٨ | وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ |

المؤمنون

| | | |
|-----|------|---|
| ٢٧٦ | ٢٠١ | مَنْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ |
| ٢٣١ | ١١-١ | فَمَنْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ |
| ١٢٧ | ٢ | الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ |
| ٢٨٨ | ٣ | وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ |
| ١٢٨ | ٤ | وَالَّذِينَ هُمْ لِلرُّكَّاءِ هَاجِلُونَ |

الأسئلة

| | | |
|--------|---------|--|
| ١٦٢,٧٩ | ١٤ ١٢ | ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين |
| ٢١١ | ٧٥ | ولنور حصانهم وكشفنا عنهم من غمر |
| ١٦٤ | ٩١ | ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من شيء |
| ٢٤٤ | ٩٨,٩٧ | وقل رب أعوذ بك من همزات الباطل |
| ٢٧٢ | ١ ١ | فإذا نفع في الصور فلا ألسن بهم يومئذ ولا |
| | | سائلون |
| ٢٥٦ | ١ ٣,١ ٢ | من نفع موزين فأولئك هم المفلحون |
| ٢٢٨ | ١١٥ | أفحسب أنما خلقناكم عبثا |

النور

| | | |
|-----|------|---|
| ٢٩٧ | ٢ | الرأية والرائي |
| ٢٣٣ | ٢ | ولا أخلقكم بهما رافة في دين الله |
| ٢٢٢ | ٥ | ولا تقولوا لهم شهادة أبدا |
| ٢ ٨ | ١٦ | وتحشرون ههنا وهو عند الله عظيم |
| ٣٠٨ | ١٩ | إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا |
| ٢٨٩ | ٣١,٣ | فللذين آمنوا بهن من أنصارهم |
| ١١٠ | ٣١ | ولا يضرني بأرجلهم |
| ٢٨٢ | ٣٥ | الله نور السماوات والأرض |
| ١٥٦ | ٣٦ | في يومئذ أن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه |
| ٢٣٦ | ٣٨ | بغيرهم الله أحسن ما عملوا |
| ٢١١ | ٣٩ | والذين كفروا أعمالهم كزراب يقع |
| ٢١١ | ٥٠ | أعني قلوبهم مريض أم أربابا |
| ٢٢٣ | ٦١ | نس عنى الأعني حرج |

القرآن

| | | |
|----------|-------|--|
| ٢٣٩ | ١٨١٧ | وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْشَرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ |
| ٢٤٠ | ٢٩-٢٧ | وَيَوْمَ يَحْشَرُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ |
| ١٢٦ | ٣٠ | وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا قُرْآنًا مَهْجُورًا |
| ٩٩ | ٤٤ | أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ |
| ١٨١ | ٤٥ | أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ |
| ٤٩٢, ٢٨٢ | ٦٣ | وَأَن يَدَّ يَدَهُمْ الْخَافُونَ فَأَلَا سَلَامًا |
| ٢٦٩ | ٦٧ | وَالَّذِينَ إِذَا تَعَمُّوا تَمُ الْمُتَعَمِّونَ |
| ٢٨٣ | ٦٨ | وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ |
| ٢٨٨, ٢٨٥ | ٧٢ | وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ |
| ٢٨٧ | ٧٣ | وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْهَاتٍ |

البصراء

| | | |
|-----|---------|--|
| ٢١٩ | ١ | إِنْ مَسَا سُرُّ مَعْنَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ آتَا |
| ١٧٥ | ٥ | وَمَا أُنْيَهُمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُنْخَدِتٍ |
| ٢٧٧ | ٢٤ | رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا |
| ٤١١ | ١٩٧-١٩٢ | وَأَنَّهُ لَسُرُّبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ |

الغزل

| | | |
|-----|-------|--|
| ٢٤٥ | ١ | رَبِّمَا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ |
| ٤٣٤ | ١١٠١٠ | وَأَلَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَرُ كَأَنهَا حَبَابٌ وَلَّى مُدْبِرًا |
| ٤٥٢ | ١٦ | وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ |
| ٢١٠ | ٢٣ | وَأَوْبَسَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ |
| ١٨١ | ٣٥ | وَأَنِّي مَرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ |

الطهارات العامة

| | | |
|----------|--------|--|
| ٣١١ | ٤ | هَذَا رَأَى مُسْتَعْمِرًا عِنْدَهُ |
| ٢٧٢ | ٤١ | قَالَ هَذَا مِنْ عَصْرِ رَبِّي |
| ٥٠٣, ٤٩٤ | ٦٥ | قُلْ لَا يَعْلَمُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبِ إِلَّا اللَّهُ |
| ٢٧١ | ٧٣ | إِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ |
| ١٢٦ | ٧٦ | إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفَصِّرُ عَلَى نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ نَبِيِّ مَنْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ |
| ١٢٢ | ٨٠ | بَلْ لَا تَسْمَعُ الْقَوْتِي وَلَا تَسْمَعُ الْقَصْمَ الدُّعَاءِ |
| ٦٦ | ٨٤, ٨٣ | وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ هَؤُلَاءِ |

القصص

| | | |
|-----|----|--|
| ٣٧١ | ٨ | فَانْقَطَعُ آلَ فِرْعَوْنَ |
| ٥٢١ | ١٥ | مِنْ عَدَمِهَا رَحُلًا مَقْلَانِ |
| ٢٤٢ | ١٥ | وَأَنْ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشُّعْطَانِ |
| ٢٩٦ | ١٦ | فَإِنَّ رَبِّي إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي |
| ٣٠ | ١٧ | وَأَنَّ رَبِّي إِنَّمَا أَتَمَّتْ عَلَيَّ قَلْبًا أَكُونَ ظَهِيرًا لِمَنْ حَرَمِي |
| ١٠٧ | ٣٠ | إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ |
| ٢٣٦ | ٥٦ | إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ |
| ٢١١ | ٨٤ | مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنْهُ |
| ١٧٢ | ٨٨ | كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ |

الغفريات

| | | |
|-----|-----|---|
| ١٢٧ | ٢٠ | الْمَاءِ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يَبْرُكُوا |
| ٥١٣ | ٣-١ | الْمَاءِ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا |
| ٥١٤ | ٤ | أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعِثْقَاتِ أَنْ يُسْعَفُوا |

الطاهر من العدمه

| | | |
|----------|--------|---|
| ٥١٤ | ٥ | من كان يرجو لقاء الله |
| ٥١٤ | ٥ | وهو السميع العليم |
| ٥١٤ | ٦ | ومن جاهد نفسه بما يجاهد نفسه |
| ٢٢٧ | ١١ | فلست فيهم ألم مني إلا حنين عاني |
| ٣٠٠ | ٢٦ | فأس له يوطئ |
| ١٦٨ | ٤١ | مثل الذين اتحدوا من دور الله أولاء |
| ٢٦٤ | ٤٥ | إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر |
| ٤١٠ | ٤٨، ٤٧ | وكذلك أتينا إليكم الكتاب |
| ١٢١، ١١٩ | ٤٩ | بل هو آيات بيّنات هي صدور الذين أوتوا العلم |
| ٤٢٥ | ٥١ | أولم يكنهم أما أتونا عبث نكتب نبي عنهم |

الزوم

| | | |
|----------|--------|---|
| ١٢٥، ١٧١ | ٣١ | الم غلب الزوم |
| ٢١١ | ٩ | فما كان الله ليعذبهم |
| ٢٨١ | ١٨، ١٧ | فبما الله حين يفتون وحس نصيرون |
| ٢٦١، ١٢٩ | ٢٢ | ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف |
| | | النسك والقرآنكم |
| ٢٥٩ | ٢٣ | من آياته سائركم بالليل والنهار |
| ٢٦٢ | ٣ | فأقم وجهك لدين خفيف |
| ٣١٨ | ٤ | الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يمسككم ثم يحاكمكم |
| ٣٥١ | ٥٠، ١٨ | الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابها |
| ٣٥٥ | ٥٩، ٥٥ | ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير |
| | | ساعة |
| ٢٦٢ | ٥٦ | وقال الذين أوتوا العلم والإيمان |

الصحف

الآيات

الآيات

لقمان

| | | |
|-----|-----|---|
| ٢٥٨ | ٣-١ | الهم، تلك آيات الكتاب الحكيم |
| ٢٦٧ | ١٣ | إن الشراك لعظم عظيم |
| ١٦٦ | ٢٥ | ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله |
| ٥٠٣ | ٣٤ | إن الله عنده علم الساعة |
| ٤٩٤ | ٢٤ | وما تدري نفس ماذا تكسب غدا |

المائدة

| | | |
|-----|--------|--|
| ٤٩٥ | ١١ | فل يوعاكنم تلك الموت الذي وكل بكنم |
| ٤٢٨ | ٢٤، ٢٣ | ولقد أنبأ موسى الكتاب فلا تكفر في مرة من لعاله |
| ٤٧٨ | ٢٤ | رحمتا منهم أئمة يهتدون بأمرنا لعا صبروا |

الأحزاب

| | | |
|-----|--------|---|
| ٣٩٩ | ١ | إلا أن تقموا إلى أوليائكم منكم وهم |
| ٤٩٥ | ١ | التي أولى بالمؤمنين من أنفسهم |
| ٢٧٦ | ٢٤، ٢٣ | رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه |
| ٢٨ | ٣٣ | وقرن في تبريكن |
| ٢٧٧ | ٢٥ | إن المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات |
| ١٧٩ | ٣٨ | وكان أمر الله قدرا مقهورا |
| ٤٣٧ | ٤٠ | ولكن رسول الله وخاتم النبيين |
| ٣٨٢ | ٤٦، ٤٥ | أما أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا |
| ١٢٨ | ٥٣ | لا مدخل بيوت النبي |
| ٤٩١ | ٥٣ | وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله |
| ٤٤٧ | ٥٣ | بأنبياء الذين آمنوا لا مدخلوا بيوت النبي |
| ٢٨٦ | ٥٨ | والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا |

| الترقيم | الترقيم | الترقيم |
|---------|---------|---------|
|---------|---------|---------|

س

| | | |
|----|----------|---------------------|
| ١٣ | ٥٣٠, ٤٥٩ | اعشوا آل داود شكرًا |
| ١٣ | ٢٧٩ | وفيل من عبدي الشكور |

ط

| | | |
|--------|---------------|---|
| ١ | ٤٢٠ | جاءل الملائكة رسلًا أولي أجنحة |
| ٤ | ٥٢٩ | وإن يكذبوك فقد كذب رسل من قبلك |
| ٢٨ | ٤٤٠ | إنما يخشى الله من عباده العلماء |
| ٣٢ | ٥٠٤, ٤٧٣, ٤٧٢ | ثم أوردنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا |
| ٣٣ | ٤٧٢ | جنات هذان يدخلونها |
| ٣٧, ٣٦ | ٤٧٢ | والذين كفروا لهم نار جهنم |
| ٣٧ | ٤٧٣ | فما لظالمين من نصيب |
| ٣٩ | ٤٧٣ | هو الذي جعلكم خلائف في الأرض |
| ٤٥ | ٢٩٥ | ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا |

ي

| | | |
|--------|-----|---|
| ١٢ | ٣٦٢ | إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا |
| ١٥ | ١٢٦ | قالوا ما أنتم إلا بشر مثنا |
| ١٩, ١٨ | ٣٦٣ | قالوا إنا نظيرنا لكم |
| ٣ | ١٩٢ | يا حسرة على العباد |
| ٥١ | ٣٥٥ | ونفخ في الصور |
| ٦٠ | ٢٤٢ | ألم أعهد إليكم يا بني آدم |
| ٦٢ | ٣٤٢ | ولقد أصل منكم جيد كثير |
| ٦٨ | ٣٢٨ | ومن نعمة نكته في الحق |
| ٧٧- ٨٢ | ٣٥٢ | وإن ير الإنسان أنا حقيقه من نطقه ود هو حصيم |

مبين

| الترقيم | الترقيم | الترقيم |
|---------|---------|---------|
|---------|---------|---------|

المصاحفات

| | | |
|---------------|-----------|---------------------------------------|
| ٣٥٨ | ٢٤ | وَقَوْمُهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا |
| ٣٧٣ | ٣ - ٢٨ | قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ سَائِلِينَ |
| ٣٧٥ | ٤٩، ٤٨ | وَعَنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرَافِ |
| ٣٥٤ | ٥٩ - ٥٠ | وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ |
| ١٦٧ | ٥٧، ٥٦ | فَالْتَمَسُوا اللَّهَ فَنَسُوا |
| ٥٣ | ٧١ | وَمَنْ يَصِلْ إِلَيْهِمْ أَكْثَرُ |
| ٥٢١ | ٨٤، ٨٣ | وَأَنْ مَرَّ سَبْعًا لَا يَرَاهُمْ |
| ٢١٠، ٢٠٩، ١٦٨ | ٩٦، ٩٥ | أَتَعْبُدُونَ مَا تَدْعُونَ |
| ١٨٢ | ٩٩ | يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا |
| ٣ | ٩٩ | وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي |
| ٢٢١ | ١٧٩٩ | وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي |
| ٤١٥ | ١٢ | يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا |
| ١٦٧ | ١٢٨، ١٢٧ | فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ مُحْضَرُونَ |
| ١٦٦ | ١٦٠ - ١٤٩ | فَاسْتَفْهَمُوا الرِّبَا أَسَابَ |
| ١٧٩ | ١٨ | سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ |

من

| | | | |
|-----|-----|---------|--|
| ٤٩٤ | ٤٣١ | ٢٤ - ٢١ | وَقُلْ أَنْتَ سَاءُ الْخَصَمُ |
| ٢٩٦ | | ٢٤ | فَاسْتَعْرِضْهُ وَحَرِّ كَمَا وَثَّابَ |
| ٤٥٩ | | ٢٤ | وَأَنْ كَثِيرٌ مِنَ الْخَطِيئَةِ |
| ٢١٤ | | ٢٧ | دَلَّكَ طَرِيقَ الدِّينِ كَمَرُ |
| ٣٣٨ | | ٢٧ | وَمَا حَقَّقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ |
| ٢٨١ | ١٢٦ | ٢٩ | كِتَابَ أَرْسَاهُ إِلَيْكَ |
| ٤٩٦ | | ٣٩ - ٣٤ | وَلَعَدْنَا سُلَيْمَانَ وَأَنْتَ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|-------|---------------|
| وَبِأَعْيُنِنَا رَبُّكُمْ إِنَّ رَبَّكُمْ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ | ٣٥ | ٢٩٦ |
| وَمَنْ يَكْفُرْ عَمْدًا مُّبِينًا | ٤١ | ٣٢٣ |
| قُلْ مَنْ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمَسْأَلِينَ | ٨٨ ٨٦ | ٤٣٥ |
| الزمر | | |
| فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مَخْلَصًا لَهُ الدِّينُ | ٣٢ | ٢٦٦ |
| إِنْ يَكْفُرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ عَمَىٰ عَنْكُمْ | ٧ | ٢٧٢ |
| وَبَدَا مِنَ الْإِنصَالِ حُرٌّ دَعَا رَبَّهُ فَتَبَا إِلَيْهِ | ٨ | ٢٦٢ |
| أَمَّنْ هُوَ دَنَا إِلَى الْقَبْلِ سَاحِدًا وَقَامًا | ٩ | ٣٠٣ |
| هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ هَنُوا وَالَّذِينَ لَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا خَشْيَةً | ٩ | ٤١ |
| فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مُخْلِصٌ لَهُ الدِّينَ | ١٢ | ٢٧٦ |
| هَلْ يَكُونُ لَهُ أَعْدَاءٌ مُّخْلِصُونَ لَهُ الدِّينَ | ١١ | ٢٧٦ |
| فَإِنْ يَدْعُوا إِلَىٰ خُفْيَةٍ لِّقَوْلِهِمْ هِيَ الْحَقُّ | ١٢ | ٤١ |
| لَنْ يَسْمَعُوا أَوْ لَنْ يُبْعِثُوا | ١٨ | ٥١٩ |
| إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ أَحْسَنَ الْخَبَرِ | ٢٣ | ١٢٦ |
| قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادْنَاهُمْ أُفٍّ | ٣٨ | ١٦٨ |
| فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُفْقَهُونَ | ٣٨ | ١٦٦ |
| إِنَّا نُرْثِيكَ وَلَٰكِنْ ثِقَابٌ شَدِيدٌ لِّمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ | ٤١ | ١٢٦ |
| إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ أَحْسَنَ حَيْثُ مَوْتُهُ | ٤٤ | ٢٥٩، ٣٣٩، ٣٥٠ |
| يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي رَزَقْنَاكُمْ | ٥٣ | ٢٢٧ |
| قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ | ٥٤ | ٣٠٦ |
| قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ | ٥٤:٥٣ | ٤٠١ |
| رُدُّوا إِلَىٰ رَبِّكُم وَأَسْتَغْفِرُوا لَهُ | ٥٤ | ٢٢٧ |
| اسْتَعِذُوا بِأَحْسَنَ مَا بَرَأَ إِلَيْكُم مِّنْ رَبِّكُم | ٥٥ | ٥١٩ |

| الآية | رقعها | الصفحة |
|-------|-------|--------|
|-------|-------|--------|

| | | |
|-----|-------|---|
| ١٧٢ | ٥٦ | ما حسرنا على ما فرغنا في حجب الله |
| ٥٢٧ | ٦٠ | ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة |
| ٢٩ | ٦٢ | الله خالقكم شيء |
| ٣٩ | ٦٢ | خالقكم شيء |
| ٣٧٥ | ٦٧ | والسماوات مخرجات بيده |
| ٣٥٦ | ٦٨ | ومع في الصور فصق من في السماوات ومن في الأرض |
| ٣٦٦ | ٧٥-٧٦ | وسيق الذين كفروا إلى جهنم رموا |

المحاضر

| | | |
|-----|--------|---|
| ٢٨٥ | ٤ | ما يحدل في آيات الله إلا الذين كفروا |
| ٣٥٣ | ١١ | قالوا ربنا أنت الله وأحبيتنا النبي |
| ٢٧٦ | ١٨ | واذهبوا الله مخلصين له الدين |
| ٣٦٨ | ١٨ | ما لظالمين من حليم |
| ٥٢٨ | ٥١ | بما نصرر رسلنا والذين آمنوا |
| ٣٣٢ | ٥٢، ٥٦ | بما نصرر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا |
| ٢٧٩ | ٥٦ | إن الذين يحدلون في آيات الله معبر سقاطا أناعم |
| ٥٢٩ | ٥٧ | ولكن أكثر الناس لا يعشرون |
| ٥٢٩ | ٥٩ | إن الساعة لآية لا ريب فيها |
| ٣٣٩ | ٦٧ | هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفه |
| ٣٧٦ | ٦٨ | هو الذي يحيي ويميت |
| ٤١٨ | ٧٨ | ولعد رسلنا رسلا من قبك |

فصلت

| | | |
|-----------|--------|---|
| ٣٨٤ | ٤ - | حم، تبريل من الرخصي الرحيم |
| ٣٩ | ١ | ثم استوى إلى السماء وهي دحان |
| ٢٣٦ | ١٧ | وأت نمود عهداً بهم فامسحوا النعسي عبر الهدى |
| ١ | ٢١ | وعلقو مجنودهم ثم شهدتم عيب |
| ٥٢٩ | ٣٢ ٣ | إن الذين قالوا ربنا الله ثم استغابوا |
| ٤٣٨ | ٣٣ | ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً |
| ٢٨٢ | ٣٣ | ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله |
| ٣٢٥ | ٣٥، ٣٤ | ادفع بالتي هي أحسن |
| ٢٤٤ | ٣٦ | وإن يترعثك من الشيطان فزعه |
| ٣٨١ ; ١٤٠ | ٤٢، ٤١ | وإنه لكتاب عزيز |
| ٣٨٤ | ٤٤ ٤١ | إن الذين كفروا بالذكر لنجامهم |
| ٢٧٥ | ٤٣ | ما بقان لك إلا ما قد هيل لرسول من قبلك |
| ٢٨٧ | ٤٤ | والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر |
| ٢٢٣ | ٤٦ | وما رئت بظلام لنعيد |

الشموي

| | | |
|-----------------|----|---|
| ٢٩٦ | ٥ | مكد السماوات بمعقرون من فوقهم |
| ٥١٣ | ١ | وما اسلفتم فيه من شيء فيحكمه إلى الله |
| ٥٢٦ , ٣٩٠ , ١٦٩ | ١١ | بشر كمثلته شيء |
| ٢٧٤ | ١٣ | شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا |
| ٣٥٧ | ١٧ | الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان |
| ٣٠١ | ٢ | من كان يريد حرث الآخرة ارد له في حرقه |
| ٤٧٣ | ٢٢ | قرى الظالمين مشفقين مما كسبوا |
| ٤٧٦ , ٤٧١ | ٢٣ | فمن لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى |
| ٣٠٦ | ٢٥ | وهو الذي يقبل التوبة عن عباده |

| رقمها | الصفحة | الأية |
|-------|--------|-------|
|-------|--------|-------|

| | | |
|-----|--------|--|
| ٢٥٥ | ٢٧ | وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعَثَ فِي الْأَرْضِ |
| ٣٢٥ | ٤٣ | وَمَنْ صَبَرَ وَعَمِلَ |
| ٣٣٧ | ٥٠، ٤٩ | بِحَقِّ مَا يَشَاءُ |
| ٤١٦ | ٥٢، ٥١ | وَمَا كَانَ لِمَنْ يَسِرُّ أَنْ يَكْفُمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا |
| ٢٣٥ | ٥٢ | وَأَنْتَ لِنَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ |
| ٣٦٥ | ٥٣، ٥٢ | وَأَنْتَ لِنَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ |
| ٣٨١ | ٥٢ | وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا |

الزخرف

| | | |
|---------|--------|--|
| ٢٨٤ | ٤ ١ | حَمْدٌ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ |
| ١٦٧ | ١٩-١٥ | وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْأً |
| ١٦٧ | ١٨ | أَوْسَىٰ بِمَا فِي الْخُلُقِ وَهُوَ فِي الْمَصَدِّعِ مَكِينٌ |
| ٣٣٥ ٢٥٢ | ٣٢ | هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ |
| ٢٢٥ | ٣٧، ٣٦ | وَمَنْ يَنْصُرْهُ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ |
| ٣٨١ | ٤٤ | وَأَنْتَ لَدُنَّكَ لَتَ وَلَقَوْمُكَ |
| ٢٢٧ | ٧٤ | إِنَّ الْمَصْرُومِينَ فِي عَذَابٍ مُتَسَاوِينَ |
| ١٧٠ ١٢١ | ٨٤ | وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ |

الدخان

| | | |
|-----|-----|---|
| ٢٨٤ | ٦-١ | حَمْدٌ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ |
| ٣٧٥ | ٥٤ | كَذَلِكَ وَوَحْيَهُمْ نَجْوَىٰ عَيْنٍ |
| ٣٥٣ | ٥٦ | لَا يَرْفَعُونَ فِيهَا الْمَوْتَ لَا الْمَوْتَ الْأُولَىٰ |

الجمالة

| | | |
|-------------|-----|---|
| ١٥٠ | ٦-٣ | إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمَنْ يَعْلَمُ |
| ٣٨٤، ٣٧٧ | ٢٠ | هَذَا صَاحُّهُ يَتْلُو وَهُدًى وَرَحْمَةً |
| ١٦٤، ٧٩، ٦٦ | ٢٤ | وَعَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَاسَاتُ الْأُنثَىٰ مَوْتٌ وَمَنِيَّةٌ |
| ٤٧٨ | ١٦ | وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَٰئِيلَ الْكِتَابَ وَنَحْنُ وَنَحْنُ |



الأحقاف

| | | |
|----------|-------|--|
| ١٦٨ | ٥ | وَمِنْ أَصْلٍ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ أَهْتَرَاهُ |
| ٤٠٩ | ٨ - ١ | وَمِنْ مَنَّهُ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا |
| ١٧٥ | ١٢ | وَبَدَّ صَرْقَاتًا إِلَى ذَلِكَ نَفَرًا مِنَ النَّاسِ |
| ٥٢٩, ٢٧٦ | ١٣ | بَنَاتٍ سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى |
| ١٢٥ | ٢٩ | |
| ١٢٥, ١٠٣ | ٣٠ | |

محمد

| | | |
|----------|---------|---|
| ٢٣٥ | ١ - ٦ | وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَن يُعْلِلْ أَعِزَّتْ لَهُمْ وَأَنْبَهَارٌ مِنْ لَيْلٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ |
| ١٣٩ | ١٥ | وَمِنْهُمْ مَن يَسْمَعُ إِلَى ذَلِكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِزْلِهِمْ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا رَزَقْنَاهُمْ هُدًى |
| ٢٣٧ | ١٦ | وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ أَفَلَا يَذْكُرُونَ الْقُرْآنَ أَنَّهُ فِي قُبُورِ أَخْيَارٍ |
| ٢٣٦, ١٨٥ | ١٧ | ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ |
| ١٢٦ | ٢٤ | أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ عَرَضٌ أَنَّا لَنُخْرِجَنَّ اللَّهُ أَعْيُنَهُمْ |
| ٣٠٢ | ٢٨ | |
| ٢١٦ | ٢٩ - ٣١ | |

الفتح

| | | |
|-----|-----|---|
| ٢٩٦ | ٢ ١ | إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا |
| ٤٣٢ | ٢ | لِيَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ مَا يَمُوتُ مِنْ دِينٍ |
| ١٢١ | ١٨ | فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ |
| ٢٧٥ | ٢٣ | سَبَّحَ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ جَلَّلْتَ مِنْ دُونِ |
| ١٢١ | ٢٦ | يَا جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَمَةَ |
| ٤٥٠ | ٢٦ | فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ |



| | | |
|----------|----|--|
| ٤٢٥ | ٢٢ | لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ |
| ٢٧٥, ٢٣٢ | ٢٩ | أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ |
| ٢٧٧ | ٢٩ | رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ |

الحجرات

| | | |
|---------------|--------|--|
| ٣٠٢ | ٢ | يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْقُبُوا آصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ |
| ٢٣٢ | ٦ | يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا |
| ٣٦٤, ٢٣٧, ٢٣٢ | ٧ | وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبُكُمْ الْإِيمَانِ |
| ٤٦٤ | ٩ | وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِبَيِّنَةٍ فَتَعْبَاهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّتْ سُبُلُكُم بِغَيْرِ عِلْمٍ |
| ٤٣٨ | ٩ | وَأَنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا |
| ٢٧٧ | ١ | بِغَايَةِ الْمَوْتِ بَيْنَهُمَا |
| ٣٠٨, ٢٣٢ | ١١ | بِاسْمِ اللَّهِ الْغَنِيِّ الْغَنِيِّ بَعْدَ الْإِيمَانِ |
| ٢٧٩ | ١٢ | أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ |
| ٢٨٥ | ١٢ | لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ |
| ٣٢٤ | ١٣ | يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ يَدْعُونَ |
| ٢٣٢ | ١٥, ١٤ | قَالُوا لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ |

ق

| | | |
|-----|--------|---|
| ٣٥٢ | ١٥-١ | قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ |
| ٤٥٩ | ١٣, ١٢ | كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ |
| ٥٢٩ | ١٤, ١٢ | كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ |
| ٣٦٢ | ١٨, ١٧ | أَذِيقْنِي الْمَسْكِينِ مِنَ الْمَمْنِ وَرَغِي الْمَسْكِينِ |
| ٤٩٥ | ١٨ | مَا يَنْعَمُ مَنْ قَوْلِي إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَسِيدٌ |
| ٢٢٧ | ٢٩ | مَا يَنْدُلُ الْعَوْلُ لَدِي |
| ٥٨ | ٣٧ | يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ يَدْعُونَ |
| ٣٥٦ | ٤٢, ٤١ | وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ |
| ٣٩٨ | ٤٥ | وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِحَتِيبٍ |

الذاريات

| | | |
|-----------|-------|--|
| ٨٣ | ٤٩ | ومن كل شيء خلقا زوجين |
| ٢٨٣ | ٥٠ | ففرّوا إلى الله إني لكم منه مبدّر مبين |
| ٢٨٣ | ٥١ | ولا تحفوا مع الله إنها أحرّ بي لكم منه مبدّر |
| ٣٠٠ | ٥٤ | فتولّ عنهم فما أنت بملوم |
| ٣١١ : ٣٣٥ | ٥٦ | وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون |
| ٢٤٧ | ٥٨-٥٦ | وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون |
| ١٧٩ | ٥٨ | إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين |

الطور

| | | |
|-----|---------|------------------------------|
| ١٢١ | ٣١ | والطور، وكتاب منطور |
| ٢٧٣ | ٢٨-٢٧ | وأقبل بعضهم على بعض يتساعفون |
| ١٧٨ | ٢٤ (٣١) | ثم يقولون تعوله بل لا يؤمنون |

النجم

| | | |
|-----------|-------|---|
| ٢٩٧ | ٦٥ | عظمة سيد القوي |
| ٣٧٥ | ١٥ ١٣ | وإنهم لا يعلمون إلا الظن وما هوى الألبس |
| ٢٧٩ | ٢٣ | إنهم لا يعلمون إلا الظن |
| ٦٦ | ٢٨ | الذين يفتنون كبراء الإنم والعوام حش |
| ٢٢٩ | ٣٢ | فلا تركوا أنفسكم |
| ٤٩٥ , ٤٩٣ | ٣٢ | |

القمر

| | | |
|-----|--------|-----------------------------|
| ٣٥٦ | ٨ ٦ | يوم يذبح الذابح إلى شيء نكر |
| ١٧٢ | ١٤ | بحري بأعشا |
| ٢٣٨ | ٤٨, ٤٧ | إن المنجربين في حلال وسحر |
| ٢٦٣ | ٥٣, ٥٢ | وكل شيء فقلوه في الربر |

الرحمن

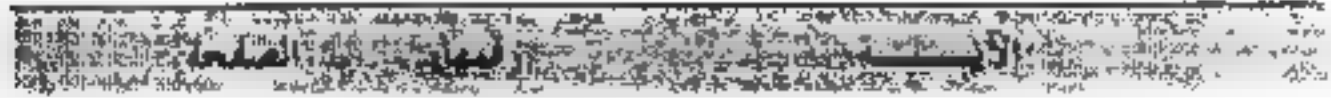
| | | |
|----------|--------|--|
| ٣٥٧ | ٩-٧ | وَالسَّمَاءِ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ |
| ١٢٩ | ٢٤ | وَلَهُ الْخَافِضُ الْمُنْبِتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ |
| ١٤٢ | ٢٦ | كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ |
| ٣٢٥, ٣٢٨ | ٢٧, ٢٦ | كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ |
| ١٧٢ | ٢٧ | وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْإِحْلَالِ وَالْإِكْرَامِ |
| ٣٥٨ | ٣٩ | مُؤْتَدٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ دِينِهِ إِسْرَ وَلَا حَتَاً |
| ١٥٦ | ٧٨ | تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْإِحْلَالِ وَالْإِكْرَامِ |

الواقعة

| | | |
|----------|--------|--|
| ٣٥٩ | ١١ ٧ | وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً |
| ٣٧٥ | ٢٣, ٢٢ | وَعَمْرٍاءَ فِي |
| ٣٥٩ | ٢٤ | جُزْءٍ مِمَّا كَانُوا يَعْتَمُونَ |
| ١٢٢ | ٢٦, ٢٥ | لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا |
| ٨٣, ٨٢ | ٥٩, ٥٨ | أُمْرَأَتُهُمْ فِيهَا خَافِضَاتٌ |
| ٣١٠ | ٦٠, ٥٩ | يَخْرُجُ فِيهَا زَكَاةُ الْمَوْتِ وَمَا يَخْرُجُ |
| ٣٣٠ | ٦١, ٦ | يَخْرُجُ فِيهَا زَكَاةُ الْمَوْتِ وَمَا يَخْرُجُ |
| ٨٣ | ٦٤, ٦٣ | أُمْرَأَتُهُمْ فِيهَا خَافِضَاتٌ |
| ٢٨١, ١٥٦ | ٧٤ | فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ |

الحديد

| | | |
|----------|----|--|
| ٥٢٦, ١٨٦ | ٣ | هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ |
| ٣ ١ | ٧ | آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقَضُوا مِمَّا حَبَّلَكُمُ مَسْتَحْلِمِينَ بِهِ |
| ٣٠١ | ١١ | مِنْ ذَا الَّذِي يَفْقَرُ إِلَيْهِ فَرِصًا خَسَنًا |
| ٤ ٧ | ١٧ | اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَخْفِي الْأَرْضَ تَحْتَ مَوْتِهَا |
| ٥٣٠, ٤٧٩ | ٢٦ | وَعَدَ اللَّهُ نَارًا مَوْحَاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ |
| | | السُّوْفَةَ وَالنَّكَبَ |



المجادلة

| | | |
|--------|----|---|
| ٤٠٨ | ٤ | فَمَنْ لَّمْ يَسْتَفْضِ فِدَاعًا مِّنَ مَّوَدِّكُمْ |
| ١٨٦ | ٧ | مَنْ يَكُونْ مِنْ مَّوَدِّ ثَلَاثَةٍ يَلَا هُوَ رَابِعُهُمْ |
| ٢٦٤ | ١١ | يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَحَافِلِ فَانْفَسَحُوا |
| ٤٠١ ٤٠ | ١٢ | يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَاسْتَعِظُوا أُنْزِلُوا عَلَيْكُمْ صَدَقَاتُ اللَّهِ |
| ٤٠١ | ١٣ | بِئْسَ مَا يَفْتَرُونَ لَهُ حَبِيبًا يَعْتَلُونَ لَهُ |
| ٢٤١ | ١٨ | سَحَابٌ مِّنْ عَنَابِ السَّمَاءِ ذَكَرَ اللَّهُ |
| ٢٤٢ | ١٩ | كَلْبَ اللَّهِ لَا عَسَى أَنْ يَرُدَّكُمْ |
| ٢٦١ | ٢٢ | لَوْ شِئْتَ لَتَنَزَّلْتَ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا عَنِ |
| ٢٧٥ | ٢٢ | لَا مَعَدَّةَ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ بِأَلْفٍ مِّنَ |
| | | حَادِثٍ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ |
| ١٨٦ | ٨٥ | وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَمَنْ لَا يَبْصُرُونَ |

الحشر

| | | |
|---------|----|--------------------------------------|
| ١٢١ | ٢ | وَقَدْ هَمَمْتُ بِالرُّفْدِ |
| ٤٠٦، ٧٤ | ٧ | وَمَا أَتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ |
| ٤٩٣ | ٢١ | لَوْ أَنزَلْنَاهُ عَلَى جَبَلٍ |
| ١٥٧ | ٢٤ | لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى |

الممتحنة

| | | |
|---------|---|---|
| ٤٠٣ ٢٧٥ | ١ | يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَرْبَاءَ |
|---------|---|---|

| رقمها | الصفحة | الآية |
|-------|--------|-------|
|-------|--------|-------|

الصفحة

| | | |
|----------|-------|--|
| ٢٨٤, ٢١١ | ٧ | وَمَنْ أَظْنَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ |
| ٤٢٤ | ٨ | يُرْسِلُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ |
| ٤٢٦, ٢٣٥ | ٩ | هُوَ الَّذِي رَسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ |
| ٣ ١ | ١١, ١ | يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدَّبَكُم عَنِّي مَحَارِبُ نَجِيحِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ |

الجمعة

| | | |
|----------|-----|---|
| ٤٢٦, ٢٣٥ | ٤-٢ | هُوَ الَّذِي مَعَّاهُ فِي الْأَمْرِ رَسُولُ اللَّهِ |
| ٤٠٦ | ٩ | يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا يَدُودِي لِلْعِلَّةِ مِنْ بَيْنِ الْجَمْعِ |
| ٢٦٣ | ١ | وَالْعِلَّةِ وَتَسْرُوا فِي الْأَمْرِ |



المنافقون

| | | |
|-----|---|---|
| ٢٣٦ | ٦ | إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ |
| ١٧٩ | ٨ | وَلَهُ الْفَرَّةُ وَرَسُولُهُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ |

التقوين

| | | |
|----------|----|--|
| ٢٢٤ | ٢ | هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فِيمَكُمْ كَافِرٌ وَفِيمَكُمْ مُؤْمِنٌ |
| ٢٨٢ | ٨ | فَأَمَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أُرِيَ |
| ٢٣٦ | ١١ | وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَبْلَهُ |
| ٤٩٢ | ١٤ | وَأَنْ يَغْفِرُوا وَيُغْفَرُوا |
| ٣١١ | ١٥ | نَبَا أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فَتَنَةٌ |
| ٢٧٧, ٢٢٣ | ١٦ | فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ |
| ٣ ١ | ١٧ | إِنْ تَقْرَضُوا مِنَ اللَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعَفْ لَكُمْ |

**الطلاق**

| | | |
|-----|--------|---|
| ٢٩٥ | ١ | بِأَيِّهَا النَّبِيُّ إِذَا صَلَّيْتُمُ النَّيَّاءَ فَظَلُّوهُمُ نَعْمَتُهُمْ |
| ٤٧٧ | ١١، ١٠ | هَذَا أَمْرٌ لَلَّهِ إِلَيْكُمْ دَكْرًا |

التحريم

| | | |
|-----|---|----------------------------------|
| ٢٩٧ | ١ | عَنْهَا مَا لَكَ شَلَاظٌ شَدِيدٌ |
|-----|---|----------------------------------|

الملوك

| | | |
|---------|----|---|
| ٣١١ | ٢ | الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَتْلُوَكُمْ أَيْكُمُ الْآخِرَ عَمَلًا |
| ١٦٣ | ٣ | مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ |
| ١٢٣ | ٧ | إِذَا أَلْفَوْا صِبَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيمًا وَهِيَ تَمُورُ |
| ٩٩ | ١ | وَقَالُوا نَوْكَثًا نَسْمَعُ أَوْ نَعْبَلُ |
| ١١٠ | ١١ | مَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ |
| ١٢٩ | ١١ | أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ |
| ١٧، ١٣١ | ١٦ | أَلَمْ يَسْمَعْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَن يَخْفَفَ بَكُمْ الْأَرْضُ |
| ٣٨٩ | ١٦ | أَلَمْ يَسْمَعْ مَنْ فِي السَّمَاءِ |

القلم

| | | |
|-----|--------|--|
| ٢٨٥ | ١١، ١ | وَلَا يُطِيعُ كُلُّ جَلَدٍ نَهْيَ |
| ٤٣١ | ٤٩، ٤٨ | فَاصْرُ لِحَنِكُمْ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ |

الحاقة

| | | |
|----------|-------|---|
| ٣٩٠، ٣٨٩ | ١٧ | وَيَحْبِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ نَافِثَةٌ |
| ٣٦٢ | ٢٩-١٨ | يَوْمَئِذٍ عَرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ |

الآيات الواردة في سورة الصافات

المعارج

| | | |
|----------|--------|--|
| ٢٧٥، ١٨٢ | ٩، ٨ | يَوْمَ يُكْوَنُ السَّمَاءُ كَالْمُهَن |
| ٤٩٦، ٢٩٨ | ٢٨، ٢٧ | وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابٍ رِئْهِمْ مُشْفَعُونَ |
| ٢٨١ | ٢٣ | وَالَّذِينَ هُمْ مُشْفَعُونَ |

نوح

| | | |
|-----|--------|---|
| ٢٧٤ | ٤، ٣ | قَالَ يَا نُوحُ إِنِّي جَعَلْتُكَ مَكِينًا |
| ٤٥٩ | ٢٧، ٢٦ | قَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا |
| ٢٧١ | ٢٧ | وَلَا يَلْدُورُوا إِلَّا عَاكِفًا كُفَّارًا |
| ٢٩٥ | ٢٨ | رَبِّ اغْبِرْهُنَّ زُفًى وَلَوَالَّذِينَ وَضَعُوا |

الحج

| | | |
|----------|----|--|
| ١٢٥ | ١ | إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَسَا |
| ١٢٥، ١٠٣ | ١٣ | وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا النَّهْيَ آمَنَّا بِهِ |

الزمر

| | | |
|----------|------|---|
| ٤، ١ | ٤، ١ | يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّ |
| ٤، ١ | ٢٠ | إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَكَ بَيْنَ بَنِي آدَمَ |
| ٢٨٠، ١٧٨ | ٢٠ | عَاقِبَةُ أُولَئِكَ بَيْنَهُمْ |

الحشر

| | | |
|-----|--------|--|
| ٣١٨ | ١٥، ١١ | ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا |
| ١٢٦ | ٢٦، ٢١ | ثُمَّ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ عَسِيٍّ وَرَسِيرٍ |
| ٣٩١ | ٣١، ٢ | عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ |
| ٢٣٤ | ٣١ | كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ |
| ٣٩١ | ٣١ | وَمَا يَعْلَمُ خُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ |
| ٢٥٨ | ٤٣، ٢٨ | كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ |
| ٣٦٨ | ٤٨ | فَمَا تَتْلُوهُمْ شِعَارَةَ الْبَاطِلِ |

التي هي من التامة

التي هي من التامة

| | | |
|---------------|--------|--|
| ١٠٠ | ١٦ | لا تتركه تاركاً لتفعل به |
| ٢٨٩, ١٨١, ١٧٩ | ٢٣, ٢٢ | وَجُودَ يَوْمَئِذٍ مَاصِرَةٌ |
| ١٨١ | ٢٥, ٢٤ | وَوَجُودَ يَوْمَئِذٍ بِاسْمِهِ |
| ٣٥٣ | ٤٠-٣٦ | أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَذِلَّةً سَعِيداً |

التي هي من التامة

| | | |
|-----|------|--|
| ١٤٨ | ٢ | إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَعْلَمٍ أَمَّا شَاحِ |
| ٢٣٥ | ٣ | إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ |
| ٣٦٩ | ٩, ٨ | وَنَعْلَمُونَ الْمَغْدَمَ عَلَى حَيْثُ |

التي هي من التامة

| | | |
|-----|--------|-------------------------------------|
| ٤٩٥ | ٥ ٣ | وَالْأَمْرُ أَتَى |
| ٢٢٤ | ٣٩-٢٧ | وَأَمَّا مَنْ طَغَى |
| ٢٩٤ | ١١, ١٠ | وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَعَامَ رَبِّهِ |

التي هي من التامة

| | | |
|-----|-------|--------------------------------|
| ٢٢٨ | ٢٣ ١٧ | فَلِالْإِنْسَانِ مَا كُفِّرَتْ |
| ٣٧٢ | ٢٧-٢٤ | يَوْمَ يَهْرُجُ الرُّجُومُ |

التي هي من التامة

| | | |
|-----|------|-----------------------------------|
| ٣٧١ | ٩, ٨ | وَأَمَّا الْغُلَامُ فَدَعَ عَنْكَ |
|-----|------|-----------------------------------|

التي هي من التامة

| | | |
|-----|-------|-------------------------------------|
| ٣٧٥ | ١ | إِنَّا أَنشَأْنَاهُ غَنِيًّا |
| ٢٦٢ | ١٢ ١ | وَأَنْ عَلَيْكُمْ بِحَفَظِهِ |
| ٢٢٦ | ١٦-١٤ | وَبِالْأَمْرِ الَّذِي هُوَ مِنْكُمْ |
| ٣٦٨ | ١٩-١٧ | وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ |

الانتماء

المطمنين

كلًا بل ران على قلوبهم

٢٣٧ ١١

الانشقاق

إذا الشاء انشق

٢٧٥ ١

فأما من أوسى كنانة يمينه

٢٥٨ ٨٠٧

المروج

فمن أصحاب الأخدود

٥٣٢ ٩ ٤

من هو فرد من مجيد

١٤١, ١٢١ ٢٢, ٢١

الأعلى

سبح اسم ربك الأعلى

١٥٦ ١

سفر لك فلا تسي

٢٩٦ ٧٠٦

الغاشية

فلا تطرون الى الارل كيف حلف

٢٨٨ ٢٠ ١٧

د ، عليهم مسيطر

٣٩٨ ٢٢

الفجر

فأما الإمبر اذا ما بلاء ربه فأكرمه وجمعه

٣١١ ١٥

وأما اذا ما سلاه فعدر عليه ورفعه

٣١٢ ١٦

وحاء ربك والمنت صفًا صفًا

٣٨٩ ٢٢

البلد

ألم تجعل له عينين

٢٣٥ ١ ٨

| الصفحة | الترقيم |
|--------|---------|
|--------|---------|

الليل

| | | |
|-----|--------|----------------------------------|
| ٢٣٠ | ١٦، ١٥ | لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى |
|-----|--------|----------------------------------|

التين

| | | |
|-----|---|--|
| ٢٠٦ | ٤ | لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ |
|-----|---|--|

الطلق

| | | |
|-----|---|--------------------------------------|
| ١٥٨ | ١ | مَرْأً نَاسِئًا وَتَتَّ |
| ٢٦٢ | ٥ | عَمَّ الْإِنْسَانُ مَا نَمُ يَعْلَمُ |

القدر

| | | |
|-----|-----|-----------------------------------|
| ٣٤٥ | ٣-١ | بِأَرْثَاءٍ فِي ثِيَابٍ انْقَدَرِ |
|-----|-----|-----------------------------------|

الزلزلة

| | | |
|-----|------|--|
| ٢١٠ | ٨-٦ | يَوْمَئِذٍ يُصْفَرُ النَّاسُ تَصْفَاتٍ |
| ٣٤٤ | ٨، ٧ | مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ |

المارعة

| | | |
|-----|------|---|
| ١٨٢ | ٥، ٤ | يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُورِ |
| ٣٥٦ | ١١-٦ | قَامَ مَنْ نَعَلَ مُوَدَّرِينَ |

التكاثر

| | | |
|---------------|------|---|
| ٣٥٥ | ٢، ١ | الْهَافُكُمُ التَّكَاثُرُ |
| ٤٠٧ | ٦، ١ | الْهَافُكُمُ التَّكَاثُرُ |
| ٣٥٨، ٢٩٥، ٢٧٢ | ٨ | مِمَّنْ نَسْأَلُ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ |

المعصر

| | | |
|---------------|-----|---|
| ٤٥٩، ٣٤١، ٢٠٧ | ٣-١ | وَالْمَعْصِرُ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِيرٌ |
|---------------|-----|---|

| الصفحة | الرقم | الاسم |
|--------|-------|-------|
|--------|-------|-------|

الفصل

ألم ترى كيف فعل ربك بأصحاب الفيل

١ ١٨١

الفصل

إلهاف فرين

٤-١ ٢١٨

الماعون

هو بل للمصطفى

٤-٧ ٢٧٨

الإخلاص

من هو الله أحد

١ ١٦٤ ٥٣٦

الناس

فل أعوذ برب الناس

١ ١ ٢٤٤



بسم الله الرحمن الرحيم

ثانيًا: فهرس لأحاديث

حرف الألف

- أخذه من ملك عوفي ١٧
- أسري يا أم العلي ٣١٣
- أسمي حميل (ص) طال ٥١٦
- أحبوا الله لما يعدوكم به من نعمة ١٧٧
- أخوف ما أتعاف على أمتي ٣٢٩؛ ٣٤٠
- أذكروا هادم اللذات ٢٨٠
- أسرف الإيمان أن يأمنك الناس ٣٠٥
- أصحابي كالسوم ١١٩، ١٥٢
- أعصيت ما لم يُعط أحد من الأنبياء علي ١٣١
- الأعمال بالنيات ٢٧٦
- الأعمال عند الله سبعة ٣٧٧
- أفردتم عبدي ما أعتدت به ٢٩٦
- أفضل جهاد أن تقتل وتُقتل فرسك في سبيل الله ٣٦١
- أفضل المصائل أن يُعطى من حرمت ٣٠٨
- أكثرُوا من الصلاة على يوم الجمعة ١٣٢
- ألا إن الله ربكم، ومحمدٌ بينكم ١٥٨
- ألا إنه سبيل في هذا الموضع رجلٌ من ولدي ١٨٣
- ألا إنه سيكون أقوامٌ لا يستقيم لهم الملك إلا بالعدل ٣٢١
- ألا إنه من رُحْد في الدنيا وقصر فيها أمة ٢٣٨
- ألا لا وصية لو أُرث ٣٩٩
- أما علمت أنه يُعز من الرضاع ما يُعز من لب ٢٩٠
- أما هذا لو شُرع فيه لخشعت جوارحه ٢٧٦
- أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ٣١٦
- أن تعرف بلا مثل ولا شبه ٦

| | |
|-----|--|
| ١٥٧ | أن حرب لم حارب علياً |
| ١٦٨ | أن حرب لم حاربهم |
| ١٤٥ | ب دحي في الدنيا والآخرة . |
| ٢٩٣ | أنه يهي عن كل مُسَكِرٍ ومُفَكِرٍ |
| ١١١ | أيها الناس لست أولى بكم من أنفسكم |
| ٣٨٥ | أيها الناس إنكم في زمان عدي |
| ٥١٨ | أيها الناس إني امرؤ مقبوض |
| ١٤٣ | أيها الناس هل أحد أصدق مني |
| ٢١٧ | إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري .. |
| ٢١٧ | إذا رأيتم معاوية يطلبُ الملث |
| ٢٧٨ | إذا كان يوم القيامة فأول ما يدعى رجلٌ جمع القرآن |
| ٣٠٣ | إذا عصمت بأمر فتدبر عاقبه |
| ٣٧٨ | اسألوا الله العبد |
| ٣٠٦ | إسلام حب ما عليه |
| ١٠١ | إن أحب الناس بالصلاة الكثير |
| ١٢٣ | إن أسأ بعبود نبي سديهم عن العامة |
| ١١٥ | إن لجة تشال بل علي |
| ٢٧٥ | إن لجة لا تحمل لعاصي .. |
| ٦٧ | إن الرجل يكره من أهل الصلاة |
| ٢٤٤ | إن الشيطان ليأني أحدكم فيصح بين إليه |
| ٤١٩ | إن الله اصطفى كرامة من بني إسرائيل |
| ٥٢٦ | إن الله لا مثل له بوجه من الوجوه |
| ٤٠ | إن الله لم يعمل شعاعكم فيما حرم عليكم |
| ١٨٦ | إن الله يعصب لعصب فاطمة |
| ٣١٢ | إن المؤمن إذا أصابه الشقم ثم عافاه الله به .. |
| ١٥ | إن الميت ليصذب بكاء أهله |
| ٤١٩ | إن عبد المطلب من حساً من الناس |
| ٣٣٣ | إن هم في كل جمعة وررة |
| ٣٣٠ | إن هذا الداق فاطمة .. |

| | |
|------------------------|---|
| ٣٠٤ | إن هذا العلم دين .. |
| ٢١٧ | إن هذا يريد الأمر من يعدي |
| ٢٤٤.. | إن هذه الحشوش مختصرة .. |
| ١٥١, ٤٤٩ | إن وثيم أما بكر وحذوه قويا في ديه .. |
| ١٥١ | إن وليم عليا ولا أراكم نغصرون .. |
| ١٥٢, ٤٥٠ | إنا معاشر الأبياء لا نورث |
| ١٨٥ | إنكم لن تروا الله .. |
| ٣٤٩ | إنا أهلككم في أجل من خلا من الأعم |
| ٢٨٦ | إنا جعل الإمام ليؤتم به |
| ٦٧ | إنا يبرك الخبز كله بالعمل |
| ٤٧٧ | إني نارك فيكم للقلب |
| ٥١٨, ٥ ٤, ١٦١, ١ ٤, ١٧ | إني نارك فيكم ما إن تمسكم به |
| ١٢٦ | إني رأيت في المنام كأن جبريل عليه السلام عند راسي |
| ٤٩ | إني علمت فيكم ما إن تمسكم به لن تصلوا |
| ٢٢٧ | إنكم والزنا .. |
| ١٧٤ | إني الله في عيسى |
| ٣٢٥ | إني الباء وانفرا العصب |
| ٣٣٠ | إذكروا الموت، وكونوا من الله على حذر |
| ٣٩٥ | استمعوا من هذه الباء .. |

حرف الباء

| | |
|-----------|----------------------------|
| ٣٦٩.. | بأي وأمي ما يبيك .. |
| ٤٦٣ | بشروا قائل ابن صعبة بالمار |
| ٥٠٩ ; ١١٢ | بسم تحكم. |

حرف التاء

| | |
|-----|--------------------------------|
| ٢٢٨ | أكرم الله عني أربعة |
| ١٧٤ | مركب فيكم للتعب |
| ٦٦ | تعلموا القرآن وعلموه الناس |
| ١٣٧ | تعلمكم حياة قلب البصر |
| ٣٥٩ | تقربوا إلى الله بأكرام البهائم |

حرف الشاء

- ٣٦٩ ولأنه إن سمعتم يوم القيامة
- ٢٥٣ ولأنه على كتابك السبت يوم الجمعة
- ٢٨٥ ولأنه لا يحسن فهم إلا ما قرأ من القرآن

حرف الجيم

- ٤٦٨ جاءني منك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قبل ليلتي هذه
- ٩٧ جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله

حرف الحاء

- ٢٤٥ حب الدنيا رأس كل خطيئة
- ٢٧٩ الحمد بأكل الإيمان
- ٤٦٩ الحسب والخير إيمان قائم أو معدا
- ٤٦٩ الحسن والحسين إيمانك وبرهما خير منهما
- ١١٦ الحمد لله الذي وفق رسول الله لدعوى ربه رسول الله

حرف الخاء

- ٢٩٧ خذوه من قبلوه من
- ٢٢٦ خرج من النار
- ٣٠٠ ليس لا يفتخر بهذين أحدا
- ١٧٣ ليس لا يفتخر بهذين أحدا

حرف الدال

- ٢٤٣ الدعاء برد العاص
- ٣٦٤ الدب دار عمل ولا حساب
- ٤٩٦ الدب دار من لا دار له

حرف الراء

- ٤٥٥ رحمة الله يا أبا ذر

حرف الزاي

ويؤا المراد باصواتكم

١٤

حرف السين

| | |
|---------|--|
| ٦٩ | سروون ريكيم كالقصر |
| ١٨٢ | سروون ريكيم كما يرون المعبر بينه البحر |
| ١٧٩ | سروون ريكيم يوم القيامة |
| ٦٦ | سمنوق أمي على ثلاث وسعين هرة |
| ٢٥٥ | سلمان منا أهل البيت |
| ٥١٨, ١٥ | سكيب على كما كذب على الأنبياء من على |

حرف الضمن

| | |
|-----|--------------------------------|
| ٣٧ | سألكم بها . |
| ٣٦٢ | سماعن لأهل الكناز من أمي . . . |



حرف الصاد

| | |
|-----|--------------------------|
| ٣٤٣ | صلة الراسم تزيد في العمر |
| ٢٦٥ | صده الراسم يزيد في العمر |

و تارة تير من صدي

حرف الطاء

| | |
|-----|-----------------------------|
| ٢٩٣ | صلى العلم هريضة على كل مسلم |
|-----|-----------------------------|

حرف العين

| | |
|----------|-------------------------|
| ٣١٣ | عظم لواء على عظم اللاء |
| ٢٩٣ | العلماء ورواة الأنبياء |
| ٤٥٨, ٤٥٥ | عني اخي واني عني |
| ٤٥٥ | عني إمام الشعير |
| ٤٥٧ | عني باب حطة |
| ٤٥٧ | عني سقيه من ركبها عا |
| ٤٤٦ | عني سيد المسلمين |
| ٤٥٨ | عني عين الله في حلقه .. |

| | |
|---------|-------------------------------|
| ٤٥٥ | على قائد المعركة |
| ٤٥٦, ٦٩ | على منى عمرة هارون من موسى |
| ٣٠٣ | عليب باليأس مما في أيدي الناس |
| ٤٥٦ | عمار مع الحق |
| ٣٨٦ | عمر لحال فرسخ |

حرف الفين

| | |
|-----|--------------------------------|
| ٢٨٦ | العبدة والشبهة يمتد إلى الصائم |
|-----|--------------------------------|

حرف الفاء

| | |
|----------|---------------------------------|
| ١٣٢ | فاموا البار، فاموا النساء |
| ٢٨٨ | الفخذ من العور |
| ٣٠٥, ٢٩٣ | فصل العلم خير من فصل العادة |
| ١٢٧ | ولا يكون حصولك أولى بالفراد منك |
| ٣٧٠ | والحق |
| ٦٧ | في حيد ابن آدم بظلمة |
| ٢٥٩ | في كان كعب حري آخر |

**حرف القاف**

| | |
|----------|-----------------------------|
| ٢١٢ | القديرية خصماء الله |
| ٢١٢, ١٩٧ | القديرية غوس عند الأمة |
| ١٤٠ | القراء يروى في ثلاثة مواضع |
| ٤٢٢ | قم بأد الرجل حقه |
| ٦٧ | قود مرة عمه |
| ٤٤٧ | قومي يا أم سمة فاصحي المذنب |

حرف الكاف

| | |
|-----|-----------------------------------|
| ٤٦٨ | كل بي امي ينسبون إلى أبيهم |
| ٢٧٢ | كل سب وسب شطط يوم القيامة |
| ٢٨٨ | كل شيء اصغر من صرته في ركبه مخورة |
| ١٠٤ | كيد صلاه لا يقر فيها نام الكتاب |

حرف اللام

- لا تعطى الراية رجلاً جب الله ورسوله ٤٤٥
- لا تغالسوا اولاد الأعمام ٢٩١
- لا يجمع أمي على ضلالة ٥٢٩, ٧٤, ٦٩
- لا تحري الصدقة في عمر ٧١
- لا تستملوا القبلة لعائذ ولا لرب ٧٤
- لا تكونوا أمّة ٦٥
- لا يسمع من الميت شيء ٥١٢
- لا تسمعوا من الميت بلعص ولا تعصب ٧
- لا علبت لو مت قبل ٣٧٣
- لا قول إلا بعمل ٦٦
- لا شيء بعدى ٤٣٧
- لا يوارث أهل مفير ٣١٩
- لا يهلك إلا مؤمن ٤٤٥
- لا يهل بغير يرى الله يعضى فطرف ٤٣٩
- لا يدخل الجنة عبد في قلبه حبة حردل من كبر ٢٧٩
- لا يدخل الجنة قتات ٢٨٦
- لا يدخل الجنة من كان في فيه منقال حبة حردل من كبر ١٢١
- لا يزال يلبس حائناً مدحوراً من المؤمن ٢٤٤
- لا يرمى الزاني حبل يرمى وهو مؤمن ٢٣٣
- لا يعمل الجك حتى يول ٢٦٩
- لا يقطع رجل حق امرئ مسلم بيمينه ٢٢٨
- لا يستطيع فيها عمرا ٥١٢
- لا ينظر الله إلى رجل ينظر إلى عرج امرأة ونمسا ٣٧٤
- لا يوجد في أومع كوسحاً رجل خير ٥٩
- لا، لا يلعوا بي ما لم أبلغ ٤٢٤
- لا مردن بالمعروف ولا بهر المكر ٤٣٩
- لكل شيء معدن ٦٧
- لنشهد سبع درجات ٣٢٢

| | |
|-----|--|
| ٢٨٣ | حمام أحدكم في الدب يكتلم كمنه برد بها ماطلاً |
| ٥١٨ | ر. سمع أمي على صلاله |
| ٤٤٨ | المنهم اتني يا حب الناس إليك. |
| ٥٢٦ | المنهم اتني يا حب خلعتك إليك |
| ٤٤٥ | المنهم انصرف وانصرف به |
| ٣٤ | المنهم يا علك وصعب حتى |
| ٧٣ | يولا ان اسئل على أمي |
| ٢١٧ | يبدحن علي رجل يكون على غير حتى |
| ٣٩٥ | المنهم في النهار |

حرف الهم

| | |
|----------|---|
| ٢٩٣ | ما سكر كمد فصبه حرام |
| ٤٤٧ | ما في من على من نبي حلال |
| ٣٠٧ | ما احسب من الرجال أرحماً |
| ٦٧ | ما كسب احد - كسباً من فصول العمل |
| ٤٧٤ | ما مال اقوام من أمي إذا ذكر حدهم ان برهم ليس هو |
| ٦٧ | ما لم ديني إنسان قط حتى يتم عمله |
| ١٧٧ | ما بحق الله شيئاً اعظم من آية الكرسي... |
| ٣٤٤ | ما رأيت ما عذب عمل ودين علب لعمري حوي الأتباع مني |
| ٤٥٢ | ما رأي لكم على فامر صوره على كتاب الله |
| ٢١٢ | ما د يعملوا بالاعاصي |
| ٣٣٢ | ما من احد يدخل الجنة فيحب أن يرجع إلى الدن |
| ٢١٣ | ما منك أمة حتى يكون آخر قولهم |
| ٣٩٥ | منع النساء حرام |
| ٥٠٤، ١٧٤ | مثل أهل بني فيكم كمثل سبعة روح |
| ٤٣٩ | مروا بالمعروف، وانها عن النكر |
| ١٨٥ | مصورون من بدخلوا الجنة |
| ٤٥٧ | معاد الناس من كنت بينه فهذا علي ولله |
| ٣٤ | ممن نر ماها أمي ما بين المستين إلى السبعين |

| | |
|----------|---|
| ١١٥ | من أدى علياً بعد أداني |
| ٤٤٦ | من أحب أن يمشك بمصير اليهود الآخر |
| ٤٦٨ | من أحبهما في أخيه |
| ١٥٣, ٧ | من أخذ دية عن التمسك في آلاء الله |
| ٢٧١ | من أودع غوماً على كره .. |
| ٢٢٧ | من بعث العلم لبهي به فلعن |
| ٣٦٩ | من حفظ على من أربح حديثاً |
| ٤٣٩ | من رأى منكم منكراً فليغيره بيده |
| ٢٨٢ | من رأى منكم منكراً فليغيره بيده |
| ١١٦ | من ... علياً بعد سبي |
| ١٨٥ | من شبه الخلق بالخلق بعد كبر |
| ٣٦٧ | من صنى لحاسي ركعات من الليل |
| ٤٣٢ | من صنى علياً صلاة .. |
| ٥١٢ | من فارق الجماعة بعد سحر |
| ٣٠٧ | من قال أستعصر الله الذي لا إله إلا هو |
| ٣٦١ | من قتل عضوراً عبداً |
| ٢٢٧ | من قتل نفسه جديدة |
| ٣١ | من كان يؤمن أن يعيش عبداً |
| ٢١١, ٢٩١ | من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجتر بأمرأة ليست له محرم |
| ٢٨٤ | من كذب علياً مُحمداً |
| ٣٢٥ | من كظم عيظاً وهو قادر على أن ينقله .. |
| ٤٧٥ | من مات لا يعرف إمام عصره .. |
| ٧٣ | من مسح باليمين من فعل |
| ٣٠٦ | من سبي صلاة أو دم عنها |
| ١٠٩ | ... هذا الذي سمعت حقيق بعنه |
| ٣٢٧ | من به علياً لا تموت منكنا |

حرف النون

| | |
|---------|---|
| ١٠٠, ١٧ | اناس يعطون الخمر ويعطون أحورهم على قدر عموهم |
| ٢٨٩ | السء عبي وعوراء |
| ٣٧٢ | معهم يجمع الله بين أهل البيت |
| ٢٦٦, | نعم، يا أبا بردة لا يدخل أحد الجنة إلا بحسن الخمر |
| ٣٩٥ | لهي رسول الله (ص) عنها، وعن لحوم الحمر الأهلية |

حرف الهاء

| | |
|-----|--------------------------------|
| ٤٥٧ | هذه من النباه ما كذبني مدء مني |
| ٤٥٥ | هذه حائلة صديرة هومة |
| ٢٦٦ | هذه صعبات الزوس |
| ١ ٩ | هكذا فاصمولا ولا يمدوا بها |
| ٥١٢ | هكذا اسمعهم بها |
| ٤٧٣ | هم د يات ورسلا |
| ٢٢٣ | هي المراد والمرحلة |

حرف الواو

| | |
|-----|--|
| ٤٥٢ | والهليم عليا وحدهم وحادا مهديا |
| ٣٧ | الوعد والوعد في النار |
| ٢٩٣ | الورع صيد الأعمال |
| ٦ | وماد جمع في راس الغنم حتى يسألني عن عرائنه |

حرف الياء

| | |
|---------|--|
| ١٠٤ | يوهم اليوم امرؤهم لكتاب الله |
| ٢٢٨ ٢٢٧ | يؤمر بالعالم العاصي إلى النار |
| ٤٥٦ | يا أيها البشر أشرار |
| ٤٥٧ | يا أيها المكر من أحب عليا بعد الحسن |
| ٣٩٥ | يا أيها الناس إني كتب قد امرتكم بالسمع |
| ٤٤٥ | يا حنبل إنه مني وأنا منه |

| | |
|----------|---|
| ٣٨٥ | يا علي إن من البصر أن لا يرضى دجاً مسحطاً |
| ٣٢٥, ٣ ٣ | يا علي إياك والطمع |
| ٣ ٣ | يا علي عَمَّ العيال من الدار |
| ٣١٨, ٣١٢ | يا علي مَنْ لَدِي لَا يَنْتَمِ صَلَاتِهِ كَحَلِي حَسْبُ |
| ٣ ٣ | يا علي ربا فاطمة قد علم الرب أن أقواماً من معدي عذابه سيعطون الحياة |
| ٥١١ | يا علي ربا فاطمة، إن الله قد جعل الجنة على الذين يقولون: أما |
| ٥١١ | يا علي، ما خيمتك إلا بأمر الله سبحانه |
| ٤١٣ | يا عمار معتك الجنة الساعة |
| ٤٥٩, ٤٥٩ | يحيى عبد المطلب يوم القيامة أمة وحيد |
| ٤١٨ | يخرج رجلاً من النار قد ذهب حرمه وسوره |
| ٢٢٥ | اليدين العيا حير من اليد العليا |
| ٢٥٣ | يعز الله تعالى يا بن آدم ما نسفني |
| ٢٩٨ | يقول الله عز وجل إنما عبد من عبادي استبته بآية |
| ٣١٢ | مور الله عز وجل يا عبادي مني سررت القسم على نفسي |
| ٤١٣ | يكون محم هو - معبود ملائكم مع صلاتهم |
| ٥٢٣ | يؤدي يوم القيامة ليضم سيد العارفين |
| ٤٨١ | يؤدي عباد يوم القيامة، أين العارفة حصماء الله |
| ٢١٢ | يولد لث معدي علام |
| ١٨٠ | |

فهرس الموضوعات

| | |
|---|----|
| المقدمة | ٥ |
| قواعد أساسية لفهم مسائل العقيدة | ٨ |
| سعداء النفس مع ربه مناهج تكفي، وأدلة بطلان | ٨ |
| الاعتماد على التصحح القرآني وإرجاع مسنده كتاب إلى محكمة | ١٠ |
| مراجعة شياى الآيات | ١٢ |
| تحديد معنى المصطلحات | ١٣ |
| فهم الأحاديث النبوية في ضوء القرآن | ١٥ |
| سأع مهج ال محمد عليهم السلام | ١٧ |
| هذا الكتاب | ١٩ |
| معرفة بالمحظوظات التي اعتمدا عليها أحمد المرحمة | ٢ |
| ترجمة الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام | ٢٤ |
| سنة | ٢٤ |
| مولده ولسانه | ٢٤ |
| مسانحه وإجاراته | ٢٧ |
| امداء دعونه | ٢٨ |
| صوب اليمن والإسلام | ٣٠ |
| معركة مع لمردين | ٣٢ |
| وقعه السرره | ٣٢ |
| معركة عيل جلاجل | ٣٥ |
| معركة ربيد | ٣٧ |
| من أوائل الداعين إلى وحدة اليمن شمالاً وجنوباً | ٣٨ |
| دعية عدالة اجتماعية | ٣٩ |

| | |
|-----|---|
| ٤١ | شعره عليه السلام |
| ٤٦ | مؤلفاته |
| ٤٨ | وفاته |
| ٤٨ | مصادر ترجمته |
| ٥٥ | ذكر تفاصيل المعارف وتسميتها |
| ٥٧ | باب معرفة النظر |
| ٥٧ | فصل في الكلام في العقل |
| ٦٤ | فصل في الكلام في الحواس |
| ٦٥ | فصل في الكلام في وجوب النظر والاستدلال |
| ٧٥ | باب حقيقة معرفة الصانع |
| ٧٥ | فصل في الكلام في الهواء |
| ٨٥ | فصل في الكلام في الأنوار واختلاف الليل والنهار |
| ٩١ | فصل في الكلام في الأرض |
| ٩٥ | فصل في الكلام في خلق الإنسان |
| ٩٦ | فصل في الكلام في الجسم والعرض |
| ١١٠ | فصل في الكلام في الألوان والطعوم والروائح |
| ١٢١ | فصل في الكلام في الروح |
| ١٤٥ | باب حقيقة معرفة الصانع |
| ١٤٦ | فصل في الكلام في أن الله تعالى شيء |
| ١٤٧ | فصل في الكلام في أن الله حي قادر |
| ١٤٨ | فصل في الكلام في أن الله عالم حكيم |
| ١٥٠ | فصل في الكلام في معرفة الصانع |
| ١٥٤ | فصل في الكلام في صفات الله و لفرق بين الأسماء والصفات |
| ١٦٢ | فصل في الكلام في أن الله تعالى قديم |

| | |
|--|-----|
| باب حقيقة معرفة التوحيد | ١٦٣ |
| فصل في الكلام في أصل التوحيد وجميعته | ١٦٩ |
| فصل في الكلام فيما اتفق عليه أهل القبلة وما اختلفوا فيه من التوحيد | ١٧٤ |
| فصل في الكلام في الإرادة | ١٩٠ |
| باب حقيقة معرفة العدل | ١٩٩ |
| فصل في الكلام في اختلاف أهل القبه في العدل وذكر ما أجمعوا عليه وما اختلفوا فيه | ٢٠٨ |
| فصل في الكلام في الاستطاعة | ٢١٧ |
| فصل في الكلام في الوعد والوعيد | ٢٢٣ |
| فصل في الكلام في المرة بين المرلين | ٢٢٩ |
| فصل في الكلام في الهداية والإضلال | ٢٣٤ |
| باب حقيقة معرفة النعمة | ٢٤٧ |
| فصل في الكلام فيما عنيق الله من نعم | ٢٤٨ |
| فصل في الكلام في ما عطر الله عليه العبد | ٢٥٨ |
| فصل في الكلام في أن ما أمر الله به فكيف يمكنه | ٢٦٣ |
| فصل في الكلام في أن الله يهي عن فعل ما يستلحه العقل ويهصر في الخال والخال | ٢٦٧ |
| باب حقيقة معرفة شكر المعمر | ٢٧١ |
| فصل في الكلام في حقيقة الشكر | ٢٧٢ |
| فصل في الكلام فيما يجب أن يعتد بالقلب من الشكر | ٢٧٣ |
| فصل في الكلام في واجبات الشكر | ٢٨٠ |
| فصل في الكلام في واجبات السمع | ٢٨٦ |
| فصل في الكلام في واجبات البصر | ٢٨٨ |
| فصل في الكلام في واجبات الهمس | ٢٩٢ |
| فصل في الكلام في واجبات النفس على الكمال | ٢٩٢ |
| فصل في الكلام في حقيقة الشكر | ٢٩٥ |

| | |
|-----|---|
| ٢٩٩ | فصل في الكلام في المحررة |
| ٣٠٠ | فصل في الكلام في التجارة |
| ٣٠٦ | فصل في الكلام في التوبة |
| ٣١١ | باب حقيقة معرفة البلاء |
| ٣١٥ | فصل في الكلام في امتزاج الصفة والصفة |
| ٣١٧ | فصل في الكلام في الرق |
| ٣٢٢ | فصل في الكلام في الصبر على البلية |
| ٣٢٦ | فصل في الكلام في الموت |
| ٣٣٠ | فصل في الكلام في الآجال |
| ٣٤٩ | باب حقيقة معرفة الجزاء |
| | فصل في الكلام مما اختلفت فيه الأمة من عذاب لعن والنعم في الصور والميران |
| ٣٥٣ | والكتاب و لصراط والشفاعة وعذاب طعان لمشركين |
| ٣٥٥ | فصل في الكلام في تصور |
| ٣٥٦ | فصل في الكلام في غير |
| ٣٦٢ | فصل في الكلام في الكتاب |
| ٣٦٤ | فصل في الكلام في الصراط |
| ٣٦٧ | فصل في الكلام في الشاعة |
| ٣٧٠ | فصل في الكلام في أفعال المشركين |
| ٣٧٢ | فصل في الكلام في أرواح أهل الجنة |
| ٣٧٧ | فصل في الكلام في جزاء الأعمال وذكر الخواتم |
| ٣٨١ | باب حقيقة معرفة الكتاب |
| ٣٨٣ | فصل في الكلام في فضائل القرآن |
| ٣٨٨ | فصل في الكلام في معاني القرآن |
| ٣٩٣ | فصل في الكلام في الماسح والمسوخ |

| | |
|--|-----|
| فصل في الكلام في الاختلاف في الكتاب | ٤٠٩ |
| باب حقيقة معرفة النبي (ص) | ٤١٣ |
| فصل في الكلام في نبينا محمد (ص) | ٤١٨ |
| فصل في الكلام في معنى الرسالة | ٤٢٦ |
| فصل في الكلام في اختلاف الناس في النبي (ص) | ٤٢٧ |
| فصل في الكلام في خطايا الأنبياء عليهم السلام | ٤٢٩ |
| باب حقيقة معرفة الإمام | ٤٣٧ |
| فصل في الكلام في إمامه أمير المؤمنين عني بن أبي طالب عليه السلام | ٤٤٠ |
| فصل في الكلام في اختلاف الأمة في إمامة عني بن أبي طالب عليه السلام | ٤٤٩ |
| فصل في الكلام في إمامة الحسن والحسين عليهما السلام | ٤٦٧ |
| فصل في الكلام في الأئمة من بعدهما | ٤٧١ |
| فصل في الكلام في إمامه زيد بن عني (ع) ومن قدم بعده من الأئمة (ع) | ٤٨٠ |
| فصل في الكلام في مرقى الشيعة | ٤٩٨ |
| باب حقيقة معرفة الاختلاف | ٥١١ |
| فصل في الكلام في المعرفة الباطنية | ٥١٨ |
| المفاهيم العامة | ٥٢٧ |
| فهرس الأيات | ٥٣٧ |
| تالياً فهرس الأحاديث | ٥٧٩ |
| فهرس الموضوعات | ٥٨٩ |



مرکز تحقیقات و توسعه در مطالعات اسلامی



مرکز تحقیقات اسلامی



مؤسسة الإمام زين العابدين علي الثقافية

أخي القارئ / أختي القارئة

نرجو منكم تعبئة البيانات التالية لمشاركتنا في تقديم الأفضل، ولتمكننا من إعلامكم بما يستجد من أخبارنا. والله يشكر لكم تعاونكم.

الاسم:
المهنة:
العنوان:
الهاتف:
البريد الإلكتروني:
عنوان الكتاب الذي اقتنيته:
سبب اقتناك للكتاب:
عدد الكتب التي تملكها من إصداراتنا:
عدد الكتب التي تملكها بشكل عام:
الموضوعات التي تهلك:

ملاحظات على الكتاب

أهمية الموضوع:
اللغة:
التبويب:
الخلاص:
شمول البحث:
موضوعية الطرح:
الفهارس:
الحجم:
الورق:
تعميق النص:

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ص.ب. ١٥١٢١ تلفون (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧٧)

فاكس (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧١) صنعاء - الجمهورية اليمنية

Website: www.izbacf.org ; email: info@izbacf.org



مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

ملاحظات أخرى



الإمام زيد بن علي

١٠ هل سمعت عن مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية؟

☐ نعم

☐ كيف؟

١١ هل ترغب بمتابعة أخبارها؟

☐ كلا

بعد الانتهاء من تعبئة هذه البيانات نرجو منكم التفضل بإرسالها على عنوان المؤسسة، مع العلم أن كل من يرسل هذا الاستبيان سيُدْرَج اسمه ضمن أصدقاء المؤسسة، والله يوفقكم إلى كل خير.

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية - ص.ب. ١٥١٢٤ - ظنون (٢٠٥٧٧٧-٠٠٩٦٧١)

فاكس (٢٠٥٧٧١-٠٠٩٦٧١) صماء - الجمهورية اليمنية

Website: www.izhacf.org ; email: info@izhacf.org

مرکز تحقیقات کتب و اسناد اسلامی



۱۳۸۳/۱۰/۱۷